جديد
إصدار 2000 - 1421

معاول الهدم والمنكرات

تأليف

د. خالد بن علي الحاج

دار الراوي
للنشر والتوزيع

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت: ٢٤٤٦٠٢٢٠
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣٣
ترخيص رقم: (٧١)

معاول الهدم والمنكرات

الطبعـــة الأولـــى

1421 هــ = 2000 م

الدراســات والمؤلفــات الــتي تنـــشرها الدار تعبــر عــن آراء الكتّاب أنفسهـــم ولا تعــبر بالضرورة عن رأي الدار.

الرقم الدولي :

الموضـــوع : فرق وعقائد

العنــوان : معاول الهدم والمنكرات

التأليــف : د. خالد علي الحاج

الصف التصويري : الاعتصام ــ الأردن

تصميم الغلاف: شركة رشاد برس - بيروت

التنفيذ الطباعي: شركة رشاد برس - بيروت

عــدد الصفحــات : 620

قيــاس الصفحــة : 17 × 24

عدد النســخ : 2000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسـجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرهـا مـن الحقوق إلا بإذن خطي من:

دار الــراوي

ص.ب:(1189) الدمام 31431 هاتف: 8172898

فاكس:8172469 المملكة العربية السعودية - الدمام

E-mail: rawiturki @ sahara. com. SA

دار الراوي

للنشر والتوزيع

٢١٩,٣
ح خ م

معاول الهدم والمنكرات

تأليف

د.خالد بن علي الحاج

دار الراوي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء :

إلـى رواد الفكـر والإصـلاح . . . إلـى الـدعـاة المجاهدين الذين جادوا بالنفيس والغالي ؛ لإعلاء راية التوحيد ، ثم إلى طليعة المجددين الإمام محمد علي الشوكاني ، ثم إلى قدوة العلماء ناصر السُّنة ، وقامع البدعة المصلح الشيخ جمال الدين القاسمي ، ثم إلى العلاّمة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذا الكتاب إحياء لذكراهم ، وتقديراً لجهودهم .

المؤلف

المنهاج الرباني

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [سورة الشورى: ١٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف: ٨] .

وقال عز من قائل : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور: ٦٣] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٩] .

من مشكاة النبوة

قال رسول الله ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم والترمذي .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ، وولده والناس أجمعين» رواه البخاري .

وقال عليه الصلاة والسلام : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ» رواه البخاري ومسلم .

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : «مفاتيح الغيب خمس : لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» رواه البخاري .

وقال عليه الصلاة والسلام : «من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد» رواه أحمد ومسلم .

وقال ﷺ : «من رغب عن سنتي فليس مني» رواه البخاري .

وقال ﷺ : «بلغوا عن ولو آية ، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتوأ مقعده من النار» رواه أحمد والبخاري ، وغيرهما .

المقـــدمـــة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١][1] .

أما بعد :

فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر

(١) تُعرف هذه الخطبة باسم (خطبة الحاجة)، وكان رسول الله ﷺ يفتتح بها خطبه وكل أمر ذي بال ، ومن السنة البدء بها في خطب الجمعة والعيدين والاستسقاء وعقد الزواج ودروس العلم . . . ، انظر: «خطبة الحاجة» للعلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – .

الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعـــد:

فإن كتاب ربنا حدثنا عن الباطل الذي يضاد الحق ويخالفه ، وحاور أهل الكفر والشرك الذين ضلوا عن سواء السبيل ، وكشف عن معتقداتهم الزائفة ، وأصولهم التي بنوا عليها ضلالهم ، وتجد هذا النهج القرآني ، واضحاً في أحاديث الرسول ﷺ ، ومن اطلع على سيرته ﷺ رأى سعة علم الرسول ﷺ بضلال أصحاب الملل والنحل ، وحرصه على تعريف أصحابه بباطلهم ، وحثه إياهم على مخالفة أهل الضلال فيما ضلوا فيه . . .

وقد فقه أهل العلم عن ربهم، وعن رسولهم هذا النهج ، فبذلوا جهدهم في التعريف على الحق ، والاستمساك به ، ومخالفة أهل الباطل في ضلالهم ، وقد ألفوا المؤلفات التي ترد على أهل الكفر والشرك من الملاحدة ، والمتفرنجة ، وأنصار الشيطان من البدع ، والضلال . . . لقد خالط العقيدة الإسلامية -بوجه عام- من الأفكار الدخيلة كثير من الأوهام ، وبخاصة ما كان فيها من أفكار الباطنية الهدامة ، فأخرجتها من بساطتها ، وإشراقها ، وذهبت بجمالها ، وجلالها .

وكما لا يخفى ، فقد درج أعداء الإسلام في الداخل والخارج على التشكيك ، والطعن في الإسلام ، والنيل منه ، ليشككوا المؤمنين في دينهم ، وليصدوا الناس عن دين الله الحق .

ولا يزال الإسلام محارباً منذ أن طلع فجره ، وذلك من قِبَل أعدائه

الألداء ، وخاصة من اليهود ، ومشركي العرب .

لقد كتب الله النصر المؤزر للإسلام والمسلمين ، وأذل الله المشركين والكافرين ، ولكن الأعداء -وإن خذلهم الله- ما فتئوا يحيكون المؤامرات ، والدسائس ، ويبثون دعاياتهم الضالة ضد الإسلام والمسلمين ، وكان من أشدها فتكاً ، وأخبثها دعاية ، وأكثرها رواجاً ، دعاية المخرفين ، والقبوريين ، والصوفية المبطلين ، الذين لم يدخروا وسعاً في نشر البدع ، والضلالات باسم الدين ، والدين منها بريء . . .

كما دعوا إلى عبادة القبور ، وحسنوها للجماهير بشتى الأساليب ، من بناء القباب الشاهقة عليها ، وتزويقها ، ووضع الستور النفيسة عليها ، لجذب الناظرين والزائرين إليها ، وجعلوا السدنة حولها ليطوفوا بالزائرين حول الضرائح ، ويعلموهم كيف يدعون الأولياء ، وينزلون بهم حاجاتهم ، ومن اختراع حكايات سمجة عن القبور ، وكرامات مختلفة ، وإنشاء قصائد تطفح بالاستغاثات ، والنداءات التي لا تصلح إلا لخالق الأرض والسموات .

فنتج من جراء تلك الدعايات الضالة المضللة التي قام بها ونشط لها المبشرون بالضلال ، وعبدة غير ذي الجلال أن انخدع بها الأكثرون ، وانصرفوا عن توحيد الإله العظيم خالق الأنام ، وتحمسوا لها . . . والعلماء إزاء هذه البدع والشركيات أصناف ثلاثة : صنف يؤيد تلك البدع والخزعبلات ، ويدعو إليها ، وقد يكتب ، وينشر في تأييد مذهبه .

وصنف يعرف الحق ، وأن ما عليه جمهور الناس باطل وضلال لكنه يساير العامة وأشباههم ، إما رجاءً ، وإما رهبةً ، أو جبناً .

وصنف ينكر ذلك ، ويدعو الناس إلى ترك المحدثات ، ويرشدهم إلى التوحيد والتمسك بالسنة المطهرة ، وهؤلاء قليلون بالنسبة لذينك الصنفين .

وقد طرأت على المسلمين في مختلف عصورهم جاهليات جهلاء ، وذلك بعد العصر النبوي الأول ، والحكم الإسلامي الراشد جمعت بين الهرتقات ، والزندقات ، والترهات ، والأباطيل التي ما خلت منها فرقة من الفرق ما عدا الفرقة الناجية التي وصفها عليه الصلاة والسلام بأن أصحابها : «هم ما أنا عليه اليوم وأصحابي» .

وهذه الجاهليات أدهى وأمر من الجاهلية الأولى ، التي لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة لتلك الجاهليات العمياء التي عصفت بقلوب كثير من المسلمين ، فقذفت بهم بعيداً عن الهدي النبوي إلى دركات سحيقة ، ومتاهات مضلة عن الطريق السوي ، والنهج الرباني .

فظهرت الفرق الضالة التي تمثلت بفرقة الإسماعيلية ، والحبشية ، والفاطمية ، وما تفرع منها من فروع كالنصيريّة ، والدروز ، وغيرها .

كما ، وظهرت فرق حديثة كالبابية ، والبهائية ، والقاديانية ، وغيرها ، ومذاهب معاصرة كالشيوعية ، والعلمانية ، وحركات هدامة كالصهيونية ، والماسونية .

وقد تبين ما لليهود من النشاط الواسع في إيجاد هذه الفرق ، والمذاهب الخبيثية ليزعزعوا المسلمين عن دينهم ، وجعلوا تعدد هذه

الفرق معاول هدم للإسلام في كل عصر من العصور التي تلت عصر النبوة الزاهر .

لقد عمت في هذا العصر منكرات ، ومخالفات شرعية حتى أصبحنا نراها في كل مكان ، في البيوت ، والأسواق ، والمساجد ، والجنائز ، والقبور ، وغيرها فوجب التحذير من هذه المنكرات على مختلف أشكالها ، ومواقعها ، وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى ، ولأمر رسول الله ﷺ ، وإقتداءً بالسلف الصالح رضوان الله عليهم ، واتقاءً للفتن كرامةً للدين والوطن .

فقد أخرج البخاري -رحمه الله- في «الصحيح» عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- أنه قال : «أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة ، فقال: هل ترون ما أرى؟ قالوا : لا ، قال : فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر» .

فأخبر النبي ﷺ بوقوع الفتن خلال البيوت ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها ، ويسألوا الله الصبر ، والنجاة من شرها .

والبيوت هي مكان القرار ، وفيها المعاش ، وحفظ الأنفس ، والأموال ،وهي لبنة الأساس للمجتمع الإسلامي ، ومنها ينطلق الفرد إلى مواجهة العالم الخارجي بما تربى عليه من مبادىء ، وأخلاق إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً فعلى البيوت يتوقف صلاح المجتمع .

فإذا صلحت البيوت صلح المجتمع ، وإذا فسدت فسد المجتمع .

ومن الجدير -أخي القارىء- الكريم أنه : لا صلاح للمجتمعات ، ولا سعادة لها ، ولا أمن ، ولا استقرار إلا بأن يحكم قادتها ، وحكامها

بشريعة الله ، فيرفضون موالاة أعداء الله من ملاحدة ، وكفار ، وطواغيت ، ومستشرقين ، وأشباههم ، ولا يوالون إلا الله ، وينفذون حكمه في عباده ، ويخلصون له القول والعمل ، ويقفون عند حدوده التي حدها لعباده ، وبذلك يفوز الجميع بالنجاة ، والعزة في الدنيا والآخرة كما يفوزون بالنصر على الأعداء ، والسلامة من كيدهم ، واستعادة المجد السليب ، والعز الغابر ؛ كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[2].

ولما حذّر سبحانه من اتخاذ الكفار بطانة من دون المؤمنين ، وأخبر أن الكفار لا يألون المسلمين خبالاً ، وأنهم يودون عنتهم ، قال بعد ذلك : ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾[3].

وهذا الأصل الأصيل ، والفقه الأكبر ، أولى ما كتب فيه الكاتبون ، وعني به دعاة الهدى ، وأنصار الحق ، وهو أحق العلوم أن يعض عليه بالنواجذ ، ويُنشر بين الناس حتى يعلموا حقيقته ، ويبتعدوا عما يخالفه ، ولا بأس من ذكر كلمة الإمام الراشد الخليفة عمر بن الخطاب التي ما تزال تدوي في الأسماع ، (ينقض الإسلام عروة عروة من يدخل

(١) سورة محمد : آية ٧ .

(٢) سورة النساء : آية ٦٥ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٢٠ .

في الإسلام ، ولا يعلم أمور الجاهلية)[1] .

وبخاصة الذين يتعرضون إلى الإصلاح ، فيجب أن يطلعوا اطلاعاً واسعاً على وصف تلك الفرق ، ويعلموا ما فيها من الألغام الناسفة للعقيدة الإسلامية ، ويصفوها بجلاء للذين اغتروا فيها ، وظنوا أنها الحق ، وفي الواقع إنها الباطل الواضح الصريح .

وقياماً بحق الله علينا ، ووفاءً لهذا الدين الذي شرفنا الله بالإنتساب إليه ؛ فإننا نتقدم لأمتنا بهذه الدراسة التي توضح جانباً كبيراً من مبادىء الإسلام الحنيف ، ومقوماته الأساسية .

وقد ، وضعت هذا الكتاب الذي سميته (معاول الهدم والمنكرات) ، ودعمته بأدلة قاطعة من الكتاب والسُّنة وآثار سلف هذه الأمة ، وجليت فيه ما قصدت إليه ، وأمطت اللثام عن جوانب أساسية من جوانب الإسلام العظيم ، ولعل في هذا الكتاب تذكرة لأهل الغفلة والاغترار ، وتبصرة لأولي البصائر والأبصار ، الذي أخلصهم الله تعالى بخالصة ذكرى الدار . . . فعسى أن ينتهوا عن الذنوب ، وينتبهوا من سِنةَ الغفلة ، وتلين فيهم قاسيات القلوب ، ويكلوا علم الغيب إلى علاّم الغيوب .

أما الدراسة في هذا البحث فقد اشتملت على مقدمة ، وستة فصول ، وخاتمة ، وهي مرتبة على النحو التالي :

---

(١) انظر : «الكشاف الفريد» (١/١٢-١٣) .

الفصل الأول : الشرك والكفر .

الفصل الثاني : مذاهب معاصرة .

الفصل الثالث : الفرق الباطنية .

الفصل الرابع : وسائل الإعلام .

الفصل الخامس : منكرات ، ومحاذير متنوعة .

الفصل السادس : مسائل متفرقـــة .

وبعد ؛ فهذه إلمامة سريعة عن محتويات هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون قد حقق الغاية المتوخاة منه ، وسائقاً للعامل به إلى الخيرات ، وحاجزاً له عن أنواع القبائح ، وسائر المهلكات .

ولا يسعني في ختام هذه الكلمة إلا أن أتقدم بشكري الجزيل لكل من آزرني في هذا البحث ، أو قدم فيه مساعدة علمية ، أو استمددت شيئاً من كتبه ، ومقالاته ، اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم ، وتقبله مني بقبول حسن ، وادخره لي يوم لا ينفع مال ولا بنون ، واغفر لي ما وقع فيه من الزلل والخطأ ، إنك نِعم المولى ونِعم النصير ، وصلى الله على سيدنا ، ومعلمنا ، وهادينا محمد بن عبدالله وآله ، وأصحابه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تحريراً في ١٥/٣/١٤١٩هـ

الموافق ١٩٩٨م

خادم العلم الشرعي

خالد محمد علي الحاج

الفصـل الأول

الشرك والكفر

الشـــرك والكفـر

اعلم -أخي المسلم- أن هذا الفصل مهمٌّ وخطيرٌ، ينبغي لكل مسلم أن يتعرف على فحواه، ويقف على مضمونه، حتى يستطيع المسلم أن يميزَ بين الحق والباطل، وبين الشرك والتوحيد ليعبدَ الله على وجهٍ صحيح؛ لأنّ العبادة الصحيحة والمقبولة التي يرضاها الله تعالى ويقبلها من عباده الموحّدين، هي العباد الخالصة التي تخلو من سائر الشرك، ومقاصد الجاهلية الحمقى.

فمن المواضيع الخطيرة التي شغلت الناس (قديماً وحديثا)، ولا تزال حتى يومنا هذا:

الاشتغال بالسحر والرقى والتمائم، والنذر والذبح والدعاء لغير الله، وسائر الشعوذات المذمومة التي تُجافي روح العلم والدين، والعقيدة السليمة النقيّة.

لذلك، ينبغي الحذر من الشعوذات والضلالات التي نهى الشارع الحكيم وأتباعه الموحِّدين عن الإتيان بها.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد»[1].

---

(١) رواه الأربعة والحاكم.

وجاء عنه أيضاً ﷺ : «ليس منّا من تَطيّـر أو تُطيّر له ، أو تكهَّن أو تُكهِّن له ، أو سَحر أو سُحرَ له . . »[1].

هذا ما أردنا بيانه ، وهو ما أمر الله باتباعه ، والتزام شرعه الحكيم .

والله ولي التوفيق.

---

(١) رواه البزّار بإسناد جيد ، والطبراني بإسناد حسن ، انظر كتابنا «مصرع الشرك والخرافة» ص٢١٢.

معنى لا إله إلا الله

اعلم أخي المسلم أن معنى : «لا إله إلا الله» أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله .

فلا إله : نفي لجميع المعبودات الباطلة .

وإلا الله : إثبات للمعبود الحق جلّ جلاله .

ولا إله إلا الله هي كلمة التقوى ، ومفتاح الإسلام ، ومفتاح الجنة ، ودار السلام .

إن من يتخذ ولياً من دون الله ، وما يقدم له من الذبح أو النذر أو التبرك بتراب قبره أو الصلاة إليه أو طلب حاجة منه ، فلو عرف أن ذلك تأليه لأولئك الصالحين ، والإلهية لا تصلح إلا لله لعلم أن هذا شرك أكبر[1] ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[2] .

فلا إله إلا الله تقتضي إفراد الله بالعبودية المطلقة التي تستثني أي شريك له في الملك أو الفعل أو القول ، فهو وحده الخالق والرازق ، وهو وحده يستحق أن يُعبد . . .

---

(١) انظر : «تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران» (ص٥٢).

(٢) سورة المائدة : آية ٧٢ .

معنى محمد رسول الله

اعلم أخي المسلم أن معنى (أشهد أن محمداً رسول الله) : طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر .

وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ، له بالأهواء والبدع .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[١]، وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٢]، وقال عز وجل في تحذير من نأى عن شرع الله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٤]، وقوله في الحديث الشريف : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح .

وما ابتدعه بعض الفقهاء الجامدين ، والمتصوفة المبطلين من

---

(١) سورة الحشر : آية ٧ .

(٢) سورة النساء : آية ٦٥ .

(٣) سورة النور : آية ٦٣ .

(٤) رواه مسلم .

صلوات ، وأدعية ، وأذكار ، وأحزاب فكل هذا من البدع ، والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان مثل الذكر بالاسم المفرد : (الله الله ، أو يا هو يا هو).

ومثل حِلَق المريدين (اجتماعهم في حلقات) الذين يزعمون أنهم يذكرون الله بمثل هذه الأذكار المخترعة ، وكصلاة الرغائب ، ومثل حزب البحر ، وابتهالات ، وصلوات ، ومناجاة ، وإنشاد قصائد في مدح النبي ﷺ . . .

والصيغ الواردة في الصلاة على الرسول مدوّنة في كتب السنة لا حاجة إلى الاختراع والابتداع في صيغها ، وذلك كما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري : «. . . قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد ، وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم»[1] هذا ما لزم بيانه ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) انظر : «تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران» (ص٦٢).

مدخـــل

اعلم أخي المسلم -حفظك الله- أن التوحيد هو جوهر الإسلام وهو ثلاثة أقسام :

توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

الفرق بين توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية :

١- توحيد الربوبية هو توحيد الله تعالى بأفعاله ، مثل اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق، المحي المميت ، وقد اتفقت كلمة أكثر الأمم ، ومنهم مشركوا العرب على الإقرار به ، وعدم الشركية فيه .

وقد أخبرنا القرآن الكريم بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[(١)] .

٢- توحيد الألوهية ، الذي يسمى توحيد العبادة ، فهو توحيد الله بأفعال العباد .

وأصل العبادة في اللغة : التذلل والخضوع ، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات ؛ لأنهم يلتزمونها ، ويفعلونها خاضعين ومتذللين لله تعالى .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه

---

(١) سورة الزخرف : آية ٩ .

الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. . .»[1].

ومن هذه الأقوال والأعمال التي قالها شيخ الإسلام -ابن تيمية- ، جميع العبادات المطلوبة من العبد فرضاً أو نفلاً كالصلاة ، والصوم ، والطواف ، والنحر ، والنذر ، والحلف ، والاستغاثة ، والتوكل ، والرهبة ، والخشية ، وغير ذلك . . . ، وفي هذا التوحيد ، وقعت الخصومة بين الرسل ، وأممهم من عهد نوح إلى عهد سيدنا محمد ﷺ ، وما خلق الله الخلق من الجن والإنس إلا لعبادته ، وإفراده بالطاعة والقصد ، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

وقد جهل كثير من الناس الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية ، حتى أن بعض الدعاة لا يميزون الفرق بينهما ، إلا من رحم ربي ، وأسأل الله أن يهدي الجميع إلى سواء السبيل .

---

(١) انظر : «العقائد السلفية» (١/٢٣). كتابنا «مصرع الشرك والخرافة» (ص١٩ -٢١).

(٢) سورة الذاريات : آية ٥٦ .

إن كثيراً من المتسبين لأمة الإسلام يخرجون من الملة ، ويشركون بالله على غير علم أو معرفة ، إما لجهلهم أمر دينهم ، وهذا هو الغالب على جمهرتهم ، وإما تباعاً للهوى ، وإرضاءً للشيطان أو تقليداً للآباء والشيوخ ، أو العلماء المتمشيخين صورة ، والجهلاء حقيقة وواقعاً ، فلا يعرفون من الإسلام إلا رسمه ، ويجهلون أهم قواعده ، وأصوله ، وخاصة ما يتعلق بأصول العقيدة ، وما يفسد شؤون التوحيد ، وقواعده. . . فالتوحيد أوجب الواجبات ، وأهم الضروريات التي يجب على المسلم الحق أن يعرفها ، ويعمل جاهداً على تحقيقها .

وفيما يلي – أخي القارىء – بعض نواقض الشهادتين ، وهما الركن الأساسي للإسلام :

١– صرف العبادة لغير الله ، والعبادة ليست مقتصرة على الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج بل كل ما تعمله تقصد به وجه الله فهو عبادة ، وكل عمل تعمله تقصد به وجه غير الله فهو شرك .

ويدخل في هذا النوع من الشرك حالات كثيرة نذكر منها :

– أن يعمل الإنسان للقومية جاعلاً إياها هدف عمله الوحيد ، يقاتل من أجلها ، ويدعو للإيمان بها ، والعمل لها مع تركيز عصبيته كلها لها .

إن مثل هذا الاتجاه اتجاه شركي ؛ لأن الله تعالى أمرنا أن نعمل له ، وأن نجاهد له ، وأن نقاتل له ، والمسلم لا يكيّف سلوكه على حسب ما تقتضيه مصالح قومه بل على حسب ما يأمره الله عز وجل .

- ومنها العمل للحزب أو للمذهب أو للحركة التي ينتمي إليها المرء لهدف فهذا شرك[1] . . .

- ومنها أيضاً العمل للوطنية كهدف ، فهذا شرك ، والعمل للإنسانية ، والإنسان ، وشعار العلم للعلم ، وشعار الواجب للواجب ، وشعار الأدب للأدب ، كل هذا شرك ؛ لأنه يصرف وجه الإنسان عن أن يكون الله مقصوده ومعبوده . . .

قال تعالى : ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾[2] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به»[3] .

٢-إعطاء غير الله حق الأمر والنهي ، وحق التحليل والتحريم ، وحق التشريع ، وحق الحاكمية ، ويدخل في ذلك ما يسمى بالديمقراطية ، إذ هي كلمة الأكثرية الممثلة بمجلس نيابي أو غيره ، وأن نعطي صلاحية التشريع المستقل عن حكم الله لطبقة الرأسماليين ، كما ويدخل في ذلك أن لا يعترف الإنسان بأنه مكلف من الله بواسطة الرسول ﷺ .

٣- أن تعطى الطاعة لغير الله بغير إذنه ، والطاعة التي أذن لنا الله فيها

(١) انظر كتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٣٥) وما بعدها .

(٢) سورة لقمان : آية ٢٢ .

(٣) رواه البغوي في «شرح السنة» ، والنووي في «الأربعين» .

هي أن نطيع رسوله، ونطيع أولي الأمر. وطاعة ولي الأمر مشروطة بكونه منا، وبكونه يرجع إلى كتاب الله، وسنة رسوله حال اختلافه معنا، وفي الحديث الشريف: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

٤- الحكم بغير ما أنزل الله أو الاحتكام إلى غيره جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

٥- كراهية شيء من الإسلام أو كراهية الإسلام كله، ويدخل في ذلك أن يكره الإنسان حكماً من أحكام الإسلام سواء في العبادات أو المعاملات أو السياسة أو الاقتصاد أو الأخلاق أو التنظيم الاجتماعي أو العلمي أو الحربي.

٦- استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، وجعل الدنيا هدف الإنسان الوحيد المتمركز حول متاعها وزينتها، وتفضيلها على ما عند الله.

٧- الاستهزاء بشيء من الكتاب والسُّنة أو بأهلهما من أجلهما، أو بحكم من أحكام الله عز وجل أو شعيرة من شعائره.

٨- تحليل ما حرم الله أو استحلاله، وتحريم ما أحل الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[3].

---

(١) انظر كتابنا: «مصرع الشرك والخرافة» (ص٤١) وما بعدها.

(٢) سورة المائدة: آية ٤٤.

(٣) سورة النحل: آية ١٠٥.

٩- عدم الإيمان بكل نصوص الكتاب والسُّنة الثابتة عن رسول الله ﷺ فعدم الإيمان بشيء من نصوص الكتاب ينقض الإيمان ، وتكذيب رسول الله بشيء ثابت عنه ينقض الإيمان .

١٠- تولي أهل الكفر ، والنفاق ، وعدم محبة أهل التوحيد والإيمان ، ومجالسة أهل الكفر ، وتأييدهم ، والوقوف معهم[1] .

١١- سوء الأدب مع رسول الله ﷺ كغمزهم بخدشهم عصمته ، بأنه كان في عصمته تسع نساء ، وكحديث بعض الكتاب عنه ﷺ كحديثهم عن شخص عادي ، وتجاهلهم مكانته السامية كرسول ونبي منقذ ، ومحاولة بعض الفسقة إدخال تمثيليات ومسرحيات بِدُور السينما ، تمثل أدواره ، وتتقمص شخصيته الكريمة .

١٢- اشمئزاز القلب من توحيد الله ، وانبساطه لنوع من أنواع الشرك قال تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾[2] فإذا أرجعت الأمور ، والحوادث إلى الله نفرت قلوبهم ، وإذا أرجعتها إلى الطبيعة أو إلى الأسباب العادية أو إلى الأولياء انبسطوا وسروا لذلك .

١٣- ادعاء أن للقرآن باطناً يخالف الظاهر ، وأن الباطن يستقل بعلمه بعض الناس بواسطة الإلهام أو غيره ، وما يقال في القرآن يقال في

(١) انظر : المصدر السابق ص٤٨ .
(٢) سورة الزمر : آية ٤٥ .

السُّنة ، فالله عز وجل أنزل كتابه عربياً قال : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١] .

١٤- عدم معرفة الله معرفة صحيحة ، بإنكار شيء من صفاته أو أسمائه أو أفعاله ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾[٢] ، وعدم معرفة الرسول ﷺ معرفة صحيحة ، أو سلبه صفة مما وصفه الله به ، أو وصفه بصفة منقصة له ، أو محقرة ، أو عدم كونه الأسوة العليا للإنسان ، ومن قال عنه أنه نبي للعرب فقط فقد كفر ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٣] .

١٥- تكفير أهل الشهادتين ، وعدم تكفير من كفر بهما ، واستحلال قتال أهلهما ، فالقاعدة : «من كفر مؤمناً فقد كفر ، ومن لم يكفر الكافر فقد كفر . . .» رواه الشيخان .

إنما كان تكفير المؤمن كفراً ؛ لأن فيه طعناً في نفس الإيمان ، كما كان الشك في كفر الكافر أو تصحيح مذهبه أو عدم تكفيره ؛ لأنه تكذيب لله ولرسوله ﷺ .

١٦- العمل بعمل جعله الله عز وجل عبادة لا تليق إلا به ، فيعطيه لغيره ، كأن يذبح لغير الله ، أو يركع ويسجد لغير الله ، ويطوف بغير بيت الله بنية القربة لله .

---

(١) سورة يوسف : آية ٢ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٠ .

(٣) سورة سبأ : آية ٢٨ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] .

والأصل الجامع لهذا كله : أن المسلم لا يعمل عملاً إلا لله ، ولا يعمل عملاً إلا إذا شرعه الله له ؛ فإن عمل ما لم يأذن به الله فتلك معصية ، وجريمة ارتكبها في حق نفسه أو عمل لغير الله فذلك شرك .

ومن الجدير بذكره : أن هناك أنواع أخرى من نواقض الشهادتين ، ومن أمثلة الشرك الأصغر : المصلي الذي يحسن صلاته من أجل مدح الناس له ، أو الذي تعلم ليتصدر الناس ، أو يحارب ويقاتل ليقال عنه : شجاع ، أو يتصدّق ليقال عنه : كريم أو سخي وغيرها ، أو أن ينوي حج غير بيت الله بنية القربة لله[2] ، وقد علمنا الرسول ﷺ علاج الشرك الأصغر بدعاء : «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه ، وأستغفرك لما لا أعلمه» .

افتراء جديد على علماء التوحيد :

مما يلفت الانتباه ، ويشتد له العجب غمز بعض المبطلين ، وطعنهم بعقيدة علماء التوحيد ، كطعنهم بعقيدة المجدد محمد بن عبدالوهاب ، وأحفاده -رحمهم الله تعالى- ، وذلك أننا عندما نذكر لهم أن ما قرروه من تقييد للكفر بالجحود والاستحلال فقط ، هو مخالف لما نص عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتبه ، عندما تكلم عن نواقض الإسلام

(١) سورة الأنعام : آية ١٦٢-١٦٣ .

(٢) انظر كتاب : «الإسلام» الجزء الأول ، ففيه بسط وتفصيل .

العشرة ، ونقل عليها إجماع العلماء[1].

فسرعان ما يبادرونك القول : اجتهد الشيخ ، وأخطأ . . . !!

قلنا لهم : ولكن هذه النواقض نالت القبول ، والموافقة عند علماء التوحيد في الجزيرة العربية من لدن الشيخ حتى أيامنا هذه ، وكثرت مؤلفاتهم في بيانها ، وشرحها ، وتحذير الناس منها . . .

قالوا : قد اجتهدوا وأخطأوا ، ونحن لا نرى التقليد ، وهم ليسوا حجة علينا . . . وقولهم : اجتهد ، وأخطأ يستساغ أن يقال في المسائل الفرعية ، ونحوها من الأمور المتشابهات ، أما أن يقال أن الشيخ اجتهد وأخطأ في مسائل العقيدة والتوحيد ، العقيدة التي أكثر من الدندنة حولها ، وصرف جل حياته يجاهد في سبيلها ، هذا يستلزم أن الشيخ كان جاهلاً في التوحيد ، وعقيدته باطلة ، وأنه بالنواقض التي أثبتها كان يكفر الناس من غير علم ولا دليل . . . !

نعم قولوها هكذا صراحة ، ومن دون مواربة ولا وجل . . . أم أنكم تخشون مسلمي الجزيرة العربية ؟!

أتخشون على سمعتكم ، ونفوذكم ، ومصالحكم أن يمسها السوء ، ولا تخشون الله ؟!

فالله تعالى أجل ، وأعز ، وأولى بأن تتقوه ، وتخشوه ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[2] هذا - أخي القارىء - افتراء جديد على

(١) انظر : «الرسائل الشخصية» القسم الخامس (ص٢١٣) .

(٢) سورة التوبة : آية ١٣ .

علماء التوحيد[1]، نتيجة شيوع الضلال ، والزيغ بين قلوب ضعيفي الإيمان ، ومسلوبي الإرادة دافعهم إرضاء شهواتهم الهدامة تجاه كل عالم مؤمن ينشر دين الله كما شرع .

(١) انظر : «تنبيه الغافلين إلى حكم شاتم الله والدين» (ص٦٦) .

الشـــرك

تعريف الشرك، وأنواعه: الشرك هو ضد التوحيد، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

ويظهر الشرك الأكبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾(١)، ومعناه: إتخاذ الند، بأن يدعوه أو يرجوه، أو يخافه أو يحبه كمحبة الله أو يذبح أو ينذر له...

والنوع الثاني من الشرك: الشرك الأصغر، وهو كل وسيلة وذريعة يتطرق بها إلى الأكبر، وذلك كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وكالحلف بغير الله كالحلف بأبيه أو شيخه أو زعيمه أو شرفه...، ودليل الشرك الأصغر الرياء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٢).

والنوع الثالث من الشرك: الشرك الخفي، والدليل عليه قوله ﷺ: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل»، وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب والذي لا أعلم». وكان عمر –رضي الله عنه– يقول في دعائه: «اللهم اجعل

(١) سورة النساء: آية ١١٦.

(٢) سورة الكهف: آية ١١٠.

عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً»[1].

واعلم - أخي القارئ - أن الحياة التي يهيمن عليها الشرك وظلمات الإلحاد لهي حياة بهيمية، تعافها النفوس الزكية، وتأنفها الطبائع الإنسانية، فهي المخلفات التي تتركها وراءها رواسب الشرك والوثنية التي تعوق مسيرة الحياة، وتخالف السنن الكونية التي أرادها الله في الكون . . .

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :

فيما يلي - أخي القارئ - أهم الفروق بين الشرك الأكبر، والأصغر :

١- إن الشرك الأكبر لا يُغْفَر لصاحبه، وأما الأصغر فتحت المشيئة .

٢- إن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

٣- إن الشرك الأكبر مخرج عن الملة الإسلامية، وأما الأصغر فلا يخرج منها .

٤- إن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار أبداً، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب، وقيل إنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة كالأكبر،

---

(١) انظر : «رسالة العبودية» (ص١٣٨) لابن تيمية .

وهذا أقرب[(١)].

الفرق بين الشرك والكفر :

الشـرك : هو دعوة غير الله معه ، وأن تجعل لله نداً في العبادة ، وهو خلقك ، والشرك أعظم شيء نهى الله عنه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[(٣)] .

أمـا الكفـر : فهو بمعنى الجحد ، والستر فمن أنكر الرب أو الخالق سبحانه ، أو أنكر يوم البعث ، أو نبياً من الأنبياء أو كتاباً من الكتب السماوية ، وكذا من أحلّ محرماً ، ولذلك فكل مشرك كافر ، ولا عكس .

والكفر أنواع[(٤)]:

١- كفر عـنـاد : ككفر أبي جهل .

٢- كفر إبـــاء : ككفر إبليس .

٣- كفر جحود : ككفر فرعون .

قال النووي في «قرة العيون» : «أما دخول المشرك النار فهو على عمومه ، فيدخلها ويخلد فيها ، ولا فرق بين الكتابي اليهودي

---

(١) انظر : «الكواشف الجلية» (ص١٩٤) .

(٢) سورة النساء : اية ٣٦ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢ .

(٤) مقتبس من كتاب «العقائد السلفية» (١/ ٤٤-٤٥) .

والنصراني، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام، وبين ما انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده، وغير ذلك، وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مصراً عليها ومات على ذلك فهو تحت المشيئة؛ فإن عفي عنه دخل الجنة أولاً، وإلا عذب في النار ثم أخرج منها، وأدخل الجنة»[١].

الذّبح والنذر لغير الله :

إعلم -أيها القارىء-، أن النذر والذبح من العبادات التي يتقرب العبد بها إلى الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله...» حديث صحيح، قال الإمام النووي: المراد بقوله: «لعن الله من ذبح لغير الله» أن يذبح باسم غير الله، كمن يذبح للصنم، ومثله من يذبح لصاحب القبر، أو نحو ذلك، وكل هذا حرام وشرك، ولا تحل هذه الذبيحة[٤].

---

(١) انظر: «مصرع الشرك والخرافة» (ص١٨٦).

(٢) سورة الأنعام: آية ١٦٢-١٦٣.

(٣) سورة الكوثر: آية ٢.

(٤) انظر: «الكشاف الفريد» (٢/ ٢٢)، ورسالة «تقاليد يجب أن تزول» (ص١٤).

نصّ عليه الشافعي ، واتفق عليه أصحابنا ؛ فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له هذه الذبيحة غير الله والعبادة له - كان ذلك كفراً ؛ فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً ذكره في شرح مسلم . ونقله كثيرون ، إن الأحوال ، والهدايا ، والذبائح ، والأطعمة التي تحمل إلى أضرحة المشايخ أو الأولياء - بقصد الوفاء بالنذر - هي عمل باطل ، ومعصية لله ، ولا يجب الوفاء بهذا النذر ؛ لأن الرسول ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصه فلا يعصه»[1] .

أما ما يقولـه الجهلاء والمبتدعة بخصوص الذبائح والأطعمة والهدايا المنذورة التي تحمل للقبور ، وأضرحة الشيوخ ، والأولياء : بأن الولي أو الشيخ الذي حملت إليه لا يأخذها ، ولا يناله منها شيء ، إنما يأخذها الفقراء والمحتاجون ، الذين ينتظرون بفارغ الصبر تلك الموالد المباركة ، والمواسم الكريمة - على حد زعمهم - ، ليحصلوا منها على أرزاقهم وحاجاتهم ، إن هذا لضلال ، وأي ضلال أعظم من ضلالهم؟؟[2] ، وأي شرك أعظم من شركهم؟!!

- **الاستعاذة بغير الله :**

ومن الشرك الخبيث : الاستعاذة[3] بغير الله ، فالاستعاذة من أنواع العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده ليفردوه بها ، قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) انظر : كتابنا «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص٥١) وما بعدها .

(٣) معنى الاستعاذة : الالتجاء والاعتصام . انظر : «فتح المجيد» (ص١٦٧) .

﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[2] و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾[3]، وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذاك»[4].

شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية، أو الاستعاذة بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته[5].

وقال ابن القيم - رحمه الله - ومن ذبح للشيطان، ودعاه، واستعاذ به، وتقرب إليه بما يحب، فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة، ويسميه استخداماً هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان، وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة؛ فإن الشيطان لا يخضع له، ولا يعبده كما يفعل هو به[6].

وهكذا فالاستعاذة بغير الله من أقسام الشرك بالله توقع صاحبها بالخزي، والهلاك في الدنيا والآخرة - والعياذ بالله -.

---

(١) سورة فصلت: آية ٣٦.

(٢) سورة الناس: آية ١.

(٣) سورة الفلق: آية ١.

(٤) رواه مسلم.

(٥) «فتح المجيد» (ص١٦٩).

(٦) المصدر السابق، وانظر كتابنا «الكشاف الفريد» (٢/ ١٩).

الحلف بغير الله :

لقد حرّم الإسلام الحنيف على أتباعه على أن يعظِّموا المخلوقات أو يؤلّهونها -كما يفعل المبتدعة- أو يحلفون بهم ؛ لأن التعظيم ، والتقديس ، والإجلال لا ينبغي لأحد من المخلوقات ، بل هي من خصائص الله جل علاه فالحلف ، والتقديس ، والإجلال تعظيم للمحلوف به ، وقد منع رسولنا الأعظم ﷺ أن يحلف المسلم بغير الله تعالى فقال : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[١]، وقال أيضاً : «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[٢] لذا كان المطلوب من كل مسلم أن لا يحلف بالآباء أو الأمهات ، أو الشيوخ أو الزعماء ، أو الأولياء ، أو الأنبياء ، أو الكعبة ، أو الشرف ، أو كلمة الطلاق ، أو أي شيء آخر يكون عزيزاً عند الحالف .

وعن حذيفة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال : «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان»[٣].

قال ابن تيمية -رحمه الله- من أيْمان الشرك أن يحلف المرء بتربة أبيه ، أو بالكعبة ، أو بنعمة السلطان ، أو بحياة الشيخ ، أو غيرهم من المخلوقات .

---

(١) رواه الترمذي ، وصححه الحاكم .

(٢) رواه البخاري ومسلم ، انظر : «سبل السلام» (٤/ ١٠١) .

(٣) رواه أبو داود ، راجع : «فتح المجيد» (ص٤٢٦) وما بعدها .

فهذه أيمان غير منعقدة، ولا كفارة فيها بالحنث باتفاق أهل العلم[١]، أقول: إنها أيمان خطرة على الدين، والدنيا، وهي ذرائع شركية، وقد تهلك صاحبها بالدارين.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[٢]، وهذا الحديث دليل واضح على النهي عن الحلف بغير الله، وهو التحريم...

لقد كانت الجاهلية الأولى تعظم الأصنام، وتحلف بها لتأكيد أيمانها، لهيبتها في نفوس معظميها. وثمة ما نعاني في جاهلية عصرنا من تشابه بين الجاهليتين، فتجد من يحلف بالسلطان والرئيس والملك، أو بالأنبياء وأصحاب الأضرحة، كالدسوقي والحسين والسيدة زينب والبدوي وسيدنا الخضر، وأضرحة الأنبياء في مدينة الخليل بفلسطين، وضريح الصحابي أبي عبيدة في غور الأردن، وغيرهم من الأحياء والموتى، المؤلَّهين المُقدَّسين من دون الله تعالى لدى جمهرة كبيرة من المنحرفين الذين استحوذ عليهم الشيطان فعميت لديهم القلوب والأبصار.

التحذير من اتباع الهوى:

إن الإنسان في هذه الحياة يهوى بقلبه، ويحب ولا بد؛ فإن كان يهوى الخير. ويحب ما جاء به الرسول ﷺ. وترتاح له نفسه، ويبغض الشرور والمعاصي، فهذا هو المؤمن. وإن كان يهوى

---

(١) انظر: «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٤).

(٢) رواه النسائي وأبو داود.

الشـرور والمعـاصي ، ويكـره مـا جاء به النبي ﷺ ، فهذا هو الكافـر أو المنافق .

عن النبي ﷺ قال : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[1]، فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحب الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه ، وإن زادت المحبة حتى أتى بما يستحب منه كان ذلك فضلاً ، وزيادة خير ، ويجب على المؤمن أن يكره ما يكرهه الله ، كراهة توجب له الكف عما حرم الله عليه منه ، وإن زادت الكراهة حتى ترك ما ينبغي تركه تنزيهاً كان ذلك فضلاً ومحبة للطاعات والإتيان بها ، وبغض المحرّمات والابتعاد عنها دليل على محبة الله ورسوله ، ودليل على متابعة الرسول ﷺ فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وولده ، وأهله ، والناس أجمعين» .

فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق ، ومحبة الرسول تابعة لمحبة الله ، ومن أحب الله ورسوله حقاً قدم طاعتهما على هوى نفسه ، وملذاته من الأموال والأولاد والأوطان إذا كانت تتعارض مع محبة الله ورسوله .

ولذلك ترك المهاجرون أوطانهم وأموالهم لما كان البقاء فيها

(١) قال الإمام النووي – رحمه الله – : «حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح . . .» .

(٢) سورة آل عمران : آية ٣١ .

يتعارض مع طاعة الله ورسوله . قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾(١) فنالوا رضى الله تعالى بسبب ذلك ، وعوضهم خيراً مما تركوا . . .

من آثر محبة الله على هوى نفسه فقدم ما يحبه الله على ما يحبه هو فقد وجد حلاوة الإيمان .

ففي الصحيحين عن النبي ﷺ قال : «ثلاث من كن فيه ، وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى النار» .

وقد ، وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع كثيرة ، قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾(٢) .

وأصحاب البدع إنما يحدثون بدعهم اتباعاً لأهوائهم المخالفة لشرع الله ، ولذلك سمي المبتدعة بأصحاب الأهواء ، والذين يحكمون القوانين الوضعية . ويعرضون عن شرع الله إنما حملهم على هذا اتباع أهوائهم المخالفة لشرع الله .

ومن أطاع هواه في مخالفة أمر الله فقد اتخذه إلهاً من دون الله

(١) سورة الحشر : آية ٨ .

(٢) سورة القصص : آية ٥٠ .

تعالى ، قال سبحانه : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[1] .

وسائر المعاصي إنما تقع بسبب تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ، فالذي يترك الصلاة مع الجماعة ، ويسمع الأذان ولا يخرج للصلاة ، إنما فعل ذلك إيثاراً للنوم والكسل ، أو اشتغالاً باللهو واللعب ، أو إيثاراً لجمع المال ، وحطام الدنيا .

والمنادي في صلاة الفجر يقول : «الصلاة خير من النوم» فمن كان يحب الله ، ورسوله ترك النوم ، وأجاب داعي الله[2] .

ومن آثر محبة النوم على محبة الله ورسوله ؛ فإنه يبقى على فراشه ، ولا يجيب داعي الله ، فيكون قد بال الشيطان في أذنه ، وعقد عليه ثلاث عقد ، وقال له : أرقد عليك ليل طويل ، وكان عذابه في القبر أنه يرضخ رأسه بالحجر كلما رضخ عاد كما كان حيث كان يتثاقل عن صلاة الفجر .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[3] .

كما قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[4] .

---

(١) سورة الفرقان : آية ٤٣ .

(٢) انظر : «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية» (٢/ ٣٢٢-٣٢٥) .

(٣) سورة ص : آية ٢٦ .

(٤) سورة النازعات : آية ٤٠-٤١ .

علم الغيـــب :

إعلم أخي القارىء أن الله سبحانه وتعالى قد اختص نفسه بعلم الغيب ، ومن اعتقد أن أحداً له اطلاع على علم الغيب باستثناء ما أعطاه الله لأنبيائه فقد كفر بالله وأشرك ، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾(١) .

وقال أيضاً : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾(٣) لقد بالغ كثير من الغلاة ، فاستغاثوا برسول الله ﷺ فنسبوا إليه علم الغيب ؟! حتى قال بعض عصاتهم : لم يفارق الرسول ﷺ الدنيا حتى علم ما كان ، وما يكون ! ، وخالفوا صريح القرآن ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾(٤)، وقال تعالى مخبراً عن رسوله : ﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ ﴾(٥) .

وكما هو واضح فالغيب من خصائص الألوهية فلا الملائكة ، ولا الجن يعلمون الغيب حتى أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما علمه

(١) سورة الأنعام : آية ٥٩ .
(٢) سورة الجن : آية ٢٦-٢٧ .
(٣) سورة النمل : آية ٦٥ .
(٤) سورة الأنعام : آية ٥٩ .
(٥) سورة الأعراف : آية ١٨٨ .

الله . وقال الرسول ﷺ : «والله ما أدري ، وأنا رسول الله ما يُفعل بي»[1].

وروى البخاري أن الرسول ﷺ قال : «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم قرأ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[2].

وإذا علمتم أن الشرك حدث بسبب الغلو في الصالحين ، وأنه إنما جاءت الرسل من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله بالعبادة لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مقرون كما قررناه ، وكررناه ، ولذا قالوا : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[3] [أي نفرده بالعبادة وحده سبحانه] . . .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) سورة لقمان : آية ٣٤ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٧٠ ، وانظر : «تطهير الجنان» (ص٢٩) .

التوسل والوسيلة

معنى التوسل : جاء في لسان العرب ، أن الوسيلة هي القربة ، ووسّل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرّب به إليه . وتوسّل إليه وسيلة : إذا تقرّب إليه بعمل[١] .

وقال ابن جرير الطبري في تفسير آية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[٢] .

يقول : واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه .

والوسيلة هي الفعيلة من قول القائل : توسّلت إلى فلان بكذا ، بمعنى : تقرّبت إليه .

وقال أبو السعود : الوسيلة هي فعيلة ، بمعنى ما يتوسّل به ويتقرّب إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي .

ومما تقدّم يتبيّن أن التوسّل هو التقرّب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ، وهذا التقرب يكون محض خالص إلى الله دون التوسّل بذوات الأشخاص أو اللجوء إلى القبور والتوسّل بالموتى للتقرب إلى الله عزّ وجل[٣] .

---

(١) «صراع بين الحق والباطل» (ص٥٩-٦٤) بتصرف .

(٢) سورة المائدة : آية ٣٥ .

(٣) انظر كتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٢٨٠) .

أنواع من التوسّل المشروع :

١- التوسّـل بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1] .

٢- التوسل بأسماء الله وصفاته ، قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[2] .

٣- التوسل بالأدعية الواردة في السنة الشريفة نحو «اللهم إني أسالك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السمٰوات والأرض يا ذا الجلال ، والإكرام يا حي يا قيوم» ، وغير ذلك من الأدعية .

٤- التوسّل بالدعاء كما حدث عندما استسقى المسلمون بدعاء النبي ﷺ أيام القحط .

٥- التوسل بالصلاة كصلاة الاستخارة .

٦- التوسل بأداء الفرائض ، والنوافل ، وجميع أعمال الطاعات ، والقربات .

هذه -أخي القارىء- بعض أنواع من التوسل[3] الذي شرعه الله لعباده ، وبينته سنة رسوله ، ليستطيع الإنسان التقرب إلى الله مباشراً .

وهذه التوسلات -كما ترى- ليست فيها استغاثة بالموتى ، ولا

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٦ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٠ .

(٣) انظر : «التوسل والوسيلة»، و «صراع بين الحق والباطل» (ص٦٤-٦٦).

هتاف بالمقبورين ، ولا لجوء إلى غير الله .

والله تعالى يرشد عباده للطريق الصحيح لسؤاله ، فيقول سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[١] .

ويقول جل وعلا : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢] .

---

(١) سورة ق : آية ١٦ .

(٢) سورة غافر : آية ٦٠ .

الشفـاعـة

الشفاعة لغة: هي من الشفع، والشفع ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة الانضمام إلى آخر للخير أو للشر، للحق أو للباطل، والشافع هو من يتدخل في أمر من الأمور، ليكون عوناً لشخص فيجلب له الخير، أو عوناً عليه فيجلب عليه الشر.

وتنقسم الشفاعة إلى قسمين:

١- شفاعة حسنة في الدنيا، وهي مثلاً إذا ظلمك شخص، وتدخل آخر، وانضم إليك، فأظهر الحق، وأزال عنك الضرر قال الله تعالى فيها: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾(١).

وشفاعة سيئة في الدنيا -أيضاً-، وهي مثلاً أن ينضم شخص إلى عدو لك ليعينه على وقوع الشر بك أو إبعاد الخير عنك قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾(٢).

٢- شفاعة الآخرة: وهي شفاعة خاصة بالله وحده، ولا يملكها إلا هو سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أي مخلوق مهما عظم شأنه أن يملك الشفاعة الأخروية؛ لأنها تتصل بحقوق الله وحده.

ولكن الله تعالى خصّ رسوله محمد ﷺ بالشفاعة لعباده المؤمنين

---

(١) سورة النساء: آية ٨٥.

(٢) سورة النساء: آية ٨٥.

يوم القيامة قال تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾[1] .

وللرسول ﷺ شفاعات متعددة أعظمها : الشفاعة العظمى يوم القيامة لإراحة الناس من عناء الموقف العظيم ، وشفاعة أخرى في إخراج بعض من دخل النار من الموحدين ، وأخرى في رفع درجات المؤمنين في الجنة[2] .

ولكن اعتقادنا بثبوت الشفاعة له لا يسوغ للمسلم اتكالاً على هذه الشفاعة أن يسأل رسول الله في الدنيا شفاعته أو غفران ذنوبه كأن يقول : يا محمد اشفع لي ، يا محمد اغفر لي ذنبي ؛ فإن ذلك لا يجوز ، بل يقول : اللهم ارزقني شفاعة محمد ، الله شفع فيّ محمداً .

فإذا لم يجز للإنسان أن يقول مخاطباً لرسوله ﷺ اشفع لي ، أو أغثني ، فأولى أن لا يجوز بغيره من الأولياء والصالحين . . .

لأن الاستغاثة ، وطلب الشفاعة من الأولين والصالحين هي شرك[3] وضلال ، وإن مجرد انتسابنا للرسول ﷺ محال أن يكون سبباً في شفاعة الرسول لنا فهذا وهم باطل .

فالذين بلغهم قوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾[4] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(٢) راجع كتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٢٧١) وما بعدها .

(٣) انظر : «تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران» (ص٧٦، ٧٧) .

(٤) سورة الحشر : آية ٧ .

وبلغهم قول الرسول ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسّكتم بهما كتاب الله ، وسنة رسوله»[1] .

والذين بلغتهم آيات الله ، وأحاديث رسوله ﷺ ثم هجروا كتاب الله ، ونبذوا سنة رسوله الأمين ، وأعرضوا عما فيهما من الهدى والحق ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين ؛ فإن هؤلاء المفسدين لن ينالوا شفاعة رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾[2] .

ثم إن الجزاء في الآخرة معلق على الأعمال والمقدمات لا على الشفاعات ، والمحسوبيات ، والأنساب ، والأحساب كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[3] .

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» .

(٢) سورة الزمر : آية ١٩ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ١٠١ .

تصديق الكهان كفـر وشـرك

تنتشر في هذه الأيام عادات جاهلية خبيثة كالشعوذة والدجل ، والادعاء بمعرفة الغيب الذي هو من خصائص الألوهية ، فجاء الإسلام الحنيف حرباً عليها لمصادمتها للحقيقة والواقع ، وتنكّرها للقيم الإسلامية ، والمعاني الإنسانية ، إن من يصدق الكهان والحجّابين وأشباههم . فقد تجاوز الحدود الشرعية ، وتنكر للتعاليم الدينية ، فقد توعد الرسول الأعظم ﷺ الذين يلجأون إلى الكهان والحجّابين ، ويسألونهم ويصدقونهم في أوهامهم ن ﷺ : «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدّقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»[1] .

وقال أيضاً : «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»[2] .

مما تقدم يتبين لنا أن الإسلام قد نهى ، وحذر المسلمين من الذهاب إلى العرّافين والكهّان ، وكل من كان على شاكلتهم ، وذلك واضح مما ورد على لسان رسولنا عليه الصلاة والسلام ، الذي أمرنا الله تعالى باتباعه ، والتزام شرعه الحكيم ، فلا ينبغي تصديق هؤلاء الدجالين ، والإيمان بما يدعون من علوم غيبية ؛ لأن هذا يعتبر كفراً بالرسول ﷺ ، وخروجاً عن القرآن ، والسنة المطهرة .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البزار بإسناد جيد قوي ، وانظر «الحلال والحرام» (ص٣٢٠).

وفي الصحيحين، ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سئل رسول الله عن الكهان فقال: ليسوا بشيء قالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشيء، ويكون حقاً! فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرّها في أذن وليه قرّ الجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[١].

ومن المعلوم أن الغيب ملك لله وحده، وأن محمداً ﷺ لا يعلم الغيب، ولا غيره من باب أولى[٢]، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٣].

قراءة الفنجان والبخت:

من المنكرات الشائعة عادة قراءة الفنجان، وتفصيل ذلك: يتناول أحد المحتالين والمحتالات فنجان القهوة بعد شربه من قبل الرجل أو المرأة الذين يريدون معرفة حقيقة مستقبلهم، وما تخفي الأيام لهم، فيقلبه يمنة ويسرة، ويدقق النظر في جوانبه، ليقرأ فيه النصيب - البخت - عن المستقبل، وذلك من خلال التعاريج، والخطوط التي تكون الرواسب قد صنعتها في أطراف الفنجان التي يعرف الحظ البعيد من خلالها.

فهل يعقل أن يكون مستقبل هذا الشارب لفنجان القهوة بين هذه

(١) متفق عليه، وانظر: «شرح الطحاوية» (ص٥٦٧).

(٢) انظر كتابنا: «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص٦٠) وما بعدها.

(٣) سورة الأنعام: آية ٥٠.

الرواسب السوداء العالقة بين أطراف فنجان؟!!

إن ذلك - أخي القارىء - لا يليق بأصحاب العقول السليمة تصديقها فضلاً عن الجريان وراءها مما يجعلهم ألعوبة بين أيدي الكهنة، ومدعي علم الغيب، والإسلام من هذا براء...

ومن المؤسف أن يطلع علينا من يقول: إن طريقة الفتح بالفنجان أو بالكف أو المسبحة أو الودع أو المصحف هي وسيلة من وسائل الفكاهة والتسلية، ولا تتعدى ذلك، ولا ضير على من يقوم بذلك[١].

أقول: ستصبح هذه الملهاة عادة متحكمة، ومهنة رائجة كغيرها من الضلالات، واللائق بالمسلم الحق أن يكل علم الغيب إلى علاّم الغيوب.

وهذه الآيات الكريمة ترد على كل منحرف، ودجّال مدع بعلم الغيب - الذي استأثر الله به - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٣] فهذه الآيات تكشف زيف أدعياء الغيب حتى أن الله سبحانه قال لسيدنا محمد ﷺ بأنه لا علم له بالغيب فكيف يدّعي هؤلاء الدجالون بعلم الغيب؟!! قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ

(١) انظر كتابنا: «مصرع الشرك والخرافة» (ص٦١٥) وما بعدها.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٧٩.

(٣) سورة الأنعام: آية ٥٠.

﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾[1] .

جاء في كتاب «يسألونك عن الدين والحياة»[2] : من البدع التي يراد بها تضليل الناس في عقائدهم ، والضحك عليهم ، والسخرية بعقولهم تلك الأخبار ، والتنبؤات الكاذبة ، التي تقال عن المستقبل على أساس أنها مستمدة من حساب النجوم ، والبروج ، وغير ذلك .

لا ريب أن إصرار بعض الصحف على هذا الإيهام بالناس ، بأنه حق ، وإخبار عن المستقبل ، والحظ -البخت- فيه نوع من الاستخفاف بالقرّاء وفيه تضليل لهم ، وصرف لعقولهم عن فهم السنن الكونية ، والأوامر الإلهية التي جاء بها الدين .

إن الله تبارك وتعالى ، قد اختص ذاته بعلم الغيب ، والمستقبل فقال جل جلاله في كتابه الكريم : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[3] .

ويقول عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[4] .

---

(١) سورة النساء : آية ٧٦ .

(٢) انظر: «يسألونك عن الدين والحياة» (ص٣٢٨) الدكتور أحمد الشرباصي .

(٣) سورة الأنعام : آية ٥٩ .

(٤) سورة لقمان : آية ٣٤ .

ويقول النبي ﷺ : «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»(١) .

وهذا نوع من التهديد والوعيد الإلٰهي ، والعرّاف هو من يضرب الرمل أو يستنبىء الودع أو يتحدث عن البخت أو يستخرج الطالع ، ويقول عليه الصلاة والسلام : «من صدّق كاهناً أو عرّافاً فقد كفر بما أُنزل على محمد»(٢) ، والكاهن : هو الذي يدعي علم الغيب أو القدرة على الإخبار بالأمور المستقبلية أو الاطلاع على الأسرار أو كشف ما في النفوس والضمائر .

لأن الذي يعلم هذه الأمور علماً حقيقياً مطابقاً للواقع إنما هو الله سبحانه وتعالى .

الاشتغال بالسحر :

ومن المزاعم الجاهلية ، والخرافات الباطلة الإشتغال بالسحر ، الذي شغل الناس قديماً وحديثاً ، ولا تزال حتى يومنا هذا .

فالسحر من الشرك الملعون الذي نهى عنه الشارع الحكيم ، وحرمه على المسلمين ؛ لأنه من أقبح الأعمال ، ومن أظلم الظلمات ، - والعياذ بالله - .

ومعنى السحر : هو عبارة عما خفي ولطف سببه ، ولهذا جاء

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود والبزار بإسناد جيد، انظر: «فتح المجيد» (ص٣٠٣) وما بعدها.

الحديث : «إن من البيان لسحراً»[١]، وسمي السحر سحراً؛ لأنه يقع خفياً آخر الليل.

قال ابن فارس في «معجمه» : السحر - قال قوم - هو إخراج الباطل في صورة الحق . ويقال هو الخديعة ، وكذلك يعني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه بقوله سبحانه : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[٢].

وقد ذم الله عمل السحر ، ووصف ما يفعله بالخسران في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[٣]، وحذرنا الله من الاشتغال بالسحر ؛ لأن الشياطين يعلمونه للناس عن طريق الوسوسة إليهم ، ويعرفونهم كيف يثيرون الفتن ، ويوقدون نار العداوة بين الزوجة وزوجها ، وفي هذا العمل قطع الأرحام ، وخراب للبيوت[٤].

قال رسول الله ﷺ عن السحر والساحر : «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر . ومن سحر فقد أشرك ، من تعلق بشيء وكل إليه»[٥].

ويلحق بالسحر ما في معناه من العرافة والعيافة التي هي زجر الطير ، والطرق بالحصى ، وخط الرمل ، ونحو ذلك مما يدعي أصحابه

---

(١) رواه مالك وأحمد والبخاري وغيرهم .

(٢) سورة الشعراء : آية ٢٢١-٢٢٢ .

(٣) سورة طه : آية ٦٩ .

(٤) راجع «صراع بين الحق والباطل» (ص١٢٧) .

(٥) رواه النسائي .

أنهم يعلمون الغيب بواسطته، وعن حكم الساحر أيكفر أم لا؟ فهناك من أقره، وبه قال الإمام مالك، وأبو حنيفة، وأحمد - رحمهم الله -.

وعن بجالة بن عبدة كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن اقتلوا كل ساحر، وساحرة قال: فقتلنا ثلاث سواحر[1].

وقال ﷺ: «ليس منّا من تَطيَّر أو تُطيِّر له أو تَكهَّن أو تُكهِّن له أو سَحَر أو سُحِر له»[2].

مشرك من جعل لله نداً:

النِّدّ هو المثل والنظير، وجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير وجه الله، كحال عبدة الأوثان، الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أن ينفعهم، ويدفع عنهم، ويشفع لهم.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

قال أبو العالية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: عدلاء، وشركاء.

قال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول والله وحياتك يا فلانة، وحياتي.

وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه».

(٢) انظر كتابنا: «مصرع الشك والخرافة» (ص٢٤٣) وما بعدها.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٢.

الله وفلان . لا تجعل فيها فلاناً ، هذا كله به شرك .

بيّن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن هذا كله من الشرك ، وهو الواقع اليوم على ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ، ولا الشرك .

وقال ﷺ : «لا تقولوا ما شاء الله ، وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»[1] .

إن تسوية المخلوق بالخالق شرك إن كان في الأصغر -مثل هذا- فهو أصغر ، وإن كان في الأكبر فهو أكبر[2] بخلاف المعطوف بثم ؛ فإن المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعاً .

وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[3] .

قال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذباً خير من أن أحلف بغير الله صادقاً ؛ لأن الحلف بالله كذباً كبيرة من الكبائر[4]، لكن الشرك من أكبر الكبائر فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟! عافانا وإياكم الله . . .

---

(١) رواه أبو داود بسند صحيح .

(٢) كما قال تعالى عن المشركين في الدار الآخرة : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ من سورة الشعراء.

(٣) رواه ابن أبي حاتم .

(٤) انظر كتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٢٥٤).

سقوط الصلاة عن بعض الشيوخ والعارفين :

إن الصلاة من أحب الفرائض وأعظمها عند الله ، وهي عمود الإسلام ، وأصل من أصوله التي تفرق المسلم عن الكافر ، وهي من أركان الإسلام الخمسة التي لا يتم إسلام أحد - مهما كان - إلا إذا كان مؤمناً بها مؤدياً إياها على الوجه الصحيح ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر» .

أما خرافة سقوط الصلاة عن بعض الشيوخ وغيرهم ، فهذه أمر لم يقل به إلا من كان معتوهاً أو مصاباً في عقله .

وقد وجد من يدعي أن الصلاة تسقط عن بعض الشيوخ ، والعارفين ، وأشباههم ، وقد كشف النقاب عن هذه الدعوى الواهية شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث يقول[1] : «ومن اعتقد أنها -الصلاة- تسقط عن بعض الشيوخ العارفين ، والمكاشفين ، والواصلين ، أو أن لله خواصاً لا تجب عليهم الصلاة بل قد سقطت عنهم لوصولهم إلى حضرة القدس ، أو لاستغنائهم عنها بما هو أهم منها أو أولى ، أو أن المقصود حضور القلب مع الرب ، أو أن الصلاة فيها تفرقة ، فإذا كان العبد في جمعيته مع الله فلا يحتاج إلى الصلاة ، بل المقصود من الصلاة هي المعرفة ، فإذا حصلت لم يحتج إلى الصلاة . . . أو اعتقد أن الصلاة تقبل من غير طهارة ، أو أن المولهين

---

(١) انظر : «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٢٦٣)، وكتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٣٦٩) وما بعدها .

أو المتولهين والمجانين الذين يكونون في المقابر والمزابل والطهارات والخانات والقمامين وغير ذلك من البقاع وهم لا يتوضؤون ، ولا يصلون الصلوات المفروضات ، فمن اعتقد أن هؤلاء أولياء فهو كافر مرتد عن الإسلام بإتفاق أئمة الإسلام ، ولو كان في نفسه زاهداً عابداً فالرهبان أزهد وأعبد ، وقد آمنوا بكثير مما جاء به الرسول ، وجمهورهم يعظمون الرسول ، ويعظمون أتباعه ، ولكنهم لم يؤمنوا بجميع ما جاء به ، بل آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، فصاروا بذلك كافرين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1] ، وهكذا ، فسقوط الصلاة عن بعض الشيوخ والعارفين ما هي إلا خرافة أتى بها قليلوا العقل . . .

وصف غير الله بالألوهية كفر :

أخبر الله تعالى عباده على ألسنة رسله أنه لا إله إلا هو ، وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ؛ فإنه مالك كل شيء ، وخالقه ، وربه ، قال تعالى : ﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[2] ، وقال تعالى منكراً على المشركين : ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[3] ، ونزه الله تعالى نفسه عن الولد ،

---

(١) سورة النساء : آية ١٥٠-١٥١ .

(٢) سورة النحل : آية ٥١ .

(٣) سورة النمل : آية ٦٣ .

والشريك فقال عز وجل : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾(١) .

لقد جعل النصارى عيسى بن مريم إلهاً يُعبد من دون الله ، فجاء الله تعالى ينفي في كتابه العظيم وصف الألوهية عن عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام ، وصرح أنهما عبدان من عباد الله ، وله أن يتصرف بهما ، وبجميع مخلوقاته بما يشاء ، والمتصرف إله قادر ، والمتصرف به مخلوق ضعيف .

وقد كرّر الله تعالى اسم عيسى -عليه السلام- منسوباً إلى أمه في كثير من آيات القرآن الكريم لتستشعر القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه ، ولينزه أمه الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله .

قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(٢) .

الكذب على الله كفر :

لقد خوّف رسول الله ﷺ قوماً من اليهود عقاب الله عز وجل ، فقالوا كما كان يقول النصارى لا نخاف ؛ فإنا أبناء الله وأحباؤه فكانوا يرون فضلاً لأنفسهم على سائر الناس ؛ فأنزل الله فيهم قوله : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

---

(١) سورة المؤمنون : آية ٩١ .

(٢) سورة النساء : آية ١٧١ .

وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾[1].

فقوله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾ أي: أوعد العصاة منكم بالعذاب. وهم أمام هذا الرد لا يخلون من أحد وجهين: إما أن يعترفوا بما أوعدهم الله به من العذاب، وإن هم عصوه، فيقال لهم: فلستم إذن أبناءه، ولا أحباءه؛ فإن الحبيب لا يعذّب حبيبه، وأنتم تقرون بعذابه فذلك دليل على كذبكم، وإما أن يقولوا: لا يعذبنا فيكذبوا ما في كتبهم، وما جاءت به رسلهم، ويبيحوا المعاصي وهم معترفون بعذاب العصاة منهم ولهذا يلتزمون أحكام كتبهم[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] يتبين لنا أنهم كذبوا على ربهم فأضافوا كلامه إلى غيره، وزعموا أن له شريكاً وولداً، وقالوا للأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وكل هذا كذب على الله تعالى فكان جزاءهم: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾[4].

الكذب في الرؤى:

ومن الكذب على الله تعالى الكذب في الرؤى المنامية، وهو من

---

(١) سورة المائدة: آية ٨٠.

(٢) انظر: «الكفر والمكفرات» (ص١٠٤) وما بعدها.

(٣) سورة هود: آية ١٨.

(٤) سورة الزمر: آية ٦٠.

الكبائر . وذلك ؛ لأن الرؤى المنامية ، وحي من الله تعالى فقد جاء في الحديث الشريف : «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»(١) .

وعنه ﷺ : «الرؤيا الصالحة من الله»(٢) فمن ادعاها كاذباً كان كاذباً على الله عز وجل .

وعنه ﷺ : «إن من أفرى الفِرَى - أي من أكذب الكذب - أن يُري عينيه ما لم تره»(٣) .

فمن أكذب الكذب أن يقول أحد : رأيت في المنام كذا وكذا ، وهو لم يرَ شيئاً لأنه كذب على الله تعالى .

والله يتوعد من يكذب عليه بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٤) .

التلاعب بأحكام الحلال والحرام كفر :

كان العرب في الجاهلية يحرِّمون القتال في المحرم فإذا احتاجوا إلى ذلك حرَّموا صفراً بدله ، وقاتلوا في المحرم .

قال تعالى مبيّناً تلاعب العرب في أحكام الحلال والحرام : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري .

(٤) سورة الأنعام : آية ٢١ .

﴿لِيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١]، والنسيء هو التأخير .

وسبب ذلك هو أن العرب كانوا أصحاب حروب وغارات ، فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها ، وقالوا : لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئاً لنهلكن ، فتأخير الشهر الحرام إلى شهر بعده تلاعب بأحكام الحلال والحرام ، وهو من الكفر .

الحكم بغير ما أنزل الله كفر :

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم دستوراً للمسلمين ، فيه صلاحهم ، فأمرهم بتحكيمه والرجوع إليه ليحكموا بما أنزل الله قال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢] ومن ذلك تعطيل الحدود الإسلامية وإبدالها بقوانين جزائية أخرى ، فالله تعالى شرع الحدود ، وهي عقوبات زاجرة لتجتث الجرائم من جذورها وتطهر المجتمع من التعدي فيعيش الفرد آمناً على نفسه وماله ، وبهذا تتحقق سعادة المجتمع ، جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ : «إقامة حد بأرض خير لأهلها من مطر أربعين صباحاً»[٣] .

وبعد أن ابتعدوا عن تحكيم الشرع ، وإقامة الحدود انتشرت الجرائم والمجرمين ، وجرءوا الأنام على المعاصي والآثام .

والله سبحانه أعلم بعباده ، فشرع لهم ما يصلحهم في دنياهم

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٧ .

(٢) سورة المائدة : آية ٤٤ .

(٣) رواه ابن ماجه .

وأخراهم : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(1) صدق الله العظيم .

الكفر بالجزاء كفر بالكل :

إن الإيمان كل لا يتجزأ ، وليس بمؤمن من آمن بالله ولم يؤمن بملائكته ، ولا من آمن بملائكته ولم يؤمن برسله وكتبه ، ولا من آمن بكل هذا ولم يؤمن باليوم الآخر ، ولا من آمن ببعض وكفر ببعض ، ومن أنكر آية من كتاب الله كفر ، أو أنكر شيئاً مما حرم الله أو أحلّ فقد كفر .

ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(2) .

وقال أيضاً : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ(3) وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾(4) - استنكار موجّه لليهود - .

لقد كان التفريق في الإيمان بين الله ورسله كفراً ؛ لأن الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل ، فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم ، ولم يقبلوها منهم ، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها ، فكان كجحد الخالق

(1) سورة الملك : آية ١٤ .

(2) سورة النساء : آية ١٥٠-١٥١ .

(3) هو التوراة ، انظر كتاب «الكفر والمكفرات» (ص١٢٠) وما بعدها .

(4) سورة البقرة : آية ٨٥ .

سبحانه ، وجحد الخالق كفر لما فيه من ترك الطاعة والعبودية له ، وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر .

فاليهود آمنوا بموسى ، وكفروا بعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وكفرهم برسوله كفر به سبحانه وتعالى وكفر بكل رسول مبشراً به .

فالإيمان الصحيح هو الاعتقاد المطلق بكل ما أنزل الله من كتب ، ورسل ، وأحكام ، وأوامر ، ونواهي ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] .

الكفر بالله جهل وحمق :

إن الإيمان بالله من بديهيات العقل السليم ، والفطرة النقية ، قال تعالى في محاجّة الرسل أقوامهم : ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] .

إن شواهد الحدوث ، والخلق ، والتسخير ظاهرة على السموات والأرض وما فيهما ، فلا بدّ لكل هذه الموجودات من صانع ، وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء ومليكه .

فمن أنكر الخالق مع رؤية المخلوق كان من أحمق الحمقى ، وأجهل الجاهلين ، نظر أعرابي في السماء والأرض نظرة اعتبار ، حركت في قلبه الإيمان والإذعان فقال : الماء يدل على الغدير ، وأثر

---

(١) سورة إبراهيم : آية ٥٢ .

(٢) سورة إبراهيم: آية ١٠ .

الأقدام على المسير أفسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدلان على العليم الخبير؟! ثم إن الإنسان يرى خلق الإنسان في بطن أمه ، وتطورات نموه ، ثم ولادته طفلاً ثم ترعرعه شيئاً فشيئاً حتى يكون بشراً سوياً . . .

فأي حمق أنكى ، وأي جهل أشد ممن يرى هذا كله ثم هو ينكر وجود الصانع ، ويجحد الخالق المبدع؟! يقول تبارك وتعالى في محكم تنزيله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] .

لا عذر للكافر ، وشرّه يرجع إليه :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[3] أي : ليس حالهم حال من يستعتب ويرجع ، فيوم القيامة لا يقبل من الكافر عذر ولا أسف ، فسيخلد في نار جهنم على ما اقترفه من آثام وشرور ، وأذى للمسلمين القائمين على حدود الله[4] ، ويقول سبحانه : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ أي : جزاؤه وعقوبته ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾[5] ، وقوله تعالى : ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ

(١) سورة الزمر : آية ٦٧ .

(٢) سورة التحريم : آية ٥٧ .

(٣) سورة الروم : آية ٥٧ .

(٤) انظر : «الكفر والمكفرات» (ص١٥٥) .

(٥) سورة الروم : آية ٤٤ .

ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]، وفي الحديث القدسي الشريف يقول الله تبارك وتعالى: «يا عِبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . . .».

وهكذا فشر الكافر يرد إليه، ولن ينفعه يوم يعرض على الله يوم القيامة ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[2]، والعاقبة للمتقين.

مجانبة الكفر حيطة وحذر:

قال الله تعالى مبيناً الخطر العظيم على من كفر بالله، وكذب بالقرآن: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾[3] وقال عز وجل: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾[4].

ففي الإيمان ضمان النجاة من العذاب، وفي الكفر شرّ محقق عند من آمن، فينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه بالإيمان المنجي من العذاب.

أسأل الله الهداية والتوفيق والسعادة في الدنيا والآخرة، لمن آمن

---

(١) سورة الزمر: آية ٧.

(٢) سورة الشعراء: آية ٨٨-٨٩.

(٣) سورة فصلت: آية ٥٢.

(٤) سورة المزمل: آية ١٧.

واتقى الله وتجنب الكفر والكافرين، والله لا يضيع أجر العاملين، والحمد لله رب العالمين.

الكافر لا ينفعه عمل ولا عظة :

والكافر لا ينفعه عمل صالح في الآخرة، فإذا عمل صالحاً في الدنيا، كإغاثة ملهوف، وإغاثة مريض، أو تصدّق على فقير؛ فإن الله تعالى يعجّل له ثواب عمله هذا في الدنيا فيعطيه الغنى مثلاً، أو يعافيه من بعض آلام الدنيا وهمومها، فيتمتع الكافر بعمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[1] أي: لا ثواب لهم في الآخرة، ولا حسنة لهم توزن في موازين القيامة، وقال سبحانه في شأن الجاحدين لأمر الله : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[2].

لقد وصف الله تعالى قلوب الكافرين بعشرة أوصاف :

بالختم، والطبع، والضيق، والمرض، والرين، والموت، والقسوة، والانصراف، والحمية، والإنكار[3].

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا

---

(١) سورة الكهف : آية ١٠٥ .

(٢) سورة طه : آية ١٢٤ .

(٣) انظر : «الكفر والمكفرات» (ص١٨٧) وما بعدها .

يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾[1] .

وقال أيضاً : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[3] .

فلا تنفع العظة في هذه الفئة الكافرة ؛ لأنها طبعت على الكفر والقسوة ، لقد استدرج الله الكافرين في هذه العصور ما فتح الله تعالى به عليهم من العلوم الدنيوية والمخترعات ، ومن ذلك وصولهم إلى القمر ، ومحاولتهم الوصول إلى الكواكب الأخرى ، فقد شغلهم ذلك عن الله تعالى والإيمان به ، وداخلهم الغرور بأنفسهم حتى ظنوا أنهم قادرون على كل شيء ، وانجرّ في ذيل غرورهم بعض ضعفاء الإيمان من المسلمين .

رأى أحد المسلمين آخر على منكر فأمره ونهاه ، فقال الآخر ساخرا منه : لا تزالون واقفين عند قولكم هذا حلال وهذا حرام ، والناس قد وصلوا إلى القمر ! فأجابه الأول : إنهم وصلوا إلى القمر بكفرهم وفسقهم وفجورهم ، إنما وصلوا إليه ببحثهم وعلومهم فبهت الآخر وسكت ! .

ولا يفوتنا هنا أن نقول : إن هذه العلوم الكونية هي من الفروض التي قصّر فيها المسلمون ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا

(١) سورة البقرة : آية ٦-٧ .

(٢) سورة المطففين : آية ١٤ .

(٣) سورة المنافقون : آية ٣ .

﴿ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[1]، وهذه العلوم هي من القوة ولا شك، ولا يتسنى للمسلمين أن يرهبوا أعداءهم إلا إذا نافسوهم في هذه العلوم وسابقوهم.

الله تعالى يمهل الكافر:

والله تعالى يمهل الكافر، ولا يعاجله بالعقوبة لعله يهتأدي إلى الإيمان فينجو من العذاب، وإذا لم يهتد إلى الإيمان فلن ينجو من العذاب، وإذا لم يهتد إلى الإيمان أعذر الله إليه، واشتدت نقمته عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ[2] لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾[3] أما المؤمن العاصي فقد يمهله الله تعالى ليتوب، وقد يعجِّل عقوبته في الدنيا بالآلام والأسقام والكروب والخطوب والهموم والغموم، إن لم يعف عنه بفضله عز وجل.

جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[4].

ويقول عليه السلام: «ما يصيب المسلم من نصب -أي: تعب- ولا وصب -أي: مرض- ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى

---

(١) سورة الأنفال: آية ٦٠.

(٢) أي: أمهلتهم.

(٣) سورة الرعد: آية ٣٢.

(٤) رواه مسلم.

الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»[1].

وكانت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- إذا أصابها صداع أخذت رأسها بيدها، وقالت: «بذنبي، وما يعفو أكثر»[2].

وفي العفو والمغفرة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[3].

عاقبة الكافرين:

نهى الله تعالى النبي ﷺ، والمؤمنين أن يستغفروا للكافرين فهم ملعونون مطرودون من رحمة الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾[4].

وهؤلاء الكفّار هم شرّ الدواب فهم كالأنعام، لأن الله تعالى منحهم السمع والأبصار والعقول، وشرع لهم الشرائع، وبيّن لهم طريق الخير والشر، ولفتهم إلى مظاهر قدرته وعظمته فلم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وعقولهم، فكانوا شراً من الأنعام؛ لأن الأنعام لم تعط العقل، ولم تشرع لها شرائع.

وقد وصف الله تعالى الكافرين بالأنعام في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[5].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر كتاب: «الكفر والمكفرات» (ص٢٢٥) وما بعدها.

(٣) سورة النساء: آية ٤٨.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٦٤.

(٥) سورة الفرقان: آية ٤٤.

ويوم يعرض الكافر على الله تأخذه الندامة ، ولكن هيهات أن تقبل ، يقول جل وعلا : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[1] .

وعاقبة الكافرين في النار خالدين ، يقول تعالى في كتابه العظيم : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2] ، وعنه ﷺ أنه قال : «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[3] .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩١ .

(٢) سورة الزمر : آية ٧١-٧٢ .

(٣) رواه مسلم .

البـدع والابتـداع

تُعرّف البدعة بأنها : الطريقة المخترعة في الدين تضاهي الشريعة بقصد التقرّب بها إلى الله ، ولم يقم على صحتها دليل شرعي صحيح أصلاً أو وصفاً .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]، وقال ﷺ : «ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا شيئاً مما نهاكم عنه إلا ونهيتكم عنه»[2].

والبدعة في الدين أمر غير مشروع ؛ وذلك لأن التشريع حق لرب العالمين ، وليس من حق البشر فالمبتدع نصّب نفسه مضاهياً للشارع الحكيم - والعياذ بالله - ؛ لأن الشارع الحكيم وضع الشرائع وألزم الخلق الجري على سنتها ، فالسعيد الموفق من أحيا السُّنة ، ودعا إلى الله عز وجل ، وخالف ما اعتاد الناس من بدع ، وإن ادّعوا أن ما هم عليه هو السُّنة لا سواها غير مبال بما يرمونه به من التنطّع في العمل ، والتشدد في الدين ما دام يعمل ويطبّق كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

والرسول ﷺ رد الابتداع وأغلق بابه دون استثناء حيث قال : «من

(١) سورة المائدة : آية ٣ .

(٢) حديث صحيح بمجموع طرقه «بدائع المنن» (ص١٤).

أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام : «لكل عمر شرة ، ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك هلك»[٢].

ومن المعروف أن العمل الصالح المقبول لا بد وأن يتوفر فيه شرطان مهمان :

أولهما : أن يكون صاحبه قد قصد به وجه الله عز وجل .

وثانيهما : أن يكون هذا العمل موافقاً لما شرعه الله تبارك وتعالى في كتابه أو بيّنه رسوله في سنته[٣].

فإذا اختلّ واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل صالحاً ولا مقبولاً ، أما من قال : إنما الأعمال الصالحة بالنيات الصالحة فهذا قول غير صحيح ؛ لأن النية وحدها لا تكفي لتصحيح الفعل فلا بدّ أن ينضم إليها التقيّد بالشرع كما أن النية الحسنة لا تجعل الباطل حقاً .

وعندما نطبق هذه القواعد على أعمال الناس في هذا الزمان نجد قليلاً من هذه الأعمال تنجو من الإخلال بأحد الشرطين السابقين ، مما يجعل تعاليم الإسلام الحقيقية في غربة شديدة في هذا الزمان ، وقد أخبرنا بحدوث هذا الصادق المصدوق رسولنا الكريم ﷺ حين قال :

(١) متفق عليه .

(٢) «صحيح الترغيب» (ص٥٥).

(٣) انظر : «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية (ص٢٦٩) وما بعدها .

«بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء» فقيل: من الغرباء؟ فقال: «الذين يحيون ما أفسد الناس من سنتي»[١].

وقال ﷺ: «إن من ورائكم أيام صبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: بل منكم»[٢].

وعن موقف الصحابة من البدع فقد قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنهما -: «اتبعوا، ولا تبتدعوا فقد كفيتم»، وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة»[٣].

أسباب الابتــداع:

كان لظهور الابتداع بين الناس دوافع وأسباب نستعرضها بإيجاز فيما يلي:

أولاً: الجهل بالسُّنة المطهرة، وعلم مصطلح الحديث بحيث لا يميّز بعض الناس بين الحديث الصحيح والضعيف.

ثانياً: اتخاذ بعض الناس رؤوساً جهالاً يقومون بالفتوى والتعليم، ويقولون في دين الله بغير علم؛ بل بالأهواء والآراء، قال ﷺ: «وإنه سيخرج في أمتي اقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، ولا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»[٤].

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) صححه الألباني في «الصحيحة» (٤٩٤) بشواهده.

(٣) أخرجهما الدارمي بإسناد صحيح.

(٤) «صحيح الترغيب» (ص٤٩).

ثالثاً : عادات وخرافات لا دليل عليها من القرآن أو السُّنة الصحيحة مثل المآتم ، وبدعة الزار والموالد إلى غيرها من البدع والخرافات .

رابعاً : التقليد الأعمى ، واعتقاد العصمة في بعض شيوخ الطرق الصوفية وغيرها ، وهم على ملة مبتدعة لا علاقة لها بالإسلام ؛ لأن العصمة لا تكون إلا لنبي ، ولا تكون لمبتدع ولا لغيره[1] .

ومن الأمثلة الحية على بعض البدع المنتشرة في هذا الزمان : الاحتفال بيوم مولد الرسول ﷺ ، وما يقيمه الجهلة من حفلات غناء وسمر احتفالاً بهذه المناسبة ، والاحتفال بيوم الإسراء والمعراج ، واستقبال القادمين من الحج بالموسيقى والغناء ، ومن البدع الأخرى ، بدع الصلاة كالمصافحة بعد السلام ، ومسح الوجه باليدين بعد الدعاء[2] .

التوبة محجوبة عن كل صاحب بدعة :

إن التوبة محجوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته ، ويترتّب على صاحب البدعة أخطار نذكرها فيما يلي :

إن عمل صاحب البدعة مردود بقول الرسول ﷺ : «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[3] ، والتوبة محجوبة عنه ما دام مصراً على بدعته ، قال ﷺ : «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»[4] .

---

(١) انظر : «الطريق إلى الجنة» (٣/ ٢١٢) .
(٢) انظر : المرجع السابق (٣/ ٢١٣) .
(٣) متفق عليه .
(٤) أخرجه الطبراني والترمذي .

كما أن صاحب كل بدعة ملعون لقوله ﷺ: «من أحدث فيها أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[١].

وعليه إثم من قلّده وعمل بالبدعة التي يعمل بها، لقوله تبارك وتعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾[٢].

إن مراجعة النفس المستمرة، والتأكد من جميع أداء العبادات التي يتعبّدها المسلم أنها خالية من البدع المنتشرة هذه الأيام لهو الطريق الأمثل لتجنب الوقوع في البدع، والتي يساعد على انتشارها الجهل، ووسائل الإعلام التي أصبحت في كثير من بلاد المسلمين تروج للبدع[٣].

فلا تتبع - أخي المسلم - هواك أو أهواء المبتدعين، ولكن كن متبعاً فقط لما أمر الله عز وجل، ومتبعاً لسنة نبيه ﷺ، واحذر أن تكون من المبتدعين أو من المتبعين للبدع، فهذا هو الهلاك بعينه إذ قال ﷺ: «لقد تركتكم على مثل البيضاء - البيضاء أي: الملة أو الحجة الواضحة - ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»[٤].

فاحذر يا أخي أن تكون من الهالكين . . .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) سورة النحل: آية ٢٥.

(٣) انظر: «الطريق إلى الجنة» (٣/ ٢١٤) وما بعدها.

(٤) «صحيح الترغيب» (ص٥٨).

آثـــار البـــدع :

إن البدع هي نقط سوداء قاتمة في صفحة الإسلام البيضاء، وهي التعبير الحي عن الفرق الواضح بين الإسلام وممارسات المسلمين، والبدع لا تشكل عناصر التشويه في جمال الإسلام فحسب، بل إنها كذلك عناصر صبغ الإسلام بالصعوبة، والتعقيد بعد أن نزل على نبي الرحمة سهلاً ميسراً، ولذا فإن كل ما يبدو في الإسلام تعقيداً إنما هو بسبب البدع، فالبدع من أكثر العناصر تفتيتاً للأمة، وهدم وحدتها، ومع فتح باب البدع ستحدث أشياء جديدة، ومع مرور الزمن الطويل سيكون هناك دين آخر غير الذي جاء به محمد ﷺ عن ربه، ولكن -والحمد لله- لم يكن الأمر كذلك بسبب دفاع العلماء عن السُّنة، واستماتتهم في استئصال كل دخيل حتى يظل الإسلام نقياً صافياً تماماً كما قال ﷺ: «ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين على ما أنا عليه وأصحابي»[1].

والبدعة اعتداء على حق الله في التحليل، والتحريم، وتشريع عبادات، وفرض عقائد، وهذه هي كلها حق لله تعالى وحده لا يشاركه فيه حتى أكرم الخلق ﷺ، فهو ليس سوى مبلغ عن ربه: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]، كما أن البدعة هي اعتراف غير مباشر بأن الإسلام لم يكمل، ولذا اقتضى الأمر الزيادة فيه فناقض صريح الآية

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) سورة النور: آية ٥٤.

الكريمة : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[1]، والبدعة أيضاً اعتراف غير صريح بأن الإسلام غير صالح لكل زمان ومكان، فمثلاً يعللون الاحتفال بالمولد النبوي أنه لم يكن زمن رسول الله ﷺ؛ لأن المسلمين لم يكونوا بحاجة لذلك لقوة دينهم وتقواهم. أما الآن فهناك حاجة، ورسول الله كان بينهم، وهو ليس معنا، فما المانع أن نجمع الناس لنذكرهم بدينهم ونحببهم بنبيهم.

إن هذا الكلام في غاية الخطورة. ومعناه أنه اعتراف بأن الدين الذي كان عليه الصحابة لم يعد صالحاً لهذا الوقت الذي ابتعد الناس فيه عن الإسلام، فاقتضى إحداث شيء جديد يناسب هذا الزمان. كما أن هذا الجواب دلالة واضحة على الجهل بالإسلام، وخلط الحق بالباطل، فقد سوغ عمله المغلوط بالقصد الصحيح فقصده شريف طيب، وهو محب لرسول الله ﷺ كما يزعم، ولكن لا بد من صحة العمل أيضاً، فالله عز وجل تَعَبَّدنا بالنية الصحيحة، والعمل الصالح[2].

وغفل هؤلاء أن المولد بدعة مجوسية أدخلها العبيديون الزنادقة: (الذين كانوا يدعون زوراً وبهتاناً فاطميين نسبة إلى فاطمة رضي الله عنها) أيام حكمهم لمصر.

---

(١) سورة المائدة؛ آية ٣.

(٢) انظر: «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص٩٢).

الإســرائيليــات

معنى الإسرائيليات : لفظ الإسرائيليات جمع مفرد إسرائيلية ، وهي قصة أو حادثة تروى من مصدر إسرائيلي ، والنسبة فيها إلى إسرائيل ، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثني عشر[١] .

والمقصود من الإسرائيليات أو معناها الاصطلاحي ، كما قال أحد الباحثين المحدثين : هي اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الإسلام على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية ، التي تسرّبت إلى المجتمع الإسلامي ، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام ، أو تظاهرهم بالدخول فيه[٢] .

آثـــار الإسرائيليات على عقائد المسلمين :

لقد أثرت رواية الإسرائيليات تأثيراً سيئاً على الإسلام ، وعقائد أبنائه ، وتركت آثاراً بالغة يصعب حصرها ، وذلك لأسباب كثيرة نجمل أهمها فيما يلي :

١- فتحت لأعداء الله من المبشرين والمستشرقين والملحدين منفذاً ينفذون منه إلى الطعن في الشريعة الغرّاء ، وفي الرسول الكريم حامل

(١) «الإسرائيليات في التفسير والحديث» (ص١٢) .

(٢) «الألوسي مفسراً» رسالة مخطوطة بجامعة القاهرة نقلاً عن «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» (ص٧٣) .

لواء الإسلام ، حيث اتخذ هؤلاء الأعداء من الإسرائيليات الباطلة المبثوثة في كتب التفسير وغيرها دعامة لمنهجهم في البحث لتشويه سمعة الإســلام وأهله ، والدسّ الرخيص على خاتمة الرسالات لينفر منها الناس .

٢- استخفّ بعض كتّاب الإسلام المعاصرين الذين لم يتسلّحوا بمعرفة حقيقة الدين ، وحقيقة هذه المفاسد الدخيلة من تلك الروايات المدسوسة ، فنهجوا نهج الأعداء المستشرقين وأشباههم ، وغضّوا من شأن الإسلام ودستوره ، بناءً على ما تلقوه من بحوث المستشرقين وغيرهم ، تلك الأبحاث الفاسدة التي بنيت على أساس فاسد هو الطعن والتلفيق ، ومحاربة حقائق الإسلام الصحيح .

٣- أورد كثير ممن ليس من أهل الحديث ، كثيراً من هذه الإسرائيليات في اجتهاداتهم ومناظراتهم وتآليفهم ، وهذا أمر بالغ الخطورة على الدين وأهله ؛ لأن جمهور الناس وعامتهم تقبّلوا هذه الإسرائيليات على أنها صحيحة لا غبار عليها ، وأذاعوها بين الناس مع أن الكثير منها مدسوس على الإسلام مشوه له .

٤- ألحقت هذه الإسرائيليات بالتفسير الصحيح لآي الذكر الحكيم ، والحديث الشريف زعزعة واضطراباً ، وكادت تودي بما في القرآن والسُّنة المطهرة من مبادىء وأحكام . . . ومن جهة أخرى فقد مزقت المسلمين شيعاً وأحزاباً ، حيث دسّ اليهود عقائد مختلفة ، وأحاديث موضوعة ، مما أثار الجدل والخلاف والتفرقة بين صفوف المسلمين[1]

(١) «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» (ص٤٢٨-٤٢٩) . وكتابنا : «مسائل =

حتى أفقدهم مجدهم وعزتهم، وأصبحوا مطمعاً للغزاة، وألعوبة مسخّرة لخدمة الأجنبي، وتحقيق أهداف ومخططات أعداء الدين.

والذي آمل أن يعمل المسلمون على تحقيقه هو تنبيه المسلمين من خطر الإسرائيليات، والرقابة على الأئمة والخطباء والمتصوفة وأضرابهم ممن تَشيع على ألسنتهم الإسرائيليات، ويذكرونها لاستمالة العامة، كما يجب أن تفرض الرقابة الشديدة في دور العلم ومعاهده، وبخاصة كتب التفسير والوعظ التي تدرس[1].

= ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص٢٨-٣٠).

(١) ومن المؤسف أن نجد كثيراً من الكتب المشحونة بالإسرائيليات والروايات الفاسدة والأحاديث الموضوعة والأفكار الدخيلة الرائجة بين المسلمين دون تحذير من خطرها وإني لآمل من الدعاة الغيورين العمل على كشف أعداء الإسلام وتشويهاتهم وتأليف الكتب والرسائل التي تكشف هذه المخططات المنحرفة وتطهير المكتبة الإسلامية من الكتب الفاسدة.

مـوالاة غيـر المسـلميـن

نهى الإسلام عن اتخاذ الكفار والمشركين أولياء وحلفاء من دون الله ، فقد قال الله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾(١) .

لقد جاءت تلك الآية الكريمة في قوم معادين للإسلام ، محاربين للمسلمين ، فلا يحل للمسلم حينذاك مناصرتهم ومظاهرتهم ، وهو معنى الموالاة ، واتخاذهم بطانة يفضي إليهم بالأسرار ، وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته .

والله سبحانه وتعالى يقـول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٢) فـهـذه الآيـة الكريمـة تبين لنا صفات هؤلاء ، حيث أنهم يكنون العداوة والكراهية للمسلمين في قلوبهم ، وقد فاضت آثارها على ألسنتهم ، وهذا ما تبين لنا منهـم قـديمـاً وحـديثـاً (ذرية بعضهم من بعض) حيث يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ

---

(١) سورة المائدة : آية ٥١-٥٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١١٨ .

كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾[1] .

فهذه الآية نزلت في موالاة مشركي مكة الذين حاربوا الله ورسوله ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله ، فمثل هؤلاء هم الذين لا تجوز موالاتهم بحال .

وتتأكد حرمة الموالاة للأعداء إذا كانوا أقوياء ، يرجون ويخشون فيسعى إلى موالاتهم المنافقون ، ومرضى القلوب يتخذون عندهم يداً يرجون أن تنفعهم غداً[2] .

النهي عن التشبّه بالكفار :

لقد ورد النهي عن التشبه بالكفار - غير المسلمين - في مواضع كثيرة من القرآن والسُّنة ، فقد قال الله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[3] .

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: «فقوله (لا يكونوا) نهي مطلق عن مشابهتهم ، وهو خاص أيضاً في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم ، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي» .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية : «ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبّهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية

(١) سورة الممتحنة : آية ١ .

(٢) انظر : «الحلال والحرام» (ص٣٢٩) .

(٣) سورة الحديد : آية ١٦ .

والفـرعيــة»[١].

وقد ورد النهي عن التشبه بالكفار بشكل مجمل في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كما هو معلوم فالسُّنة المطهرة جاءت لتفصل وتشرح القواعد العامة التي جاءت مجملة في القرآن الكريم، فالأحاديث الصحيحة الواردة في النهي عن التشبّه بالكفار أكثر من أن نحصيها، لذلك سنذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر :

في الصلاة : قال رسول الله ﷺ : «خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم»[٢]، وعن ابن عمر - رضي الله عنه -: «أن النبي ﷺ نهى رجلاً وهو جالس معتمد على يده اليسرى في الصلاة فقال: إنها صلاة اليهود»[٣].

في الصوم : عن ليلى امرأة بشير بن الخصاصية - رضي الله عنه وعنها - قالت : أردت أن أصوم يومين مواصلة فنهاني عنه بشير، وقال : إن رسول الله ﷺ نهاني عن ذلك، وقال : «إنما يفعل ذلك النصارى، صوموا كما أمركم الله، وأتموا الصوم كما أمركم الله ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[٤] فإذا كان الليل فافطروا»[٥].

في الحــج : عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : «إن

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣١٠).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» (ص٦٠٧).

(٣) رواه الحاكم وغيره بإسناد صحيح.

(٤) سورة البقرة : آية ١٨٧.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥) وغيره بإسناد صحيح.

المشركين كانوا لا يفيضون من جمع [أي مزدلفة] حتى تشرق الشمس على ثبير ، وهو جبل معروف عند مكة ، وكانوا يقولون : أشرق ثبير كيما نغير ، فخالفهم النبي ﷺ فدفع قبل أن تطلع الشمس»[1].

في الجنائز والقبور : قال رسول الله ﷺ : «اللحد لنا ، والشق لأهل الكتاب»[2]، وقال عليه السلام : «... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ؛ فإني أنهاكم عن ذلك»[3].

في اللباس : عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال : «رأى رسول الله ﷺ عَلَيَّ ثوبين معصفرين فقال : إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما»[4].

في العادات : عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- مرفوعاً : «ولا تسلموا تسليم اليهود ؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة»[5].

وقال ﷺ : «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على

(١) أخرجه البخاري (٣/٤١٨) وغيره .

(٢) أخرجه مسلم (٢/١٣) وغيره .

(٣) صحيح مسلم (رقم ٥٣٢) .

(٤) أخرجه مسلم (٦/١٤٤) .

(٥) «السلسلة الصحيحة» (٤/٣٨٩)، أخرجه الديلمي وغيره .

من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[1] .

إن مخالفة الكفار ، وترك التشبه بهم من مقاصد الشريعة الإسلامية العليا ، فالواجب على كل المسلمين رجالاً ونساءً أن يراعوا ذلك في شؤونهم كلها ، وبصورة خاصة في أزيائهم وألبستهم . . . فقد تقرر عند العلماء المحققين أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الظاهر والباطن ، وأن للأول تأثيراً في الآخر ، وإن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وإن كان ذلك مما قد لا يشعر به الإنسان في نفسه ، ولكن قد يراه في غيره .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة ، مما يقوم به القلب من الشعور والحال يوجب أموراً ، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً ، وقد بعث الله محمداً ﷺ بالحكمة التي هي سنته ، وهي الشرع والمنهاج الذي شرعه له فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين . . .»[2] .

عدم مشاركة المشركين في أعيادهم ومؤاكلتهم أو مهاداتهم :

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : «لا تعلموا رطانة الأعاجم ، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم ؛ فإن السخط ينزل عليهم»[3] فها هو عمر -رضي الله عنه-، قد نهى عن محاكاة لكنتهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يومَ عيدهم .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) انظر كتاب : «الطريق إلى الجنة» (٦/ ٢٧٧-٢٨٠) .

(٣) انظر «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٩٩) وما بعدها .

وقال ابن عمر -رضي الله عنهما- في كلام له : من صنع نيرزهم ومهرجانهم ، وتشبّه بهم حتى يموت حشر معهم .

وقال عمر -رضي الله عنه-: اجتنبوا أعداء الله في عيدهم .

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى قال : قلت لعمر : إن لي كاتباً نصرانياً . قال ما لك؟ قاتلك الله ، أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾(١) ألا اتخذت حنيفياً؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، لي كتابته ، وله دينه ، قال : لا أُكْرِمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم إذا أقصاهم الله .

أما تعلّم لغة الأجانب فلا بأس به ، إذا كان القصد منه أمن مكرهم ، وأخذ الحذر منهم ، وكذلك التحدث بلغتهم عند الحاجة القصوى ، كاستخدامهملمصالح المسلمين ، وما شابه ذلك(٢) . . .

جاء في المدخل : سئل مالك -رحمه الله- عن مؤاكلة النصراني في إناء واحد؟ قال : تركه أحب إلي ، ولا يصادق نصرانياً؟ قال ابن رشد -رحمه الله- الوجه في كراهة مصادقة النصراني بيّن ؛ لأن الله عز وجل يقول : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(٣) .

فواجب على كل مسلم أن يبغض في الله من يكفر به ، ويجعل معه

---

(١) سورة المائدة : آية ٥١ .

(٢) انظر : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٤١٦) .

(٣) سورة المجادلة : آية ٢٢ .

إلهاً غيره فهي تكره من هذا الوجه ، وإن علمت طهارة يده[1] .

وكذلك لا ينبغي للمسلم أن يقبل من النصراني هدية ؛ لأن المقصود من الهدايا التودّد لقول النبي ﷺ : «تهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء» .

فإن أخطأ ، وقبل منه هديته ، وفاتت عنده ، فالأحسن أن يكافئه عليها حتى لا يكون له فضل عليه في معروف صنعه[2] .

وفي «مختصر الواضحة» سئل ابن القاسم عن الركوب في السفن التي يركب فيها النصارى لأعيادهم؟ فكره ذلك مخافة نزول السخط عليهم لكفرهم الذي اجتمعوا له .

قال : وكره ابن القاسم للمسلم أن يهدي إلى النصراني في عيده مكافأة له ، ورآه من تعظيم عيده ، وعوناً له على مصلحة كفره ألا ترى أنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئاً لمصلحة عيدهم؟ لا لحماً ، ولا إداماً ، ولا ثوباً ، ولا يعارون دابة ، ولا يعانون على شيء من دينهم ؛ لأن ذلك من التعظيم لشركهم وعونهم على كفرهم[3] .

ومن المؤسف أن ينساق أبناء المسلمين في هذا العصر ، وخاصة أصحاب المتاجر والمطعومات والملبوسات في تيار الأجنبي ، بحيث يسهرون لياليهم الطويلة في إعداد مبيعاتهم انتظاراً لأعياد النصارى ومواسمهم ، لترويج بضائعهم وسلعهم في أعيادهم .

وفي هذه - أخي القارىء - إعانة للمشركين على شركهم ، وارتكاب

(١) انظر : «المدخل» (٢/ ٤٩) .

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٨-٤٩) .

(٣) المرجع السابق .

للمحرمات التي نهى عنها الشارع الحكيم . . .

أرجو أن يكون المسلم فطناً ويقظاً ؛ ليتدارك مغبة المفاسد والعادات السيئة الموروثة ، وأن يحاربها أينما وجدت .

الذين يتبرّأ منهم الإسلام :

الولاء هو النصر والإكرام والاحترام ، والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطنـاً .

أما البراء فهو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾[1] .

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية الكريمة : ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله - قاتلهم الله - ، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض ، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك ، فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : إن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد ، وكان له كاتب نصراني ، فرفع إليه ذلك ، فعجب عمر ، وقال : إن هذا لحفيظ هل أنت قارىء لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام؟ فقال : إنه لا يستطيع ، فقال عمر : أجنب هو؟ قال : لا ، بل نصراني ، قال : فانتهرني ، وضرب فخذي ثم قال : أخرجوه ثم قـرأ : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ

---

(١) سورة المائدة : آية ٥١ .

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ ثم قال: حدثنا محمد بن الحسين عن محمد بن الصباح، حدثنا عثمان بن عمر، أنبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين قال: قال عبد الله بن عتبة: ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر، قال: فظنناه يريد هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[1].

رأي أهل السنة في الولاء والبراء:

قال ﷺ: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[2].

قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: «والمؤمن عليه أن يعادي في الله، ويوالي في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه؛ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية».

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾[3].

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم فليتدبر المؤمن الفرق بين هذين النوعين، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر، وليعلم أن المؤمن تجب موالاته، وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معادته، وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٧٠-٧١).

(٢) رواه أبو داود.

(٣) سورة الحجرات: آية ٩-١٠.

وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه .

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع له من هذه ، وهذا . . . هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ، ومن وافقهم عليه . . . .»[١] .

وعلى هذا ينقسم الناس في نظر أهل السنة والجماعة إلى ثلاثة أقسام[٢] :

القسم الأول : من يُحَبُّ جملة ، وهو المسلم المؤمن الذي آمن بالله تعالى ورسوله ، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علماً وعملاً واعتقاداً ، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله ، وإنقاد لأوامره ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، وقدم قول الله تعالى ورسوله ﷺ على قول كل أحد كائناً من كان .

القسم الثانـي : من يُحَب من وجه ويُبْغَضُ من وجه ، فهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً ، وآخر سيئاً فيُحَب ويوالي على قدر ما معه من الخير ، ويُـبْغَض على قدر ما معه من الشر .

القسم الثالث : وهو من يُـبْغَض جملة ، وهو من كفر بالله أو برسله

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/ ٢٠٨) .

(٢) انظر : «الطريق إلى الجنة» (٦/ ٢٨٤) .

أو ملائكته أو كتبه أو كفر باليوم الآخر، أو لم يؤمن بالقدر خيره وشره ، وأنه كله بقضاء الله وقدره، أو أنكر البعث بعد الموت، أو ترك أحد أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك بالله في عبادته أحداً من الأنبياء أو الأولياء أو الصالحين، أو صرف لهم نوعاً من أنواع العبادة كالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو التعظيم أو التوكل أو الذبح أو النذر، أو ألحد في أسماء الله تعالى أو صفاته، أو وقع في أحد نواقض الإسلام[1].

وهكذا نجد أن القسم الأول هو ما يجب علينا اتباعه ، وهو مذهب أهل السُّنة والجماعة... وفقنا الله وإياكم، إلى طريق الحق لاتباعه.

علاقة المسلمين بالكفار كما رسمها القرآن الكريم:

لقد بيّن الله تعالى في كتابه العزيز ما يجب أن تكون عليه علاقة المسلمين بالكفار بياناً واضحاً فقد نهى المسلمين أن يثقوا بالكفار أو يؤاخوهم أو يحالفوهم أو يوالوهم أو يتخذوا منهم أعوانا.

وذلك يتضح في الآيات الكريمة القادمة:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ ثم علل ذلك بقوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾.

قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾.

---

(١) «إرشاد الطالب» لابن سمان (ص١٣-١٩).

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

وقال تعالى : ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي : لكن الكفار لا يؤمنون بالقرآن.

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[(١)] .

واعلم -أخي القارىء- أن هذه الأحكام تشمل كل الكافرين سواء كانوا من أهل الكتاب اليهود والنصارى ، أو المشركين والوثنيين ، أو الشيوعيين أو المرتدين عن الإسلام الذين يريدون الحكم بغير ما أنزل الله أو يدعون إلى دعاوى الجاهلية من القوميين والبعثيين ونحوهم .

هذه -أخي المسلم- إشارة سريعة إلى ما يجب أن تكون عليه علاقة المسلمين بغيرهم من بني البشر ، وبخاصة ممن يدينون بغير الإسلام

---

(١) الآيات من سورة آل عمران : ١١٨-١٢٠ .

الحنيف هداهم الله إلى الصراط المستقيم ، وكان خيراً لهم أن يدينوا بدين الإسلام العظيم ، وإني أسأل الله أن يعيد إليهم رشدهم ، ويتبعوا دينه القويم ، ويطبقوا شريعته الغرّاء ، والله الهادي إلى سواء السبيل ، والحمد لله رب العالمين .

حكم شاتم الله والدين وصحابة رسول الله ﷺ

اعلم -أخي القارىء- أن نصوص الكتاب والسُّنة وأقوال علماء الأمة ، قد دلت دلالة صريحة قطعية لا تحتمل صرفاً ولا تأويلاً على أن شاتم الله والدين كافر مرتد خارج من الملة الإسلامية ، تجري عليه جميع الأحكام المتعلقة بالردة إن كان قبل ذلك من المسلمين ، وهو أسوأ من الكافر كفراً أصلياً كالكتابي ونحوه . . .

قال تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[1] .

فسمي الطاعن في الدين إماماً في الكفر ، وهذا زائد عن الكفر المجرد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن سبّ الله أو سب رسوله كَفَرَ ظاهراً وباطناً ، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرّم أو كان مستحلاً له أو ذاهلاً عن اعتقاده ، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السُّنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل .

فإن كان مسلماً ، وجب قتله بالإجماع ؛ لأنه بذلك كافر مرتد وأسوأ من الكافر ؛ فإن الكافر يعظم الرب ، ويعتقد أن ما هو عليه من

(١) سورة التوبة : آية ٢١ .

الدين الباطل ليس باستهزاء بالله، ولا مسبة له»[1].

قال الخطابي: لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله، وعن مجاهد: أتي عمر برجل سب النبي ﷺ فقتله، ثم قال عمر: من سبّ الله أو سبّ أحداً من الأنبياء فاقتلوه[2].

وقد سئل عن يهودي مرّ بمؤذن فقال له: كذبت؟ فقال: يقتل؛ لأنه شتم.

أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد أثنى الله خيراً عليهم، وكرمهم، وأعلى مراتبهم، وقد نهى الرسول ﷺ عن إيذائهم، وسبّهم، والتعرض لهم، قال ﷺ: «لا تسبّوا أحداً من أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم، ولا نصيفه»[3].

وقال ﷺ في الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

وفي رواية: «لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»[4].

أما حكم شاتم الصحابة فقد تباينت أقوال العلماء فيه بحسب صيغ الشتم، والقرائن الدالة على قصد الشاتم.

قال ابن تيمية -رحمه الله- من سبّهم سبا لا يقدح في عدالتهم،

---

(١) انظر: «الصارم المسلول» (ص١٧، ٥١٢، ٥٤٦).

(٢) «صحيح سنن النسائي» (٣٧٩٥).

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك ، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير . . .

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً ، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضاً في كفره ؛ لأنه كَذّب لما نصّه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم ، والثناء عليهم[1] . . .

استتابة الشاتم :

قال القاضي عياض -رحمه الله- : ذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب[2]، ولكن لما كان شتم الله تعالى كفراً أغلظ ، وهو زيادة عن الردة المجرة اشتد اختلاف أهل العلم حول استتابته ، فمنهم القائل باستتابته ، وقبول توبته ؛ لأن الله تعالى «قد علم منه أنه يسقط حقه عن التائب ؛ فإن الرجل لو أتى من الكفر والمعاصي بملء الأرض ثم تاب ؛ تاب الله عليه ، وهو سبحانه لا تلحقه بالسبّ غضاضة ولا معرة ، وإنما يعود ضرر السّب على قائله ، وحرمته في قلوب العباد أعظم من أن يهتكها جرأة الساب»[3] .

وفي حال توبته النصوح يتعين عليه أن يتلفظ بشهادة التوحيد «لا إله إلا الله» ؛ لأن الكافر لا يدخل الإسلام إلا بها ، وأن يغتسل ، ويحلق شعره . . .

---

(١) انظر : «الصارم المسلول» (ص٥٩٠) .

(٢) انظر : «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢/٥٥٦) .

(٣) انظر : «الصارم المسلول» (ص٥٤٩) .

أما الشاتم للنبي ﷺ : فلا بد أن يقتل، ومن دون أن يستتاب، وأنه يقتل حدّاً وكفراً؛ فإن تاب الشاتم توبة نصوح نفعه ذلك يوم القيامة، أما في الدنيا يتعين عليه القتل حدّاً من حدود الله حصانة لحرمة النبي؛ لأن العفو وعدمه هو حق خاص بالنبي ﷺ، ولكن بعد وفاته ليس هناك من هو مخوّل من الأمة أن يعفو عن حق هو خاص به ﷺ، ولذلك كان الصحابة لا يرون لسابّ النبي ﷺ سوى القتل.

وكان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يقول: «إن حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود»[(١)].

هل يعذر الشاتم:

اعلم -أخي الكريم- أن شاتم الله والدين لا يعذر بالجهل، ولا بشيء من موانع التكفير سوى الإكراه، وسبب ذلك أن العذر يكون مع العجز، وعدم التمكن من العلم، والشاتم ليس كذلك فهو عالم بما يجب لله تعالى من إجلال وتعظيم وتوقير، منذ لحظة دخوله الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنه لا يجوز قط أن يشتم الله تعالى أو يسخر بشيء من دينه، وآياته...، ويندر أن تجد كافراً مهما كانت ملته يجهل مثل هذا الحق لله سبحانه وتعالى، وما يصدر عن بعض الكفار من سب كقول النصارى: إن الله ثالث ثلاثة، ونسبهم له الولد، وغير ذلك تعالى الله عما يقولون، فرغم أن قولهم يتضمن السّب إلا أنهم لا يعتقدونه سبّاً، ولا يصدر منهم على وجه السبّ أو الشتم بل يعتقدون أنه قربة إلى الله، وأن قولهم الفاسد سبب

(١) انظر: «تنبيه الغافلين إلى حكم شاتم الله والدين» (ص٣٦-٤٣).

لنيل رضاه؟! ، وكونه يعذر الشاتم بالإكراه لقوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] فلم يعذر إلا المكره مع شرط سلامة القلب من الكفر، واطمئنانه بالإيمان[2]. . .

الفرق بين شتم شعيرة من شعائر الدين ، وبين شتم المسلم :

إن شتم أي شعيرة من شعائر الدين كالصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، أو الكعبة ونحوها ، مما جاء الدليل صريحاً على حرمته. . . هو كفر .

والشاتم له كافر ؛ لأنه شتم للدين ، ولمشرّع هذا الدين. . . الله سبحانه وتعالى بينما شتم المسلم إن كان لدينه فهو كفر لما يتضمن شتم الدين ؛ وإن كان لذاته أو لسبب مجرد عن الدين فهو فسوق ، وليس بكفر .

فشاتم الكعبة المشرفة كافر ؛ لأنه شتمها لحرمتها الدينية ، وكونها قِبلة المسلمين عدا على أن الكعبة شعيرة من شعائر الدين أمرنا بتعظيمها ؛ أما شاتم المسلم فيحتمل أن يكون قد شتمه لذاته أو لسبب شخصي مجرد عن الدين ، لذا لم يكفر إلا إذا تبين لنا بقرينة جلية أنه يشتمه أو يسخر منه لدينه ، فحينها يكون كافراً لطعنه بالدين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[3]، وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة النحل : آية ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق (ص٣٥) .

(٣) سورة البروج : آية ٨ .

ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1]، فدل أن صفة الاستهزاء بالمؤمنين لدينهم وإيمانهم هي من صفة الكافرين المجرمين الضالين، ولا يستهزىء بالمؤمنين الموحدين إلا كافر صريح الكفر أو منافق زنديق كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وإذا كان هذا حال من يلمز المؤمنين في الصدقات فكيف بالذي يشتمهم ويشتم لحاهم، ويجعلهم عرضة للسخرية والتهكم أمام جلسائه . . .

ومن الصور المكفرة أيضاً: أن يشتم جميع المسلمين كأن يقول: لعن الله المسلمين، وغير ذلك من عبارات الفحش والسب، أو يقول: النصارى أو اليهود أفضل من المسلمين، وما شابه ذلك؛ فإن مثل هذا النوع من السبّ كفر يخرج صاحبه من الملة؛ لأنه يستحيل أن يكون سبّه لخصومات شخصية مع جميع المسلمين في الأرض[3] . . .

---

(١) سورة البقرة: آية ٢١٢.

(٢) سورة التوبة: آية ٧٩.

(٣) انظر: «تنبيه الغافلين إلى حكم شاتم الله والدين» (ص٧٠).

المتنبئـــون

ما أكثر دعاة السوء والضلال ، المخذولين الذين تنكبوا الصراط السوي طريق المؤمنين ، وجعله هؤلاء من أتباع الشيطان ، والمبتدعة المارقين الذين لم يسعدهم الحظ ، ولم تؤاتهم الفرص ليحققوا منافعهم وأغراضهم الدنيوية ، أولئك قوم استهوتهم الشهوات واستعبدتهم الأهواء ، وجرفتهم الخيلاء ، وقد تعرض الإسلام عبر عصوره الطويلة إلى العشرات من المحن والكبوات ، ومع ذلك فلم يهن ، ولم يتراجع بل تمكن بعون الله من النهوض ، وتابع مسيرته بخطا ثابتة .

لقد تركت فتنة التنبؤ المشئومة التي ابتدعها أفراد طائشون وسماسرة ملحدون وعصاة زائغون آثاراً سيئة ، ومردودات سلبية على مسيرة الحياة الإسلامية فهي معول هدم يضاف إلى المعاول الكبرى، والمحن العظمى التي وجهت إلى صدر الإسلام فأصابته في مقتله ، وذلك لتقويض أركانه وتغيير مساره ليصبح أثراً بعد عين كما حدث للأديان السابقة .

يقول العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه القيم(١) : «لم يمتحن الإسلام والمسلمون في تاريخ الإسلام الطويل بفتنة أعظم وأدق من فتنة المتنبئين ، إلا أن دعوة أكثرهم لم تلق نجاحاً يذكر ، وقد ماتت في مهدها ، ولم يبق لها عين أو أثر ، ولكن الشأن يختلف فيما يختص بمتنبىء شبه القارة الهندية في القرن التاسع عشر والعشرين – المرزا

(١) انظر : «النبوة والأنبياء» (ص٢٤٦-٢٤٧) .

غلام أحمد القادياني ١٨٤٠-١٩٠٩م لأسباب سياسية اقتضت ذلك ، فقد فتح غلام أحمد باب النبوة على مصراعيه ، وقال : إن اتباع النبي ﷺ يمنح كمالات النبوة ، وإن العناية بذلك . والاهتمام ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم»[١] .

وقال نجله وخليفته الميرزا بشير الدين محمود : لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفذت ، ما قدروا الله حق قدره إنكم تتنازعون في نبي واحد ، وأنا أعتقد أنه سيكون هناك ألف نبي بعد محمد ﷺ[٢] .

إن هذه التخرّصات وأمثالها قد أحدثت بلبلة فكرية ، وفوضى عقلية . واضطرابات اعتقادية في قدسية النبوة وجلالتها ، وأفقدتها العظمة والمهابة على أيدي المشعوذين والمارقين ، حتى أصبحت سوقاً للدجل والعبث وترويج الفساد والضلال .

جاء في كتاب تاريخ العرب والإسلام : «كان مدعو النبوة يحتجون بأمور ليست من صلب الإيمان أو الإسلام إذ كان معظمهم يرمون إلى تولي الحكم على المناطق التي ثاروا فيها»[٣] .

عن ثوبان -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتي بالمشركين ،

(١) راجع : «القادياني والقاديانية» للعلامة الندوي .

(٢) «حقيقة الوحي» للميرزا غلام أحمد (ص٩٦) عن كتاب «النبوة والأنبياء» (ص٢٤٧) .

(٣) انظر : «تاريخ العرب والمسلمين» (ص٥٩) الدكتور عمر فروخ .

وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يدعي أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعد...»[1] .

أشهر المتنبين الكذّابين :

وفيما يلي موجز لأشهر مدعي النبوة[2] المارقين الذين تمردوا على الشرع منهم :

١- الأسود العنسي في اليمن .

٢- مسيلمة الكذّاب في اليمامة .

٣- سجاح بنت سويد في فرسان تغلب .

٤- المختار بن ابي عبيد الثقفي .

٥- الحارث الكذّاب في خلافة عبد الملك بن مروان .

٦- أبو الطيب المتنبي الشاعر المعروف .

٧- علي محمد الشيرازي الذي ظهر في القرن التاسع عشر مؤس النحلة البابية .

٨- ادعى البهاء صاحب الدعوة البهائية الألوهية علاوة على دعوى النبوة المزعومة .

٩- غلام أحمد القادياني في ناحية البنجاب مؤسس فرقة القاديانية .

١٠- الفازاري الساحر .

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي .

(٢) انظر : «الكشاف الفريد» (١/٥٩٨-٦٠٦) .

١١- أبو طاهر القرمطي في خلافة المقتدر .

ومن الجدير بالذكر ؛ فإن بعض المتنبئين الذين ادعوا النبوة قد تابوا ، وعادوا إلى رشدهم كالشاعر أبو الطيب المتنبي ، ومنهم من قتل لإثارته الفتنة ، وادعائه النبوة (كالفازاري) .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

وبعـــد :

كان هذا البحث -أخي القارىء- موجز عن بعض المتنبئين الخرافيين ليحذر المسلمون دعاة السوء، ليكونوا في مأمن من ضلالهم وإفكهم، فضلالة التنبؤ وادعاؤها من أخطر الدعوات الهدامة، وأشدها فساداً وتخريباً وفتكاً في جسم الأمة المحمدية، وقد دلتنا التجارب والخبرات أن الدين الحنيف يبتلى في كل عصر بنفوس نزاعة إلى الغواية، فتتنكّب عن الحقائق السوية، وتحرّف الكلام عن مواضعه العلية.

ولكن الله سبحانه يقيض لدينه من ينافح عنه، ويرد كيد الطاعنين ويكشف زيف الدجالين، ويفضح أستار المبتدعين يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[١].

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

بالرفـــاء والبنين

ما أكثر الذين يصرعهم جهلهم ، وشهواتهم فيقلّدون غيرهم بغير علم ولا هدى ، اتباعاً للهوى ، وجرياً وراء العادة .

بالرفاء والبنين : هذه الضلالة الشائنة شاعت في عصر الجاهلية ، وهي تهنئة جاهلية موروثة ، ورثها أبناء المسلمين ، وأصبحت شعاراً ، ودعاء يقدمونه أثناء تقديم تبريكاتهم وتهانيهم بالزواج ، كما كانت تفعل الجاهلية ، ومرد ذلك جهلهم لتعاليم دينهم الحنيف .

وقد ورد النهي والتحذير منها في عدة أحاديث شريفة منها :

عن الحسن أن عقيل بن أبي طالب تزوج امرأة من جشم فدخل عليه القوم فقالوا : بالرفاء والبنين ، فقال : لا تفعلوا ذلك ؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك قالوا : فما نقول يا أبا زيد؟ قال : قولوا : بارك الله لكم ، وبارك عليكم إنا كذلك كنا نؤمر[١] .

خـاتـم الخـطـبـة :

تنتشر عادة استعمال خاتم الخطبة أو ما يسمى بـ (دبلة الخطوبة) بين أبناء المسلمين ، وكثيراً ما كنت أنهى هؤلاء المبتلين بهذه المصيبة مبيناً بالحجج والبراهين مخالفتهم ، وخروجهم على هدي الإسلام .

(١) رواه ابن أبي شيبة ، والنسـائي ، وابن ماجه ، وأحمد ، وغيرهم .
انظر : «آداب الزفاف» (ص٩٠).

وكانوا يتعللون بتعليلات واهية ، كأن يقول بعضهم : أنا أعمل في عمل تشارك فيه النساء ، وأحتفظ بهذا الخاتم لعدم الإحراج والمضايقة ؛ لأن الخاتم هو علامة فارقة ومميزة للدلالة على الارتباط بشريك الحياة . . .

يقول الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه القيّم(١): لبس بعض الرجال خاتم الذهب الذي يسمونه خاتم الخطبة ، فهذا مع ما فيه من تقليد للكفار ؛ لأن هذه العادة سرت إليهم من النصارى ، ففيه مخالفة صريحة تحرّم خاتم الذهب على الرجال والنساء ، وإليك بعض هذه النصوص :

١- نهى رسول الله ﷺ عن خاتم الذهب ، رواه الشيخان وغيرهم .

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده» رواه مسلم وغيره . . .

٣- وقال عليه الصلاة والسلام : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً وذهباً»(٢) .

٤- وقال عليه السلام : «من لبس الذهب من أمتي فمات وهو يلبسه حرم عليه ذهب الجنة»(٣) .

---

(١) انظر : «آداب الزفاف» (ص١٢٣) وما بعدها .

(٢) رواه أحمد بسند حسن .

(٣) رواه أحمد ، انظر: «آداب الزفاف» (ص١٢٩-١٣١) ، وكتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٣٨٧) وما بعدها .

ومن هنا نرى أن ما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة يحرم لبس الذهب على الرجال خاصة ، ويحرم ظهور المرأة متزينة به في الشارع والطرقات .

وباستطاعة الرجال استبدال خاتم الذهب بخاتم من فضة ؛ لأنه حلال على الرجال .

الكِبْر وآثاره السيئة :

اعلم أخي الكريم أن الكبر خصلة ذميمة وآفة عظيمة حذّر منها الله ورسوله غاية التحذير ، يتصف بها كثير من الناس اليوم .

قال بعض السلف : أول ذنب عصي الله به الكِبْر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، وقد وضّح النبي ﷺ معنى الكِبر في الحديث الشريف عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط الناس» رواه مسلم .

بطر الحق : أي دفعه ورده على قائله ، وغمط الناس : احتقارهم ، فالتجمل في الهيئة واللباس أمر محبوب ، وليس هو الكِبر .

الكِبر : صفة باطنة في القلب تظهر آثارها في تصرفات الشخص فتحمله على عدم قبول الحق ، واحتقار الناس ، فإبليس لما تكبّر على

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٤ .

آدم حمله ذلك على أن امتنع من امتثال أمر ربه له بالسجود ، وهو الذي حمل الكفار على مخالفة الرسل والأنبياء . . .

والكِبر هو الذي يمنع بعض الناس الذين أعطوا شيئاً من الثروة أو الرئاسة على ترك الصلاة ، ومقاطعة الجماعة لأنه يرى نفسه أكبر من ذلك .

والكِبر يحمل بعض الناس على ترك العمل بسنة الرسول ﷺ ، فقد روي «أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله ، فقال : كل بيمينك ، قال : لا أستطيع قال : لا استطعت ما منعه إلا الكِبر قال : فما رفعها إلى فيه»[1] .

والكِبر هو الذي يمنع من تعلم العلم النافع ، وهو الذي يحمل بعض الناس على إسبال ثيابه تحت الكعبين ، والتبختر في مشيته . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل في رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»[2] .

إن التكبّر عن الحق ، والتكبر على الخلق يوجبان أنواعاً من العقوبات العاجلة والآجلة ، ومن أعظم ذلك أن المستكبر يصرف قلبه عن الهدى ، قال تعالى : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[3] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٦ .

وقال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١] .

قال عليه الصلاة والسلام : «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[٢]، وقال عليه السلام : «يحشر الجبّارون ، والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر ، يطؤهم الناس ، يغشاهم الذل في كل مكان»[٣] .

وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» فالكبر حجاب يحول بين العبد وأخلاق المؤمنين ، فيحول بينه وبين الجنة .

إن على الإنسان أن يدفع الكبر عن نفسه بأن يعرف أصله ونشأته وفقره وحاجته ، ويعرف ربه وعظمته ومقامه بين يديه ، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده من العدم ، ليصير شيئاً مذكوراً مكرماً عند الله عز وعلا[٤] قال تعالى : ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾[٥] .

التشاؤم :

من الناس من يتشاءم بالأشخاص والأزمان ، ويظن أنه يصيبه منها شر لذاتها لا بقضاء الله وقدره ، وهذا هو الطيرة التي نهى عنها النبي

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٠١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

(٣) رواه الترمذي والنسائي .

(٤) انظر : «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية» (٢/٤٦-٤٩) .

(٥) سورة عبس: آية ١٧-٢٢.

ﷺ ، وأخبر أنها شرك ؛ لأن المتطير والمتشائم يعتقد أن ما يصيبه من المكاره إنما هو من شؤم المخلوق من زمان أو مكان أو شخص فيكره ذلك الشخص أو الزمان أو المكان ، وينفر منه ظناً منه أنه يجلب له الشر ، وينسى أو يتجاهل أن ما أصابه إنما هو بقضاء الله وقدره ، وبسبب ذنبه.

وقد ذكر الله تعالى عن الأمم الكافرة أنهم تطيّروا بمن هو مصدر الخير من الأنبياء والمؤمنين ، فقال الله تعالى عن قوم فرعون : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾[1] ، وكذلك ثمود تطيروا بنبيهم صالح عليه السلام : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[2] ، وكذلك مشركو العرب تطيروا بمحمد ﷺ : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾[3] فرد الله على هؤلاء بأن ما يصيبهم من العقوبات والمكاره إنما هو بقضاء الله وقدره ، وبسبب ذنوبهم ، قال تعالى : ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[4] .

وهذا من انتكاس فطرهم حيث اعتقدوا الشر بمن هو مصدر الخير والصلاح .

لقد أبطل الرسول ﷺ ما كان يعتقده أهل الجاهلية بشأن بعض الأيام أو الشهور فقد قال : «لا عدوي ، ولا هامة ، ولا صفر»،

(١) سورة الأعراف : آية ١٣١ .

(٢) سورة النمل : آية ٤٧ .

(٣) سورة النساء : آية ٧٨ .

(٤) سورة النساء : آية ٧٩ .

وهذا الحديث نفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن الأمراض تعْدِي بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك، يقول تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[1].

و «لا هامة» الهامة: هي البومة، فكان أحدهم في الجاهلية تقع على بيته بومة يتشاءم.

و «لا صفر» فكان يعتقد أهل الجاهلية بأن شهر صفر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك، وبين أنه لا تأثير له، وإنما هو كسائر الأوقات التي جعلها الله فرصة للأعمال النافعة، والتقرب إليه عز وجل[2]...

فعلى المسلم أن يسلم أموره لله تعالى، ويتوكل عليه، ويستعين به، ويبتعد عن التشاؤم الذي قد يودي به إلى مهاوي الشرك، وظلماته أعاذنا الله منه وإياكم...

---

(١) سورة الحديد: آية ٢٢.

(٢) انظر: «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية» (٢/١٠٢-١٠٦).

الفصل الثاني

مذاهب معاصرة

يشتمل هذا الفصل على مذاهب ودعوات فكرية هدّامة تدعو إلى التحرر، والانعتاق من الدين، والنزوع إلى الإلحاد والانحلال من القيم والأخلاق والمبادىء السامية التي دعت إليها الديانات السماوية.

وسيطرت الأفكار الفلسفية الملحدة والمادية المنحرفة، وسادت الجاهلية الحمقاء، فاستسلم الناس للهوى والشيطان، وفيما يلي توضيح لأهم هذه المذاهب ودعواتها :

الشيـوعـيــة

تعريفها ومؤسسها :

الشيـوعية الحـديثـة -المـاركسية- هي حركة فكرية واقتصادية يهودية إباحية ، وضعها -كارل ماركس- تقوم على الإلحاد وإلغاء الملكية الفردية ، وإلغاء التوارث وإشراك الناس كلهم في الإنتاج على حدّ سواء .

ويعتـبر -كارل ماركس- هو مؤسس الشيوعية الحديثة ، وهو يهـودي ألمـانـي ، ويـذكـر الباحثون في شخصيته : أنه رجل فاشل معقد يحمل كل خصائـص اليهـود مـن الحقـد والكـراهية لجميع البشر ، إضافة إلى أنه كسول فقير معوز ، لذلك استغـل اليهود أوضاعه النفسية والمادية الصعبة ، كل ذلك جعل ماركس ينادي بالنظرية الشيوعية[١] .

مصادمة الشيوعية للدين والفطرة :

النظرية الشيوعية صدرت عن شخص حاقد على البشرية ، وجاءت لتحقيق أغراض اليهود في تحطِيم الأمم والشعوب ، لذلك عملت في جوانبها الاعتقادية والفكرية والاقتصادية على مصادمة الدين الإلهي الحق ، ومصادمة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، وعلى

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص٩٠) .

هذا ؛ فإنه لا يمكن أن تبقى طويلاً ؛ لأنها لا تملك مقومات البقاء في جميع أصولها[١] .

من الجانب الاعتقادي :

قامت الشيوعية على إنكار وجود الله سبحانه ، وإنكار الغيب (ومنه البعث والجنة والنار) ، وهي بهذا المعتقد الإلحادي تصادم الفطرة السليمة ، فطرة الإيمان بالله ، والركون إليه ، والإيمان بالجزاء والحساب والثواب والعقاب ، والتي تطمئن لها النفس الإنسانية ، وذلك أن النفس البشرية لا تسعد وتنشرح إلا بالهدى والإيمان ، وبالعكس ؛ فإنها إذا لم توفق للهداية وتهتدي للإسلام ؛ فإنها تشقى وتضيق كما قال تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٢]

من الجانب الفكري.

قامت الشيوعية على المادية الجدلية التي لا يعقلها الفكر السليم ، وذلك أنها تذهب إلى أن المادة هي التي تمد الفكر الإنساني وتحركه ، وهي أصل كل شيء في الكون ، وسبب كل حدث وتفكير وسلوك وعاطفة ، وأن الدنيا مجرد صراع على المادة .

وهذا يصادم الفطرة الإنسانية السليمة التي جبلت على الروحانية ، وحب الخير ، واستمداد الفكر من الوحي الإلهي ، فالفطرة البشرية لا تستقيم إلا على التوازن بين الروح والمادة ، وبين الدين والدنيا ، لكن

(١) «الشيوعية والشيوعيون في ميزان الإسلام» الدكتور عبد الجليل شلبي .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٥ .

الفكر الشيوعية تقوم على إنكار الروح والدين ، لذلك حارب الشيوعيون الأديان عموماً ، والإسلام على وجه الخصوص بعنف وقسوة .

موقف الشيوعيين من الدين :

المعروف أن الشيوعية لا تعادي شيئاً ، وتحقد عليه مثلما تحقد على الدين ، فالشيوعيون ملحدون ينكرون وجود الخالق جل وعلا جحوداً وعناداً ، ويتعامون عن الأدلة الباهرة ، والآيات الظاهرة لذوي العقول ، ومن ثم فهم يكرهون الدين ، ولذلك فهم يحاربونه في بلادهم حرباً شعواء ، وخصوصاً الإسلام ، فقد شنوا عليه حملة إبادة فأبادوا الملايين من المسلمين ، ومنعوا تعليم القرآن والسُّنة ، وعملوا على نشر الإلحاد بينهم ما استطاعوا ، وأغلقوا المساجد وحرموا المسلمين من حقوقهم الدينية مع أنهم يزيدون على أربعين مليوناً ، ويتوزعون في خمس ولايات هي : باجكستان، وبها نحو (١١) مليون مسلم ، وقيرغستان وبها نحو (٥) ملايين مسلم ، وتركستان وبها نحو (٥) ملايين مسلم ، ومآزاخستان وبها نحو (١٢) مليون مسلم[1] .

خطر الشيوعية على العالم الإسلامي :

حينما نتكلم عن خطر الشيوعية على العالم الإسلامي ؛ فإن هذا لا يعني أنها هي العدو الوحيد للإسلام والمسلمين ، بل هناك الرأسمالية النصرانية ممثلة بالغرب الذي لا يقل خطراً عن الشيوعية في مكرها وكيدها للمسلمين ، ومن وراء الجميع اليهود الذين يسعون جادين

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٠٠-١٠١) .

لضرب المسلمين بكلتا القوتين ثم القضاء عليهما بعد ذلك .

إذن فالشيوعية بحقدها على الأديان والأخلاق ، تسعى جادة لسحق المسلمين والقضاء على دينهم ؛ لأن هذا من أهدافها الأساسية ، وها هي الآن تزحف على البلاد الإسلامية يوماً بعد يوم ، كما هي الحال في أفغانستان ، واليمن الجنوبي ، والصومال وغيرها ، هذا بالإضافة إلى محاولة الشيوعيين إثارة الفتن والشبهات ، وتأسيس الأحزاب والاتجاهات الثورية الموالية للشيوعية تحت شعارات اليسارية والاشتراكية والبعثية والتقدمية والتحرير . . . إلخ من الشعارات والألقاب التي فرقت بين المسلمين ، ومزقت وحدتهم ، ولا تزال إلى أن ينتبه المسلمون من غفلتهم ، ويعودوا إلى ربهم ، ويستمسكوا بدينهم الذي فيه وحدتهم وعصمة أمرهم[١] .

فيا أخي المسلم –حفظك الله– فبعد أن عرفت مبادىء ومخططات الشيوعية الملحدة ، وأهدافها الخبيثة ، وضلالاتها المنكرة التي ما هي إلا عبارة عن سم قاتل ، ومعول هدام في صدر الإسلام وعقائده ومقوماته الأساسية التي أرادها الله لتكون الملجأ الوحيد للبشرية لتقودها إلى بر الطمأنينة والأمان ، وصدق سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢] .

---

(١) انظر : «حقائق الشيوعية» – نهاد الغادري .

(٢) سورة الأنفال : آية ٤٢ .

التبشير

إن التبشير فكرة خبيثة، وبذرة فاسدة ملوثة، ودعوة ماكرة خادعة تقوم على أسس هدامة ماحقة للدين والعقيدة، ومدمرة للأخلاق والفضيلة، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب والقسوة، غرست بذورها زمرة ملحدة موتورة، ونفذت أدوارها ومخططاتها على أيد شريرة، قلوبها ملأى بالحقد والضغينة، وقد تسترت بأقنعة الإحسان، وانتحلت صفات البر والفضيلة، وزعمت لنفسها حب الخير، ومحاربة الجريمة، وهي في الحقيقة داعية سوء، ومن أسوأ معاول الهدم اللئيمة...

بواعث التبشير :

يظن بعض الناس أن المبشرين يأتون إلى الشرق لنشر الدين على أنه هدفهم الأسمى، والحق أن نشر الدين أمر ثانوي جداً في جميع الحركات التبشيرية... قد نجد أشخاصاً قليلين يمولون حملات تبشيرية على الشرق، ثم أفراداً قليلين أيضاً يأتون في هذه الحملات لينشروا الدين حباً في نشر الدين، واعتقاداً منهم بأنهم يقومون بعمل سام، على أن الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات، ومن الذين يأتون فيها لا صلة بين أهدافهم الحقيقية، وبين الذين يزعمون أنهم جاؤوا لنشره...

إننا إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين[1]، وعالماً مادياً لا يعرف للروح معنى، إن أمريكا التي تعبد الذهب والحديد والبترول -كما يقول أمين الريحاني- قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية، وسلام ديني! وبينما ترى فرنسا دولة علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج، إن الكثيرين من هؤلاء المبشرين المنتشرين في الأرض لم يأتوا في واقع الأمر للتبشير، فمنهم من يحب الأسفار والمغامرات، ومنهم من يطمح إلى السيطرة الشخصية وغيرها، حتى أن بعضهم استغل جمعيات التبشير لمصالحه الشخصية لإشباع أطماعه، ومنهم المكرة والتجار الذين لا صلة لهم بالتبشير، وأصحاب الدعوات الذاتية الذين لا يتحلون بالأخلاق الحميدة.

والمؤلفون عادة لا ينكرون أن التبشير قد اتخذه الكثيرون آلة للتجارة، والسياسة، وأن المبشر الأمريكي خاصة لم يستطع التحرك من غاية وسيطرة حكومته...

غزو تبشيري جديد:

تتعرض منطقة الخليج العربي[2] اليوم إلى تخريب عقائدي صليبي مركز! وذلك ضمن المخطط العالمي لغزو الأمة العربية والإسلامية، وبالأخص المناطق الاستراتيجية والمهمة فيها.

إن هذا الهجوم على الإسلام تقوم به المؤسسات الكنيسية،

(١) انظر: «التبشير والاستعمار» (ص٣٤).

(٢) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (١/ ٥٢٣-٥٢٨).

والمدارس التبشيرية، والكتب المدسوسة، والصحف المأجورة، والنوادي المشبوهة، ويهدف هذا الهجوم إلى إضعاف عقيدة الإسلام، وتخريج جيل من المسلمين يتنكر لقرآنه وإسلامه، ويحمل من الإسلام اسمه فقط، وبالتالي يترك هذا الجيل في فوضى فكرية ودوامة عقائدية.

والخليج العربي هذه المنطقة المسلمة الهادئة الوديعة التي تتميز بفطرتها النقية، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإسلام، هذه المنطقة الزاخرة بالثروات النفطية تتعرض اليوم لغزو يلمسه كل من له بصيرة، ويحس به كل من له عقيدة أبية، وغيرة على الإسلام، وأمور المسلمين.

قلاع الكنائس تطل على ضفاف الخليج المسلم، وكلها قام حديثاً في بلاد المسلمين لتصبح بعد مدة مرتعاً وخيماً لأعداء الإسلام، ويجر الويل والدمار والفساد والكفر لأبناء المسلمين، ولتصبح قلاعاً صِليبية كما هو الحال في بيروت وغيرها.

لقد استغلت البعثات التبشيرية حاجة المنطقة إلى العلم والمعرفة، فأخذت تبث سمومها عن طريق المدارس والبعثات، والدورات الثقافية، والمحاضرات العلمية! ففي إحدى المدارس المهنية - مثلاً - التابعة لشركة أدما البترولية بريطانية تعرض الأفلام مرتين في الأسبوع على طلاب المدرسة المسلمين، ومن خلال هذه الأفلام يتم تشويه الإسلام، وعقيدة التوحيد، وقد عرض فيلم يصور حياة البدو في الصحراء، وكان الفيلم يركز على صلاة البدوي بجانب البعير الذي يهم بالجلوس، وكان المُخْرِج يتعمد إظهار التشابه بين المشهدين

ويبرزهما ، ويثير إليهما الانتباه بالألوان المثيرة والموسيقى ، قعود الجمل إلى جانب ركوع وسجود المصلي ، وكل هذا يجري باسم الثقافة و وباسم العلم إنه العلم المشوه والثقافة المسمومة .

كما قامت هذه البعثات التبشيرية ببيع الكتب بأرخص الأسعار ، والتي تضمنت تشويهات للفكر الإسلامي وعقيدته ، فقد جاء في كتاب «موسوعة الأبطال الحديثة» لمؤلفه كينت بيلي ما يلي نصه :

محمد هو مؤسس الدين المحمدي ، ولد في مكة التي أصبحت فيما بعد مدينة مقدسة بالنسبة للمسلمين ، ويتخيل أنه نبي الإله ، والذي سماه القرآن هو الكتاب المقدس المحتوي على أقواله ؟!!

ورسم في هذا الكتاب صورة للرسول ﷺ ، وضع ضمن مجموعة من صور عباقرة العالم[1] .

وهكذا نرى أن دول الغرب القوية تتعاون على حشد ثرواتها وإمكانياتها ، للتبشير بالنصرانية في العالم مما أخضع لها كثيراً من الشعوب والجماعات والأفراد ، بينما نحن ساهون لاهون عن هذا التبشير مما جعلنا نحصد جزاء تفريطنا استعماراً ، واضطهاداً ، واعتداءً وتبعية ، وغيرها من الشرور التي لا نزال نعاني ويلاتها إلى يومنا هذا ؟!! ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[2] صدق الله العظيم .

---

(١) انظر كتاب: «موسوعة الأبطال الحديثة» (ص١٢٥ - كينت بيلي - طبعة لندن سنة ١٩٧٢م) .

(٢) سورة ق : آية ٣٧ .

أخطر وثيقة لمستشرق ومبشّر قسّيس :

للوقوف على أخطار التبشير على الأمتين العربية والإسلامية ، وتبياناً لأهدافهم الخبيثة التي يعملون على نشرها بين أبناء المسلمين ، وبخاصة بين الأجيال الصاعدة والمنتظرة .

لهذا وغيره ، فقد رأيت أن أضع بين يدي القارىء الكريم كلمة موجزة عن القس المبشر (هربرت صموئيل زويمر اليهودي المتعصب الذي عاش من سنة ١٨٦٧-١٩٥٢ ، وهو رئيس المبشرين في الشرق الأوسط ، وتولى تحرير مجلة «عالم الإسلام» التي أنشأها مع ماكدونالد)[١] .

وسأذكر للقارىء الكريم الوثيقة التاريخية ، وهي خطبة هامة جديرة بالملاحظة والتأمل ؛ لأنها تحوي في طياتها أسرار التبشير ودوافعه ، كما تنم عن النفسية الخبيثة التي يحملها المبشرون ، والدعوة الهدامة ، والمغالطات الصريحة التي يتعرض لها المسلمون للنيل من عقيدتهم ، وحضارتهم من قبل أعداء الإنسانية الماكرين .

وقد ألقى القس زويمر خطبته هذه في مؤتمر المبشرين المنعقد في جبل الزيتون في القدس بفلسطين إبان الاحتلال البريطاني لتلك الديار المقدسة ، ومما قاله في هذا المؤتمر :

(أيها الإخوان الأبطال ، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية ، واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجلي المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن

---

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/٥١٦-٥١٧) .

الأداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه ، لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه .

وإني أقركم على أن الذين أدْخِلُوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقين ، لقد كانوا كما قلتم : أحد ثلاثة إما صغير لم يكن من أهله من يعرّفه ما هو الإسلام ، أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي إلا الحصول على قوته ، وقد اشتدّ به الفقر ، وعزت عليه لقمة العيش ، وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ؛ فإن هذا هداية لهم ، وتكريماً كذا ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية .

وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه ، وتهنئكم عليه دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة .

ثم يقول : لقد كان قبضنا -أيها الأخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا- على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات ، والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية ، والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء ، إنكم

أعددتم برسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .

إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشىء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همّه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلّم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوّأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضي عنكم الاستعمار ، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب)[(١)] .

ولنا بعض التعليقات على هذا الخطاب المسموم ، يقول (زويمر) في خطابه : (ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست إدخال المسلمين في المسيحية ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صله له بالله) .

أقول : أيقول مثل هذا القول إنسان يؤمن بالله ، ويسعى في الخير لعباد الله ؟! أيقول مثل هذا القول إنسان فيه بقية من خير أو مسكة من ضمير ؟! هذا القول يدل أخي القارىء على أن هذا الرجل إنما كان يعبد الشيطان ، ومن المسخّرين لخدمة أغراض الاستعمار الخبيث .

---

(١) انظر : «المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام» (ص٢٩٦ ، للأستاذ محمود الصواف) .

أما مسألة المناهج : (يقول القس المبشر زويمر : لقد كان قبضنا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية . . .) .

فالمناهج إنما تستوحى من أهداف الأمة ، وغاياتها البعيدة فهل نستطيع أن نقول : إن مناهج التربية في البلاد الإسلامية ترعى أهداف الأمة الإسلامية وغاياتها ؟!

وليس من شك أن المناهج التي وضعت في مدارس التبشير تحمل السم في ثناياها لأبناء الأمة الإسلامية ، وحين يتسلم الأمور خريجوا هذه المدارس التبشيرية ينقلون بأنفسهم إلى أبناء الأمة ما تعلموه ولقّنوه[1] .

وهنا نجد الاستعمار والتبشير ،ودعاة المبادىء الهدامة يجتمعون في صعيد واحد لمجابهة المسلمين ، ووضعهم تحت سيطرة القوى المناهضة ، وهكذا تفشل البرامج التعليمية في البلاد الإسلامية لا قدر الله ، وتصبح السيطرة للأجانب والدخلاء ، مما يستدعي الحذر واليقظة ! هذه بعض مخططات أعداء أمتنا فماذا أعددنا للرد عليهم لإحباط مؤامراتهم ؟! إن الأمر جد خطير ، ولا بد من مراجعة الحساب ، وصدّ الغارة يقول الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2] ، والله ولي التوفيق .

المستغربـون :

إن التغريب في أبسط مفهوم له ، هو حمل المسلمين على قبول

(١) انظر كتابنا : «أعلام التربية والمربين» (ص٤٨١) وما بعدها .

(٢) سورة الصف : آية ٨ .

أفكار الغربيين، والخضوع لنفوذهم وسلطانهم، وتقبّل الاحتواء في بوتقتهم بحيث لم يبق معارضة لسيطرة الغرب، ونفوذه في ديار الإسلام.

لقد نشط المستشرقون بأعمال الدّس والتخريب في معاقل الإسلام، وكان لهم تلاميذ من أبناء الإسلام، تعلم بعضهم في أوروبا، واستهوى البعض الآخر مناهج المستشرقين وبحوثهم ومعارفهم، فساروا منجذبين إليها أشد الانجذاب، متأثرين بها أعمق التأثير، لا يكادون يحيدون عنها قيد أنملة أو يرضون بسواها أو يحسّون بأي التواء أو زيغ فيها، ومن الممكن أن نسمي هذا الفريق المستغربين دلالة على نزوعهم هذا المنزع الغربي في أسلوبه المنهجي، ولونه الدراسي.

إن المستشرقين يصدرون لنا بضائعهم بما فيها من دسّ وتحريف فيأتي المستغربون فيرّوجون هذه البضائع، ويبذلون جهودهم الخائنة أو الخاطئة في الدعوة إليها، والإغراء بها، وبذلك يتبين لنا أن كلاًّ من المستشرقين والمستغربين، خطر يهدد أمتنا وبلادنا وثقافتنا[١].

وقد حذر الشيخ (محمد الغزالي) من خطر هؤلاء المستغربين فقال: هناك مستشرقين مصريون، ولدوا في بلادنا هذه، ولكن قلوبهم وعقولهم تَرَبَّت في الغرب، ونمت أعوادهم مائلة إليه، فهم أبداً تبع لما جاء به، إنهم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا بيد أنهم خطر على كياننا لأنهم كفار بالعروبة والإسلام، أعوان -عن اقتناع أو مصلحة- للحرب

---

(١) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (١/٧٥٣) وقارن بـ «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» (ص٤١٧-٤١٨).

الباردة التي يشنّها الاستعمار علينا بعد الحرب التي مزّق بها أمتنا الكبيرة خلال قرن مضى ، وهم سفراء فوق العادة ؛ لإنكلترا وفرنسا وأمريكا ، دول التصريح الثلاثي الذي خلق إسرائيل وحماها . . . إن هذا النفر من حملة الأقلام الملوثة أخطر على مستقبلنا من أخطار السافرين ؛ فإن النفاق الذي برعوا فيه يخدع الأغرار بالأخذ عنهم ، وقد يقولون كلمات من حق ، تمهيداً لألف كلمة من الباطل تجيء عقبها .

من الأسماء المأجورة التي لم تتورّع عن الدسّ والتشويه لحقائق الأشياء ، كما كان لها الكثير من المواقف الهدامة التي عجز عنها أعداؤنا السافرون[١] .

١- طه حسين: أصدر طه حسين كتابه «الفتنة الكبرى» ، وهو جزآن : الأول : يتحدث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والثاني : يتحدث عن علي وبنيه -رضي الله عنهم- أجمعين .

يقول طه حسين في كتابه «الفتنة الكبرى»: «وأكاد أعتقد أن الخلافة الإسلامية كما فهمها أبو بكر وعمر ، إنما كانت تجربة جريئة توشك أن تكون مغامرة ، ولكنها لم تنته إلى غايتها ، لأنها أجريت في غير العصر الذي كان يمكن أن تجري فيه ، سبق بها هذا العصر سبقاً عظيماً» .

وهكذا نجد أن الخلافة بنظر (طه حسين) ما هي إلا تجربة ، وتجربة جريئة توشك أن تكون مغامرة . . . وأبو بكر وعمر من جملة هؤلاء المغامرين ، أما أن وحي السماء قد رسم الطريق لأبي بكر وعمر ، فنفى عن حكمهما صفة التجربة ، وأن الرسول ﷺ قد رباهما وأعدهما في

(١) انظر : «الكشاف الفريد» (١/ ٧٥٤) وما بعدها .

مدرسة ، فأبعد عنهما سمة المغامرة ، فذلك ما لم يفقهه طه حسين .

٢- علي عبدالرزاق : وهو من بين المستغربين الذين تولوا نشر الفساد في معاقل الإسلام فقد أثار موضوع الإمامة ، وهو القاضي في محكمة المنصورة الشرعية الابتدائية .

فقد جاء في كتابه «الإسلام وسلطة الأمة»[١] ما نصّه : إن هذه المسألة - الخلافة - دنيوية وسياسية أكثر من كونها مسألة دينية ، وإنها من مصلحة الأمة نفسها مباشرة ، ولم يرد بيان صريح في القرآن الكريم ، ولا في الأحاديث النبوية في كيفية نصب الخليفة وتعيينه . . .) .

وقال علي عبدالرزاق في موضع آخر من الكتاب[٢] : (إنه لعجب عجيب أن تأخذ بيديك كتاب الله الكريم ، وتراجع النظر فيما بين فاتحته وسورة الناس فترى فيه تصريف كل مثل ، وتفصيل كل شيء من أمر هذا الدين ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[٣] ، ثم لا تجد فيه ذكراً لتلك الإمامة العامة أو الخلافة ، إن في ذلك لمجالاً للمقال ، ليس القرآن وحده الذي أهمل تلك الخلافة ولم يتصد لها ، بل السُّنة كالقرآن أيضاً قد تركتها ولم تتعرض لها) .

فهذه الآراء التي أراد علي عبدالرزاق أن ينشرها بين المسلمين ، ويؤلف فيها الكتب تتلخص في الطعن في حكومة النبي ﷺ واتهام كبار

(١) نفس الكتاب (ص٥) .

(٢) انظر : «الإسلام وسلطة الأمة» (ص١٦) .

(٣) سورة الأنعام : آية ٣٨ .

الصحابة بأشنع التهم متفقاً مع ما يريده الاستعمار .

وهكذا ينكشف كل يوم موقع جديد من مواقع الأعداء ، كما تسلّط الأضواء على أصابع الدسّ والتشويه لأعداء أمتنا الإسلامية ، ومن بينهم هؤلاء المتسترِّين بثياب الإسلام ، الذين زرعوا ديار أمتهم بغراسهم المسمومة ، ودعواتهم الهدّامة ، ولكن الله لأعدائه بالمرصاد حيث تكفل سبحانه بهؤلاء الأعداء وغيرهم من الذين يحادّون الله ورسوله والمؤمنين ، فهؤلاء مصيرهم المحتوم هو الفشل والخزي والعار كسابقيهم ، الذين باعوا أنفسهم للشيطان ، وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

الغـــزو الثقافـــي :

يعتبر دين الإسلام أقوى الأديان فعالية وتأثيراً في نفوس أتباعه ، ولذلك أسباب عدة منها شموليته كعقيدة وشريعة وطريقة كاملة للحياة ، وعالميته ، وانسجام أصوله وفروعه مع الفطرة والعقل ، ويسره ، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يفرز هذا الدين ثقافة متجانسة الأجزاء قوية وإيجابية ، وقادرة على الصمود أمام تحديات الغزو الثقافي أياً كان مصدره ، شرقياً أو غربياً ، وأياً كانت قوته .

لقد حرص الرسول ﷺ على الوحدة الثقافية للأمة المسلمة فأكّد على ضرورة التزام المسلمين جميعاً بنظرة واحدة ، وموقف عملي واحد نابع من الكتاب والسُّنة ، وحذّر من الابتداع الذي له أخطار عديدة ، منها

(١) سورة الجاثية : آية ٢٣ .

خلق ثقافات دخيلة في جسم الثقافة الأصيلة التي جاء بها القرآن الكريم ، والسُّنة الشريفة ، والتي حذّر منها رسول الله ﷺ لدفع أية محاولة لغزو ثقافي أجنبي[1] .

إن وجود القوي والضعيف يغري دائماً الأول بغزو الثاني ، وفرض هيمنته عليه ، وهذا ليس بدعاً بالنسبة للقوانين الوضعية التي تحكم العلاقات الإنسانية .

فوجود القوي والضعيف عسكرياً ، استتبعه دائماً غزو عسكري واحتلال . . .

أما نجاح الغزو الثقافي الأجنبي للأمة الإسلامية ، وثقافتها الأصلية فلا يعني بالضرورة استمالة وجود مظاهر ثقافية أجنبية معينة في ثقافة المسلمين وحياتهم اليومية ، ولكنها لا تعني نجاح الغزو الثقافي للأجنبي ، وقد أخبر الرسول ﷺ بتأثر المسلمين ببعض مظاهر ثقافات الأمم الأخرى، يقول عليه الصلاة والسلام : «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن؟»[2] .

إن الدارس لتاريخ الإسلام والمسلمين ، يستطيع أن يرى مظاهر ثقافية دخيلة في ميدانيين رئيسيين : فهم الإسلام ، وحياة المسلمين ، فبالنسبة للإسلام فقد تسببت العناصر الدخيلة التي أضيفت إليه إلى تشويه صورته الناصعة ، والانحراف في فهمه ، وأقصد بالانحراف هنا

---

(١) انظر : «معالم الهدى إلى دين الإسلام» (ص١٤٦-١٤٧) .

(٢) رواه أحمد ومسلم والبخاري وغيرهم .

الانحراف الذي وقع في فهم الإسلام نتيجة للابتعاد عن أصلية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فالإسلام بخلاف الأديان الأخرى لم يقع فيه التحريف بالنص ، إذ أن الله سبحانه وتعالى تكفل بصيانة النصوص من أي تحريف ، فقال عز من قائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١] .

لكن التشويه في الفهم حصل على أي حال في عهود مختلفة ، وعصور متباينة ، ولم يحصل ذلك بسبب اتصال الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم ، إذ كثير ما اتصلت هذه الأمة بغيرها دون أن تتأثر بثقافة أجنبية ، إنما حصل ذلك الانحراف والتشويه لضعف المسلمين في فترات معينة بسبب ابتعادهم عن الكتاب والسُّنة ، فأدخلت فرق وجماعات إسلامية معينة على الدين ما ليس فيه ، بحجة البدعة الحسنة أو بغيرها من الحجج ، واستعارت عناصر ثقافية أجنبية أضافتها إلى الإسلام مشوّهة بذلك صورته ، وتصوّره في النفوس ، ويكفينا هنا مثال واحد ، هو ما أدخله الصوفية المسلمون على الإسلام من عقيدة وحدة الوجود بعدما أخذوها من متصوفة الديانات الأخرى وفي مقدمتها الهندوسية الوثنية[٢] .

غير أن العناية الإلهية حفظت هذا الدين من التحريف والتشويه ، فقام العلماء الأفاضل في كل عصر وزمان ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويدعون الناس للرجوع للكتاب والسُّنة ؛ لأنهما الضمانتان

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

(٢) انظر : المصدر السابق (ص١٥٠) وما بعدها .

الوحيدتان لتنقية الإسلام من أية شائبة أو عنصر دخيل ، فكان المجددون ، وكان التجديد[1] .

حركة الثورة الكمالية في تركيا :

إن الثورة الهدامة التي شهرتها تركيا الكمالية على الإسلام وتعاليمه وتقاليده الدينية والاجتماعية والأخلاقية ، لم تكن إلا طوراً جديداً من أطوار الثورة على الإسلام ، بالرغم من أن هذه الثورة قد اتخذت لون التمدين والتحرر من أغلال الماضي ، أو بعبارة أخرى تحرير تركيا من كل لون ديني ، وصبغها بالصبغة المدنية الحديثة ، والعمل بنظام الحكم العلماني ، وتقليد حضارة أوروبا وسمومها الفتاكة التي زحفت على أرض الإسلام لتقويض دعائمه ، والقضاء على تعاليمه وأحكامه ، وهكذا تم لأعداء الإسلام ما أرادوا من جعل دولة الخلافة حكومة علمانية ، ذلك أن الترك الكماليين لم يقفوا عند إلغاء الخلافة الإسلامية ، وإلغاء صبغة الدولة الدينية ، ولكنهم ألغوا أحكام الشريعة الإسلامية حتى في أصولها التي ما زالت مطبقة في سائر أقطار العالم الإسلامي ، ومن بينها أحكام الميراث والزواج والأحوال الشخصية ، واستبدلوها بقوانين غربية ، وأطلقوا عليها صبغة اجتماعية مدنية ، ثم ألغوا تلاوة القرآن بالعربية تخلّصاً من نفوذ القرآن وتأثيره ، ونفذوا تعاليم أسيادهم وطبقوها ، ذلك لأنهم كانوا حفنة مرتزقة مدسوسة في البلاد ، وبدعم من أعداء الإسلام ابتداءً من الاستعمار والصهيونية ، وانتهاءً

---

(١) انظر : «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص١٥١) .

بالحركة الماسونية العالمية[1].

في سنة ١٩٢٨م حاولوا إلغاء الصلاة الإسلامية ، واستبدالها بصلاة تجري على نحو القداس النصراني ، وتقرن بالموسيقى ، ولكنهم عدلوا عن المشروع حينما شعروا بما يثيره من الإنكار والسخط لدى عامة المسلمين ، وعمد الكماليون المجرمون بعد ذلك إلى إلغاء الكلمات العربية من اللغة التركية ، وإلى كتابتها بحروف لاتينية بحجة المعاونة على نشرها ، ولكن الحقيقة أنهم كانوا يريدون طمس هذه اللغة الحية لغة القرآن ، وحضارة الإسلام ، وأنى لهم ذلك ؛ فالله لكتابه حافظ ، ولشريعته الغراء منقذ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] لم يدّخر الكماليون وسيلة للحملة على تعاليم الإسلام وأفكاره ، والانسلاخ بتركيا عن حظيرة المجتمع الإسلامي ، والاتجاه بها إلى أحضان أوروبا النصرانية ، وزجّها في حظيرتها الملحدة لتصبح مستنقعاً للرذيلة ، ومعولاً للتخريب بدلاً من أن تكون مناراً تستضيء به أوروبا ، ومشعلاً رائداً لقيادة البشرية إلى طريق السعادة والتقدم[3].

أخطر شخص في تاريخ الإسلام مصطفى كمال أتاتورك :

هو من مواليد سلانيك ، والتي يزيد فيها عدد اليهود عن نصف السكان ، وكان من أبرز شخصيات الاتحاد والترقي ، كما برز كعضو فعّال في جمعية الماسون أثناء كونه ضابطاً في جيش الأتراك ، وتقلب

---

(١) انظر : «الكشاف الفريد» (١/ ٧٣٧-٧٣٨) .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٧ .

(٣) انظر : «الافعى اليهودية في معاقل الإسلام» (ص٩٠) وما بعدها .

في عدة مناصب كبيرة ، ويرجع كثير من المؤرخين أصل مصطفى كمال إلى يهود الدونمة[1] .

وسواء أكان هذا صحيحاً أم غير صحيح ؛ فإن أعمال هذا الضابط فيما بعد دّلت على أنه يعتبر أخطر شخص في تاريخ الإسلام ، وأن على يديه تمّ هدم الخلافة الإسلامية .

وبعد كل هذه الأعمال الإجرامية التي أوقعها السفاح أتاتورك – لعنه الله – في دولة الخلافة ؛ نفذ أكبر مؤامرة ضد أبناء أمة الإسلام بهدم الخلافة الإسلامية ، وجعل من تركيا الإسلام مزرعة غربية لنشر الرذائل ، وحياكة المؤامرات .

وهكذا بعد أن أحالت خطة مصطفى كمال تركيا إلى قطعة أوروبية في ثوبها الجديد تحكّمت الدولارات اليهودية ذات الوجه الأمريكي في مصير تركيا .

وبذلك تمّ لأعداء الأمة ما أرادوا تحقيقه في غياب حكم الإسلام ، فقد رسم اليهود الخطة ، ونفذها (مصطفى كمال) على الشكل التالي[2] :

١- فصل تركيا عن باقي أجزاء العثمانية ، حيث حطم الإمبراطوية الإسلامية بعد إلغائه للخلافة الإسلامية .

٢- قلّد بعض الدول الغربية التي تظاهرت بالعلمانية ، والمبطنة

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي – الكويت – نوفمبر ١٩٦٥ (ص٦٦) .

(٢) «الكشاف الفريد» (١/٧٤٣ – وتركيا الحديثة) نقلاً عن «الأفعى اليهودية» (ص٩٤) .

حرصها على الدين حيث أعلن العلمانية ، وفصل الدين عن الدولة ، كما اضطهد علماء الدين المسلمين أبشع اضطهاد ، وقتل منهم العشرات ، وعلق جثثهم على أعواد الشجر[١] .

٣- أغلق كثيراً من المساجد ، ومنها جامع (آيا صوفيا) الذي حوله إلى متحف كما حرم الأذان ، والصلاة باللغة العربية ، وألغى دائرة الشؤون الإسلامية ، وكل ما يتعلق بوزارة الأوقاف .

٤- فرض العطلة الأُسبوعية يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة ، كما فرض القوانين المدنية السويسرية ، وألغى المحاكم الشرعية ، والتقويم الهجري ، واستبدل به الغربي .

٥- شجع المرأة والشباب الأتراك على الفجور والمنكرات ، وقضى على التعليم الديني في المدارس كافة ، والجامعات ، واستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية ليقطع ماضي الشعب التركي عن حاضره ومستقبله .

٦- فتح باب تركيا على مصراعيه ليدخل منه علماء اليهود ، الذين نبذتهم ألمانيا ، واستقبلهم أحسن استقبال ، واستعان بهم لتنظيم الجامعة التركية على الأساليب الحديثة ، واستدعى ما يزيد على (٤٠) أستاذاً من اليهود لتوسيع أقسام تلك الجامعة ، كما أسس حزب الشعب الذي اضطهد الأمة .

لقد جاء تعليق من دائرة المعارف الماسونية حول أعمال (كمال أتاتورك) تقرر فيه : «إن الانقلاب التركي عام ١٩١٨م الذي قام به الأخ

(١) محمد توفيق محمد - كمال أتاتورك عن «الأفعى اليهودية» .

العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة فقد أبطل السلطنة، وألغى الخلافة، وأبطل المحاكم الشرعية، وألغى دين الدولة الإسلام، وألغى وزارة الأوقاف...»[1].

وبعد وفاة أتاتورك تسلّم دفة الحكم ساعده الأيمن - عصمت إينونو - الذي سار على نهج سلفه...

وأخيراً قيّض الله لتركيا من يعيد للبلاد قدسيتها، ومكانتها بين الأمم، وقد قام بهذا الدور الرائد الشهيد «عدنان مندريس» الذي أعاد للبلاد وجهها الإسلامي، وقضى على الفساد، وأعاد فتح المساجد، وأنشأ عشرة آلاف مسجد، وشجع مدارس الدين، وتدريس القرآن، واللغة العربية في كافة المدارس.

وبعد مدة تمكنت الصهيونية العالمية بالتعاون مع بعض العملاء الإطاحة بحكم الشهيد عدنان مندريس، وتسليم الحكم إلى جمال غورسل الألعوبة في يد الغرب والصهيونية، وأعاد تركيا إلى عهد الفساد والانحراف السابق[2]، وبعد هذه الحالة المزرية من الفساد وتكالب قوى الشر، وجمهرة من الملاحدة والمنافقين من طابور الجهل، والعمالة الاستبدادية، فلم يهن المسلمون لذلك، واستيقظوا من غفلتم حيث لم يطل سباتهم. وفوجئت تركيا الإسلامية بصحوة عارمة أعادت للأمة نهضتها، وكرامتها المهدورة، فوقفت في وجه الانحراف والضلال، وطالبت بحقوقها المسلوبة، وجرت بعد ذلك انتخابات عامة في

(١) «دائرة المعارف الماسونية» (ص١٦٢) ونقلاً عن «الأفعى اليهودية» (ص٩٦).

(٢) «الكشاف الفريد» (١/ ٧٤١).

البلاد ، فنال عدد لا يستهان به مقاعد من البرلمان ، ومجالس البلديات ، وبهذه الصفوة المختارة من أبنائه المجاهدين البررة ، الذين تسلّموا مناصب رفيعة ، استطاعوا أن يثبتوا وجودهم في الساحة التركية ، ويعيدوا للإسلام مجده الغابر الذي حلموا به بعد طول انتظار . . . .

وهكذا ، وفي الأيام الأخيرة ، وبعد إجراء الانتخابات العامة ، استطاع حزب الرفاه الإسلامي بزعامة المجاهد السيد أربكان - حفظه الله - أن يحصل على مقاعد نيابية تمكّنه من تشكيل وزارة ائتلافية مع أحزاب أخرى ، وبهذا تنفّس المسلمون الصعداء ، وأعادوا لتركيا الإسلامية وجهها المشرق ، ولكن أعداء الإسلام من الملاحدة والعلمانية لم يعجبهم ذلك الانتصار الذي قلب الموازيين في تركيا ، فأثارا سخط كل من أمريكا الاستعمارية ، وأوروبا والصهيونية العالمية ، والجيش التركي العلماني الذي دبّر المؤامرة الحاقدة على الإسلام ودعاته بحيث أعاد أصحاب الضلال والفساد هيمنتهم والسيطرة على الأمور كافة ، وقمعوا المناوئين لهم ، وأساءوا بذلك إلى الإسلام والمسلمين .

وكما يقال : فللباطل جولة ، وللحق جولات ، وإن مع العسر يسرا ، والله غالب على أمره ، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١) .

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٢ .

الدّسّاسون

ما أكثر الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ إنهم ممن يزعمون أنهم من أتباع المسيح عليه السلام ، الداعي إلى مكارم الأخلاق ، ومحاربة الرذيلة والفساد ، والعمل بما فيه خير البشرية ، والحث على التحلّي بالإخلاص والأمانة ، وسائر الفضائل ، وفي مقدمتها الصدق ، ويؤسفنا أن يكون الدسّ هذه المرة من رجل قريب منا يسكن وطننا العربي ، ويحمل اسماً فيه شيء من العروبة ، وهو المدعو لويس معلوف مؤلف المعجم القاموس المسمى بـ (المنجد) الذي يكثر تداوله بين طلبة المدارس ، لحسن ترتيبه ، وكثرة صوره ، ولوحاته . . . ولقد وجد على الصفحة رقم (٤٨٨) من هذا المعجم عند مادة (ط ل ق) العبارة التالية : [الطلقاء : الذين أدخلوا في الإسلام كرهاً] ، وهو يشير بذلك إلى قول الرسول ﷺ إلى كفار قريش يوم فتح مكة . . . «اذهبوا ؛ فأنتم الطلقاء» .

وهكذا تنقلب السماحة ، والعفو عند المقدرة ، وكرم النفس عند صاحب المنجد إلى إكراه وقسر ووحشية[1] .

ويتوالى الدسّاسون ، واحداً إثر الآخر يدسّ السم في الدسم ، فها هو الكاتب والمؤرخ (جورجي زيدان) مثلاً يقول عن قصر غرناطة الذي أشادته الأيدي العربية الإسلامية ، وخططت له العقول المسلمة :

---

(١) انظر : «الماسونية في العراء» .

(والظاهر أن يداً ماسونية بنته)، واستطرد في دسّه، وقال عن جامع أحمد بن طولون: (والذي يغلب على الظن أن بناءً ماسونياً بناه) كما ويقول جورجي زيدان في حق اللغة العربية: «إننا نستدل على تكاثر الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، بخلو أخواتها من أمثال تلك الألفاظ؛ فإننا إذا رأينا لفظاً في العربية، لم نر له شبيهاً في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ترجح عندنا أنه دخيل فيها»[1].

وبناءً على هذه القاعدة نجده يستدل على عجمة كلمات هي في الواقع من صميم العربية... فهذا استدلال باطل، وحكم مناف للصواب، ورغم الدسّ والافتراء ستظل الثقافة العربية، ولغة القرآن تمثل الرسالة التي أداها العرب والمسلمون في تاريخهم المجيد.

---

(١) انظر: «آداب اللغة العربية» (٣٦/١ - جورجي زيدان)، وكتابنا: «الكشاف الفريد» (٧٤٨/١).

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية ، ولا في أي وقت كان ذلك ، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا في مدارسها ، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم ، وبخاصة في الطب والفلسفة والرياضيات ، ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي (جوبرت) . . .

ثم تأسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة (بادوي) العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية -هي لغة العلم في جميع أوروبا يومئذ-، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب ، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام ، واللغة العربية ، وترجموا القرآن ، والكتب العربية العلمية والأدبية ، حتى جاء القرن الثامن ، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي على ممتلكاته فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ، ويصدرون لذلك في جميع الممالك الغربية ، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد الإسلامية فيشترونها من أصحابها الجهلة ، أو يسرقونها من المكتبات العامة ، التي كانت في نهاية

الفوضى ، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم ، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبية ، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر (٢٥٠) ألف مجلد ، وما زال هذا اللعدد يتزايد حتى اليوم[١].

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م ، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات من الشرق ، وأديانه وحضارته ، وما تزال تنعقد حتى هذه الأيام.

أهداف الاستشراق ووسائله :

تنقسم أهداف المستشرقين في جملتهم من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام[٢]:

١- هدف علمي مشبوه ، ويهدف إلى التشكيك بصحة رسالة النبي محمد ﷺ ، ومصدرها الإلهي إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله ، وإنما هو ملفق عندهم من الديانتين اليهودية والمسيحية ، ثم التشكيك في صحة الحديث النبوي الشريف ، وقيمة الفقه الإسلامي ذلك التشريع الهائل الذي لا يماثله تشريع آخر في كل العصور . . .

٢- هدف ديني سياسي ، ويهدف إلى تشكيك المسلمين بنبيهم وقرآنهم وشريعتهم ، وقيمة تراثهم الحضاري ، وإضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ،

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٤٧٦) .
(٢) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٤٨٠-٤٨٣) .

ومُـثُـل عليا . . . ثم إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف الأقطار ، عن طريق إحياء القوميات والعصبيات والتفرقة وحربهم على الوحدة والأخوة . . .

٣- هـدف علمي خـالـص ، مقصده البحـث والتمحيـص ، وهـذا الصنف قليل جداً ، وهو مخلص للبحث والحقيقة ، إلا أنه لا يخلو من أخطاء للجهل باللغة ، وتاريخ الإسلام ، وطبيعة مجتمع المسلمين .

وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاثة في أهدافها ، وأقلها خطراً . . .

ومن بين هؤلاء البحّاثين لوجه الحق من يعتنق الإسلام ، ويدافع عنه في أوساط الغربيين كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان (دينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجبه الإسلام وتعاليمه السامية ، فأعلن إسلامه ، وتسمى باسم (ناصر الدين دينيه) ، وألّف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ ، وله كتاب -أشعة خاصة بنور الإسلام- بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله . . .

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم :

استخدم المستشرقون أساليب ووسائل بغية تحقق أهدافهم الخبيثة ، ونشر أبحاثهم لبثّ آرائهم وأفكارهم بين أفراد الأمة الإسلامية ، فيما يلي نذكر منها :

١- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه وأكثرها محرّف بتعمد ، وعن قصد رخيص .

٢- إصدار مجلات خاصة عن الإسلام في بحوثهم عن شعوب، وبلاد المسلمين وأوضاعهم.

٣- إرساليات التبشير لمزاولة الأعمال الإنسانية ظاهراً كالمستشفيات، والجمعيات، والمدارس، والملاجىء، وغيرها.

٤- إلقاء محاضرات في الجمعيات، والجامعات، وأبرزهم كان يخطب في جامعات المسلمين لتشويه وتسميم أفكار أبناء الأمة، والمثقفين منهم خاصة.

٥- نشر المقالا في صحفهم كما تم شراء بعض صحف لنشر سمومهم فيها، وعقد المؤتمرات الخاصة بذلك باستمرار.

٦- إنشاء موسوعة - دائرة المعارف الإسلامية - بعدة لغات، وكتبها أشدهم عداءً وحقداً على الإسلام وتراثه، وكلها مملوءة بالأباطيل كما هي مرجع كبير لمثقفينا، وحجة لديهم، وإن هذا من مظاهر جهل هذه الأمة[١].

المخططات اليهودية :

لجأ اليهود - قاتلهم الله - إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر والدهاء... سعياً لما تصبو إليه آمالهم وأهدافهم من بسط نفوذهم في الأرض، ومد سلطانهم في العالمين...

وطريقهم إلى تحقيق السيطرة على العالم مخوفة حقودة لئيمة

---

(١) للمزيد راجع كتاب: «الاستشراق والمستشرقون» (ص٢٣) وقارن بكتاب «المبشرون والمستشرقون» (ص١٤).

منكرة ، كما رسمتها مناهج المرحلية والعملية في بروتوكولاتهم ، فهي تعتمد أساساً على تقويض أركان المجتمع العالمي ، وبث عناصر الانحلال والفساد ، تعبث في خلاله ، وتستشري في كيانه ، وإشاعة الفوضى الاجتماعية الغامرة تسري في أوصاله حتى إذا تداعت قيمه ، وفقد مقومات حياته ووجوده تهاوى خائراً مستسلماً لفكر يهود ، ومخططات يهود .

لقد انبعث اليهود من غمار الفوضى التي يتردى فيها العالم ، ومن خلال الصراع الذي تمنى به الإنسانية . . . ليمسكوا بزمام البشر ، ويقيموا في العالم دولة عالمية تضم أطراف الدنيا ، يكون قوامها من طبقتين :

الطبقة الأولى : اليهود، وهم شعب الله المختار ، يتربعون على عرش السيادة ، وفي يدهم صولجان الحكم ، وسلطان السياسة ، ومقاليد التسيير لهذا العالم.

أما الطبقة الثانية : فهي الشعوب غير اليهودية ، وهم طبقة العوام التي ينبغي أن تكون لهم خدماً وعبيداً ، لأن أعراقها دون عرق اليهود منزلة ، وكرامة ، وذكاء . . .(١) .

وهذه العقيدة اليهودية التي تقوم على عنصرية شعب الله المختار هي عقيدة قديمة ما برحت تجول في أفكار اليهود منذ العصور اليهودية الأولى ، ويتناقلونها جيلاً عن جيل في كتمان شديد ، وحذر بالغ ، خوراً وقصوراً وتحيناً للفرص ، ويعملون لها صابرين متحفزين حذرين ، لا يفتأ أحبارهم وحاخاماتهم يوقدون جذوتها آناً فآناً ، فلا

---

(١) انظر : «أساليب الغزو الفكري» (ص١٤٩-١٥٠) بتصرف .

تخبو بين جوانحهم وتفتر ، ولا تتلاشى في أذهانهم وتضمر[1] .

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي دعا (هرتزل) اليهودي لعقد المؤتمر اليهودي الأول عام ١٨٩٧ بمدينة (بال) بسويسرا ، وكانت مقرراته هي الدستور العلمي لهذه المرحلة من المخططات اليهودية ، ثم حدّد هرتزل في كتابه «الدولة اليهودية» بقعة فلسطين باعتبارها أرض الميعاد ، ومبعث أنبياء بني إسرائيل ، وقد عمل اليهود على تحقيق مخططهم في خطوات ، ومراحل زمنية يتم من خلالها استيعاب أطراف أرض الميعاد التي تشمل المناطق الممتدة من النيل إلى الفرات ، وتضم : إقليم الوجه البحري من مصر ، وسيناء ، وفلسطين . وشطر العراق الغربي ، وسورية ، ولبنان ، وبادية الشام ، والأردن ، وشمال الحجاز حتى المدينة المنورة . . .

وفي عام ١٩٤٨ أعلن اليهود -بالتواطؤ مع الدول الكبرى- قيام دولة إسرائيل ، وقال بن غوريون حين ذلك : (إن الصهيونية قد حققت هدفها في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقاً عليه ، وبفضل قوات «الهاجاناه» وليست هذه نهاية كفاحنا ، بل إننا اليوم قد بدأنا . وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات ، ويعني بن غوريون أن الدولة (إسرائيل) قامت على مساحة أكبر مما منحتها مشروعات التقسيم لفلسطين بين العرب واليهود . . .

وقد استمرت إسرائيل في الإعداد لتحقيق توسعها ، واستغلت انشغال

---

(١) انظر : «الشباب المسلم في مواجهة التحديات» (ص٦٥) .

الدول العربية عنها، وأحياناً التواطؤ معها... حتى تمكنت من احتلال (سيناء، والجولان، وجميع أراضي فلسطين).

ومن مخططاتهم يقول اليهود في بروتوكولاتهم: (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان، فتسهّل سيطرتنا، إن «فرويد» منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه).

ومن أقوالهم أيضاً: «يجب علينا أن نكسب المرأة فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام، وتبدد جيش المنتصرين للدين»[١].

واليهود هم الذين تبنّوا آراء (نيتشه) الذي ألغى الأخلاق، وأباح للإنسان أن يفعل ما يؤدي إلى استمتاعه...

وجاء في البروتوكول السابع: «يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير اليهودية، عن طريق ما يسمونه الرأي العام، الذي هيأناه عن طريق أعظم قوة، وهي الصحافة التي توجد كلها في قبضتنا»[٢].

وجاء في البروتوكول التاسع: «وقد تمكنا من تضليل غير اليهود، وإفسادهم خلقياً، وحملهم على البلادة عن طريق تعليم المبادىء التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيحائنا بها».

(١) انظر: «الشباب المسلم في مواجهة التحديات» (ص٩٢).

(٢) «الشباب المسلم في مواجهة التحديات» (ص٩٩).

وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة ١٩٠٠م قولهم : (إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود) .

وجاء في البروتوكول الثالث عشر : «ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ، وهلم جراً . . . ، وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن ، والرياضة ، وما إليها . . . إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعه معنا لسبب واحد ، هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة . . .» .

ومما يؤكد محاربة اليهودية للأديان قولهم في البروتوكول الرابع عشر : «عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا . . . من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد . . .» .

ومن هذه المنطلقات نجد أن اليهود وضعوا نصب أعينهم أهداف مخططة[1] بعيدة المدى ، تنحصر بالسيطرة الكاملة على العالم من جميع النواحي الفكرية والإقتصادية والسياسية والعسكرية عسى أن يعي الناس الحقيقة ، ويتوحّدوا في حرب يهود لتضرب عليهم الذلة والمسكنة في العالم من جديد . . . وما ذلك على الله بعزيز .

(١) المصدر السابق (ص٦٨-٧٢) .

القومية مؤامرة خبيثة وخنجر مسموم :

تزعّم حركة القومية العربية وقادها بعض المثقفين المسيحيين الذين لم تكن تربطهم بالأتراك رابطة العقيدة والدين المبين ، ورابطة الإخاء الإسلامي ، وكانوا مثقفين بالثقافة الغربية التي تقوم على تمجيد القومية . وكان من زعمائها الأولين الدكتور فارس نمر ، وإبراهيم اليازجي ، والأستاذ نجيب العاذوري اللبناني .

يقول الدكتور يوسف خليل : «ومما يميز الحركة القومية العربية الدور البارز الذي قام به المسيحيون في تدعيمها وتقويتها واختفاء النزعة الدينية تماماً من المفهوم العربي» .

لقد أصبح المسلمون فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمة في الشرق العربي ، التي يتوقف مصيرها على انتشار فكرة القومية العربية ، وحلولها محل الدين الإسلامي ، والتي تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مركز الزعامة والقيادة ، والتوجيه في العالم العربي .

وتستطيع أن تفصل بها العرب عن بقية العالم الإسلامي الذي لا ترتبط به هذه الأقلية عقيدة وعاطفة وتاريخاً .

ولا يزال (ميشيل عفلق) -المسيحي ولادة- مؤسس حزب البعث العربي ورئيسه ، فيلسوفها الأكبر في الشرق العربي[١] .

لقد وضع المفكرون من غير المسلمين فلسفة القومية العربية بمكر ودهاء . واستخدموا في إعدادها لباقتهم الفائقة فمنحوها منهجاً علمياً ،

(١) انظر : «الخطر الأكبر على العالم العربي» (ص٢٥-٢٩) .

وجمعوا في هذه الفلسفة ما يحمل تأثيراً خلاباً على ذهن الشاب العربي المثقف (الذي تجيش في قلبه عواطف الاستعلاء) وتتضح هذه اللباقة بهذه العبارة المقتبسة من كتاب «في سبيل البعث» لميشيل عفلق الذي يعتبر ميثاق هذه الحركة : «إن تأجيل ظفر الإسلام طوال تلك السنين كان يقصد أن يصل العرب إلى الحقيقة بجهدهم الخاص ، وكنتيجة اختبارهم لأنفسهم وللعالم ، وبعد مشاق وآلام ويأس وأمل وفشل وظفر (أي أن يخرج الإيمان ، وينبعث من أعماق نفوسهم) ، فيكون الإيمان الحقيقي الممتزج مع التجربة ، المتصل بصميم الحياة ، فالإسلام إذن : كان حركة عربية ، وكان معناه تجديد العروبة وتكاملها» .

ويقول: «إذن ، فالمعنى الذي يفصح عنه الإسلام في هذه الحقبة التاريخية الخطيرة ، وفي هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التطور ، هو أن توجه كل الجهود إلى تقوية العرب وإنهاضهم ، وأن تحصر هذه الجهود في نطاق القومية العربية» .

لماذا نعارض القومية العربية ؟

إن المخاوف من الشبهات التي ليست بدون أساس ، والتي تبررها المقتطفات السابقة ، والنماذج المذكورة هي التي تحمل على معارضة حركة القومية العربية ، إن الذين يراقبون التطورات والنتائج المترتبة عليها وآثارها البعيدة والذين يعتبرون العرب رصيد الدعوة الإسلامية ورأس مالها ، والبلاد العربية معينها وملجأها الأخير ، ويعرفون حقيقة المفهوم الغربي للقومية ، والذي يتعارض مع الدين ، بل هو بديل له أو ند له ، وتمهيد للادينية والإلحاد ، يقلقهم النظر إلى هذه الظروف

السيئة ، ويضطربون ويتململون ، ولا يهدأ لهم بال ، ولا يقرّ لهم قــرار .

إن الحركة القومية لأي بلد عربي أدهى وأمر من كل حركة أخرى للقومية ؛ لأن من شأن هذه الحركة أن تحملهم على احترام الجاهلية القديمة ، وتمجيد الآباء والأمجاد في الجاهلية ، أو على الأقل تقل من كراهيتها في قلوبهم وتمنع من الاستهانة بها .

وجاء في أسلوب القران الكريم أنه إذا أراد أن يبرز كراهية أي عمل وقبحه ، أو شناعة أي اتجاه فكري وخلقي يصور وخامته ، ينسبه إلى الجاهلية الأولى فيقول : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾[2] .

ويخشى كذلك من هذه الدعوة أن تتضاءل فيها كراهية صناديد الكفر الذين شاقّوا الرسول ﷺ ونصبوا العداء له ولدعوته ، ويُعْتَبَرون أبطالاً وعماليق العصر الذي سبق الإسلام .

لقد شوهد في السنوات الأخيرة في القوميين العرب اتجاه إلى ذلك فقال بعضهم : إن المؤرخين المسلمين قدموا صورة قائمة للعهد الجاهلي أكثر مما كانت ، وبدأ بعض الكتّاب يدافعون عن العهد الجاهلي ، ويحسنون صورته ، وتجري في وزارة التعليم والتربية والدوائر العلمية في بعض الدول العربية حركة استخدام تعبير (عهد ما قبل الإسلام) أو العرب القدماء بدلاً من العصر الجاهلي أو الجاهلية .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٤ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٠ .

وإذا سارت حركة القومية العربية مسارها الطبيعي أو تقدمت ولم يظهر أي رد فعل لها أو لم يوضع حد لها فلا يبعد ذلك اليوم الذي يبدأ الكتّاب فيه الدفاع عن (أبي جهل ، وأبي لهب) ، ويبررون مواقفهما ، وينظرون إليهما كأبطال العرب وعظمائهم ، بالنظر إلى بعض شمائلهما العربية .

وكان من تاثير حركات القومية المباشر ، وأثر القادة والأدباء والمؤلفين المسيحيين القوميين ، تضاؤل الكراهة من الكفر ، وأهل الكفر ، وزوال الاشمئزاز منه في النفوس ، وحلَّت محلها كراهية تلك الدول الإسلامية غير العربية ، والشعوب التي تعارض هذه القومية أو تقع في كتلة أخرى ، وقد تجلّى هذا الإنحياز في أبشع مظهر بموقف (جمال عبدالناصر) خلال قضية قبرص فأيد اليونانيين المسيحيين ، وساندهم عسكرياً مقابل الأتراك المسلمين ، كما أيدّ الدول الإفريقية التي قامت بسفك دماء المسلمين في بلادها بوحشية وبربرية وإبادتهم(١) .

إن هذه الأسباب اللامعة ، والدلائل القاطعة التي لم تعد مخاوف أو أخطاراً ، وإنما هي حقائق ووقائع ، تدعو أهل العلم والفكر إلى أن يحترزوا عن تأييد القومية العربية أو يحترسوا فيه ، أو أن لا يقولوا كلمة خير في صالح أي قائد أو زعيم من قادتها ، بل يجب عليهم إذا لزم الأمر أن يفنّدوها ، وينبهوا إليها ليؤدوا أدنى الواجب الديني الذي نيط بهم عبء إبلاغه وبيانه للناس .

---

(١) انظر : «الخطر الأكبر على العالم العربي» (ص٣٤-٣٦) أبو الحسن الندوي .

المؤامرات لقطع صلة العرب بالإسلام :

واجهت جزيرة العرب والأماكن المقدسة الخطر الثالث في تاريخ الإسلام وتاريخ العرب ، عندما قام شريف مكة الحسين بن علي بثورة ضد الخلافة العثمانية ، والدولة التركية وانضم إلى الحلفاء ، وكاد يستولي الحلفاء على جزيرة العرب والأماكن المقدسة ، ويفرضون عليها نفوذهم وسيادتهم ، فيكون لهم الحكم في الشؤون الاعتقادية والفكرية فيها ، ولكن قامت لمعارضة هذه الخطوة حركة عارمة في العالم الإسلامي ، وخاصة في شبه القارة الهندية باسم حركة الخلافة ، واستطاعت هذه الحركة بقوتها وشعبيتها ، أن تحذر الحلفاء وتردعهم من هذا الإجراء الأثيم ، ومن جهة أخرى غرست هذه الحركة في نفوس المسلمين في الهند بصفة خاصة ، والملة الإسلامية بصفة عامة ، رد فعل عنيف لا يوجد له نظير في مناطق شاسعة ، ومدة طويلة ، وليس ضد الإحتلال الغربي فحسب ، بل ضد الحضارة الغربية ، والمنهج الغربي للحضارة ، وقد قيّض الله لهذه الحركة على صعيد الهند زعماء أمثال شيخ الهند (محمود حسن الديوبندي) ، والشيخ (عبد الباري الفرنجي محلى) ، وشيخ الإسلام السيد (حسين أحمد المدني) ، والمفتي (كفايت الله) ، ورئيس الأحرار (محمد علي جوهر) ، وزعيم الهند الكبير (أبو الكلام آزاد) كما قيّض الله لها قادة وزعماء وخطباء وأصحاب أقلام ومجاهدين وجنوداً نفخوا في الجيل المسلم حياة جديدة ، واستعلاء إيمانياً ، وسموا للفكر ، وكراهية للاستعمار الغربي ، والحضارة الغربية ، وبثّ روح الثورة عليها ، وفي الوقت نفسه انشغل

الحلفاء بالحَرْبَين الكونيتين ، والقضايا الداخلية الأخرى ، لم تسنح لهم بها فرصة لاتخاذ إجراء عسكري كبير أو فرض سلطة سياسية أو إدارية ، ولم تسمح لهم ظروفهم بذلك ، فاكتفوا بفرض النفوذ الفكري والتعليمي والحضاري ، واستغلال هذه الدول سياسياً واقتصادياً[١] .

ولكن الحادث الأسوأ والإجراء الأخطر الذي اتخذته الدول الغربية ، وخاصة بريطانيا هو قيام إسرائيل واحتلالها للمساحة الكبرى من أرض فلسطين ، واستيلاؤها على المسجد الأقصى ، والذي يبعث على قلق دائم ، ويسبب شقاء مستمراً ليس في العالم العربي بل في العالم الإسلامي كله ، وينذر بأخطار ، ويثير مخاوف بعيدة المدى ، ويشكل خطراً دائماً لسلامة المنطقة ، وترجع المسؤولية الكبرى لهذه المحنة إلى جامعة الدول العربية ، ثم الدول العربية في المنطقة التي لم تدرك هذه المؤامرة الخطيرة ، ولم تفهم نيات الدول الكبرى السيئة من ورائها ، وما ترمي إليه إسرائيل واليهودية والصهيونية العالمية ، وما هي أهدافها ومخططاتها ، ولم تقدر وخامة هذه الحادثة وملابساتها وانعكاساتها ونتائجها السيئة[٢] .

إن هذه الظروف التي يمر بها العالم العربي ، والوضع الناشىء من هذا الإحتلال ، ووجود إسرائيل ، والأخطار الناشئة من وجودها تقتضي رجلاً مؤمناً ومجاهداً وغيوراً وقائداً مخلصاً يمثل دور البطل الناصر لدين الله السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ويتبع خطواته إنه ليس عمل

(١) انظر : «الخطر الأكبر على العالم العربي» (ص٣٦) وما بعدها .

(٢) راجع : «بروتوكولات صهيون» و «اليهودية العالمية» - هنري فورد - .

المحترفين السياسيين ، وأدعياء القومية العربية ، وقد قال أحد المؤرخين الفضلاء ، والشاعر الكبير المفكر (خير الدين الزركلي) -رحمه الله- مخاطباً للأمة الإسلامية ، وفلسطين قبل عدة سنوات ، ويصدق قوله على الظروف الراهنة فيقول :

هاتي صلاح الدين ثانية فينا
وجددي حطين أو شبه حطينا[١]

إن الوضع السائد اليوم يدل على أن الصليبين واليهود والصهيونيين غيّروا استراتيجيتهم في ضوء تجاربم الماضية ، فبدلاً من فتح الدول العربية المجاورة عنوة بصورة مباشرة اتخذوا استراتيجية تسخير دعاة القومية العربية ، وخاصة المرتبطين بالبعث العربي ، والمغرمين به ، وهيّأوا لهم فرصاً ليصنعوا منهم أبطالاً يغري بهم المسلمين ، وخاصة الفلسطينيين ، ويفتنون بإعلانهم أنهم سيحررون فلسطين ، وبذلك يكسبون ودّهم وتأييدهم ، وتتاح لهم فرصة التوغّل إلى مركز الإسلام ، والتمكن من مسخ الذهن العربي ثقافياً وفكرياً ، وإعادة العرب إلى الجاهلية الأولى بتوهين الكيان الديني ، وزحزحة العقيدة ، وبالتالي سقوطهم إلى جاهليتهم العربية الأولى ، وهو الحلم الذي يراود قادة الدول الغربية المسيحية واليهودية منذ قرون .

إنه لمخطط رهيب ودقيق ، خفي وعميق ، يحتاج فهمه إلى ذكاء وحس مرهف ، وبصيرة نافذة من رجال العالمين العربي والإسلامي ، وفراسة إيمانية كذلك كما يحتاج إلى معرفة واسعة ، ودراسة عميقة

---

(١) المعركة الحاسمة التي انتصر فيها صلاح الدين على أوروبا وفتح القدس .

للتاريخ ، وفق الله في هذا الوضع الخطير الحاسم قادتنا الدينيين ، والزعماء السياسيين ، وقادة الفكر والمسئولين عن الإعلام ، وأصحاب النفوذ وأصحاب القلم ، وعلى الأخص الشباب المتحمسين ، ويلهمهم الهمة والسداد والفهم السليم ، ليدركوا خطورة وعمق المؤامرات المسيحية الغربية ، وأعداء الإسلام والمثقفين المعادين ، والمفكرين الإسرائيليين ، ويفطنوا لها ، ويحترزوا عن الوقوع في فخهم ، ويجعلوا هذه الآية نبراساً لهم .

قال تعالى : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[١] .

---

(١) سورة الأعراف : آية ٥٨ .

الصهيونية

هي منظمة يهودية تنفيذية، مهمتها تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل (اليهود)، وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل ثم السيطرة من خلالها على العالم تحت ملك (ملك يهوذا) المنتظر.

سميت بذلك: نسبة إلى (صهيون) جبل في جنوب بيت المقدس يقدسه اليهود.

الماسونية والصهيونية:

الصهيونية قرينة للماسونية إلا أن الصهيونية يهودية بحتة في شكلها، وأسلوبها، ومضمونها، وأشخاصها، في حين أن الماسونية يهودية مبطنة تظهر شعارات إنسانية عامة، وقد ينطوي تحت لوائها غير اليهود من المخدوعين والنفعيين[١].

كما أن الصهيونية حركة دينية سياسية معلنة تخدم اليهود بطريق مباشر، فهي الجهاز التنفيذي الشرعي والرسمي لليهودية العالمية، في حين أن الماسونية حركة علمانية إلحادية سرية، تخدم اليهود بطريق غير مباشر، فهي القوة الخفية التي تهيء الظروف والأوضاع لليهود.

---

(١) انظر كتاب: «اليهودية والنصرانية» أحمد عبدالغفار عطار.

تاريخها ونشأتها :

الصهيونية كالماسونية ليست وليدة هذا العصر فقد مرت بمراحل كثيرة منذ القرون الأولى قبل ظهور المسيحية وبعدها ، وقبل ظهور الإسلام وبعده ، وكانت مراحلها الأولى مهمتها تحريض اليهود على الانتفاض ، والعودة إلى أرض فلسطين ، وبناء هيكل سليمان ، وتأسيس مملكة إسرائيل الكبرى ، وحوك المؤامرات والمكائد ضد الأمم والشعوب الأخرى .

أما الصهيونية الحديثة : فقد بدأت نواتها الأولى عام ١٨٠٦م حين اجتمع المجلس الأعلى لليهود بدعوة من نابليون (لاستغلال أطماع اليهود وتحريضهم على مساعدته) ثم حركة (هرتزل) اليهودي التي تمخضت عن المؤتمر اليهودي العالمي في (بال) بسويسرا عام ١٨٩٧م ، والذي قرر فيه أقطاب اليهود ما يسمى بـ (بروتوكولات حكماء صهيون)، وهو المخطط اليهودي الجديد للاستيلاء على العالم .

ومن هذا المؤتمر انبثقت المنظمة الصهوينة الحديثة التي نتحدث عنها الآن[١] .

إن المنظمة الصهيونية في جوهرها حركة يهودية خالصة ، وقد أخذت أهدافها جانبين : ديني وسياسي[٢] .

---

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٣٨٤) .

(٢) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص٥٩) وما بعدها .

الجانب الديني يتلخص فيما يلي :

١- إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين) .

٢- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية ، والإلتزام بأحكام الشريعة اليهودية .

٣- إثارة الروح القتالية بين اليهود والعصبية القومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى .

أما الجانب السياسي فيتلخص فيما يلي :

١- محاولة تهويد فلسطين (أي جعلها يهودية داخلياً) ، وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين ، وتنظيم هجرتهم وتمويلها ، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني ، وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين (وهي عبارة عن مجمعات سكنية حديثة كاملة المرافق تمولها الصهيونية من تبرعات اليهود والدول الموالية لهم في العالم) ، وتوطيد الكيان اليهودي الناشىء في فلسطين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً .

٢- تدويل الكيان الإسرائيلي في فلسطين عالمياً ، وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود إسرائيل في فلسطين وشرعيتها ، وضمان تحقيق الحماية الدولية لها ، وفرضها على العالم ، وعلى المسلمين على وجه الخصوص ، لذلك نجد أن الصهيونية تقوم بدور رئيسي في دفع أمريكا وروسيا ، وأكثر دول أوروبا لحماية إسرائيل سياسياً وعسكرياً ، ودعمها اقتصادياً وبشرياً ، فبالرغم من أن أمريكا ودول أوروبا دول

نصرانية وبالرغم من أن روسيا شيوعية تحارب الأديان، وأن شعوب هذه الدول تكره اليهود بحق إلا أنها لا تزال تحمي دولة إسرائيل وتدعهما بكل ما تملك من قوة مادية وعسكرية ومعنوية، وما ذاك إلا بتأثير الصهيونية الواضح[(١)].

٣- متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية السياسية والاقتصادية خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلامياً، وتمويلها اقتصادياً، ودعمها سياسياً.

٤- توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراداً وجماعات، ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود، وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم الخبيثة[(٢)].

---

(١) «مؤامرة الصهيونية على العالم» أحمد عبدالغفار عطار.

(٢) «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص٦٠).

الماسونية

هي منظمة يهودية سرية، تعمل في خفاء على تحقيق مصالح اليهود الكبرى، وتمهد لقيام دولة إسرائيل العظمى .

والماسونية -هي كلمة خدّاعة توهم السامعين بأنها مهنة شريفة- نسبة إلى مؤسسي المنظمة واسم الواحد منهم باللغة الأجنبية (free mason) أي: (البنّاء الحر)، والذي يزعمون أنه سيبني هيكل سليمان، وهو رمز سيطرة اليهود -بزعمهم- على مقاليد العالم، وقد كان شعارها، وإمعاناً في إخفاء أهدافها اليهودية هو (الحرية والإخاء والمساواة) .

وتحت شعار الحرية: تحارب الأديان غير اليهودية، وتنشر الفساد والفوضى .

وتحت شعار الإخاء: تحارب التخفيف من كراهية الشعوب الأخرى لليهود .

وتحت شعار المساواة: تنشر الفوضى الاقتصادية والسياسية، وتحرض على اغتصاب حقوق الناس، وأموالهم، وأعراضهم، وتروّج للشيوعية والاشتراكية .

حقيقة الماسونية :

يجمع الباحثون والكتّاب المحققون على أن الماسونية منظمة يهودية

في أصلها ونشأتها وفي نظمها وأساليبها ، وفي أهدافها وغاياتها ، ولا ينكر هذه الحقيقة إلا بعض المغفلين أو الماكرين الذي ينتمون إليها .

وما يدل على أن الماسونية منظمة يهودية ، اشتمال طقوسها على الكثير من التعاليم اليهودية بنصها ومضمونها ، واعتراف اليهود في كتبهم وصحفهم وغيرها بأنها منظمة يهودية ، واعتزازهم بخدمتها لهم[(١)] .

وقد جاء في بروتوكولاتهم قولهم : «إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا»[(٢)] .

وقولهم : «الأصل في تنظيمنا للماسونية التي لا يفهمها أولئك الخنازير من الأميين ، ولذلك لا يرتابون في مقاصدها لقد أوقعناهم في كتلة محافلنا التي لا تبدو شيئاً أكثر من ماسونية كي نذر الرماد في عيون رفقائهم»[(٣)] .

نشأتها ومؤسسوها :

يختلف المؤرخون في البداية التاريخية للماسونية ، ويرجع هذا الاختلاف إلى تقلبها ، وتغير أسمائها ، وأساليبها ، حسب مصالح اليهود وأغراضهم ، وحسب تغير الأمم والشعوب ، والديانات والعصور ، فهي في كل عصر وفي كل أمة تأخذ شكلاً يخدم أغراض اليهود وأهدافهم ، وهي على امتداد تاريخها الطويل كانت تنشط

(١) للمزيد راجع كتاب : «الماسونية منشئة ملك إسرائيل» محمد علي الزعبي ، وكتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٣٤٧) .

(٢) انظر : «الخطر اليهودي» (ص١٣١) .

(٣) انظر : «الخطر اليهودي» (ص١٥٩) .

وتعمل في الخفاء ، لذلك لم يستطع أحد الجزم بتحديد بدايتها ، إلا أن أغلب الباحثين يرجح أنها تأسست في القرن الأول الميلادي أي حوالي سنة ٤٣م، أسسها كبار زعماء اليهود آنذاك ، وعلى رأسهم ملكهم (هيردوس الثاني) لقصد الحد من انتشار النصرانية التي بدأت آنذاك تنتشر ، ويكثر أتباعها ، وسميت في ذلك الوقت القوة الخفية ، وقد عملت على محاربة النصرانية ، ومطاردة أتباعها ، وأهم من ذلك أنها استطاعت أن تغير في المعتقدات النصرانية ، وتحرف الأناجيل والتشريعات ، إمعاناً في إفساد الديانة الجديدة وتقويضها .

نشاطها عبر التاريخ :

لقد بذلت الماسونية جهدها من أجل ايجاد الوسائل للوصول إلى النصارى ، وتحريف أناجيلهم ، وتغيير معتقداتهم ، والشريعة التي جاء بها عيسى عليه الصلاة والسلام إلى التنكيل بأصحابها وأتباعها بالقتل ، والطرد والحبس إلى غير ذلك من الأساليب المعروفة عن اليهود ، وذلك طيلة القرون الأربعة الميلادية الأولى .

ثم ما لبثت أن اختفت أخبارها من الأحداث التاريخية ، وإن لم ينقطع نشاطها ، وفي أول الإسلام لم نجد للماسونية شكلاً معروفاً كما هو اليوم ، أو كما هو في أول ظهور النصرانية ، إلا أن لها آثاراً بدت في نشاط اليهود في محاولة الكيد للإسلام والمسلمين كما فعل (عبد الله ابن سبأ) حين أظهر بدعة الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكما حاول (بيان بن سمعان) ، و (طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم) اليهودي ترويج بعض الأفكار العقدية المخالفة للإسلام ،

والتي تبنتها فرقتا المعتزلة والجهمية أيضاً .

إضافة إلى إثارة اليهود للشبهات والشكوك في عقيدة الإسلام حول الوحي والنبوة والقدر .

ثم ظهرت آثار النشاط الماسوني اليهودي أيضاً فيما بعد القرن الثالث الهجري ، حين نشطت الفرق التي نشأت على الأفكار والدسائس اليهودية كالإمامية الرافضة ، والقرامطة ، والفاطمية ، والإسماعيلية ، وسائر الفرق الباطنية ، والاتجاهات الفلسفية ، والطرق الصوفية الغالية .

وفي القرون المتأخرة ظهرت الماسونية بشكل واضح حين غيّرت شكلها وأساليبها ، بما يساير التغيّر الفكري والسياسي والأخلاقي الذي طرأ على العالم حين ضعف المسلمون -مع الأسف- بتخليهم عن دينهم ، وقوي غيرهم بالأخذ بأسباب الحياة المادية ، ففي ظل الظروف المستجدة ظهرت الماسونية الحديثة عام ١٧٧٠م[1] .

ومنذ هذا التاريخ رسم اليهود للماسونية الحديثة مخططها ، وأساليبها الجديدة التي تناسب المتغيرات الجديدة للأمم والشعوب ، وتنسجم مع الأهداف اليهودية المرسومة حديثاً . . .

أهداف الماسونية في العصر الحاضر ومخططاتها :

سبق أن ذكرنا أن الماسونية مؤسسة يهودية عالمية تخدم المصالح الكبرى لليهود على النحو التالي[2]:

---

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص٥٠) وما بعدها .

(٢) راجع كتاب: «أسرار الماسونية» جواد رفعت اتلخان .

١- تأسيس جمهوريات عالمية لا دينية : تكون تحت تحكم اليهود ليسهم تقويضها عندما يحين موعد قيام (إسرائيل الكبرى) .

٢- محاربة الأديان القائمة : (غير اليهودية) وتشجيع وحماية الدول الإلحادية ، ويقصدون بالأديان هنا الإسلام والنصرانية فحسب ، أما الديانات الأخرى فهم لا يأبهون بها .

٣- والهدف النهائي : إقامة دولة إسرائيل الكبرى (مملكة إسرائيل العظمى) ، وتتويج ملك لليهود في القدس يكون من نسل (داود) ثم التحكم بالعالم وتسخيره لما يسمونه شعب الله المختار اليهود .

ومن أهم الوسائل والمخططات التي تسلكها الماسونية في تحقيق أهدافها ، والتي أعلنتها في محافلها ومؤتمراتها ونشراتها على مرأى ومسمع من العالم ما يلي :

١- تجنيد الشباب في كل العالم لخدمة مصالح اليهود ، وذلك بتوفير أسباب اللهو والعبث لهم ، والانغماس في الشهوات من خلال نشاطات الجمعيات الرياضية والموسيقية واستغلال وسائل النشر والإعلام . . .

٢- الدخول في الأحزاب السياسية لتسيير الاتجاهات السياسية في العالم حسب المصالح اليهودية ، أو على الأقل لتضمن عدم مقاومتها لليهود .

٣- تأسيس وتشجيع النظريات والاتجاهات والجمعيات التي تنادي بالحرية ، لأنها أسرع وسيلة لنشر الفوضى الخلقية ، وتقويض البناء الأسري والعائلي للأمم .

٤- تأسيس وتشجيع النظريات والاتجاهات والجمعيات التي تساعد على تقويض البناء الاقتصادي العالمي ، سواء أكانت رأسمالية ربوية أم اشتراكية شيوعية .

٥- اجتذاب أكبر عدد ممكن من الأتباع للانتماء للمحافل ، والوقوع في شباكها ، خاصة أولئك النفعيين الذين يحبون الكراسي والتسلط .

وتكثيف العمل في أوساط المفكرين والأدباء من ذوي الميول الفوضوية ، وكذلك أصحاب التأثير القوي في مجتمعاتهم من كبار الساسة ، والوزراء ، والتجار ، ورجال الصحافة ، والفن ، ونحوهم .

وعليهم إذا انضموا للمحافل أن يستلهموا الأفكار والتعليمات الماسونية ، وإلا فهم مهددون بالاغتيال والسحق .

وللماسونية أساليب إجرامية للقضاء على من يحاول كشف أسرارها أو التمرد على تعاليمها مهما كانت منزلته ، ومع ذلك فقد خاب كيدهم في كثير من البلاد ، وكشف أمرهم كما حدث أخيراً في فضيحة المحفل الإيطالي الذي ثبت أنه كان وراء كثير من نشاطات الفساد والتخريب ، وأن شخصيات سياسية كبيرة كانت منضمة إليه ، وكما كتب كثيرون ممن كانوا ماسونيين كتباً كشفوا فيها كثيراً من أسرارها وأساليبها ، إلا أنها أصبحت تظهر في صور متعددة ، وراء واجهات مختلفة اجتماعية وسياسية وفكرية واقتصادية ، ومن هذه الواجهات ، جمعيات ونوادي تظهر بطابع اجتماعي إنساني ، ولكنها في الحقيقة تخفي وراءها أهداف اليهودية في تقويض الدين والأخلاق والنظم وتدمير القوى المسيطرة

على العالم ، والتحكم فيه بما يمليه الحقد اليهودي الأسود[1] .

ولن يمنعهم من تحقيق أهدافهم إلا الله ثم يقظة المسلمين وتمسكهم بدينهم ، واعتصامهم بكتاب الله وسُنة رسوله ﷺ ، واجتماعهم تحت راية التوحيد وعلم الجهاد في سبيل الله ، كما كانوا فيما مضى يوم هزموا اليهود وأذلوهم وأخرجوهم من جزيرة العرب .

---

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص٥٣-٥٤) .

الـوجـوديــة

تعريفها ونشأتها :

الوجودية : مذهب فلسفي يقوم على دعوة خادعة ، وهي أن يجد الإنسان نفسه ، ومعنى ذلك عندهم أن يتحلل من القيم وينطلق لتحقيق رغباته وشهواته بلا قيد .

والوجودية اليوم هي -كما يقول أحد المفكرين-[1] إباحة سافرة لا فرق بين من يتعاطونها ، وبين سائر الإباحيين في كل زمن .

نشأت الوجودية بصورتها الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية فقد كانت محنة الحرب ، وما تركته من الدمار ، والرعب بيئة ملائمة لظهور أفكار الوجوديين ، وتفسيراتهم التشاؤمية ، فقد شعر الإنسان الأوروبي بعد تلك الحروب المدمرة بأن هذا العالم الذي يعيش فيه عالم هش قابل للانكسار السريع ، والتحطيم المروع ، وكان العلاج في اعتقادنا لهذا الشعور المرضي الذي يشبه الغثيان على حد تعبير سارتر هو الإيمان والإسلام ، وكل هذا العلاج لا يملكه -سارتر- ، ولا غيره من فلاسفة أوروبا ، فظهر المذهب الوجودي على يد الفيلسوف الفرنسي (جان بول سارتر) في هذه البيئة .

فإذا كان الوضع النفسي للأوروبي بعد الحرب بالإضافة إلى الخواء النفسي الروحي الذي يعيشه الإنسان الأوروبي قد ساعد على ظهور

---

(١) «أفيون الشعوب» الأستاذ عباس العقاد .

الوجودية ، ونشأت من كتابات سارتر حركة وجودية بين الشباب تتلخص بالتحلل من القيم ، وانطلاق الفرد لتحقيق شهواته دون قيد ما دامت الحياة لا غاية لها في اعتقادهم ، وقابلة للانتهاء في أي لحظة[١] .

خطر الوجودية :

تعتبر الوجودية من أخطر الدعوات التي ظهرت في العصر الحديث من حيث إفسادها لطبيعة الإنسان ، وتحويله إلى حيوان بلا عقل ، ولا قلب ولا روح .

يقول سارتر : «إن ما ينبغي أن يكون عليه حياة الوجودي تلبية كل ما تدعو، إليه شهواته ، ونبذ كل التقاليد ، والتعاليم الاجتماعية ، وتحطيم القيود التي ابتدعتها الأديان . . . ثم تطليق الماضي ، وسلخ المرء نفسه منه متجهاً إلى الأمام . . . إلى المستقبل قفزاً إلى المصير المحتوم إلى الهاوية إلى الموت ، والعدم الأبدي» .

لقد دعت الوجودية إلى كرامة الفرد ، ثم جنحت إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بالقنوط والانحلال ، وقد كان من نتائج الوجودية ، وتأثيراتها على الفرد : القلق ، والتمزق ، والخوف من المجهول ، والرعب .

أخلاق الوجودية :

أما أخلاق الوجودية فهي الأخلاق المريضة القائمة على القلق ،

---

(١) «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١١٦) وما بعدها .

والقنوط والتشاؤم والرغبة في الموت ، والغموض والأنانية المفرطة ، وأشار الباحثون إلى أن الوجوجية قدمت إلى الفكر البشري أزمات الغربة ، والغثيان ، والعبث ، والتمرد ، واللامعقول .

الوجودية في البلاد الإسلامية :

لقد انتقل هذا المذهب من تلك البلاد الكافرة ، التي لا تقيم وزناً للدين أو الأخلاق ، فدخل البلاد الإسلامية فتهافتوا عليه ، وتبنوا أفكاره لما يعيشونه في خواء النفس ، وعقدة النقص ، والولع بالتقليد الأعمى لكل ما هو غربي ، حتى إن المذاهب في الغرب تموت ، ولها في الشرق دعاة يهتفون لها ، فقد تحول سارتر عن وجوديته ، ولا زال بعض أولئك بوجوديته متعلّقين[(١)] .

ومن الجدير ذكره ، أن مسألة الوجودية والماهية هي من ركام الفلسفات القديمة ، وهي نتيجة حتمية لفقدان الإيمان بالله ، واليوم الآخر وانقياد ذليل لهوى النفس والشيطان . . .

(١) المصدر السابق (ص١١٩)، وكتاب: «الوجودية» أنور الجندي .

العلمـانيــة

تعريفـهــا :

العلمانية[1] تأتي لمعان منها : العالمية ، ومنها اللادينية ، ومنها فصل الدين عن الدولة وعن السياسة أو عن الحياة .

وكلمة العلمانية اصطلاح جاهلي غربي يشير إلى انتصار العلم على الكنيسة النصرانية التي حاربت التطور باسم الدين .

إذن فالعلمانية في اصطلاح الغربيين تعني : فصل الدين عن شؤون الحياة ، وعزله في الضمير ، وفي الكنيسة .

تاريخ العلمانية في العالم المعاصر :

بـدأت فكـرة العلمـانية تغـزو العـالـم الإسـلامي مـنـذ أكثر من قرن لكنها لم تتمكن إلا في بداية هذا القرن العشرين الميلادي ، حين طبقـت على مسـتوى الـدولـة على أنقـاض الخلافـة العثمـانية ، ثم سـرت إلـى بقيــة العـالم الإســلامي ، وكـانت هناك عدة عوامل رئيسية ساعدت على ظهور الجاهلية الحديثة العلمانية بين المسلمين أهمها[2] :

١- انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة السليمة ، وكثرة البدع والأهواء ، وقلة الفقه في الدين بينهم .

---

(١) انظر : «العلمانية» الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي .

(٢) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٠٦-١٠٧) .

٢- الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي فقد حرص الغربيون على إبعاد الإسلام من واقع الحياة ، وسياسة الدولة ، واستبدلوا به مناهج علمانية غربية إلحادية .

٣- الأقليات غير المسلمة كالنصارى ، واليهود ، والشيوعيين ، وأصحاب الاتجاهات المنحرفة من جميعات وأحزاب ونحوهم ، وكل هؤلاء لا ينعمون بضلالهم وانحرافهم وفسادهم ، إلا تحت شعار كشعار ما يسمى بالعلمانية ، لذلك تضافرت جهودهم على نشرها وبثّها ، والدعاية لها حتى انخدع بذلك كثيرون من السذج ، وأنصاف المتعلمين من أبناء المسلمين .

٤- تقدم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي والقوة العسكرية ، جعل الكثير من المسلمين ينبهرون بذلك التقدم ، ويَعْزونه إلى الاتجاه الجاهلي الحديث العلماني ، وصدقوا دون تفكير مزاعم الكفار بأن الدين معوق للعلم ، وظنوا أن بلادهم لا تتقدم حتى يفصل الدين -الإسلام- عن الدولة والحياة ، وهذا لا شك جهل بالإسلام جنى ثماره النكدة جميع المسلمين .

٥- تمكّن عملاء الغرب والمخدوعين به ، وأصحاب الاتجاهات والمذاهب المنحرفة من الحكم والسلطة في أكثر بلاد المسلمين بدعم من أسيادهم .

أبرز الاتجاهات الجاهلية العلمانية في العالم الإسلامي :

١- العلمانية في تركيا :

قامت العلمانية[1] أولاً في تركيا على أنقاض الخلافة العثمانية على يد (مصطفى كمال أتاتورك)، وحاربت الإسلام حرباً عنيفة ومنظمة ، وعلى النحو التالي :

أ - إلغاء الخلافة الإسلامية ؛ لأنها وسيلة لجمع المسلمين كلهم ، وهذا أمر يشكل خطراً على الغرب ، وتحاربه الجاهلية الحديثة العلمانية .

ب - محاربة الإسلام ، والمظاهر الإسلامية في تركيا ، وسائر بلاد المسلمين ، وتربية جيل جاهلي بتنكّر للدين والفضيلة .

جـ - محاربة اللغة العربية - لغة الإسلام - وتحريم التكلم بها والكتابة بحروفها ، واستبدال اللغة التركية والحروف اللاتينية بها .

د - إلغاء الشعائر الإسلامية التي ترمز إلى إسلام الشعب التركي مثل :

الآذان ، والصلاة جماعة ، وقراءة القرآن ، ولبس العمامة ، ونحو ذلك .

وهكذا سارت تركيا بهذا الاتجاه تريد العزة والرفعة والمجد ، فأصابها الله بالذلة والهوان والضعف ، وتلك سنة الله في المسلمين ؛ فإنهم ما طلبوا العِزة بغير الإسلام إلا نكبوا وذلوا ، وأما الكفار فقد قال

---

(١) انظر : «تهافت العلمانية» عماد الدين خليل .

الله تعالى فيهم : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1] .

٢- العلمانية في مصر ، وبعض البلاد العربية :

بدأت العلمانية في مصر اتجاهاً فكرياً في الثلاثينات من هذا القرن العشرين الميلادي ، خاصة أيام الاحتلال البريطاني ، وقد خطت مصر خطوات نحوها آنذاك ، وبرز دعاة إليها في كثير من جوانب الحياة أمثال :

أ - قاسم أمين في الجانب الأخلاق والأسري .

ب - الدكتور طه حسين في جانب الثقافة والأدب والفكر .

جـ - الشيخ علي عبدالرزاق في الجانب السياسي والتشريعي .

وغيرهم كثيرون كسلامة موسى ، وسعد زغلول ، ولطفي السيد ، وبالرغم من هذه الاتجاهات القوية نحو الجاهلية الحديثة إلا أنها لم تكن ذات تأثير في واقع الشعب المصري ، والدولة المصرية إلا بعد الثورة التي قادها الرئيس عبدالناصر عام ١٩٥٢م ، والتي تبنت في واقع الشعب ما يسمى بالعلمانية ، وأقامت عليها الدولة ، ومن أهم الخطوات التي حققتها هذه الثورة في سبيلها ما يلي :

أ - الإشادة بالقومية العربية باعتبارها بديلة عن الإسلام في جمع كلمة العرب .

---

(١) سورة هود : آية ١٥-١٦ .

ب - تبنّي الاشتراكية باعتبارها نظاماً اقتصادياً بديلاً عن أحكام الإسلام وتشريعاته، وإبرازها بأنها هدف سام من أهداف الدولة والشعب .

ج - البحث عن بدائل ثقافية وفكرية وعقائد للشعب المصري، كالفرعونية بدلاً من الإسلام، والبحث عن بذور الجاهليات الأولى لتكون مرتكزات جديدة للمصريين .

د - تحويل حماس الشعب والأمة عن الجهاد في سبيل الله، إلى نضال في سبيل القومية والاشتراكية والعروبة .

هـ - استبعاد التشريع الإسلامي من الحياة، ووضع الميثاق كبديل عنه ليكون الميثاق المصدر الأساسي للتشريع والتوجيه في الدولة، ثم تلته قوانين وضعية لا تزال هي السائدة حتى الآن .

و - تصدير الثورة بما تحمله من علمانية واشتراكية وشعارات غير إسلامية، إلى الدول العربية والعالم الثالث، وهذا ما حصل فعلاً، كما مهدت لقيام شعارات جاهلية أخرى كالبعثية .

وبهذا ترسّخت العلمانية في مصر، وبعض الدول العربية التي سارت في التيار الجاهلي العلماني الوافد .

وكذلك بقية العالم الإسلامي في آسيا وأفريقيا، رسّخ المحتلون فيه هذا الاتجاه حتى صار هو صبغة الشعوب الإسلامية الآن[١] .

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٠٨-١١٠) .

حكم الإسلام في العلمانية :

يرى علماء العقيدة حكم الإسلام فيما يسمى بالعلمانية على النحو التالي :

١- إذا وقع الحكم بغير ما أنزل الله تعالى ، والحاكم سواء كان فرداً أو مجموعة ، يرى أن حكم الله غير صالح أو غير جدير ، أو أن الحكم البشري أصلح وأكمل من حكم الله ؛ فهذا كفر .

وإذا وقع ذلك عن جهل أو ضعف مع اعتقاد أن حكم الله أصلح وأحق وأجدر ، فهذا فسق وظلم ، ويجب على المسلم أن يتوب منه ، وأن يرجع إلى الله .

٣- العلمانية في تونـــس :

تظهر العلمانية في البلد الشقيق تونس بوضوح ، حيث عَـبّرت جريدة فرنسية عن ذلك في مقال نشرته في الفصل المعنون ، بين العرب والإسلام ٢٩ يناير ١٩٥٨م(١):

لقد وضع السيد الحبيب بورقيبة حداً لتعدد الزوجات ، كان ذلك في عـام ١٩٥٨م ، ثـم منـع تعـدد الـزوجـات بتـاتـاً ، والطـلاق الانفـرادي والاستبداد الزوجي ، وجعل قبول الزوجين معاً إجبارياً . هذا التحرير العائلي يتضاعف بتحرير سياسي واجتماعي ، والنساء منذ الآن ناخبات ومنتَخَبات ١١ مستشارة بلدية انتخبن في السنة الماضية يدخلن في جميع الوظائف ، ويوجد من بينهن فعلاً نحو مائة في التعليم ، و١٥٠٠

(١) «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» (ص١٥٨-١٥٩) .

في الإدارات ، و٧٠٠٠ في المشاريع المختلفة .

إن تونس في هذا الميدان تظهر بمظهر الأمة المرشدة ، لقد نهجت الطريق المفتوحة من طرق تركيا الكمالية ، فالتطور في تونس ذو إحساس دقيق بصفة خاصة ، فالحجاب أخذ يقل خصوصاً عند الفتيات . وظهور الأزواج في الأزقة أصبح أكثر عدداً ، ويزداد يوماً عن آخر جلوس الرجال والنساء جنباً إلى جنب في الاجتماعات السياسية ، وفي النوادي - حيث المعارضة أقوى - تجد التقدم أقل سرعة[١] .

إن (بو رقيبة) و- خلفائه - لم يحاول أن يفرض هذا التطور بل إنه يفضل أن تسقط هذه الخرقة الشنيعة من ذات نفسها ، وهو يدافع عن نفسه أيضاً ضد اللادينية ، وبالأحرى إنه يريد الانفصال عن الإسلام ، ولكنه يبذل جهده للتوفيق بين الحضارة العصرية الضرورية ، والتقاليد الدينية .

ومهتم بالتدليل على أن إصلاحاته إذا كانت لا تحترم دائماً النصوص الحرفية للقرآن ؛ فإنها لا تعارض روحها ، وبهذا الاعتبار ؛ فإن الاتجاه التونسي أقرب لنظيره في النظام المصري منه للنظام الكمالي .

فبالنسبة للتعليم التقليدي نجد بورقيبة يقيم الدليل على نفس التحديد . بل وعلى نفس المرونة ، فقد تجنب مهاجمة الجامع الكبير - الزيتونة - وجهاً لوجه ، ولكنه منذ سنتين يجدّد بالتدريج دوره ومهامه ، ويفكر - كما قيل لي - في تحويله إلى مجرد كلية لعلم

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٧٣٤) .

اللاهوت في إطار الجامعة التونسية[١].

يقول المستشرق - ولفرد كانتول سمث -[٢] : إن العلمانية التركية التي قام بها أتاتورك في تركيا هي حركة إصلاحية إسلامية، وهكذا يجب أن يفهم الإسلام.

هذه أخي المسلم مبادىء العلمانية البغيضة، ومقاصدها الدخيلة الهدّامة التي يتشدق بها بعض أولياء الغرب المارقين، وكما لا يخفى، فقد أصبحت العلمانية الدخيلة قاتلها الله هي المهيمنة على غالب العالم الإسلامي في الحكم والتشريع والتعليم والنظام الاجتماعي والاقتصادي، ولم تبق - فيما أعلم - دولة لم تهيمن عليها العلمانية البغيضة إلا المملكة العربية السعودية - حرسها الله - وحماها من كل سوء، نسأل الله أن يوفق القائمين عليها، والمسؤولين فيها لتستمر في تطبيقها للشريعة الإسلامية كما اراد الله سبحانه وتعالى، كما نرجو الله أن يهدي المسلمين وحكامهم إلى الاقتداء بها ليعم الأمن والاستقرار في ظل الإسلام الحنيف، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣].

---

(١) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (١/ ٧٣٥).

(٢) انظر كتاب : «الله» أو «الدمار» للأستاذ سعد جمعة، وللمزيد راجع كتاب «جذور العلمانية» (ص١٠) وما بعدها، الدكتور السيد أحمد فرج.

(٣) سورة يوسف : آية ١٠٨.

الشـــورى

الشـورى هـي الأمـر الـذي يُتَشَـاور فيـه ، والتشـاور والمشـورة والمشاورة : استخراج الرأي بمراجع البعض إلى البعض ، وائتمار لقبول بعضهم أمر بعض فيما أشار به . . .

قـال الله تعـالـى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[١]، وقـولـه سبحـانـه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[٢] قال الرازي[٣] : الفائدة في أنه تعالى أمر الرسول بمشاورتهم وجوه :

الأول : أن مشاورة الرسول ﷺ إياهم توجب علو شأنهم ، ورفعة درجتهم ، وذلك يقتضي شدة محبتهم له ، وخلوصهم في طاعته . . .

الثاني : إنه عليه السلام وإن كان أكمل الناس عقلاً ، إلا أن علوم الخلق متناهية فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجه المصالح ما لا يخطر بباله . . .

الثالث : قال الحسن وسفيان بن عيينة : إنما أمر بذلك ليقتدي به غيره في المشاورة ، ويصير سنة في أمته .

الرابع : أنه عليه السلام شاورهم في واقعة أحد فأشاروا عليه

---

(١) سورة الشورى : آية ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

(٣) انظر : «تفسير الرازي» (٩/ ٦٧-٦٨) .

بالخروج ، وكان ميله إلى أن لا يخرج فلما خرج وقع ما وقع فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يدل على أنه بقي في قلبه منهم بسبب مشاورتهم بقية أثر . . .

الخامس : وشاورهم في الأمر لا لتستفيد منهم رأياً وعلماً ، لكن لكي تعلم مقادير عقولهم وأفهامهم ومقادير حبهم لك . . .

السادس : وشاورهم في الأمر لا لأنك محتاج إليهم ، ولكن لأجل أنك إذا شاورتهم في الأمر اجتهد كل واحد منهم في استخراج الوجه الأصلح في تلك الواقعة ، فتصير الأرواح متطابقة متوافقة على تحصيل أصلح الوجوه فيها . . .

السابع : لما أمر الله محمداً عليه السلام بمشاورتهم دلّ ذلك على أن لهم عند الله قدراً وقيمة ، فهذا يفيد أن لهم قدراً عند الله ، وقدراً عند الرسول ، وقدراً عند الخلق . . .

الثامن : الملك العظيم لا يشاور في المهمات العظيمة إلا خواصه والمقرّبين عنده ، وروي عن الحسن : «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم»[١] .

من المعروف أن القضايا الشرعية في فهم نص أو دليل شرعي أو اجتهاد في مسألة لا يستشار فيها إلا العلماء والفقهاء والمجتهدون وأساطين اللغة العربية ، ولا يصح إصدار حكم في مسألة خلافية إلا بعد مشورة جماعة من أهلها ، والخليفة إن كان عالماً فهو مخيّر في الأخذ بالرأي الذي يغلب على ظنه صحته ، وهو المسؤول عن النتائج .

---

(١) «تفسير الرازي» (٢٧/١٧٨) .

وإن كان لا علم له بالمسألة ، وجب عليه الأخذ برأي الشورى أي الأغلبية ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2] .

ولا أقدر من العلماء على فهم القرآن والسُّـنة .

أما الإجتهاد في مسائل جديدة أو لا خلاف فيها ، فالشورى فيها مندوبة لا «واجب» ، والخليفة مخيّر في الأخذ بها إن كان مجتهداً ، وملزم بالأخذ بها إن كان غير مجتهد خاصة ، وأنها حكم واحد لم يظهر غيره ، فإذا ظهر اجتهاد جديد وأعطى حكماً آخر للمسألة نفسها صارت الشورى واجبة ، ورأي الأغلبية ملزم للخليفة إن كان غير مجتهد ، أما إن كان مجتهداً فيبقى الرأي الأخير له في تبني أي منهما .

ومعلوم أن الأحكام الشرعية والأمور المنصوص عليها أو المجمع عليها ، لا يحتاج إلى شورى إلا من حيث أسلوب التطبيق ، ومدى انطباق الحكم على الواقعة ، وذلك في الأحكام أو الأمور التي لم يبين الشارع أسلوب التطبيق أو يلتبس يها أمر انطباق الحكم على واقعة معينة[3] .

ويرى العلاّمة «ابن القيم» أن النص على الشورى لم يكن أمراً نظرياً

---

(١) سورة الشورى : آية ١٠ .

(٢) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٣) انظر : «الرأي الصواب في تعدد الأحزاب» (ص١١٠) جواد موسى عفانة .

فقد طبّق الرسول هذا المبدأ على نفسه ، وطبّقه الخلفاء الراشدون من بعده ، فالمتتبع لحياة الرسول ﷺ يلاحظ أنه كان يستشير المسلمين في معظم الأمور إلا تلك التي كان ينزل فيها وحي من الله ، أو ينص عليها القرآن .

لقد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية في تقرير مبدأ الشورى بأحد عشر قرناً حيث لم تعترف هذه القوانين بمبدأ الشورى إلا بعد الثورة الفرنسية .

عن ميمون بن مهران قال : «كان أبو بكر إذا رد عليه الخصم نظر في كتاب الله ؛ فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب ، وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها ؛ فإن أعياه سأل الناس ، وقال أنا في كذا وكذا ! فهل علمتم أن رسول الله قضى في ذلك بقضاء فربما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه بكذا وكذا ! ؛ فإن لم يجد سنة سنّها النبي جمع رؤساء الناس فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به»[١] .

وكذلك فقد استشار الخليفة أبو بكر الصديق الصحابة في حرب المرتدين كما استشارهم أيضاً في تحريق اللوطي . . .[٢] .

وذكر الإمام (ابن القيم) أن عمر بن الخطاب كان إذا نزلت به المسألة الواحدة يستشير لها من حضر من الصحابة ، وربما جمعهم ويشاورهم حتى كان يشاور (ابن عباس) ، وهو إذ ذاك أحدث القوم سناً .

---

(١) انظر : «أعلام الموقعين» (١/ ٦٢) ابن القيم .

(٢) انظر : «روضة المحبين» (ص٣٧١) ابن القيم .

قال قتادة : «ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هُدوا إلى أرشد أمرهم»[١].

وقال ابن القيم : وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : «ما ندم من استخار الخالق، واستشار المخلوقين، وثبت في أمره»[٢].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٣].

وهكذا ؛ فإن الشورى حقيقة لا بد منها ليتصف النظام السياسي بالصفة الإسلامية، ولكن طريقة تطبيقها قد تختلف، فإذا كان الرسول ﷺ يستشير كبار الصحابة، وإذا كان الخلفاء يستشيرون الصحابة، وأهل السابقة في الإسلام، وكان هؤلاء من المجمع على صدارتهم وأفضليتهم ؛ فإن هذا لا يمنع أن يعمد مجتمع آخر إلى تنظيم الشورى، واختيار أهل الحل والعقد، بطريقة أخرى كالانتخاب مثلاً[٤].

وهكذا ؛ فإن نظام الحكم في الإسلام يقوم على الشورى والتعاون في مرحلة الاستشار؛ والسمع والطاعة في مرحلة التنفيذ، ولا تسمح قواعده إذا طُبقت تطبيقاً سليماً بتسلّط فريق على آخر[٥].

(١) انظر : «الوابل الصيب» (ص٢٠٤) ابن القيم .

(٢) انظر المرجع السابق .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

(٤) انظر : «منهاج الإسلام في الحكم» (ص٦٠) وما بعدها - محمد أسد - .

(٥) انظر : رسالتنا للدكتوراه «الإمام ابن القيم مصلحاً وأديباً» (١/٣٠٧) وما بعدها.

الديمقراطيــة

إن رابطة المبدأ هي الرابطة القوية المتينة ، وليست الرابطة القومية ولا الوطنية ، والمبدأ هو الذي ربط بين محمد العربي النبي ﷺ ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي مع أنهم مختلفوا اللغات والقوميات والأوطان والتقاليد والمبدأ ، هو نفسه الذي باعد بين محمد ﷺ ، وأبي جهل ، وأبي لهب ، والنضر بن الحارث مع أنهم من قبيلة واحدة ، وقومية واحدة ، ولهم نفس العادات والتقاليد واللغة واحدة .

والمبادىء في العالم اليوم ثلاثة : الديمقراطية الرأسمالية ، والإشتراكية الشيوعية ، والإسلام .

والمبدأ لا بدّ أن ينشأ في ذهن شخص إما بوحي الله له به ، وأمره بتبليغه ، وإما بعبقرية إشراقية في ذهن صاحبها .

أما المبدأ الذي ينشأ بوحي الله فهو المبدأ الصحيح ؛ لأنه من خالق الكون والإنسان والحياة وهو مبدأ قطعي .

وأما المبدأ الذي توحيه العبقرية فباطل ؛ لأنه ناشىء عن عقل محدود يعجز عن الإحاطة بالوجود ، ومن ناحية أخرى ؛ فإن فهم الإنسان للتنظيم عرضة للتفاوت والاختلاف والتناقض والتأثر بالبيئة

التي يعيش فيها، مما يؤدي إلى شقاء الإنسان[1]، فالديمقراطية مجموعة أفكار ومفاهيم لا علاقة لها بدين، فهي نتاج فكر علماني، بل هي أجمل وأرقى صورة تمكن الإنسان الغربي من رسمها وطبعها على حياة أفراده، فكانت حرية فكر فتحت آفاق تقدمه، وازدهاره المادي، وكانت حرية رأي صال الإنسان فيها وجال، في قراءة ومناقشة آراء كثير دون قيد ولا شرط.

فتبلورت قرارات، واتضحت أمور لم يكن من الممكن التوصل إلى حكمها لولا تلك الحرية، وهناك الكثير ممن يدعو إلى الديمقراطية المنحرفة، ويتشدّق بها على أنها المنقذ للإنسانية من أوحال الشرك والوثنية، والأفكار الصليبية الحاقدة، وشأنها شأن العلمانية، وخدام الماسونية الماكرة، وسائر أقلام الغرب المأجورة...

فتقريرهم حرية العقيدة كانت من مفاخر حضارتهم؛ فإن شئت أن تكون ملحداً كافراً؛ فأنت حرّ (فإلى جهنم وبئس المصير)، وإن شئت أن تكون مؤمناً شاكراً لله أنعمه؛ فأنت حرّ، وأجرك على الله... وإن شئت أن تكون ما شئت فتأتي بعقيدة جديدة فلا يمنعك أحد.

وتبقى العلاقة بينك وبين غيرك علاقة الإنسان المتحضر بأخيه الإنسان، تعرف ما لك فتأخذه، وتعرف ما عليك فتقدمه، وويل لمن يدوس على طرفك فحقك محفوظ، وبالصاع الجائر تأخذه أحياناً...

أما من ناحية مقدار صحة الديمقراطية مقارنة بالشورى، ونظام الإسلام ومدى صلاحها لإسعاد البشرية، فأكثر ما يقال فيها: أنها

---

(١) انظر: «الإنسان وثقافة الإنسان» (ص١٠٧) وما بعدها، سميح عاطف بتصرف.

قويمة ، وقد ثبت تقدم الغرب على أساسها دنيوياً على الأقل .

إلا أن الإسلام أقوم ؛ لأنه يأخذ بعين الاعتبار الدنيا والآخرة معاً ، ولأنه يخلو من سلبيات الديمقراطية وغيرها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[١] ، وعن سبب قصور الديمقراطية : فإنه يرجع إلى نقص المعلومات عند الإنسان عن الإنسان نفسه ، وما سيجد من أحداث في المستقبل تخص الإنسان والكون معاً ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[٢] .

وإليك -أخي القارىء- الفرق بين الديمقراطية الغربية ، والشورى الإسلامية[٣] لتتبين الفرق بين القوانين الإلهية ، والقوانين الوضعية التي من صنع البشر . . .

الديمقراطية الغربية :

١- من وضع البشر اليونانيون ثم طورت في عصرنا الحاضر ، ووسع إطارها ومفهومها .

٢- لها إيجابيات جيدة ، وعليها سلبيات خطيرة ، فتعطي ثماراً طيبة في مجتمع غلب على أهله الصلاح والإخلاص في العمل .

٣- غير مرتبطة بفكر أساسي أو مبدأ إلا المصلحة الفردية ، فيمكن إلصاقها بأي نظام مادي ما دام يفصل بين الدين والدنيا .

---

(١) سورة الإسراء : آية ٩ .

(٢) سورة لقمان : آية ٣٤ .

(٣) انظر : «الرأي الصواب في تعدد الأحزاب» (ص١١٦-١٢٠) .

٤-المساواة فيها بعيدة عن العدل فهي عددية رقمية ، العَالِم والجاهِل فيها سواء ، والمؤمن عندهم كالكافر ، والأعمى كالبصير .

٥- الحاكمية والسلطة للشعب ممثلة في عدد من النواب يختارهم الشعب عن طريق الترشيح ، والانتخاب الحر ، والذي يستحيل فيه أخذ رغبة الأغلبية .

٦- الحرية هنا فوضوية وغير مقيدة ، فهي إن كانت محددة لا تميز الخبيث من الطيب ، ولا الشر من الخير .

٧- تعتمد في كيانها على المادية الأنانية للفرد ، ولا يربط الفرد مع الجماعة إلا مصلحته الخاصة ، ولا يضبطه إلا قوة القانون والشرطة .

٨- سهولة تضليل معتنقيها بالدعايات ، والمهرجانات ، والولائم ، وتوزيع الرشاوي ، وتبادل المصالح وغيرها عند الترشيح والانتخابات .

٩- لا وجود للديمقراطية إلا بوجود أحزاب سياسية منها حاكمة ومنها معارضة ، وقد تأخذ المعارضة أشكالاً من العنف والتخريب .

١٠- في الديمقراطية يقول المرء ما يشاء ، ويعتقد ما يريد ، فحرية الرأي والقول والاعتقاد مصانة ، وبذلك يفقد المجتمع وحدة المفاهيم .

١١- عدم وجود الدين الحق بل وفصله عن السياسة والدولة ، وعبادة المادة ؛ يفسد ضمائر الأفراد حتى يمكن شراء الأنفس والأعراض والكرامة .

١٢- لولا الترقيع وسد الثغرات المستمر ، لما أمكن تطبيقها في أي مجتمع .

١٣- الملكية الفردية حق لكل مواطن ، وحرية التملك تفتح المجال لكل أنواع التحايل والفساد .

١٤- الحرية الشخصية شبه المطلقة تعطي مجالاً لظهور مفاسد كثيرة كالزنا والميسر والانتحار ، فالمرء حر فيما يفعل بنفسه .

١٥- رغم علاّتها الكثيرة فقد أطلقت عنان العقل واحترمته ، وقللت من الظلم والتسلط ، فنتج عنها نهضة وتقدم مادي وعمراني ، وبقيت الأرواح إلا ما ندر ، والانهيار الأخلاقي في تسارع رهيب .

الشورى الإسلامية :

١- سماوية فرضها الله على كل المسلمين ، وخاصة أولي الأمر منهم .

٢- كلها إيجابيات وسلبياتها بسبب سوء التطبيق ، تعطي ثماراً طيبة في كل حين وزمان ومكان ، دون شرط غلبة الصالحين والمخلصين .

٣- هي جزء من دين الإسلام ، وهي جزء من نظام حياتي إنساني لها أحكام شرعية تنبثق عن مبدأ لا يفصل بين الدين والدنيا .

٤- المساواة فيها قمة العدل ، وفيها لا يستوي المؤمن والكافر ، ولا الأعمى والبصير ، ولا يستوي العالم والجاهل ، خاصة في قيادة الأمة .

٥- الحاكمية لله وحده ، والسلطة للشعب الذي يبرز طبقة من العلماء والخبراء بالتزكية كمستشارين ، ناهيك عن أهل الحل والعَقد .

٦- الحرية هنا ضمن ما ينفع الناس تحل الطيب وتحرم الخبائث ، فهي مقيدة بالشريعة وأحكامها لمصلحة الفرد والجماعة .

٧- تعتمد في كيانها على أن الفرد للمجموع ، والمجموع للفرد ، وعلى تشريع سماوي أعطى لكل ذي حق حقه . وهو الرقيب الأول .

٨- استحالة ذلك لعدم وجود انتخابات برلمانية ، ولا تنافس على السلطة . كما أن كل أساليب الدعاية والرشاوي محرّمة شرعاً .

٩- الأحزاب السياسية مدعاة تنازع واختلاف ، فهي محرّمة ولا عمل لها ، أما المعارضة والتوعية السياسية ففرض على كل فرد وكل جماعة ، أما التخريب والتمرّد فمحرم شرعاً .

١٠- في الإسلام يقول المرء ما يشاء ما دام آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . ويعتقد ما يريد ما دام لم يصرّح بالكفر ؛ لأن ذلك يؤثر سلباً على الآخرين فهو لا يعيش وحده ، ولا يجوز الإضرار بغيره .

١١- الدين وفضائله يقطع الطريق على كل مفسد ، ويسدّ أبواب الشر وبيع الضمائر ، والله مطلع رقيب على أفعال العباد .

١٢- لا ترقيع لأنه محرم ، فالشرع شرع الله لا يجوز لأحد أن يزيد عليه أو ينقص منه ، ويمكن ضمان دوام استقرارها إذا أحسن التطبيق .

١٣- الملكية الفردية حق لكل مواطن ، والتملك الفردي تضبطه أحكام شرعية فتحدّ طرق الكسب الحلال بما لا يدع مجالاً للفساد والإجرام .

١٤- الحرية الشخصية لها حدود ، وهي مطلقة في فعل الخير العمل له والدعوة إليه ، إلا أنه لا منفذ فيها للمفاسد ؛ لأنه منصوص على حرمتها .

١٥- رغم حسناتها التي لا تحصى ، إلا أن عدم تطبيقها قد ساق الأمة إلى أنفاق الجهل والتخبط ، وفتح الباب على مصراعيه لكل ظالم متسلط فعمّت شريعة الغاب ، واستشرت جميع صنوف الفساد .

وهكذا نرى أن الديمقراطية غريبة عن الإسلام ؛ لكونها جزء من نظام وضعي فيها ثغرات وسلبيات كثيرة ، أما حسناتها فموجودة جميعها في نظام الإسلام الأحق بالأخذ والتطبيق ليعم الرخاء ، وتنتشر العدالة بين جميع أفراد الأمة على اختلاف طبقاتها .

مخططات العملاء في الداخل :

اعلم - يا أخي المسلم- رعاك الله أن مخططات العملاء في الداخل أخطر وأعظم من أي مخطط آخر من مخططات الشيوعية والصليبية واليهودية . . .

فهي أعظم وأخطر ؛ لأن هؤلاء العملاء هم على الغالب ، من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، والبعض منهم ينتمي إلى إسلامنا ، وأحياناً يتقمصون ثوب الإسلام والوطنية والعروبة ، ليضللوا أبناء الإسلام بأفكارهم الإلحادية ، ودعواتهم الضالة الزائفة . . .

ووجه الخطورة في عمالة أولئك ؛ أن الجماعات الإسلامية المخلصة ، والعلماء والدعاة إلى الله حين يتصدون لهم ، ويحذرون المسلمين منهم ، ويظهرون لشباب الإسلام حقيقتهم اتهموا من قبلهم أنهم أعداء للوطنية والديمقراطية ، وأنهم عملاء للاستعمار والصهيونية ليقللوا من شأنهم ، ويشككوا في أمرهم ، ويبعدوا الناس من أن يسمعوا لهم ، ويتأثّروا بهم . . . والله يعلم أنهم برآء من كل ما نسب إليهم ،

وما لفقوه عليهم ، وعند الله لا تخفى خافية . . .

من هم العمـــلاء ؟

أقصد بالعمالة : ارتباط فئة من أبناء الوطن في كل بلد إسلامي بالشيوعية الملحدة ، أو الصليبية الحاقدة ، أو اليهودية الماكرة ، أو المذاهب الاستعمارية المضللة ، وهذه الفئات منتشرة في العالم الإسلامي هنا وهناك ، وكل فئة تقوم بدورها في بث مبادىء الكفر والضلال والإلحاد على أرض الإسلام ، ليخرجوا جيل الإسلام من الإسلام ، ويدخلوه في أتون الحزبية الكافرة الضالة ، حتى إذا كثرت قواعدها في الشعب وفي الجيش انقضوا على الحكم لينفذوا كل ما يمليه عليهم أسيادهم من مبادىء ومخططات ، وهذا هو الهدف الأكبر الذي تسعى إليه وتناضل من أجله[١] . . .

وينبغي أن نعرف أن فئة الماسونية اليهودية التي تعمل في بلاد الإسلام هي من أشد الفئات خطراً ، ومن أمكرها أسلوباً ، ومن أدهاها تخطيطاً ، ومن أفتكها تدميراً ، فعلى أيديهم تحقق اليهودية أهدافها في الامتداد السياسي الكبير من الفرات إلى النيل ، لما سهّلوا لهم من علو جاه ، وضخامة منصب ، وكذلك يفعلون .

وهذه الفئات العميلة على اختلاف أنواعها من الأذناب والعبيد سواء كانت ماسونية ، يهودية أو شيوعية أو صليبية أو استعمارية . . . متضافرة متعاونة في سرقة عقيدة الإيمان وهدم شريعة الإسلام ، والحط من قيم

(١) انظر : «الشباب المسلم في مواجهة التحديات» (ص٧٣) .

الفضائل والخلق في أبناء المسلمين حتى لا يبقى عند الولد شيء اسمه إسلام ، أو فضيلة اسمها خلق . . .

ويأتي ذلك عن طريق عمل غسيل مخ تدريجي ، يبدأ بمرور الولد على مراحل التشكيك ، وزعزعة العقيدة ثم نبذ كل شيء مقدس جاءت به الأديان ، والشرائع فيصطبغ الولد بالإلحاد ، ويتدنّس بالإباحية فيشن حرباً على إسلامه وتاريخه وأمجاده . . .

وهؤلاء العملاء يا أخوتي الكرام الذين باعوا أنفسهم للشيطان متمركزون في الوزارات ، وفي وسائل الإعلام ، وفي أجهزة التعليم ، وفي النقابات ، وفي المؤسسات ، وفي كل مكان . . .

وهؤلاء يلجأون إلى طرق ووسائل في بث الفساد والتضليل والإلحاد ، فيدخلون في الناس عن طريق الصحف ، والبث الإذاعي ، والتمثيليات ، والتلفزيون ، والمسرحيات الشعبية ، والندوات ، والمراكز الثقافية ، وفي افتتاح المنظمات المتعددة .

هذا عدا عن الدسّ المركّز الدائم في المناهج ، والكتب ، وأجهزة التعليم والجامعات . . .

والمعروف أن هؤلاء العملاء يختارون من طبقة زكية ماكرة عندها من أسلوب المنطق والإغراء والتضليل ، ما يستطيعون التأثير به على عقلية الولد ، وأخلاق البلد ! ![1].

وإليك أخي القارىء أهم الأساليب التي ينتهجوها لتحقيق مآربهم :

---

(١) انظر : «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي» للأستاذين جريشة والزيبق .

- تمنية الولد عند التخرّج بالوظيفة والجاه والمنصب ، إذا قبل الولد أفكارهم .

- تشكيك من يوجّهونهم في الاعتقاد الإلهي كقولهم : إذا كان الله هو الخالق فمن خلقه ؟ أو إذا كان الله لا نراه فهو إذن غير موجود . . . إلى غير ذلك من التشكيكات الباطلة التي يثيرونها ، ويركّزون عليها . . .

- وتشكيك شباب الإسلام في النظام الإسلامي كقولهم : إن مبادىء الإسلام قد انتهى العمل بها . . .

- ومن أساليبهم : إقناع الولد بأن الإسلام فرض على المرأة الحجاب ، وأمرها بالقعود في البيت ، وجعلها مستعبدة للرجل ، ولا يمكن للمرأة أن تصل إلى حقوقها كاملة إلا أن تتحرّر من قيود الدين والأخلاق والأعراف !! ، وتوجيه المراهقين والشباب إلى الاسترسال في الشهوة العارمة والانطلاق وراء اللذة والجنس . . .

- طرح الشعارات المزيفة ، فحيناً تكون المناداة باسم الوطنية ، وأحياناً باسم القومية ، وتارة باسم التقدّمية ، وأخرى تكون باسم المبادىء الاشتراكية ، عدا عن مناداتهم المتكررة بتحرير العامل وتحرير الفلاح والمرأة . . . إلى غير ذلك من هذه الشعارات البرّاقة الخادعة التي ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب ، والتي تستهدف تحويل الجيل المسلم نحو الفساد والإلحاد والانسلاخ من الإسلام . . .

إن هؤلاء العملاء[1] يريدون أن يربطوا مصير الأجيال المؤمنة ، والمجتمعات الحاضرة بعجلات أسيادهم من أصحاب العقائد الكافرة ،

---

(١) انظر : «حصوننا مهددة من داخلها» محمد محمد حسين .

والمنظمات الماسونية الهدّامة . . . حتى لا يبقى عند الشباب المسلم شيء اسمه دين أو عيب أو حرام !! فيظهر هؤلاء بمظهر الوطنية والتصدي والصمود لتحرير الأرض المقدسة . . . ، والكثير يعرف ماضيهم الخياني ، وأحياناً تكون الخيانة سافرة ، وذلك في عقد مصالحة مع إسرائيل ، والمعايشة السلمية مع اليهود ، لمصلحة قومية يدعونها دعوة إلى السلام يتبجحون بها !! .

ومن الأمور التي يجب أن تعرفوها جيداً أيها الشباب أن العملاء حين يصلون إلى الحكم ، ويتسلمون دفة السياسة ينفذون من المخططات التي تملى عليهم من أسيادهم أكثر من المطلوب منهم إرضاءاً لهم ، وتقرّباً إليهم ، وإخلاصاً لمبادئهم !!

فهذا (أتاتورك) العميل الماسوني اليهودي الصليبي نفّذ من المخططات أكثر مما أملته عليه الصليبية واليهودية ، فالمتفق عليه في معاهدة لوزان إلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وجعل الدستور علمانياً بحتاً .

فالذي فعله (أتاتورك) بعد هذا الاتفاق أنه نفذ كل هذا ، وزاد تقرّباً وولاءً في إرضاء أسياده أن ألغى المحاكم الشرعية ، والمدارس الدينية والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية - قاتله الله - ، وانتهى ذلك كله عام ١٩٢٨م ، وقد بارك الحلفاء والماسون جهود أتاتورك في محاربة الإسلام وتنفيذ مخططاتهم ، إذ تمكن هؤلاء الأوغاد العملاء أن يعملوا عملهم في بلاد الإسلام ، وفسح لهم المجال في أن يكيدوا كيدهم ،

وينفثوا كفرهم وسمومهم دونما مقاومة ، ولا استشعار بمسؤولية ، ولا اهتمام بتوعية ومجاهدة ؛ فإن المجتمعات الإسلامية تسير لا قدّر الله نحو اللادينية والفساد ، وسترتبط كلها بشكل سافر أو مقنع بعجلات الشرق أو الغرب أو الشيوعية أو الرأسمالية . . . ، ولا يخفى أن بعض المجتمعات الإسلامية قد ارتبطت فعلاً بعجلة الشيوعية أو الاشتراكية أو الرأسمالية فإذا سرى هذا على كل المجتمعات الإسلامية دونما مقاومة من الشعوب أو تصدٍّ من شباب الإسلام فإنا نكون قد أصبنا بخزي للأبد ، ومنيت أمة الإسلام بالذلة والصَّغار والعبودية في عصر الانتكاس والضلال ، وبذلك استحقينا لعنة الله ، ولعنة الأجيال والتاريخ بما فرّطنا وقصّرنا وتواكلنا ، وأخلدنا إلى الأرض[1]. . . والله تعالى يقول : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2] .

كانت هذه بعض المخططات التي اتخذتها الشيوعية والصليبية واليهودية ، والعمالة في أوكار تآمرها ، وحظيرة فسادها ، ولا شك أن هذه القوى جميعاً متضافرة متعاونة متوحدة في حرب الإسلام ، واستئصال العقيدة الربانية من صدور المسلمين !! اللهم اشهد ؛ فإني قد بلغت . . . إلخ .

---

(١) انظر : «الشباب المسلم في مواجهة التحديات» (ص٧٨) وما بعدها .

(٢) سورة محمد : آية ٧ .

السنن الربانية التي تحكم أوضاع الجاهلية المعاصرة

قد يعجب بعض الناس كيف تمكنت أوروبا كل هذا التمكين ، وهي كافرة ، ويتساءلون : أين سنن الله التي توعّدت الكفّار بالمحق والتدمير ؟!

والحقيقة أن أحوال الجاهلية المعاصرة وأوضاعها كلها مذكورة في السنن الربانية الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بل يعجب الإنسان حين يتلو الآيات ، كيف انطبقت بحذافيرها على أوضاع الجاهيلة المعاصرة ، كأنما أنزلت بشأنها مع أنها نزلت قبل أربعة عشر قرناً .

ذلك أن الجاهليات كلها متشابهة في جوهرها ، وإن اختلفت في تفصيلاتها ، وكان لكل منها خصائصها التي تشكلها ظروف الزمان والمكان ، والسنن الربانية متعلقة بالجوهر ، وليست متعلقة بالأشكال(١) .

إن تمكين الجاهلية المعاصرة وإيتاءها كل أسباب القوة ، وفتح (أبواب كل شيء) عليها إنما يتم حسب السنن الربانية لا مخالفاً لها ، فيجب أن نعرف بعد ذلك أن هناك فرقاً -بل فروقاً- بين تمكين الرضا الذي يعد الله به عباده المؤمنين ، وتمكين الاستدراج الذي يعطيه للكافرين حين يريدون الدنيا ، ويبذلون الجهد المكافىء لتلك الإرادة

(١) انظر : «رؤية إسلامية لأحوال العالم» (ص٥٣) وما بعدها .

فيوفيهم جزاءهم في الحياة الدنيا، ويفتح عليهم (أبواب كل شيء) مما يتعلق بالتمكين.

الفرق الأول: أن تمكين الاستدراج مؤقت مهما طالت مدته، وينتهي دائماً بالدمار، بينما تمكين الرضا ممتد حتى يغير الناس ما بأنفسهم، ويحيدوا عن الطريق فيزيل عنهم التمكين؛ فإن لم يغيروا ما بأنفسهم امتد لهم التمكين.

يقول الله تعالى عن الكفار: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

بينما يقول عن المؤمنين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ﴾(٢).

والفرق الثاني: أن أبواب كل شيء المفتوحة على الكفار حين يوغلون في الكفر، هي أبواب التمكين المادي وحده، ولكن هناك بابين لا يفتحان على الكفار أبداً؛ لأن الله حرّمها على الكافرين: باب البركة، وباب الطمأنينة، وهما بابان يفتحهما الله على المؤمنين فحسب: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٤٤-٤٥.

(٢) سورة الأنفال: آية ٥٣.

(٣) سورة الأعراف: آية ٩٦.

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1] .

ولفظ البركة لا ينحصر معناه في الرخاء المادي إنه أوسع وأشمل . . . بل نكاد نقول إنه ليس الرخاء المادي أساساً ، وإن شمله إنما هو شيء ما في حياة الناس يجعلها مباركة طيبة وضيئة شفيفة عالية نظيفة تستروحها النفس .

وهناك معانٍ للألفاظ يصعب تحديدها ، ولكن من ذاقها عرفها ، فالثقة المتبادلة بين الناس نوع من البركة ، والحب المتبادل نوع من البركة ، والتعاون على البر والتقوى نوع من البركة ، وجميع معاني الخير والإحسان نوع من البركة ، أما الطمأنينة فاسأل عنها الخائفين القلقين الحائرين المضطربين ، أنهم يعرفون جيداً ما يبحثون عنه ، إنهم يبحثون عن الطمأنينة ! ، والله يبيّن لهم الباب الذي يؤدي إليها : ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2] .

ولعلنا لا نحتاج أن نقول : إن الجاهلية المعاصرة برغم كل أدوات التمكين المتاحة لها من القوة الحربية ، والقوة السياسية ، والقوة المادية ، والقوة الاقتصادية ، والقوة العلمية . . . تفتقد الطمأنينة ، وتفتقد السعادة التي ينشدها الإنسان في حياته ، والخمر والمخدرات والجريمة وحدها دليل على فقدان السعادة والطمأنينة ، فضلاً عن القلق والانتحار والجنون ، والأمراض النفسية والعصبية ، وهذا هو حال دول الغرب

---

(١) سورة الرعد : آية ٢٨ .

(٢) سورة الرعد : آية ٢٨ .

الكافرة ، فالخمر ومثلها المخدرات محاولة للهروب من الواقع ، فلماذا يسعى الناس للهروب من واقعهم لو كانوا سعداء به !!، والجريمة لون من الشعور المرضي نحو المجتمع يعبر عن عدم الرضا عن هذا المجتمع فلماذا تنتشر الجريمة ، وتزداد نسبتها ؟

أما المرح المجنون الذي تغرق فيه الجاهلية المعاصرة في لحظات الانفلات في المراقص والملاهي والحانات ، فليس دليلاً على السعادة ، بل هو أحرى أن يكون دليلاً على فقدانها ، ومحاولة التعويض المفتعل عن الخواء النفسي الناشىء من فقدانها .

وهذه هي الصورة الكالحة للجاهلية التي تعجز عن إخفائها المصانع الضخمة ، والإنتاج المادي الكبير ، والصواريخ الذاهبة إلى القمر أو إلى المريخ[١]!

ومن العبر العظيمة التي أصمّت الجاهلية أذنيها عن سماعها ، وأغلقت أعينها عن رؤيتها ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ﴾[٢] .

إنها نذر ربانية لا تزال تصيب الكفار حتى يأتي التدمير النهائي الذي توعّد الله به المعاندين المستكبرين . . . وما أكثرها ، وما اقل الاعتبار ! كان يكفي الإيدز ، وهو المرض المدمر ، مرض فقدان المناعة المكتسبة ليوقظ قلوب الغافلين ، ويفتح بصائرهم . . . إنه قارعة بكل ما تحمله

(١) انظر : «رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر» (ص٦١-٦٢) .

(٢) سورة الرعد : آية ٣١ .

اللفظة من معان ، وهو ينتشر وينتشر ، وهم في هلع منه ، ولا يستطيعون وقفه عن الانتشار .

وكان يكفي الانتشار البشع لأمراض السرطان .

وكان يكفي ما يهدد به غلاف الأوزون ، وما يهدد به التغيير الواقع به من حدوث طوفان كطوفان نوح .

وكان يكفي الفساد ذاته ، الحادث على وجه الأرض في كل اتجاه ليرد الناس إلى ربهم .

يقول تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] كان يكفي هذا كله ليوقن الناس أن سنن الله ماضية في حياتهم ، وأنهم ليسوا ناجين منها ، مهما خيل إليهم أنهم ناجون ، ومهما ظنوا أنهم قادرون وأنهم عالمون !

لقد قال (قارون) من قبل حين عاتبه قومه : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[2] تماماً كما تقول الجاهلية المعاصرة ، وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾[3] . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة الروم : آية ٤١ .

(٢) سورة القصص : اية ٧٨ .

(٣) سورة القصص : آية ٧٨ .

(٤) سورة يونس : آية ٢٤ .

وقبل عشر أو عشرين سنة لم يكن الناس يصدقون أن هذه الجاهلية يمكن أن تنهار !، وما زال قوم يعتقدون أنها لا يمكن أن تبيد أبداً . . . ولكن قوماً من علماء الجاهلية ذاتها بدأوا يرون بوادر الانهيار، ومهما يكن الانهيار بطيئاً بسبب ما يبذل أهل الجاهلية من جهد في الحفاظ عليها ؛ فإن الانهيار سنة حتمية[1]. ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[2].

أتباع النصرانية قديماً وحديثاً يطالبون بالإسلام :

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، وبكرمه تدوم الخيرات، وبنعمته تزول الشدائد والكربات.

هذا فإن دين الإسلام هو دين الحق الذي ارتضاه الله لجميع الخلق فقال سبحانه : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[3].

وقال جل وعلا : ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[4].

وقال أيضاً : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾[5].

---

(١) هذا هو مصير العلمانيين ومن شايعهم من المقلدين والمعجبين بهذه الحضارة الزائفة، واعلم أخي المسلم أن الدائرة تدور عليهم والعاقبة للمتقين.

(٢) سورة فاطر : آية ٤٣ .

(٣) سورة المائدة : آية ٣ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

(٥) سورة الزمر : آية ٢٢ .

الإسلام يهذّب الأخلاق ، ويطهّر الأعراق ، ويزيل الكفر والشقاق والنفاق . الإسلام دين السلام والأمان ، وهو دين العزة والقوة والنظام ودين العدل والمساواة في الحدود والحقوق والأحكام .

الإسلام يحترم الدماء والأموال ، وهو دين السعادة والسيادة ، من قام به ساد وسعدت به البلاد والعباد ، ومن ضيّعه سقط في الذل والفساد .

والإسلام شريعة الله في أرضه ، شرعه لعباده ؛ لمصالحهم الدينية والدنيوية ، فقد نظم حياة الناس أحسن تنظيم . ولولا الإسلام وما فيه من الشرائع والأحكام وأمور الحلال والحرام ، لكان الناس بمثابة البهائم يتهارجون في الطرقات ، لا يعرفون صياماً ولا صلاةً ، ولا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً ، ولا يمتنعون من قبيح ، ولا يهتدون إلى حق .

والإسلام كافل لحل مشاكل العالم ما وقع في هذا الزمان ، وما سيقع بعد أزمان فهو صالح لكل زمان ومكان[١] .

إننا في دعوتنا إلى دين الإسلام لسنا ندعو إلى قومية عربية ، ولا إلى أحزاب شعبية ، ولا إلى مذاهب فقهية ، إنما ندعو إلى دين الحق ، دين الله الذي ارتضاه لجميع الخلق ، دين عيسى وموسى وسائر الأنبياء ، وخاتمهم محمد ﷺ .

فأمر الله سبحانه بإقامة الدين والاجتماع على كلمته ، ونهى عن التفرّق فيه بأن يؤمنوا ببعض الأنبياء ، ويكفروا ببعض أو يؤمنوا ببعض

(١) انظر كتاب : «الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة» (ص٦٨) وما بعدها .

الكتب ويكفروا ببعضها، فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1].

ومن هنا؛ فإن من يكذّب نبياً من الأنبياء؛ فإنه يعتبر مكذباً لسائر الأنبياء، وكافراً بالله عز وجل.

فالذين يكذبون بنبوة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، أو يكذّبون بمعجزاته التي أثبتها القرآن؛ فإنهم يعتبرون مكذّبين لسائر الأنبياء، وكافرين بالله عز وجل، ومثله كالذين يكذبون بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام أو يكذبون بالقرآن النازل عليه من الله، أو يزعمون بأنه شيء فاض عن نفس محمد بدون أنه يوحي الله إليه أو ينزل جبريل عليه السلام.

يا معشر النصارى لقد تعصّبتم وما أنصفتم، وإن موضع العجب منكم هو أن القرآن النازل على محمد عليه الصلاة والسلام كله نضال وجهاد، وجدال عن نبوة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يحقق صدق نبوته، وكرامة نشأته، وطهارة مولده، وبراءة أمه مريم البتول عليها السلام.

وأن الله سبحانه خلقه من أم بلا أب، وأيّده بالمعجزات الباهرات الدالة على صدق رسالته، فكان يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وينبىء الناس بما يأكلون، وما يدّخرون في بيوتهم

---

(١) سورة البقرة: آية ١٣٦.

مع تكليمه الناس في المهد صبياً .

قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[1] .

وكل هذه المعجزات والصفات قد أثبتها القرآن الكريم ، وآمن بها المسلمون ، ومن كذب بها فقد كفر ، ولا توجد هذه الصفات وهذه المعجزات بالإنجيل الذي بأيديكم ، وقد اختص الله سبحانه بذكرها في القرآن الكريم فقط . . . على أن الإنجيل الذي بأيدي النصارى الآن ليس هو الإنجيل النازل على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنما هو مبدل منه ، وفيه التحريف الكثير ، والكذب على الله وعلى الأنبياء ، كما يعترف العقلاء من علمائهم بذلك ، يقول الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2] ؛ ولأن النصارى يجيزون للقسيسين بأن يغيّروا من شريعة الرب ما يشاؤون ويشتهون فيجعلون الحرام حلالاً ؛ لأنهم اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فجعلوا المسيح هو الله ، وجعلوه ثالث ثلاثة ، والقرآن والإنجيل بريئان من ذلك .

قال عز وعلا : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى

---

(١) سورة مريم : آية ٣٠-٣٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ٧٩ .

ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾(١) .

إن أكبر صارف يصرف علماء النصارى وعامتهم عن اعتناق دين الإسلام واعتقاده ، وعن التصديق بنبوة محمد ﷺ ، وبالقرآن النازل عليه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، هو تأثّرهم بتنفير القسيسين والمبشرين عن الإسلام ، وكثرة كذبهم وافترائهم على رسول الله ﷺ بقوله بأنه رجل عاقل ، وأنه عبقري ، وهذا التأثر أشرب في قلوبهم حتى صار لهم طريقة وعقيدة ، فهو أكبر صارف يصرفهم عن الإسلام .

والأمر الثاني : هو أن تكذيب أذكيائهم والمفكرين منهم نشأ عن عدم معرفتهم باللغة العربية التي هي لغة الإسلام ، والتي يعرف بها ببلاغة القرآن لكون القرآن نزل بلسان عربي مبين(٢) .

إن عدم معرفة الأمم للغة العربية التي هي لغة القرآن هو أكثف حجاب يحول بينهم وبين اعتناق الإسلام ، واعتقاده والتصديق بالرسول وبالقرآن النازل عليه . . .

أما ترجمة القرآن الموجودة بأيدي النصارى الآن ، وقد ترجم عدة تراجم كلها ليست بالقرآن ، وتبعد جداً عن بلاغة القرآن ، وفيها الشيء الكثير من الخبط ، والخلط الخارج عن معاني القرآن فلا تسمى قرآناً .

---

(١) سورة النساء : آية ١٧١ .

(٢) انظر : «الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة» (ص٧٦) وما بعدها .

ومن هذا المنطلق ؛ فإني أتوجّه لعقلاء النصارى المستقلة أفكارهم بأن يوجّهوا عنايتهم ورغبتهم إلى تعليم اللغة العربية التي بها يُعرف أحكام العبادات ، من الصلاة والزكاة والصيام ، ويتبيّن له بطريق الوضوح أن دين الإسلام هو الدين القويم : ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) .

إن كثيراً من أذكياء النصارى قد تغيّرت أفكارهم بعدما تعلموا اللغة العربية فظهر لهم من فضل الإسلام ، وصدق القرآن ما خفي على سلفهم .

لهذا أخذوا يدعون قومهم إلى الرجوع إلى الإسلام ، وإلى العمل بما شرعه من الأحكام لكونهم أصبحوا في فوضى حيارى ليس لهم دين يعصمهم ، ولا شريعة تنظمهم ، وقد كثر الداخلون في الإسلام في هذا الزمان ، وأخذوا يزدادون في الدخول عاماً بعد عام .

ولقد انتشر الإسلام في بداية نشأته ؛ لانتشار اللغة العربية في البلدان الأجنبية ، فعرفوا بها حقيقة أحكام الإسلام ، وبلاغة القرآن الكريم .

إن النجاشي ملك الحبشة ، وأحد ملوك النصارى القدماء كان عارفاً باللغة العربية من أجل مجاورته لبلدان العرب ، فعندما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب صدر سورة مريم ، اغرورقت عيناه من البكاء خشوعاً وخشية لله لحسن ما سمعه من كلام الله .

فلما فرغ من قراءتها أخذ عوداً فرفعه ، ثم قال : إنه لم يزد على ما جاء به عيسى ولا مثل هذا العود ، فأخذت بطارقته ينخرون استنكاراً

(١) سورة الأحقاف : آية ٣٠ .

واستكباراً لقوله فقال، وإن نخرتم وإن نخرتم إذهبوا؛ فأنتم سيوم بأرضي من رامكم بسوء غرم، وأنزل الله في فضله، وتصديقه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾(١).

وهذه الآيات الكريمة تشيد بفضل النجاشي وسبقه إلى الإسلام، وإيمانه بالقرآن، ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

إن هذا التأثير الواضح من (النجاشي) بسماع القرآن قد حمله على الدخول في الإسلام حتى صلى عليه النبي ﷺ وأصحابه بعد موته رحمه الله. هذا ما كان عليه موقف النصارى - قديماً - كما رأينا...

وفيما يلي -أخي القارىء- أقدّم بين يديك بعض الآراء والأقوال لرجال السياسة، والفكر من أتباع النصرانية -حديثاً- الذين يعترفون بدين الإسلام، ويصدقون بنبوة محمد ﷺ ويطالبون بتطبيق الإسلام لتسعد البشرية؛ لأنه التشريع الوحيد الذي يحقق للإنسانية طموحاتها وطمأنينتها. ومن هذا الأقوال:

١- يقول نابليون بونابرت: «وآمل أن لا يمضي وقت طويل حتى أستطيع أن أجمع العقلاء والمثقفين، من جميع الأقطار لنقيم نظاماً موحّداً على أسس القرآن؛ لأنها هي وحدها الحق، وهي وحدها التي تهدي إلى سعادة البشرية»(٢).

---

(١) سورة المائدة: آية ٨٣-٨٤.

(٢) انظر كتاب: «بونابرت والإسلام» نشر في باريس عن كتاب «لماذا أسلمنا؟»=

٢- يقول أنيس ميخائيل جرجس القاهرة : «أقول للمسؤولين باطمئنان طبّقوا أحكام الشريعة الإسلامية ليتحقق للجميع الاستقرار والأمان ، لقد عشنا - نحن المسيحيين - القرون الماضية في ظلها آمنين على أنفسنا وأموالنا وأعراضنا ، جاهل من يقول : إننا نحمي الزناة والسكارى واللصوص والعابثين بالأديان من العقاب الصارم»(١) .

٣- قال عميد كلية الحقوق في جامعة ڤيينا الأستاذ شيريل : «إن البشرية تفخر بانتساب محمد إليها ، ذلك الأمي الذي استطاع أن يأتي بشريعة ، سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمتها بعد ألفي عام»(٢) .

٤- يقول برناردشو الإنجليزي : «لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوروبا غداً ، وهو قد بدأ مقبولاً لديها اليوم» .

ثم يقول : «أما أنا فأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية» .

ثم يقول : «قد دان كثيرون من قومي ومن أهل أوروبا بدين محمد في الحاضر ، وهذا يجعلنا قادرين على أن نقول : إن تحول أوروبا إلى الإسلام قد بدأ»(٣) .

٥- قال جوته : «إذا كان هذا هو الإسلام أفلا نكون مسلمين؟!(٤)» .

= (ص١٣٦) .

(١) انظر : «مجلة الدعوة» القاهرة - سنة ١٣٩٩ هـ .

(٢) انظر كتاب : «حتى لا نخدع» (ص١٩٩) الدكتور عبدالودود شلبي .

(٣) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (٢/ ٥١٤) .

(٤) انظر : «الإسلام والماركسية» (ص٧٦) الدكتور مصطفى محمود .

٦- يقول المستشرق (جولد زيهر): «إنه إذا أردنا الإنصاف ينبغي أن نؤمن بأن في منهج الإسلام قوة صالحة توجه الإنسان نحو الخير»[(١)].

٧- قال أحد وجهاء النصارى في طرابلس الشام للسيد (رشيد رضا) رحمه الله: «إن في الإسلام فضائل كالجبال أو أشمخ وأرسخ، ولكنكم دفنتموها حتى لا تكاد تعرف أو ترى، ونحن عندنا شيء قليل ضئيل»[(٢)].

وبعد فهذه بعض أقوال ودعوات المنصفين من أتباع الديانات الأخرى النصارى الذين عرفوا من أمر الإسلام المنصف العادل الحاني؛ فأنصفوه وانتصروا له، وقد وجدوا فيه ضالتهم المنشودة فطالبوا بتطبيقه والتزامه، والانضواء تحت لوائه، وفضلوه على غيره حتى قال بعضهم: لحكم الإسلام أحب إلينا من حكم بني ديننا... كيف لا ورسولنا الأعظم يقول: «من آذى ذمياً؛ فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[(٣)].

والحمد لله رب العالمين...

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص٧٦).

(٢) انظر كتاب: «الإيمان والحياة» (ص١٦٤).

(٣) ذكره الخطيب عن ابن مسعود في «الجامع الكبير» وسكت عنه.

الفصل الثالث

الفرق الباطنية

الفـرق الـبـاطنيـة

بعد أن منّ الله تعالى على البشرية برسالة التوحيد، وبالإسلام الحنيف، الذي جاء به سيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ رحمة للعالمين، لم يجد أعداء الله في أنفسهم إلا الضيق والحنق، والكراهية لهذا الدين ودعاته، فقد تجمعت بقايا المجوس، وطوائف الشرك والإلحاد لما ظهرت الشريعة الإسلامية، وقهرتهم دولة الإيمان، وملة الإسلام حيث لم يجدوا سبيلاً إلى دفع الإسلام بالسيف، ولا بالحجة، لذلك ستروا ما هم فيه من الزندقة والإلحاد، وأبطنوه بحيل خبيثة تقبلها الأذهان، وتذعن لها العقول، وتستهويها النفوس.

لقد انتمى كثير من هؤلاء الحاقدين الحاسدين إلى بيت النبوة، وأظهروا محبتهم وموالاتهم كذباً وبهتاناً، هم في الباطن من أعظم أعداء الإسلام، وأكبر العتاة الحانقين على بيت الرسول وآله الأطهار، بل وأكبر المخالفين لهم.

لقد كذب هؤلاء الضالون على أكابر المسلمين، ومن بينهم أهل بيت الرسول العظيم ﷺ - الجامعين بين العلم والدين، والمشهورين بالصلاح والتقى، فقالوا: قال الإمام فلان كذا، وقال الإمام فلان كذا . . .، وجذبوا جماعة من العامة الذين لا يفهمون، ولا يعقلون، فتدرّجوا معهم بدعوات معروفة، وسياسات شيطانية، وما زالوا ينقلونهم من رتبة إلى رتبة، ومن درجة إلى درجة حتى أخرجوهم إلى

الكفر البواح، والزندقة المحضة والإلحاد الصراح[١].

ومع الزمن تمّ لهم تحقيق الكثير من الأهداف الخبيثة بعد أن أدخلوا أنفسهم في النسب الشريف العلوي الفاطمي، وبقيت هذه الدعوات الخبيثة تستشري، ويشتد عودها حتى أصابت الإسلام في مقتله، ولا أريد الإطالة في هذا الأمر، وحسبنا أن نستذكر دعوات الفاطميين والدروز والقرامطة، وأضرابهم الذين بلغوا في الإلحاد وفي كيد الإسلام ما لم يبلغ إليه أحد من طوائف الكفر، وطوابير الضلال والوثنية.

يقول الإمام عبدالقاهر البغدادي: إعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال وقت ظهوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر[٢]..

ويقول البغدادي: الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون بقدم العالم، وينكرون الرسل، والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع[٣]...

وهكذا - أخي القارىء - يتبيّن لنا بجلاء خطورة الباطنية الهدامة التي

---

(١) «قطر الولي»، نقلاً عن «ولاية الله» (ص٢٨٣).

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص٢٦٥-٢٦٦).

(٣) المصدر السابق (ص٢٧٨).

دأبت على حرب الإسلام ، فقد عملت جاهدة قديماً وحديثاً للإجهاز على الدعوة المحمدية ، وتكاتفت مع قوى الشر والإلحاد واليهودية الماكرة ، والصليبية الحاقدة ، وأدواتها المختلفة ، نافثة سمومها داخل معاقل الإسلام لإضماد جذوة الإيمان ، والقضاء على دعوة الحق .

والخلاصة ؛ فإن كثير من الفرق الهدّامة قد استخدمت فكرة التشيع والانتماء إلى بيت المصطفى ﷺ قناعاً تسترت به لتحقيق مآربها ، وقد ضمت بين صفوفها كل موتور وناعق ودخيل . . .

وهكذا اتخذ التشيّع عشّاً للشعوبية فضم لفيفاً من اللقطاء ، والمنبوذين ، وعبدة الطاغوت الذين اتخذوه ملجأ يأوون إليه ، وشعاراً ينضوون تحت لوائه ، وبذلك استطاعوا أن يصيبوا الإسلام في مقتله ، وإن أعمال القرامطة ، والفاطمية ، والبهائية ، ومن لف لفهم ليست عنا ببعيد .

وفي الصفحات التالية دراسة وعرض لأهم الفرق الباطنية ، وضلالاتها التي يجب معرفتها ، ولا يجوز الجهل بها على كل مؤمن بدعوة الإسلام الحنيف . . .

وثمة أمر آخر لا يجوز إغفاله ؛ أنه ينبغي على المصلحين والدعاة والمربين أن يدرسوا بعمق هذه المعاول ، وغيرها مما نتعرض له في هذا الكتاب ، وهي ليست من المطولات التي يصعب استيعابها ، ولا من المختصرات التي يغلق على المبتدىء فهمها ، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه كفاية للراغب في الخير .

فرقة الأحباش

لقد ابتليت هذه الأمة بالكثير من المحن والنكبات، وتداعت عليها الأمم من كل حدب وصوب، وتجمعت بقايا المجوس، وطوائف الشرك والإلحاد، ودعاة الضلال، والفرق المنحرفة، وذلك لما ظهرت الشريعة الإسلامية، وقهرتهم دولة الإيمان، وملة الإسلام حيث لم يجدوا سبيلاً إلى دفع الإسلام بالسيف، ولا بالحجة، لذلك ستروا ما هم فيه من الزندقة والإلحاد، وأبطنوه بحيل خبيثة تقبلها الأذهان، وتذعن لها العقول، وتستهويها النفوس... ومن بين تلك الدعوات الهدّامة، ومعاول الهدم الخبيثة فرقة الأحباش الضالة.

من هو مؤسس فرقة الأحباش؟

لعل من المفيد أن أذكر في هذه العجالة نبذة يسيرة عن هذا الحبشي المارق الذي خرج بهذه الفرقة الضالة، وذلك من كتاب «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة»[1].

هو رجل أثيوبي اسمه عبدالله الحبشي الهرري أتى من بلد يبغضه أهلها لمساهمته في فتنة (كُلُب) في بلاد هرار، وتعاونه مع أعداء المسلمين هناك ضد الجمعيات الإسلامية التي أغلقت بسببه، مما جعلهم يلقبونه هناك بشيخ الفتنة.

جاء إلى لبنان، وما أن خلا له الجو حتى بدأ يعاود الفتنة

(١) انظر: «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٣).

نفسها ، وافقه في مجيئه مجموعة من الفتاوى الشاذة ، ومخلفات عقائد المعتزلة ، وفي حين يزعم المتعصبون له على أن شغله الشاغل إصلاح عقائد الناس[1] .

تعاليم الحبشي :

فيما يلي -أخي القارىء- موجز بأهم تعاليم الحبشي الضالة التي قامت على أساسها فرقة الحبشية المنحرفة .

يعرّف الحبشي الإيمان بأنه معرفة الله بالقلب فقط ، ولا يشترط له التلفّظ ولا العمل ، ويعلم الناس ضروب التأويل في صفات الله ، ويدافع عن المتحاكمين إلى القوانين الوضعية المعروفة بـ (العلمانية) الذين ينحون القرآن وقوانينه بعيداً ، ويجيز للناس الاستغاثة بأصحاب القبور ، والاستعاذة بغير الله .

يدافع الحبشي عن البدع ، ويسلط لسانه وقلمه على كل من قال : إن كل بدعة ضلالة ، ويزعم أن القرآن ليس كلام الله ، وإنما هو عبارة عن كلام الله ، وتجد أتباعه يكررون هذه الكلمة ، وتطالبهم بتفسيرها فيتحيّرون ولا يستطيعون تفهيمها لك فضلا عن أن يفهموها .

ومن تعاليمه الأخرى يرجّح الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، ويجيز للناس عدم إيتاء زكاة العملة الورقية بدعوى أنه لا علاقة لها بالزكاة ، ويرى صحة صلاة من اختلط بثيابه بول الكلب ، ويجيز أكل الربا من غير المسلمين ، وخروج المرأة متزينة متعطرة ، كما ويجيز خروجها

---

(١) انظر : «صريح البيان في الرد على من خالف القرآن» (ص١٩٧) .

بغير إذن زوجها لطلب العلم وأخذ الدروس الدينية ، ويبح الاختلاط ، ولا يرى فيه أي محظور شرعي .

كما ويجيز استخدام الحيل على الله في فتاويه ، ويتمسك بما شذّ من الفتاوى ، محتجّاً بجواز تقليد أقوال أهل الاجتهاد ، كما ادّعى أن الكثير من الناس يتوجّهون خطأ نحو الكعبة في العديد من البلدان ، ولا يتورّع الحبشي عن تكفير كثير من العلماء ، والطعن فيهم مثل سيد سابق ، وابن تيمية ، وابن القيم وغيرهم ، كما يطعن في أصحاب الرسول ﷺ كمعاوية بن أبي سفيان ، ويكثر من سبّه ، وأنه من أهل النار(١) .

كما وقام بنشر التصوف المشتمل على تقديس المشايخ أحياءً وأمواتاً ، وذكر الله بالدفوف والطبول ، نساءً ورجالاً محتجبات وسافرات بشكل مختلط ، وأعاد نشر الكلام الذي حذّر منه أئمة السُّنة ، وأشاف إلى عنوانه كلمة (السني)(٢) خداعاً للناس ليقبلوه .

يغازل الحبشي الروافض بتركيزه على الفتن التي جرت بين الصحابة ، ويكثر من التحذير من تكفير سابّ الصحابة ، والشيخين على وجه الخصوص ، وأن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر ، وأنه لا يلتفت إلى من خالف هذا الرأي .

وابتعاث المذهب القديم الذي يظهر للجاهل أنه يحارب الاعتزال بينما هو مقارب له في كثير من أصول الدين .

---

(١) انظر : «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٣-٥) .

(٢) وهو علم يصفه الشيخ محمد الغزالي بأنه علم نظري بحت ينظم المقدمات ويستخلص النتائج كما تصنع الآلات الحاسبة في عصرنا . . .

التفرّغ لإهانة الدعاة والمصلحين، وملاحقتهم وضربهم وتخويفهم من إلقاء الدروس، وإحداث الشغب ورفع الأصوات في المساجد حتى لا يتمكن المشايخ والخطباء من إعطاء الدروس والمواعظ الدينية.

ومن الجدير بالذكر أن الأحباش اليوم يستترون بالانتساب إلى الشافعي مثل استتارهم بالانتساب إلى الأشعري، وفي الحقيقة هم لا يوافقوا في عقيدتهم لا الشافعي ولا الأشعري -رحمهما الله-.

فهم يعتمدون تأويل صفات الله، فأين ما دلّ على ذلك من عقيدة الشافعي أو الأشعري، وأين فسر الشافعي قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] بمعنى أنه استولى عليه كما يزعمون؟!، وكيف لا نشك بفساد عقيدتهم، وهم لا يُصَلُّون وراء الأئمة في المساجد، وينتظرون فراغ الجماعة في المساجد حتى يقيموا جماعة أخرى، ومعلوم أنه لا يجوز صلاة النافلة إذا أقيمت صلاة الفريضة[2]...

مآخذ على الحبشي وفرقته:

ابتليت أمتنا اليوم بطائفة لا تأبه للأمانة العلمية، ولا تقدر المنهج العلمي النزيه، وإنما منهجها دفع الخصم بشتى الطرق الباطلة، ولو اضطر بهم إلى تحريف كلامه، واعتماد الحديث الضعيف، وتأويل الصحيح، إنها طائفة لا تحترم العلماء، ولا تقدر زلات الآخرين، ولا تتسم بالتسامح وسعة الصدر مع الخصوم، وهذا هو حال الفرقة

(١) سورة طه: آية ٥.

(٢) انظر: «المصدر السابق» (ص٦) وما بعدها.

الحبشية الضالة ، وفيما يلي إيجاز لأهم المآخذ على الحبشي ، وفرقته الضالة :

لقد علّم الحبشي الناس الاستغاثة والاستعاذة بالأموات أصحاب الأضرحة ، ودعائهم من دون الله، وأنهم يخرجون من قبورهم ، وبمقدورهم كشف كرب الداعي إذا دعاهم .

وقد سئل الحبشي عن حكم من يستغيث بالأموات يدعوهم ، كأن يقول : «يا سيدي بدوي أغثني ، يا سيدي دسوقي المدد» ؟ فقال : «يجوز ذلك ؛ فإنه يجوز أن يقول : أغثني يا بدوي ، ساعدني يا بدوي» .

ويدعو الحبشي إلى سنن النصارى ، فهو يجيز للناس التمسّح بجدران قبور الصالحين ، ويستدل لذلك بتجربة رجل مسح يده بقبر الإمام أحمد فتعافت بعد ذلك[1] .

وقد اشترط أهل العلم لمن يزور قبر النبي ﷺ (أن لا يمسّ جدران القبر تعظيماً)[2] حتى قال الغزالي : «ولا يمسّ قبراً ، ولا حجراً ؛ فإن ذلك من عادة النصارى»[3] .

كما طعن الحبشي فيمن ينكر التوسّل بالأولياء والصالحين ، ونعتهم بالوهابية ، وكراهية النبي ﷺ ، مما يتبين فساد القياس الذي أتى به الحبشي إذ قال : «فإذا كان التوسل بالعمل الصالح جائزاً ، فكيف لا

(١) «صريح البيان» (ص٦١) .

(٢) «البيجوري على ابن قاسم» (١/٢٧٧) .

(٣) «إحياء علوم الدين» (١/٢٥٩ و ٤/٤٩١) .

يصح بالذوات الفاضلة كذوات الأنبياء»[1]، وهذا قياس لغير المشروع على المشروع ؛ فإن كان التوسّل بالعمل الصالح ثابت في الشرع فأين ثبوت التوسّل بالذوات .

يقول الإمام أبو حنيفة : «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به . . . » .

وقال أيضاً : «وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك»[2] .

يدعي الحبشي بأنه خادم علم الحديث ، وهو يروي أنكر الأحاديث وأكذبها ، ويجتهد في تصحيح الأحاديث الضعيفة بالحيلة تارة ، وبالسكوت عن العلة والقوادح تارة أخرى ، ويتكتم على ضعف ما لم يستطع تصحيحه .

يوافق الحبشي توجهات الطريقة الرفاعية الشيعية ، التي تؤمن بكتاب «الجفر» العلوي الفاطمي الشيعي ، ووجوب إمامة الاثنى عشر من أهل البيت ، الذين آخرهم محمد بن الحسن العسكري ، ويزيد الرفاعية على الأئمة الاثنى عشر شيخهم أحمد الرفاعي ، ليصير الأئمة به ثلاثة عشر ، ويعتبرونه خاتم الأولياء ، ختم الله به الولاية كما ختم بمحمد النبوة[3]؟!!

كما يتفاخر الحبشي بأن من كرامات الرفاعية دخولهم الأفران ، وعدم

(١) «صريح البيان» (ص٦٤) .

(٢) «الفتاوي الهندية» (٥/ ٢٨٠) .

(٣) «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص١٢١) وما بعدها .

تأثير النار فيهم ، وممارسة اللعب بالأفاعي من غير أن تؤذيهم ، وذلك لكرامتهم عند الله تعالى !!

قال الذهبي رحمه الله : «قد كثر الزغل والفساد في أصحاب الطريقة الرفاعية ، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران ، وركوب السباع ، واللعب بالحيات . . . وهذا ما عرفه الشيخ أحمد الرفاعي والصلحاء أصحابه فنعوذ بالله من الشيطان»[1] .

كما يدعون أن النبي ﷺ جاء ومعه الكعبة قصداً لزيارة الشيخ الرفاعي في موطنه بقرية أم عبيدة[2] .

ويجيز الحبشي التقرب إلى الله بالرقص والغناء واستعمال الدف ، ويقول : إن إباحته عامة للرجال والنساء ، ويقول : «والتخصيص بالنساء لا يشهد له العرف ، ولا الشرع» .

وهذا الرقص والتصفيق الذي يجتمعون عليه باسم الدين مخالف لهدي النبي ﷺ وأصحابه ، وموافق لسنن اليهود .

لقد تلقى الحبشي الإجازة في الطريقة النقشبندية ، وهي طريقة صوفية عوجاء مخالفة للسُّنة بالرغم من تعصب المدافعين لها الذين يزعمون أنها طريقة سنية محضة[3]، فهم يدعون معرفة الغيب ، وشفاء المريض ، ولهم تصرفات عجيبة ، فشيخ النقشبندية يحي ويميت ، ويغيث الناس في أقصى الأرض وهو جالس في مكانه . . . وماذا بقي

(١) «العبر في خبر من غبر» (٣/ ٧٥) .

(٢) «روضة الناظرين» (ص٥٩)، و «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٦٩) .

(٣) «المواهب السرمدية» (ص٣) .

بعد هذا يا أصحاب العقول النيرة؟، وكثير من الخزعبلات الضالة التي يوافقها الحبشي ويدعو لها، وهذا عين الضلال والخداع، والى الله المشتكى؟!!

يطعن الحبشي في أئمة السلف رضوان الله عليهم الذين يرون بأن علم الكلام معطّلة، ويضرب بأقوال أئمة أهل السنة عرض الحائط، ويسفّه ويحكم بجنون كل من عاب علم الكلام، فالشافعي وأبو حنيفة وأحمد ومالك وغيرهم، لا عقول لهم عنده.

قال الشافعي للربيع: «لا تشتغل بالكلام؛ فإني اطلعت من أهل الكلام على التعطيل»[1]، وقال: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنة، وأقبل على الكلام»[2].

والمعروف أن علم الكلام اختلط بعلم الفلسفة والمنطق، الذي يرجع أصله إلى اليونان وعلمائهم، كأرسطو وأفلاطون.

ولهذا كان الحافظ ابن حجر يحذر من الدخول في متاهات جوهر هذا العلم المستحدث، لما لها من نتائج فاسدة، قائلاً: «وكان مما أمر النبي التوحيد بل هو أصل ما أمر به، فلم يترك شيئاً من أمور الدين إلا بلَّغه ثم لم يدع إلى الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والغرض»

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٢٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٢٩)، و«مناقب البيهقي» (١٠/٢٩)، و«الحلية» لأبي نعيم (٩/١١٦).

قال : «فالحذر من كلامهم ، والاكتراث بمقالاتهم ، فإنها سريعة التهافت»[1] .

ويذهب الحبشي إلى إثبات الصفات كلها إذا لم ينو المثبت تشبيهاً ، وأن من قال : «الله عين أو يدٌ ، ولم ينو الجسم فلا يكفر»[2]، مع أن ما نعهده عنه أنه يلزم المثبتين للصفات بإلزامات شتى ، وينعتهم بالحشوية والمشبهة والمجسمة والوهابية ، ولا يسألهم قبل حكمه عليهم إن كانوا ينوون الجسمية أم لا ؟ .

أما التأويل عند الحبشي فقد اهتم به وأفرغ فيه جهده ، فقد قيد الحبشي التأويل ، ووضع له قيود تنص على ما يلي :

كأن يكون النص المؤول ثبت إسناده بطريق الآحاد ، وأن لا يكون هذا التأويل عن طريق الاجتهاد لقوله : لا مجال للاجتهاد في أصول العقيدة ، وهذا معارض بتقديمه للأدلة العقلية على الشرعية ، والذي به يميزون بين ما يجوز تأويله ، وما يمتنع ، وبهذه القاعدة يجعل من العقل سيّداً ، والشرع عبداً له ، فيجيز هو وأمثاله عقلاً ما لا يجوز شرعاً ، ومع كل القيود التي اشترطها ؛ فإنه معترف بأن التأويل مفيد للظن لا القطع ، ويحتمل أن يكون مراداً لله ، وأن لا يكون كذلك فبئس البديل هو[3] .

أما أهل السلف فقد وصفوا أهل التأويل بأنهم (معطّلة) ، وذلك

---

(١) «فتح الباري» (١٣/٥٠٧) .

(٢) «الدليل القويم» (١٥٩) .

(٣) «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٢١٤) .

لأنهم أثبتوا ألفاظ الصفات ، وحرّفوا معانيها من غير دليل ، وإنما لمجرد احتمالات .

قال الإمام أبي حنيفة : «ولا يقال يد الله بمعنى قدرته ؛ لأن هذا إبطال للصفة» ، وقد حذف الحبشي من قول أبي حنيفة عندما استشهد بهذا الحديث : (لأن هذا إبطال للصفة)؛ لأن هذه العبارة تفضح مذهب التأويل ، وتكشفه على أنه تعطيل في الحقيقة[١] .

يزعم الحبشي أن الناس يرفعون أيديهم إلى السماء ؛ لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة ، كما يزعم الرفاعيون والحبشي منهم ، أن قبر الشيخ الرفاعي قبلة الدعاء يتوجّه المكروب إليها ، ويخطو نحوها ثلاث خطوات من أي مكان من العالم ، ويُقسم على الرفاعي أن يكشف همه وكربه ، لِم لا والشيخ عندهم (كعبة القاصدين ، وقبلة المريدين كما أن عرش الرحمن قبلة أصحاب الهمم)[٢] .

ومن الادعاءات الباطلة والمآخذ الحاسمة على ضلال الحبشي وفرقته : إعلانه الصريح أن القرآن ليس كلام الله ، إنما هو في الحقيقة كلام جبريل مستدلاً على ذلك بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[٣] ، وبقوله : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[٤]، وهو على استعداد لمسح أي نص

---

(١) «المصدر السابق» (ص٢٠٩-٢١٠) .

(٢) «القواعد المرعية» (ص٧)، و«الفجر المنير» (ص٨٨) .

(٣) سورة التكوير : آية ١٩ .

(٤) سورة القيامة : آية ١٨ .

من كتاب أو سُنّة أو قول إمام، ولويه على ما يحلو له - قاتله الله - على بغيه؟!، وهو بذلك عاد بالناس إلى مذهب المعتزلة أن القرآن مخلوق؛ لأن جبريل الذي هو منشيء ألفاظ القرآن مخلوق!!

وسبب نفي أن يكون القرآن كلام الله، هو أن الحبشي يرى أن الله تعالى يتكلم بكلام أزلي أبدي لا بداية له ولا نهاية، وهو ليس كلاماً مؤلفاً من الحروف والألفاظ المتعاقبة التي تتجزّأ وتتبعّض، وإنما هو كلام نفساني تكلم الله فيه بنفسه؛ لأن كلام الله ليس لغة، ولا حرف، ولا صوت[1].

يرى الحبشي أنه (لا دخل لمشيئة العبد في الكسب)، وأن جميع أفعاله مِن خَلْق الله لا تأثير لقدرة العبد، وقد تكرر قوله: «يجب على المكلف أن يرضى عن الله في تقدير الخير والشر، فالمعاصي من جملة مقدورات الله ومقتضياته»[2]، فالفعل فعل الله لا فعل العبد، والمشيئة مشيئته لا مشيئة العبد، ويجب الرضا عن أعمال الكفر؛ لأنها من قضاء الله وقدره، فهو يرى أن الله قد اضطر الكافر على الكفر، وأنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر[3]، وهذا مذهب الجهمية بئس ما قالوا: ألا ساء ما يزرون؟!.

وأهل السُّنة يعتقدون أن الله خالق أفعال العباد لا خالق سواه، وليس بوسع المخلوق أن يخلق فعله «ولكن إذا قيل إن الله خالق أفعال العباد،

(١) «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٢٨٥) وما بعدها.

(٢) «بغية الطالب» (ص٢٧٠)، و«الدليل القويم» (ص٨٥).

(٣) «النهج السليم شرح الصراط المستقيم» (ص٦٧)، و«صريح البيان» (ص٤٣).

فليس معنى هذا أنه يجوز أن يتصف بها أو تعود أحكامها إليه ، وإنما تعود أحكامها إلى الإنسان الذي فعلها وقامت به وصارت فعلاً له ، فالله خالق أفعال العباد حقيقة ، والعباد فاعلون لها حقيقة ، ولا منافاة بين الأمرين ، وليس في ذلك ما يقلل من جلال الله وصفاته . . . »[1].

يطعن الحبشي في الصحابة -رضوان الله عليهم-، ويستنكر أفضليتهم كخالد بن الوليد ، ويرى أن قول الرسول ﷺ : «لا تسبّوا أصحابي» خاص ببعض الصحابة وليس كلهم ، قال : هؤلاء لا يدخل فيهم خالد بن الوليد الذي سمّاه النبي ﷺ سيف الله ، ولا معاوية بن أبي سفيان .

وهذا استنتاج غير موفق ، ومخالف لصريح الحديث الشريف ؛ فإن النبي ﷺ نهى أن ينال الصحابي في عرض أخيه الصحابي .

وخالد بن الوليد من كبار الصحابة رغم أنوف الرافضين من أفراخ الرافضة[2]، وما أنف ذكره يعتبر غيض من فيض من الانحرافات العقدية ، والأفكار الشيطانية التي يتاجر بها أصحاب الدعوات الباطنية ، والفرق الهدّامة وأهل الضلال .

فتاوى الحبشي :

لم يترك الحبشي مجالاً في الدين إلا وطرقه بأفكاره الدخيلة ، فقد دخل على الناس من باب الإفتاء ، ونصّب نفسه مفتي ، وقدّم الكثير من

---

(١) «منهاج السنة النبوية» نقلاً عن كتاب «قضية الخير والشر» للأستاذ الفاضل محمد السيد الجليند (ص٣٠١) .

(٢) «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٣٥٧) وما بعدها .

الفتاوي الشاذة والمغلوطة ، وفيما يلي سأستعرض طرفاً منها :

أولاً : أجاز الصلاة بالنجاسة من بول الكلب ، وكره استعمال يد الرجل عند الاستنجاء .

ثانياً : أجاز أخذ الربا من الكفار الحربيين ، وسلب أموال غير المسلمين ، ولو بطرق القمار .

ثالثاً : لم يجز إخراج الزكاة على العلمة الورقية المستعملة في هذا العصر كالدولار وغيره .

رابعاً : جواز القمار (اليانصيب) للفقراء .

خامساً : جواز الحيلة على الله ، قال ابن بطال في قول رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات» : والاستدلال بهذا الحديث على سد الذرائع ، وإبطال التحيل من أقوى الأدلة[١] .

والمقرر عند أهل العلم أن كل حيلة يتوصل بها إلى إبطال حق أو إثبات باطل فهي حرام .

سادساً : أجاز استعمال بعض الألفاظ غير المؤدبة مع الله مثل (حل عن ربي) فهو لا يلتزم الأدب مع الله فيستخدم الألفاظ الشنيعة في حق الله تبارك وتعالى[٢] .

سابعاً : وجوب تشديد مخارج السين والصاد ، لأنها من الأحرف المستقبحة ، وذلك عند قراءتها في الصلاة أو في موضع آخر .

---

(١) «فتح الباري» (١٢/٣٢٦) .

(٢) «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٢٥٠)، و«بغية الطالب» (ص٤١) .

ثامناً : جواز إطالة النظر إلى المرأة الأجنبية .

تاسعاً : أجاز خروج المرأة متزينة متعطرة كما أجاز خروجها رغماً عن إرادة زوجها لطلب العلم .

عاشراً : أجاز مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية ، واشترط وجود حائل ، وهذا استدراج لإباحة المصافحة كما أجاز اختلاط الرجل بالمرأة والتحدث معها ، ولو من غير حاجة[١] .

موقف الحبشي من العلماء :

تعرّض الحبشي للكثير من العلماء والأئمة بالسبّ والتسفيه ، ونذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر من ذلك :

الإمام الذهبي : فقد تعرض للذهبي بالطعن فقال : «إذا قيل عن الذهبي خبيث ، فهو في محله»[٢] .

العلامة الألباني : فقد توقع الحبشي للألباني أن لا يموت على الإسلام فقال عنه : (هذا إن مات مسلماً)[٣]، وذلك لمجرد الاختلاف معه على مسألة السبحة - قاتله الله من مارق فاسق - .

الشيخ سيد سابق : وتعرّض للسيد سابق ، واصفاً إياه بأنه (مجوسي وإن ادعى أنه من أمة محمد ﷺ)، وادّعى كذلك عليه أنه محرّف لكلام

(١) «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٣٧٤)، وما بعدها ففيه بسط وتفصيل .

(٢) «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٤٢٧) .

(٣) «التعقّب الحثيث» (ص٨٩) .

الله تعالى . . .

شيخ الإسلام ابن تيمية : لقد نسب الحبشي إلى ابن تيمية جملة من الاتهامات والافتراءات منها : زعمه بأن ابن تيمية يشبه الله بخلقه ، وأنه قال : بأن النبي ﷺ ليس له جاه[١]، وأنه هو وأتباعه يكفّرون[٢] المتوسّلين بالرسول ، وأنه قال : (إن الله مركبٌ مفتقرٌ إلى ذاته افتقار الكل إلى الجزء)[٣]، وغيرها من الاتهامات الباطلة التي زيّنها له الشيطان ، واستهواها ، فجرى وراءها ليمعن في الطعن في كبار العلماء والأئمة وغيرهم من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

وها هو يطعن ويتهم العلماء الذين شُهِد لهم بالورع والتقوى ، وبالمقابل يسكت عن انحرافات كثير من المتقوّلين على الدين أمثال (القشيري) الذي يقول : أن حقيقة مقام الرضا بالله : أن لا تسأل الله الجنة ، ولا تستعيذ به من النار ، وهو الذي يحتجّ بحكم الحلاج ، وهو من أعظم زنادقة هذه الأمة ، الذي يدعي أنه لم يعرف الله حقيقة إلا إثنان : إبليس وفرعون ، كما ويسكت عن انحرافات الهيتمي ، والصيادي ، والسهروردي ، والغزالي ، وابن عربي ، ومن ينتمون إلى الطوائف الصوفية ، والرفاعية الضالة .

هذا قليل من كثير من خزعبلات وأضاليل الحبشي ، وهدفها كما هو ظاهر تضليل المسلمين ، وإبعادهم عن الصواب ، وخلط الحق بالباطل

---

(١) «المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية» (ص١٦ و٧٦) .

(٢) «المقالات السنية» (ص٢٦) .

(٣) «المصدر السابق» (ص٧٦) .

مما يثير الشكوك والشبهات في نفوسهم ، ويضيق عليهم سبيل العقيدة ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] .

رد من أمريكا على الحبشي :

أثار الحبشي وأتباعه مشكلة في الغرب حول الاتجاه الصحيح للقبلة ، وزعموا أن الناس في أمريكا وكندا يتوجهون إلى غير جهة الكعبة التي يتوجه إليها المسلمون هناك ، حتى صارت للأحباش مساجدهم الخاصة بهم ، وقد انحرفت قبلتهم عن الاتجاه المعروف بتسعين درجة . . .

ومن الجدير ذكره أنهم كانوا يصرون في أمريكا وكندا على أن الأرض مسطحة ، وليست كروية ، ثم تراجعوا عن ذلك إلى القول بأنها بيضاوية ، أو أسفلها كروي ، وسقفها مسطح .

وقد صدر في أمريكا كتاب يرد عليهم ، ويبطل استدلالاتهم الفاسدة التي أثارت موجة من القلاقل ، وأدت إلى سخرية الكفار بالمسلمين الذين يأتي إلى اليوم منهم من يخالف أبسط البديهيات الجغرافية .

وقد تم طرد أتباع الحبشي من بعض الولايات المتحدة عندما حاولوا تغيير اتجاه القبلة من الجهة الشمالية الشرقية إلى الجهة الجنوبية الشرقية .

ويفتي بشتى العلوم فقهية وعقائدية حتى جغرافية ، فقد أدت هذه الفتنة إلى الفوضى في المساجد ، الأمر الذي جعلهم عرضة للطرد في

---

(١) سورة الأنفال : آية ١٣ .

أي مكان حلوا فيه ، كما أن مؤلف الكتاب رأى مدى عناية أعداء الإسلام بهذه الفرقة الجديدة ودعمها ونشرها لإثارة الفتن والتشويش بين المسلمين في أوطانهم ، وفي أماكن هجرتهم على السواء[1]، فقد أكّد أن رجلين من أئمة الأحباش نزلوا في كندا تحت كفالة الكنيسة المتحدة[2].

وهكذا يتبين لكل ذي عينين أن هذه الفرقة التي عاثت في الأرض فساداً قد انكشفت أدوارها ، وظهر زيفها غرباً وشرقاً ، حتى في العالم الغربي الذي وجه إليها صفعات قاسية شككت في مناهجه وعقيدته المعوجة . هذا هو الأفّاك الأشر ، قد فضحه الله ، والله من ورائهم .

فتوى ابن بـــاز في الحبشي :

أجاب العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز مفتي الديار السعودية في فتوى عن عبد الله الحبشي قال فيها :

«وأفيدك أن هذه الطائفة معروفة لدينا فهي طائفة ضالة . ورئيسهم المدعو عبد الله الحبشي معروف بانحرافه وضلاله ، فالواجب مقاطعتهم ، وإنكار عقيدتهم الباطلة ، وتحذير الناس منهم ، ومن الاستماع لهم أو قبول ما يقولون . . .»[3].

وهذا - أخي القارىء - يؤكد ما ذهبنا إليه من فساد عقيدة الحبشي ، وضلاله وتخرصاته الحمقاء التي لا يقبل بها إلا من سفه نفسه ،

---

(١) «شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» (ص٤٠٠) وما بعدها .

(٢) The habashis and the issue of qiblah. p.13.

(٣) «مقدمة كتاب شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة» .

وسبحان الذي طمس على قلبه ، وأعمى بصيرته ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١] .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[٢] .

لا تأخذوا عنه دينكم :

ولماذا نذهب بعيداً ، فمن فمه ندينه ، فقد قال سيء الذكر الحبشي : لا يجوز استفتاء من ليس له كفاءة في علم الدين ، لقول ابن سيرين : «إن هذا العلم دين ؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم»[٣] .

وهنا نسرد هذا القول بعدما اطلعنا على عقيدته ، وأفكاره الشاذة ، والتي تبين أنه ليس كفؤاً في علم الدين ولا الفتوى .

لقد حذّرنا النبي ﷺ من أئمة الضلال فقال : «إن أخوف ما أخافه عليكم من بعدي الأئمة المضلين»[٤]، ووصفهم بأنهم «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، وأنهم «يهدون الناس بغير هديه»[٥] .

والحبشي يهدي الناس بغير هدي النبي ﷺ ، ويصرف الناس إلى

(١) سورة الأنفال : آية ٢٢ .

(٢) سورة الرعـد : آية ١٧ .

(٣) «بغية الطالب» (ص٢٦٤) .

(٤) رواه أحمـد (٥/ ١٤٥) ، والدارمي (١/ ٧٠) بإسناد صحيح .

(٥) رواه البخاري (٧٠٧٤) .

الاشتغال بما ليس من الدين فيثير الفتن ، ويؤجج الحقد بينهم ، ويبعد الناس عن تحكيم شريعة الله .

قال عمر رضي الله عنه لرجل : «هل تعرف ما يهدم الدين؟ يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين»(١) .

والكيّس الفطن يعلم أن الجهات التي وراء هذا الرجل الدنية والتي تؤيده وتحيطه بكامل الدعم ، ليست حريصة على نشر السُّنة الصحيحة بين المسلمين ، وهذه من أعظم القرائن على فساد العقيدة التي أتى بها هذا الرجل . . .

فحذار أخي المسلم من أمثال هذه الأبواق والمعاول الهدّامة ، التي تنفث سمومها بين صفوف المسلمين ، وتغرر بهم فهي بذور فاسدة ، وما بني على فاسد فهو فاسد .

وبعد : فإني أضرع إلى الله تعالى أن يجنب هذه الأمة الضلال والمضلين ، ومكائد العابثين ، فهو وحده القادر على ذلك إنه نعم المولى ونِعم النصير . . .

---

(١) رواه الدارمي (١/ ٧١) .

فـرقــة الإسـماعيليــة

أثيرت بين المسلمين كثير من الفتن والانقسامات ، فتفرقت شيعاً وأحزاباً ، وعمّت الفوضى والضلال ، وسبب ضلال هذه الفرق عدولهم عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ . . . ﴾[1] ، ومن الفرق القديمة الحديثة فرقة الإسماعيلية .

تاريخ فرقة الإسماعيلية :

ينطلق العلماء والفقهاء والمؤرخون في بناء وتكاثر الفرق الإسلامية من نقطة مركزية هي الخلاف العلوي الأموي ، وبالتحديد عهد عثمان ابن عفان الخليفة الراشدي الثالث -رضي الله عنه-، ومنذ مقتل عثمان واستلام العلوي والأموي ، وتشكلت أول معارضة سياسية إسلامية دموية . امتدت جذورها لتفرخ شجرة في بعض ثمارها خبث شديد ، حيث تمثلت هذه الثمار في الذي أطلق عليه اصطلاحاً -غلاة الشيعة- وعلى رأسهم الطائفة الإسماعيلية التي ولدت في كل من إيران القديمة -فارس المسلمة-، وشمال سورية الساحلية منطقتي اللاذقية وطرطوس . حركة سياسية دينية منظمة أطلق عليها أتباعها ومريدوها لقب الحشاشون ، ولقد اتبعت حركة الحشاشين أسلوب الاغتيال السياسي لفرض استراتيجيتهم من أجل تحقيق هدفهم المركزي ، وهو

(١) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .

إقامة الدولة الإسماعيلية العظمى على أنقاض الخلافة الإسلامية السنية، لكن نهاية هذه الحركة السياسية الدموية التي عطلت فيما بين أعضائها الشريعة الإسلامية، وأباحت المحظورات والمحرمات كانت نهاية وخيمة، ففي إيران جاءت الضربة القاضية على يد وثني سفاح هو (هولاكو) أمير المغول خليف جنكيز خان، والذي كانت مهمته اكتساح بلاد المسلمين من الصين وحتى مصر، والضربة القاضية الثانية هي ضربة الملك الظاهر بيبرس للحركة الإسماعيلية في سورية (بلاد الشام) ومن ذلك الوقت وحتى اليوم، نامت الإسماعيلية نومة هادئة لم تصح إلا منذ فترة وجيزة لتطل علينا بصورة جديدة، وأسلوب جديد[1].

إسماعيلية معاصـــرة :

يؤمن الإسماعيليون مثلهم مثل غالبية الشيعة بل كل الشيعة بالإمامة، وتعتمد نظرية الإمام الغائب وهو الإمام الغائب المنتظر القدوم في جوهرها فكرة (الخلاص)، وهي فكرة يهودية نصرانية أصلاً، حيث يؤمن هؤلاء بفكرة (المخلص/المسيح المنتظر) لكن الفارق بين هؤلاء من جهة، والشيعة عموماً والإسماعيلية خاصة، يكمن في اسم المخلص أو الإمام أو المسيح المنتظر، وبالطبع؛ فإن لهذه النظرية قواعد وأصول فلسفية عميقة الجذور في التاريخ حسب الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع، ولقد سميت فرقة الحشاشين نفسها بالإسماعيلية تمييزاً عن بقية الشيعة؛ لأنها تؤمن بأحقية ابن جعفر الصادق الأكبر في الإمامة، واسمه (إسماعيل) وذلك عام ٧٥٦م، إلا أن الشيعة تؤمن

(١) انظر: «مجلة الشريعة» (ص٢٨ - العدد ٣٣٤ سنة ١٩٩٣م - الأردن).

بإمامة الأخ الأصغر لإسماعيل وهو (موسى الكاظم).

واليوم يعد (آغا خان) كلقب لإمامهم الحي هو القائد ومقره في الهند، تقول أنباء معاصرة وردت من بلاد الشام وإيران والهند أن الإسماعيليين الجدد يظهرون تحت اسم فرقة جديدة حديثة التكوين، مهمتها جمع شتات الإسماعيليين المنتشرين في العالم، وذلك بتأدية دور سياسي جديد. ومن أجل هذا الغرض بدأت اتصالات مع كل من أبناء الطائفة في كل من بلاد الشام والهند وإيران وبريطانيا، وعرض الأمر على النصيريين في بلاد الشام، ليتولوا قيادة الفرقة وتسمية منظماتها وتحديد استراتيجيتها ورسم برنامجها المرحلي، لتصب في إحياء البرنامج الشيعي العام الداعي لتصدر العمل الإسلامي بدلاً من الاتجاه السني الذي تمثله السلفية المعاصرة انطلاقاً من السعودية.

الإسماعيليون الجدد يحملون نفس العقائد القديمة وحددوا لهم مهمة قديمة جديدة، هي اختراق العقل الإسلامي السني عبر طرح أسلوب التشكيل كسلاح، فهم يلبسون ثوب الإسلام السني الشافعية أحياناً، والأشاعرة أحيانا أخرى، لكن طروحاتهم الفكرية، والعقائدية، والسلوكية تجر المريد الجديد لحلقة الإسماعيليين بشكل أو بآخر، ويعتمد هؤلاء أسلوب التكفير لكل مخالف بالقول والفعل. وتبدأ قائمة الكفار عندهم من معاوية، وتنتهي بآخر إنسان يخالف عقيدتهم ونهجهم، أما الخارطة المرسومة لهم فهي العودة لكل أملاك الإسماعيلية القديمة في العالم الإسلامي إفريقيا وآسيا وأوروبا.

عقيدة الإسماعيلية :

العقائد القديمة الجديدة للإسماعيلية التاريخية حتى اليوم هي نفسها لم تتبدل إلا في عهد أحد أئمتهم جلال الدين حسن ١٢١٠م الذي عاد لشريعة أهل السنة فترة حياته حتى وفاته ، وهي فترة قصيرة في تاريخ الإسماعيلية الطويل . وهم يؤمنون بالتقية ؛ أي إظهار أمر وإخفاء الحقيقة ، لذلك نجدهم أحياناً يلبسون لباس أهل السُّنة ، وهم يبطنون الكفر والإلحاد ، كما تحاول فرقتهم الجديدة أن تفعل اليوم ، وفيما يلي موجز لأهم مبادئهم السرية :

١- الإيمان بمحمد كرسول ونبي ، وبآل بيته منبعاً للمعرفة والحكمة والسلطة ، ومن ثم فكل إسماعيلي ينتمي لآل البيت بمجرد إعلانه إسماعيليته ، وكل إسماعيلي في الجنة ، وغير ذلك في النار .

٢- الإيمان بعلي وآل بيته كنبع للعصمة ، والأئمة من نسل علي معصومون حسب التسلسل الإسماعيلي فقط ، وعلي هو الحق ، والحق فقط .

٣- الإسماعيليون لا يصلون تجاه الكعبة ، وهم غير مكلفين بالشريعة المفروضة على المسلم السني ؛ لأنه إسماعيلي .

٤- الجنة عند الإسماعيلي هي الإباحات ، والنار هي قيود الشريعة السنية ، لذلك يجب كسر الشريعة من أجل الانعتاق ، وتعتبر عقيدة أهل السنة هي العدو الأول ؛ لأنها جهنم حسب اعتقادهم ، وكتبة العقيدة السنية شياطين يجب تحقيرهم عند ذكرهم ، ومن ثم تكفير غير حامل العقيدة الإسماعيلية . والكفر هو نقطة الإيمان ، ويبدأ بتكفير كل مسلم

ذمّ الباطنية عبر اختلاق مواقف فريقه له تعتبر مطبّات شرعية ، فمن السهل القول بكفر أبو هريرة أو ابن تيمية أو سيد قطب فقط لرأي أحدهم في موقف سياسي أو فقهي أو قضائي . . .

٥- المحرمات عند الإسماعيلية الجديدة هي اتباع أهل السُّنة ، والاعتقاد بصحة عقيدتهم كاملة أو غير ما هي مرسومة بقواعد الدعاة الجدد حسب رأي الشيخ الإسماعيلي .

٦- رحمة الله لا تصيب غير الإسماعيلي ؛ لأنه ضحّى من أجل الله ، وغير ذلك كان يضحي من أجل الشيطان . والقيامة قامت بكشف الأسرار على الإسماعيلي لا غير . . .

والنار حسب رأيهم سياج للعقيدة في الدنيا ، يجب تمجيدها ؛ لأنها تحرق الكفار ، وهي سلاح الخالق في الدنيا والآخرة[١] .

وبعد ؛ فخروج الفرق بشكل عام ، والإسماعيلية بشكل خاص هدفها تقويض عقيدة أهل السُّنة بارتدائها رداء السُّنة ، لتضليل جماهير المسلمين وقذف بذور الشك ، والتمرد في نفوسهم ، وهنا نتساءل هل يقف أهل السُّنة مكتوفي اليدين أمام هذا الخطر في وقت يستأسد فيه الصهاينة الجدد الوثنيون والصليبيون ؟ ألا هناك من مجيب ؟!!

والله أسأل السداد والتوفيق ، وهو نِعم المولى ، نِعم النصير .

---

(١) انظر : «مجلة الشريعة» (ص٢٨-٢٩ العدد ٣٣٤ سنة ١٩٩٣ - الأردن) .

البهـــائيـــة

تعتبر فرقة البهائية امتداد للبابية ، فإن الحركة البابية المنبثقة من الشيعة الإثنى عشرية (الرافضة) ، وموطنها الأول إيران .

لم تقف البابية بعد هلاك (الباب) ، وهو الزعيم الأول لها ، بل تطورت على يد من أتباع الباب هو الميرزا حسين علي المازندراني الملقّب بالبهاء ، وواصلت تآمرها وحربها للإسلام والمسلمين بعد أن غيّرت وبدّلت في تعاليمها كما تفعل الباطنية في كل بلد وزمن[١] .

مؤسس البهائيـــة :

هو الميرزا حسين علي بن الميرزا عباس المازندراني ، ولد بطهران سنة ١٢٣٣هـ، ونشأ فيها على مذهب الرافضة ، وتعلق بالصوفية وعاش معهم ، وأتعب نفسه في قراءة كتبهم ، وعندما أعلن الباب أنه المهدي الذي تنتظره الرافضة اتبعه ، وبدأ ينشر تعاليمه ، وحضر مؤتمر (بدشت) الذي أعلنت البابية فيه عن كفرها ، وقد سجن بعد مؤامرة البابيين على الشاه ، وأخرج من السجن بضغط من السفارة الروسية والبريطانية ، ونفي إلى بغداد ، وقد كانت ثقافته خليطاً من الأديان الوثنية كالبوذية والبرهمية والمانوية ، وكذلك اليهودية والنصرانية وديانات الفرق الباطنية بالإضافة إلى المذهب الصوفي[٢] .

---

(١) انظر : «البابية» – عبد الله الحموي – .

(٢) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٦٠) وما بعدها .

وقع نزاع بين البهاء وأخيه الميرزا يحيى نور الذي لقبه الباب بـ(صبح أزل) فقد ادعى كل منهما أن الله أوحى إليه بكتاب يصدق دعواه ، ويكذب دعوى أخيه ففرقت بينهما الحكومة التركية فنفت البهاء إلى مدينة (عكا) ، ونفت (صبح أزل) إلى قبرص ، إلا أن البهاء استطاع التغلب على أخيه ، وكانت نهاية الأزليين على يد البهائيين ، وخلا الجو للبهاء وأتباعه ، وظهرت البهائية خلفاً للبابية . . .

مزاعم البهاء وضلالاته :

من أبرز مزاعم البهاء وضلالاته ما يلي :

١- ادعى أنه خليفة الباب ، ثم زعم أنه هو المسيح المنتظر ، وأن استاذه الباب لم يكن إلا مبشراً به .

٢- ثم ادعى النبوة والرسالة ، وزعم أنه أوحي إليه بكتاب الأقدس الذي ينسخ كتاب الباب (البيان) .

٣- ثم ادعى الألوهية وأن الله تجلى فيه ، وكان يضع برقعاً على وجهه ، ويدّعي أن (بهاء الله) المتجلي في وجهه لا يُرَى بالأبصار ، ويصرح البهائيون في كتبهم بأن ربهم هو الميرزا حسين البهاء .

٤- اعتبر دعوته ديانة جديدة ليست هي الإسلام ، وأنها تجمع الأديان كلها ، وأرسل كتبه إلى الحكام مدعياً حلول الله فيه ، وسمّى هذه الكتب (سوراً) .

٥- جعل المكان الذي يقيم فيه هو القبلة التي يتوجه إليها أتباعه في صلاتهم[١].

٦-لقد تأثر البهاء بقراءاته الطويلة في كتب الصوفية وحياته معهم، والرجل شيعي رافضي، والصلة وثيقة بين التصوّف والتشيّع، وهما من أخطر معاول الهدم للإسلام والمسلمين.

كما ألّف البهاء كتاب الأقدس، وزعم أنه نزل من سماء المشيئة الإلهية مع زعمه أنه الإله، وقد اشتمل كتابه المزعوم على الأفكار السخيفة، والمعاني الساقطة والأحكام العشوائية، والجهل بأمور الحياة والمجتمع والإنسان مع التراكيب الضعيفة، والأخطاء الفاحشة، والمحاولة المضحكة لتقليد القرآن بطريقة محجوجة.

وقد شعر البهائيون بانكشاف أمرهم، فلم يطبعوا كتاب الأقدس من مدة طويلة، بل كانوا يمنعون أتباعهم من طبعه خوفاً من الخزي والفضيحة...

تطوير جديد للبهائية:

بعد وفاة البهاء خلفه ابنه عباس، ولقب بـ (عبدالبهاء) فغيّر في تعاليم أبيه كما غير أبوه في تعاليم الباب.

وقد حوّر ابنه عباس تعاليم أبيه بما يتفق مع العقلية الغربية والثقافة الغربية، فاتجه إلى النصرانية واليهودية وأخذ منهما، والمجوس في التركستان وأمريكا، وتحمس له بعض الغربيين فأصبح له مركز في

(١) انظر: «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٦١)، وكتاب: «البهائية» عبدالله الحموي.

(شيكاغو) ومجلة باسم (نجم الغرب) صدرت سنة ١٩١٠م ، وادعى عباس أن أسفار اليهودية والنصرانية بشّرت بالبهاء وابنه[١] .

حكم الإسلام فيها :

أفتى علماء المسلمين بكفر البهائيين وخروجهم عن الإسلام ، وأن من اعتنق مذهبهم من المسلمين صار مرتداً عن الإسلام[٢] .

---

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٦٣) .

(٢) وقد كشف كفر البهائية وفسادهم محمد حسين آرواره الذي كان من كبار زعماء البهائية ثم رجع إلى الإسلام ، فكشف حقيقة البهائيين في كتاب ألّفه بعنوان : «كشف الحيل» .

القـاديـانيــة

تعريفها ونشأتها التاريخية :

القاديانية هي نحلة هدّامة وطائفة كافرة تتخذ من اسم الإسلام شعاراً لستر أغراضها الخبيثة ، وعقائدها الفاسدة والتي من أخطرها : دعوى النبوة لزعيمها ، وتحريف نصوص القرآن وإبطال الجهاد . . .

وسميت بهذا الاسم نسبة إلى قاديان البلدة التي ولد فيها المتنبي الكذّاب ، وفي أفريقيا يسمون أنفسهم أحمدية ، وفي بعض الأقطار ، وذلك نسبة إلى هذا المدعي للنبوة المسمى أحمد .

أسس هذه الفرقة ميرزا غلام أحمد القادياني في القرن التاسع عشر الميلادي في بلاد الهند إبان الاستعمار الإنجليزي للديار الهندية ، وقد تحقق علمياً وتاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية ، ما أنشئت إلا لخدمة أغراض الاستعمار البريطاني ، وقد صرح هذا القادياني في بعض كتاباته بأنه غرس غرسته الحكومة الإنجليزية ، وأنه مدين لها بالولاء والوفاء ، ولهذا جعل من أركان دينه وجوب طاعتها وإبطال الجهاد ، بل اعترف هذا المتنبي أن الاستعمار الانجليزي هو الذي افترى له دعوى النبوة .

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : وقد ساعدت العوامل الاجتماعية والسياسية والفكرية الكثيرة التي توفرت في عصر ظهورها ؛ فانتشرت

على بعدها من الإسلام، وأصبحت طائفة كبيرة يحسب لها الحساب[١].

مؤسسها : هو غلام أحمد بن الميرزا مرتضى بن عطا محمد .

نسبه وأسرته : يزعم الغلام أن أسرته مغولية نزحت من (سمرقند) وفي مقام آخر زعم أنه أوحي إليه أن أسرته فارسية، ومرة قال : بأنه صيني الأصل، ومرة أخرى قال : إني فاطمي من بني فاطمة، وكلما تسأله عن هذه التناقضات يقول لك : إنه هكذا أخبر عن الله .

ولد الميرزا غلام أحمد سنة ١٨٣٩م أو سنة ١٨٤٠م في مدينة قاديان أحد مدن مقاطعة بنجاب في أسرة معروفة بخدمة الاستعمار الانجليزي، ومشهورة بالتعاون والولاء لطائفة السيخ التي هي ألدّ الأعداء للإسلام والمسلمين في الهند .

نشأتـه : تلقّى في مدينة قاديان مبادىء العلوم ومنها الفلسفة والمنطق والطب، واشتغل بالوظائف فترى من الزمن، وشارك في امتحان الدراسة القانونية لكنه رسب، وأخيراً انصرف إلى إدارة شؤون المزارع التي كان يملكها، وقد أصيب كما جاء في كتبه وكتب أتباعه بأمراض فتّاكة خطيرة، كما أصيب بلوثة عقلية ونوبات عصبية حادة، وكان يتداوى من أمراضه ببعض المواد المسكرة[٢].

---

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٤٤-١٤٦) وراجع كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٢٥٣) وما بعدها .
(٢) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٤٦) .

دعـــاوي القاديانـــي :

تدرّج المتنبي القادياني في دعوته تدرّجاً يذكرك بوسائل الباطنيين والإسماعيليين في نشر دعوتهم :

١- ادّعى أولاً أنه ينزل عليه الوحي عن طريق الإلهام .

٢- ادّعى ثانياً أنه مجدّد العصر ، وأنه يشبه المسيح عيسى ابن مريم في صفة التواضع والدعة والمسكنة .

٣- وفي المرحلة الثالثة زعم أنه هو المسيح الموعود بنزوله في آخر الزمان و ولكنه قال : بأنه نبي نبوة جزئية .

٤- وفي عام ١٩٠١م ادّعى أنه نبي نبوة كاملة ، ومن أقواله في ذلك : إن دعواي هي أني رسول ونبي .

٥- وفي عام ١٩٠٤م أضاف دعوى جديدة إلى دعاواه السابقة ، فادعى أنه (كرشناً) ، وكرشناً هذا معبود من معبودات الهنادك ، وهم يعتقدون فيه ما يعتقده المسلمون في الله عز وجل .

مواطنهـــا : للقاديانية مراكز ودعاة في شتى أقطار الأرض ، فلهم عدة مراكز في أمريكا وأوروبا وأفريقيا والشرق الأقصى ، ولهم إحصاء قديم يقول : بأن عدد مراكزهم في العالم بلغ ٣١ مركزاً .

ومركزهم الرئيسي في باكستان في منطقة سموها الربوة .

نشاطاتها : تعددت مظاهر نشاطهم على وجوه منها :

١- تأليف الكتب وإصدار الصحف والمجلات ، فلهم مجموعة من الكتب والرسائل ألّفها زعماء المذهب ولهم أربع صحف .

٢- وفي مجال التعليم أنشأوا عدة مدارس منها (المدرسية) الكلية .

٣- كما عنوا بإنشاء المستشفيات ، وبعث الإرساليات لنشر نحلتهم في العالم .

تنظيماتها : أنشأ القاديانيون بلدة سموها (ربوة) في باكستان جعلوها مركزاً خاصاً بالقاديانيين ، وخططوا لإقامة دولة لهم في باكستان . كما صرح بذلك (بشير الدين محمود) في خطبة له بعد قيام باكستان بسنة . وقد سموا دجالهم بـ (أمير المؤمنين) ، وأنشأوا سبع إدارات أشبه ما تكون بتنظيم دولة .

ومما يلفت النظر أن دعاة القاديانيين عندما يشرعون في بث دعوتهم بين المسلمين لا يظهرون إلا في مظهر دعاة الإسلام ، ولا يطلقون على مهمتهم إلا كلمات البعث والتجديد ، وذلك لإيقاع المسلمين السذج في مصيدتهم(١) . . .

اعتقاداتهم : تعتقد القاديانية بأن لهم إلهاً يتصف بصفات البشر ، يصوم ويصلي وينام ويصحو ويخطىء ويصيب . . . ، ولهم في ذلك نصوص كثيرة سوداء مظلمة ، وهم يعترفون بأن إلٰههم غير إله المسلمين .

ويعتقدون أن النبوة لم تختم بخاتم الأنبياء والمرسلين . ويكفرون بالنصوص المتواترة في ذلك ، ولهذا قالوا بنبوة دجالهم كما ادعى النبوة مجموعة من أتباعه ، كما ويعتقدون أن لهم كتاباً مستقلاً يضاهي القرآن

---

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٥٠) وما بعدها .

في المرتبة، وله عشرون جزءاً واسمه الكتاب المبين. وأن القاديان مثل مكة المكرمة أو المدينة المنورة في المنزلة بل أفضل منهما.

ويؤمنون بأن الحج المفروض هو الحضور في المؤتمر السنوي في القاديان. ويرون أن نصف دينهم وركنه الأكبر هو طاعة الحكومة البريطانية، كما ويعتقدون بأنهم أمة مستقلة ودين مستقل، وأنهم ينفصلون عن المسلمين في كل شيء في العقيدة والعبادة وغيرها، فهم يقولون ليس شيء يجمع بيننا وبين المسلمين، فربنا غير رب المسلمين، وإسلامنا غير إسلامهم، وقرآننا غير قرآنهم، وصلاتنا غير صلاتهم، وحجنا غير حجهم، ولهذا يكفرون المسلمون ويمنعون التزاوج معهم والصلاة عليهم، ولكنهم مع ذلك كله يدعون للإسلام وينشرون كفرهم باسم الإسلام[1].

حكم الإسلام فيهم:

أجمعت الأمة الإسلامية على أن أتباع المذهب القادياني كفرة خارجون عن الإسلام، وصدرت بهذا فتاوى كثيرة من علماء العالم الإسلامي.

ولمقاومة خطر القاديانية لا بدّ من كشف حقيقتهم وعقائدهم الزائفة. ومخططاتهم الشريرة وعدم التعامل معهم، ومقاطعتهم اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، ومعاملتهم معاملة الكفار، ومحاربة نشاطهم التخريبي في العالم الإسلامي بكل الوسائل، والذي ظهر في ترجمة القرآن الكريم ترجمة محرّفة مع التفسير المحرّف المزيف الذي يخدم

(١) انظر: «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٥١-١٥٢).

أغراضهم ، وذلك إلى اللغات الانجليزية والألمانية واللغة السواحلية ، والعديد من النشاطات التخريبية ، وقد تولت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي التحذير من تلك الترجمات الباطلة ونبهت المسلمين إلى زيفها وانحرافها[1] فجزاها الله عن المسلمين خير الجزاء .

---

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٢٧٣) .

الشيعــة

الشيعـة في اللغـة هـم الأتباع والأنصار ، ويقع على الواحد والاثنين والجمـع والمـذكـر والمـؤنـث بلفـظ واحـد ، وهـو مـن المشـايعـة والمتابعة[1] .

وفي العُرف العام أصبح التشيّع علماً على من تولى علياً وبنيه وأقرّ بإمامته .

فــرق الشيعــة :

والشيعة خمس فِرق[2] بعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السُّنة ، وبعضهم إلى التشبيه ، وإليك - أخي القاري - هذه الفِـرق :

١- الكيسانية : أصحاب كيسان ؛ مولى علي أمير المؤمنين - رضي الله عنه - .

٢- الزيـــدية : أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة - رضي الله عنها - ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ، على أن يكون عالماً شجاعاً كل فاطمي خرج بالإمامة ، وهم عدة فرق .

٣- الإماميـة : وهي عدة فرق ، وهم القائلون بإمامة علي رضي الله

(١) انظر : «القاموس المحيط» .

(٢) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ١٠٤) .

عنه ، بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً ، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين .

٤- **الغـالـيـة** : هؤلاء هم الذين غلوا في حقّ أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليفة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبّهوا واحداً من الأئمة بالإله . وربما شبّهوا الإله بالخلق ، وتنحصر بدعهم في أربعة : التشبيه والبداءُ والرجعة والتناسخ .

٥- **الإسماعيلية** : قالوا بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، ولهم عدة تسميات فبالعراق يسمون القرامطة والباطنية المزدكية ، وبخراسان يسمون التعليمية الملحدة[١] .

وهناك طوائف شيعية أخرى لا تؤمن بالثاني عشر ولا بولادته ؛ كالإسماعيلية من البهرة والدروز والآغاخانية . كل هذه محرومة من الأرض ، إلا أن يأذن لها غائب الإثني عشرة أو نائبه كالخالصي والحكيم .

ومن جهلت نفسُـه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

هذه القاعدة وما شاكلها من القواعد المتحجرّة عند الطوائف الشيعية قاطبة لا يستطيعون نقضها ولا إبطالها ، وإذا تجرؤوا على نقضها أو إبطالها ، انتقضت قواعد بنيانهم ، وخر عليهم السقف من فوقهم ، لولا الزواجر التي تضطرهم إلى التظاهر بغير حقيقتهم ، والمخدوعون الذين يجهلون هذه الغرائب إذا وجدوا مسائل فرعية مشتركة قالوا : ليس بيننا

(١) انظر : «الملل والنحل» (١/١٤٦) وما بعدها .

إلا فرق جزئي لا يمنع من التقارب في هذا التحارب أو التخارب!!

نحن نقول بالعودة للحق.

التقِيّـــــة :

التـقـيــة : اسم مصدر لتوقى واتقى ، نقول : توقيت الشيء واتقيته وتقيته تقى أي : حذرته . فهي مداراة وتظاهر بما ليس هو الحقيقة .

وهي عند الشيعة النظام السِّري في شؤونهم ، فإذا أراد إمام الخروج والثورة على الخليفة ، وضع لذلك نظاماً وتدابير ، وأعلم أصحابه بذلك فكتموه ، وأظهروا الطاعة حتى تتمّ الخطط المرسومة ، فهذه تقية ، وإذا أحسّوا ضرراً من كافر أو سني داروه وجاروه وأظهروا له الموافقة ، فهذه أيضاً تقية ، وهكذا[1] .

والتقية عند الشيعة جزءٌ مكمل لتعاليمهم ؛ تواصوا به وعدوهمبدأً أساسياً في حياتهم وركناً من دينهم ، ورووا فيه الشيء الكثير عن أئمتهم ، وانبنى عليه تاريخهم في الأحداث التاريخية كلها ، إمام مختفٍ أو متسترّ يدعو إلى نفسه في الخفاء ويبثّ دعاته في الأمصار فيتخذون له البيعة عن أنصارهم ، ويطالبونهم بالكتمان والتظاهر بالطاعة ، كما يطلبون منهم علم كل شيء للولاة لئلا تدور حولهم الشبهات ، إلى أن تنضج الثورة ويحين الوقت الملائم فيعلنوا الخروج ويحملوا السلاح في وجه الدولة[2] .

---

(١) انظر : «ضحى الإسلام» الجزء الثالث .

(٢) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ١١٤).

يقول الأستاذ أحمد أمين : (والحق أن التشيُّع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشية وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج عن مملكته . . . كل هؤلاء كانوا يتخذون حبّ أهل البيت ستاراً يضعون وراءَه كل ما شاءَت أهواؤهم) .

فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة . . . وقال الشيعة : إن النار محرّمة على الشيعي إلا قليلاً ، كما قالت اليهود : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[1] .

والنصرانية ظهرت في التشيُّع في قول بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه .

وقالوا : (إنّ اللاهوت اتّحد بالناسوت في الإمام ، وأن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً ، فمن اتّحد به اللاهوت فهو نبي)[2] .

ويقول صاحب كتاب «فجر الإسلام» : (ومن هنا نرى بأن التشيُّع أخذ صبغة جديدة بدخول عناصر أجنبية فيه من يهودية ونصرانية ومجوسية ، وأن هؤلاء كانوا يصبغون التشيُّع بصبغة دينهم) .

إن الشيعة الإثنى عشرية من أهم طوائف الشيعة ، وسمّوا بالإثنى عشرية لدعواهم أن الإمام هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب .

---

(١) سورة البقرة : آية ٨٠ .

(٢) انظر : «فجر الإسلام» (١/٢٧٦) .

يقول الأستاذ محمود الملاّح في كتابه[1]: (ألا تعجب من فرقة الإثنى عشرية، التي لا يجاوز عددها في شرق الأرض وغربها ٢٠ مليوناً!! وهي متنابذة فيما بينها؛ يكفّر بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً، تفرض خرافاتها على ٤٠٠ مليون مسلم سنّي، وتحرّم عليهم الأرض التي فتحوها بسيوفهم، وهي قاعدة تتربّصْ بهم الدوائر وتحلها لنفسها بقواعد مزعومة لا أساس لها من عقل ولا نقل. ولا قالت بها ملة من الملل ولا قانون من القوانين، والأمر جد في نظرها ما لم يردعها رادع فيردها إلى كهف التّقية، ولا دواء كالتّقية).

المهدي عند الشيعة:

انتشرت بين الشيعة فكرة المهدي المنتظر التي تستند على فكرة الرجعة، التي انتقلت إلى المجتمع الإسلامي من معتقدات اليهود خاصة والنصارى وغيرهم بصورة عامة.

إن فكرة المهدي المنتظر من عقائد الشيعة الأساسية، وهي الإيمان بالإمام الغائب المنتظر، الذي برجوعه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

ويقصد الشيعة بالمهدي المنتظر محمداً المهدي بن الحسن العسكري. وهو الإمام الثاني عشر عندهم، المولود ببغداد سنة ٢٥٥هـ. ويقولون أنه دخل مع أمه سرداباً في (سامراء) ولم يعد إلى الآن، وهو حي لم يمت، وعلى اتصال دائم بالشيعة، ينتظرون رجوعه لينصرهم وينتقم من أعدائهم.

---

(١) انظر: «مجموع السنة» (ص٢١٩).

إن هذه الخرافة اليهودية الدخيلة التي تاجر بها أُناس هدّامون قد سببت رقاداً وجموداً للمسلمين ، وعطّلت الطاقات المبدعة في المجتمع الإسلامي.

ولو تتبعنا فكرة المهدي المنتظر التي يؤمن بها الشيعة ، ويروّجون لها منذ عهود غابرة ، لوجدنا أنه قد تلقفها أدعياء حاقدون ، واتخذوها كحيلة لتنفيذ مآربهم الشيطانية بالكيد للإسلام وأهله ، هذه الحيلة التي أحدثت انقسامات بين المسلمين ، وأثارت حروباً ومحناً شديدة بينهم ، ولم يستفيدوا من ذلك شيئاً سوى الفرقة والتمزّق التي استفاد منها الأعداء .

ولذلك فإن هذه المقولة الساقطة التي يتناقلونها الشيعة خلفاً عن سلف لم يقل بها إلا أُناس قصرت عقولهم عن فهم مقاصد الشرع ، وإذا أرادوا السلامة فعليهم الإيمان بالمهدي الذي ورد ذكره على لسان الشارع الحكيم[(١)] .

المهدي عند أهل السُّنة :

اشتهر بين علماء المسلمين أنه في آخر الزمان لا بدّ من ظهور رجل من بيت النبوة الطاهر يسمى المهدي ؛ يستولي على الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ، ويعدل بينهم ويؤيّد الدين ، وبعده يظهر الدجّال ، وينزل سيدنا عيسى عليه السلام فيقتل الدجّال ، أو يتعاون المهدي مع سيدنا عيسى عليه السلام على قتله .

---

(١) راجع كتابنا «الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد» (١/١١٨) .

إليك -أخي القارىء- فيما يلي بعض الأحاديث التي تؤكِّد ظهور المهدي المنتظر وهي :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الارض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً)[١] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (المهدي مني أجلى الجبهة ، أقنى الأنف[٢]، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، ويملك سبع سنين)[٣] .

لقد بيّنت لنا الأحاديث الشريفة بعض صفات المهدي المنتظر ، الذي أخبر عنه الرسول ﷺ بخلاف دعوى الشيعة في مهديهم المزعوم ، ومن هذه الصفات : أن اسم المهدي واسم أبيه يواطىء اسم الرسول ﷺ واسم أبيه ، كما يشبهه في بعض صورته في الأفعال والأخلاق .

وأما اسم المهدي عند الشيعة الإمامية فهو محمد بن الحسن العسكري ، ومن هذا يتبيّن أن اسم أبيه لا يوافق اسم أبي الرسول ﷺ كما دلّت على ذلك السُّنة المطهّرة ، ولم يذكر لنا التاريخ بأن الحسن العسكري قد خلّف ولداً من بعده .

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود .

(٢) أجلى الجبهة : واسعها ، أقنى الأنف : كناية عن طوله ودقة أرنبته مع حدب في الوجه .

(٣) انظر : «مشكاة المصابيح» (١٥٠١/٣) إسناده حسن .

وهكذا ؛ فدعوى الشيعة دعوى لا سند لها ، ولم يروها أحد من العلماء ولا نصيب لها من الصحة ، وإن المهدي الحق هو ما ثبت على لسان الشارع الحكيم .

انحراف الشيعـــة :

وهكذا ؛ فالشيعة هي فرق وطوائف كثيرة أهمها الشيعة الإثنى عشرية ، فيما يلي أهم انحرافات هذه الطائفة :

١- استقلت الشيعة بمصادر الحديث والفقه عن أهل السُّنة والجماعة مثل كتاب نهج البلاغة المنسوب(١) لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- والكافي وهو عندهم بمنزلة البخاري عند أهل السُّنة .

٢- اعتراضهم أن الإمامة هي أهم مسألة من مسائل أصول الدين ، والواقع أنها ليست كذلك .

٣- تقول الشيعة بعصمة الأئمة عند الصغائر والكبائر وعلمهم بكل شيء ووجوب الرجوع إليهم في جميع ما جاء به الرسول ، وأنهم يمتازون عن سائر البشر في فهم الكتاب والسُّنة ، وأنهم كذلك مشرّعون .

٤- يرى الشيعة أن الصحابة ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ إلا ثلاثة وقيل : إلا سبعة(٢). كما يرون أن الصحابة لم يتلقوا إلا جزءاً من الشريعة .

---

(١) وقد أنكر نسبته إليه الحافظ الذهبي ، كما في ترجمة الشريف المرتضى من «ميزان الاعتدال».

(٢) الكليني ، «الكافي» (ص٢٢٧-٢٥٨) .

٥- من عقيدة الشيعة الولاء والبراء ، الولاء للأئمة والبراء من أعدائهم (ويعنون بهم أهل السُّنة) .

٦- يعتقد الشيعة أن دين أهل السُّنة ناقص لا يكتمل إلا إذا اعتنقوا مذهب أهل البيت .

٧- إن الأحكام في نظر الشيعة لم تضبط جميعها إلا من قِبل الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- .

٨- يرى أئمة الشيعة وكبار علمائهم أن القرآن الموجود بيننا مختلف عن مصحف (فاطمة) الذي جمعه (علي) وأراد تبليغه للناس[1]، وهو أمر قليلاً ما يحدّثون به عوامهم .

٩- يرى الشيعة أنه لا يجوز لشيعي أن يتزوّج سنية أو يزوّج سنّياً .

١٠- يرى الشيعة عدم صحة الصلاة وراء السنّي إن كانت مكتوبة ، وأما إذا كانت تطوّعاً ، فله خمس وعشرون درجة لا سبع وعشرون درجة .

١١- يعتقد الشيعة بالتُّقية بمعنى إظهار غير حقيقة ما يعتقدون وما يريدون ، كي يستطيعوا قضاء مآربهم وما يبيّتون[2] .

وهكذا نرى أن هذه الفرقة الضالة المنحرفة قد شوّهت حقائق الإسلام ، فقلبت معالمه ، وشككت في كتابه العظيم (القرآن الكريم)

(١) «الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي» (١/ ١٥) .

(٢) انظر : «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص٣٩-٤١) .

الكتاب المحفوظ الباقي إلى يوم القيامة، والذي تعهّد الله بحفظه بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] والحمد لله رب العالمين الذي كشف الآثمين، وأماط اللثام عن الطاغين . . .

---

(١) سورة الحجر: آية ٩ .

الآغاخانية

تعريفها ونشأتها :

هي فرقة نبعت من الإسماعيلية ، ومؤسسها اسمه حسن علي شاه الملقب هو وأبناؤه الذين خلفوه في زعامة الفرقة آغا خان ، وسميت بهذا الاسم لهذا اللقب العام لزعماء الفرقة .

نشأت هذه الفرقة الضالة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد تبناها الانجليز ، وهم الذين خلعوا على زعيمها لقب (آغا خان)[1] .

عقيدتها : إن أساس عقيدتهم هو القول بألوهية زعيمهم آغا خان ، ويقدّسونه ، ويصفونه بصفات الألوهية ، ويدفعون له خمس ما يكسبون .

مواطنها : الإسماعيلية الأغاخانية يسكنون الآن (نيروبي ، ودار السلام ، وزنجبار ، ومدغشقر ، والهند ، وبعضهم في سوريا ، ومركز القيادة الرئيسي هو مدينة كراتشي)[2] .

وإليك -أخي القارىء- هذه الحادثة التي تدل على مدى استخفاف (آغا خان) بالعقائد ونواياه الخبيثة :

سئل آغا خان مرة من قِبل صديق له : كيف يسمح -وهو

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص٢١٦) .

(٢) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٢١٦) .

المثقف -لأتباعه أن يؤلهوه؟ قهقه طويلاً حتى دمعت عيناه، وقال: إن القوم في الهند يعبدون البقرة ألست خيراً من البقرة؟![1]

ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهذا هو حال ما ينطق به لسان الفِرق الباطنية الضالة.

(١) انظر: «جذور البلاء»، وكتابنا «الكشاف الفريد» ١/٢١٦).

الفاطميـــة

الفـاطميـة مـن الفِـرق البـاطنيـة ، والتـي يـرجـع أصلهـا إلـى رجـل يدعى(عبيد) ، وكان من بلدة سليمة حيث يعمل حداداً ، وكان يهودياً ، وقد دخل بلاد المغرب وتَسَمى بعبيدالله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن نفسه أنه (المهدي) ، وقد ذكر ذلك كثير من العلماء[1] .

قال ابن خلكان في «الوفيات» : وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافاً كثيراً جداً .

وفي المغرب اشتهر أمره وآزره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة وصولة وبعد ذلك بنى مدينة المهدية نسبة إليه ، وأصبح ملكاً مطاعاً يظهر الرفض ، وينطوي على الكفر المحض ، وكان الفاطميون أنجس الملـوك سيرة ، وأخبثهـم سـريـرة ، وقـد ظهـرت فـي دولتهـم البـدع والمنكرات ، والموالد والخزعبلات ، كما كثر أهل الفساد ، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، كذلك كثر بأرض الشام النصرانية الدرزية والحشيشية ، وتغلب الفرنجة على سواحل الشام بكامله لعدم عنايتهم بأمر الدين والأمة ، وهذا حال الأدعياء والعجزة لا يهمهم سوى لذاتهم ومطامعهم وتنفيذ مآربهم . . .

قال أبو شامة : وقد أفردت كتاباً سميته كشف ما كان عليه بنو عبيد

---

(١) انظر : «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٦٧).

من الكفر والكذب والمكر والكيد[1].

ويبدو للدارس والمتتبع لتاريخ الفاطمية، أنهم كانوا متناقضين في مواقفهم وآرائهم وعقيدتهم، حتى أنهم كانوا يشعرون بالغبطة والسرور والسعادة إذا ما ألمّت بالمسلمين كارثة، أو تعرضوا لغزو، سيما وموقفهم من الغزو الصليبي، وكيف عقدوا معاهدة بينهم، وبشكل كان السرور يغمرهم عندما انهار نفوذ الأتراك السلاجقة أمام زحف الصليبية الحاقدة على الإسلام، ولم يقوموا بقائمة، وكأن الأمر لم يهمهم . . .

فيقول أبو المحاسن في كتاب «الحركة الصليبية»: إن الفاطميين لم يروا في الانتصارات التي أحرزها الصليبيون في (صورليوم) و (أنطاكية) كارثة عامة حلّت بالمسلمين، وإنما وجدوا فيها أمنية عزيزة هي تخليص الشرق الأدنى من سيطرة الأتراك السنيين، الذين سادوا قرابة نصف قرن من الزمان، واستثاروا فيها كراهية العرب المسلمين جميعاً، الشيعة والسُّنة سواء[2] . . .

تعاليم دار الحكمة:

لقد استأنفت الدعوة السرية للفاطمية، فقد أنشأ في القاهرة معهداً خاصاً لبث تعاليم الدعوة الشيعية، وقد سمي هذا المعهد دار الحكمة، وهو مدرسة عامة يفتح بابها لكل طالب، والتعليم فيها على نفقة الدولة.

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٢/٢٦٨).

(٢) «الحركة الصليبية» (١/٢٣٦).

أهم تعاليم دار الحكمة [(١)]:

١- يقسّم الطلاب إلى قسمين كبيرين ، العالم والجاهل ، ويعتبر الدعاة من تلاميذ القسم الأول ويبدأ الدعاة بمناقشة الطالب في المسائل الدينية ، وتفاسير القرآن ، ويعلمونه أن مسائل الدين أمور شديدة التعقيد تنبو عن الذهن العادي ، ولا يستطيع فهمها إلا رجال كالدعاة تبحّروا في درسها . . .

٢- يعلّم الطالب أن كل التفاسير والأحكام التي قال بها المجتهدون السابقون خاطئة باطلة ، وأن الأحكام الصحيحة هي التي يقول بها الأئمة الذين تلقوها من الله ، وهؤلاء الأئمة هم الأئمة الإسماعيلية السبعة ، وآخرهم محمد بن إسماعيل .

٣- الأنبياء الذين تقدموا آل البيت سبعة هم : آدم ونوح وإبراهيم وموسى والمسيح ومحمد - النبي العربي - ثم محمد بن إسماعيل .

٤- يبدأ الدعاة بتنفيذ مهمتهم الحقيقية وهي هدم العقيدة الدينية ، يعلمون الطالب ألا يؤمن بالسُّنة ، وأن يرفض تعاليم محمد ﷺ .

٥- تعتبر كل الأديان وما أمرت به من الفروض ، كالصوم والصلاة وغيرهما إن هي إلا أكاذيب وحيل ابتكرت لإخضاع المجتمعات البشرية ، وأن جميع الشرائع لا بد أن تخضع لشريعة العقل والعلم ، ويدللون على أقوالهم بنظريات أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس وأمثالهم .

---

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ١٦٥) ففيه بسط وتفصيل .

٦- يلقن تعاليم الثنوية ، وبذلك تهدم وحدة الإله ، وهي فكرة الإسلام الجوهرية .

٧- تنقض كل صفات الألوهية والنبوة ، ويعلم الطالب أن الرسل الحقيقين هم رسل العمل الذين يعنون بالشؤون الدينية كالنظم السياسية وإنشاء الحكومات المثلى . . .

٨- يدخل إلى حظيرة الأسرار ويعلم أن كل التعاليم الدينية أوهام محضة ، وأنه يجب ألا يتبع إلا ما هو لازم لحفظ النظام بين الدهماء والعامة ، ولكن الرجل المستنير له أن يرفضها جميعاً .

وأن إبراهيم وموسى والمسيح وغيرهم من الأنبياء ، ليسوا إلا رجالاً مستنيرين تفقهوا في المسائل الفلسفية ، وهكذا يهدم كل اعتقاد في الأديان المنزلة .

لقد اعتمدت الدراسة في دار الحكمة وكان الدعاة يتحدثون أمام كل طائفة بما يرضيها ، ويتفق مع عقليتها وتعاليمها .

وبعد ؛ هذا ما كان عليه موقف الفاطميين من الإسلام والمسلمين ، فقد كانوا بحق عشا للشعوبية الضالة الذين ناصبوا الإسلام العداء السافر ، وتعاونوا مع الصليبية الحاقدة ألا ساء ما يزرون ، وبهذا تلاقوا مع أعتى الأعداء ، وتآمروا معهم لطمس معالم الإسلام ، ومحاصرة أتباعه ، وتقويض دعائمه ، وإلى الله المشتكى!!

وتاريخ الفاطميين يشير بلا ريب إلى أثر اليهود التوراتي التلمودي في تعاليمهم وسلوكهم وتأليه ملوكهم ؛ كما حدث للحاكم بأمر الله الذي

ادعى الربوبية وصار قوم من أتباعه يقولون : يا واحدنا يا أحدنا يا محيي يا مميت[1] . . .

---

(١) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧/٢٩٨) ابن الجوزي .

الـــــدروز

تعريفهم ونشأتهم :

هم أتباع محمد بن إسماعيل الدرزي ، الذي قال بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي ، وسموا بهذا الاسم نسبة إليه .

وهم يسمون أنفسهم بالموحدين .

هـذه الطائفة انبعثت من الإسماعيلية ، وظهرت في عهد الحاكم العبيدي ، الحاكم بأمر الله الذي ادعى الألوهية ، فاتبعه محمد بن إسماعيل الدرزي[١] .

وقال بألوهيته ، وذهب إلى بلاد الشام يدعو إلى تأليه الحاكم ، وركز دعوته في وسط اليهود والنصارى ، فتبعه كثير منهم ، وكانوا يقصدون من وراء ذلك العمل على هدم الإسلام .

عقيدتـهـــم :

قامت عقيدتهم على مبادىء الإسماعيلية ، وزادت عليها بعض العقائد التي ميزتهم ، كالقـول بألوهية الحاكم بأمر الله ، وبرجعته في آخر الزمـان ، وقـد قـام الـدروز فـي العصر الحاضر بطباعة ما يسمى بـ (مصحف الدروز) أو المنفرد بذاته ، والذي حاول أن ينسبه إلى بعض أئمتهم القدامى ، وانكشف ببعض ما ورد فيه من ألفاظ عصرية ، وظهر

---

(١) جاء في مصر سنة (٤٠٨هـ) ودخل فيخدمة الحاكم بأمره ، وكان أول من أعلن ألوهية ذلك الحاكم المجنون وقد هلك سنة (٤١١هـ) .

في هذا الكتاب التأكيد على عقيدتهم الأساسية وهي تأليه الحاكم[1].

تتلخص شريعة الدروز في إسقاط الفرائض الدينية التكليفية، وعدم إقامة الفرائض الدينية الإسلامية، والاعتراف بالخصال التوحيدية فمن اعترف بها فهو من الموحدين.

ومن بعض معتقداتهم: صيامهم في أيام خاصة، وهي التسعة أيام الأولى من شهر ذي الحجة، وصيامهم هو نفس التقليد الإسلامي في الصيام، واحتفالهم بعيد الأضحى الذي هو عيدهم الأكبر. ومنهم المتعبدون الذين يجاهدون النفس فنراهم يصومون عدة أشهر متوالية..

ومنهم من أقلع عن الزواج إمعاناً في تصوفه، ومنهم من لا يأكل لحماً طوال حياته على نحو ما يفعله براهمة الهند.

وفي عقيدتهم، ينقسم الناس يوم البعث إلى أربع فرق، فرقة ناجية وهي فرقة الموحدين، وسيكون لهم السلطان ومنهم الوزراء والحُكام، وثلاث فرق هالكة: هم أهل الظاهر، وأهل الباطن، والمرتدون وأصحاب هذه الفرق الثلاث سيكونون عبيداً للموحدين[2]...

يذكر الأستاذ محمد عبدالله عنان في كتابه[3]: «أن الحاكم بأمر الله زعم في آخر عهده أن الروح القدس ماثلة في شخصه، وادعى الألوهية، وكان واضع أصول هذه الدعوة الجديدة، وهي دعوة إلحادية، ورأسها هو حمزة بن علي...».

---

(١) انظر: «الموجز في المذاهب والأديان المعاصرة» (ص١٣٠-١٣١).

(٢) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (١/ ١٩٠-١٩٤).

(٣) «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة».

ويستطرد الأستاذ (عنان) قائلاً : «ويتّبِع الدروز خطة الإسماعيلية في نشر دعوتهم بين أبناء الأديان الأخرى ، فيتظاهرون أمام المسلمين بأنهم يؤمنون بمحمد ﷺ ، وأمام النصارى بأنهم مؤمنون بالمسيح ، ويبررون هذا المسلك بأنه واجب ألا تكشف أسرار مذهبهم إلى أسود أو كافر . . .» .

ونختم الحديث عن الدروز بما ذكره الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه[1] حيث قال : «. . . منهم الخرمية أصحاب بابك الخرمي ، وهم شر طوائفهم لا يقرون بصانع ، ولا معاد ، ولا نبوة ، ولا حلال ، ولا حرام ، وعلى مذهبهم طوائف القرامطة ، والإسماعيلية ، والنصيرية ، والبشكية ، والدرزية ، والحاكمية ، وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية ، وهم أكفر الكفار .

فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ، ويتفاوتون في التفصيل . ثم قال : فالمجوس شيوخ هؤلاء وأئمتهم وقدوتهم ، وإن كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم ، وهؤلاء لا يتقيّدون بدين من ديانات العالم ، ولا بشريعة من الشرائع . . .» .

وبقي أن نذكر أن الدروز استوطنوا لبنان وبانياس ، ومرتفعات جبل حوران الذي سمي باسم جبل الدروز في سوريا .

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٤٣-٢٤٥) .

النصيريـــة

تعريفها ونشأتها :

هم أتباع محمد بن نصير النميري ، وسميت بهذا الاسم نسبة إليه ، وهم من غلاة الشيعة الذين ألّهوا علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقد انبثقوا من الإثنى عشرية الرافضة .

عندما توفي الحسن العسكري الذي تدعي الرافضة أنه إمامها الحادي عشر سنة ٢٦٠هـ، اجتمع الغلاة من المنتمين إليه وادعوا أن له ولداً اختفى في سرداب بمنزل أبيه في سامراء ، وأنه الإمام بعد أبيه ، وخرج مجموعة من غلاة الشيعة كل يدّعي أنه هو الواسطة بين هذا الإمام الغائب في السرداب في زعمهم وبين الشيعة ، ومن هؤلاء محمد بن نصير الذي سمي أتباعه فيما بعد بالنصيرية نسبة إليه ، ونشأت النصيرية من ذلك الوقت كما نشأت طوائف أخرى كل طائفة اتبعت أحد هؤلاء النواب ، وأنكرت ما سواه في حيث أن التاريخ يثبت أن الحسن العسكري مات عقيماً .

أما مواطنهم : فيسكن النصيرية في جبال اللاذقية وحماة وحمص في سوريا ، وفي لواء الاسكندرونة وطرطوس وأدنة أو أطنة في تركيا حالياً ، وفي كردستان وغيرها[١] .

---

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٣٦-١٣٧) .

عقائدهم وعباداتهم :

تتلخص عقائد النصيريين الأساسية فيما يلي :

١- علي بن أبي طالب إله عندهم ، يسكن السحاب والرعد صوته ، والبرق ضحكه ، وهم لهذا يعظمون السحاب ومنهم من يعتقد بأن علياً حال في القمر أو الشمس .

٢- تناسخ الأرواح عقيدة من عقائدهم : فالذين لا يعبدون علياً يولدون في زعمهم من جديد على شكل إبل أو حمير ، أما المؤمن وهو من يعبد علياً عندهم فيتحول عندهم سبع مرات ثم يأخذ مكانه بين النجوم ، ومن ينحرف منهم يولد من جديد حتى يتطهّر أو يكفّر عن سيئاته .

٣- إنكار البعث والنشور والجنة والنار ، والقول بِقدم العالم كما يعتقد الدهرية الزنادقة .

أما عباداتهم وأركان الإسلام عندهم فهي تتلخص كما يلي :

١- الشهادة : هي أن تشير إلى صيغة : ع.م.س ، وهي رمز لعلي ومحمد ، وسلمان وهي أشبه بعقيدة التثليث عند النصارى .

٢- الصلوات : عبارة عن خمس أسماء وهي : علي ، وحسن ، وحسين ، ومحسن ، وفاطمة ، وذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة ، والوضوء وبقية شروط الصلاة وواجباتها .

٣- الزكاة : ويرمز لها بشخصية سلمان .

٤- الصوم : هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً من رجالهم تمثلهم أيام رمضان ، وثلاثين امرأة من نسائهم تمثلهم ليالي رمضان .

٥- الجهاد : هو صب اللعنات على الأعداء ، ويقولون إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب ، ويليه في رتبة الإبليسية أبو بكر رضي الله عنه ، ثم عثمان رضي الله عنهم جميعاً ، وشرّفهم وأعلى رتبتهم عن أقوال الملحدين[١] .

تعتبر الديانة عند النصيريين سر من الأسرار ، ونساؤهم لا دين لهن مطلقاً ؛ لأنهم يعتبرونهم ضعيفات العقول لا يستطعن حفظ الأسرار ، والرجل لا يطلع على سر دينه إلا بعد أن يبلغ التاسع عشرة من عمره فيلقن العقيدة النصيرية في جلسات خاصة ، ووسط مؤثرات شتى ، وإرهاب فكري وطقوس غريبة .

ويحتفل النصيريون بأعيادهم ، وهي عيد الميلاد ، وعيد الغطاس ، والبربارا ، وهي أعياد نصرانية ، وعيد النيروز ، وهو مجوسي[٢] .

تـــآمرهم مع الأعــداء :

لقد كانوا مع الأعداء ضد الإسلام والمسلمين في كل حين ، ويسجل لهم التاريخ صفحات سوداء في ذلك ، فلقد كانوا مع الصليبيين ضد المسلمين . . .

ولما أغار التتار على الشام مالأهم النصيريون ، ومكّنوا التتار من

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/١٩٦) .

(٢) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٣٩) .

رقاب المسلمين، حتى إذا انحسرت غارات التتار قبعوا في جبالهم ليتهزوا فرصة أخرى، وهكذا فهم السبب في احتلال النصارى والتتر لبلاد الشام، وهم السبب في سقوط القدس في أيدي الصليبيين[1]...

حكم الإسلام فيهم:

اتفق علماء المسلمين على كفر هؤلاء، وأنه لا تجوز مناكحتهم ولا تحل ذبائحهم، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، وهم كما قال شيخ الإسلام: أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين.

وذكر أن دماءهم وأموالهم مباحة، وأنهم إذا أظهروا التوبة ففي قبولها قولان للعلماء، ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات، وأكبر الواجبات[2].

---

(١) راجع كتابنا: «الكشاف الفريد» (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣٥/ ١٤٥).

التيجـــانيـة

تعريفها ونشأتها :

التيجانية هي فرقة من فرق الصوفية ، والصوفية فرقة تحمل في مضمونها الزهد في الدنيا ، والانقطاع لعبادة الله ، ولكنهم انحرفوا إلى الرهبانية ، والتعلق بالبدع والمنكرات ثم تطوّر التصوّف حتى بدأت فيه الشطحات والضلالات في الأعمال والعقائد حتى خرجوا من الإسلام ، وقد سميت التيجانية بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها أحمد بن محمد التجاني المتوفى سنة ١٢٣٠هـ .

لقد التقى أحمد التجاني بعدد من مشايخ الصوفية في أثناء رحلاته الكثيرة ، وتأثر بهم واعتنق أكثر من طريقة صوفية ثم لم يلبث أن تركها جميعاً ، وبدا له أن ينشىء طريقة جديدة ؛ فأنشأ الطريقة التيجانية سنة ١١٩٦هـ .

نشأت التيجانية في قرية (أبي سمغون) بالجزائر ثم انتشرت في عدة بلدان في العالم الإسلامي ، وهي الآن توجد في السنغال ونيجيريا ، وموريتانيا والمغرب ومصر والسودان وغيرها .

ومما ساعد على نشأتها وانتشارها بين الناس ؛ مساندة السلطة الحاكمة لها ، حيث قام الأمير سليمان أمير المغرب في وقته بمساندة التجاني وحمايته ، كما أن انتشار الجهل وقلة العلماء المخلصين من أهل السُّنة والفقه في الدين ، وتشجيع الاستعمار للاتجاهات الصوفية في

أفريقيا وغيرها عن طريق نشر البدع والخرافات ، كل ذلك ساعد على انتشار هذه الفرقة الضالة المنحرفة . . .

أهم كتاب عند التيجانيين هو كتاب (جواهر المعاني) حيث زعموا أن النبي ﷺ قال فيه : (كتابي هذا ، وأنا ألفته)[١] . . .

عقائــــد التيجانيـــة :

إن أهم عقائد التيجانية نوردها فيما يلي[٢] :

١- إيمان كثير منهم بعقيدة وحدة الوجود ، وهي عقيدة إلحادية فحواها أن الخالق عين المخلوق ، والمخلوق عين الخالق ، وأن الله متحد بمخلوقاته .

٢- إيمانهم بأن مشايخهم يعلمون الغيب كما ورد في كثير من كتبهم ، وهي مخالفة صريحة لكتاب الله سبحانه ، وسنة نبيه ، وإجماع الأمة .

٣- اعتقادهم أن ما يسمونه بـ «صلاة الفاتح لما أغلق» أفضل من القرآن الكريم ، ويزعمون بلا دليل أنها من كلام الله ، وأنها أفضل من القرآن ستة آلاف مرة ، ونصّها كما جاء في كتبهم : اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، الهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ، ومقداره العظيم .

٤- يزعمون أنهم يرون النبي ﷺ يقظة ، ويلتقون به ، ويتلقون عنه

---

(١) انظر : «التجانية» علي الدخيل الله .

(٢) «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٦٩-١٧٢) .

بعد موته ، وهي دعوى مستحيلة عقلاً كما هي مستحيلة شرعاً .

٥- يعتقدون أن النبي ﷺ لم يُبَلِّغ جميع ما أنزل الله إليه ، وأنه كتم شيئاً مما أوحي إليه . . .

٦- ويعتقدون أن شيخهم التيجاني يعطي ويمنع ويشفي ويمرض ، ويجيب دعاء المضطر وغير ذلك . . .

٧- زعم التيجاني أن النبي ﷺ ضمن لأتباعه وله الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ولو عملوا من الذنوب والمعاصي ما عملوا ، وهذا كدعوى اليهود والنصارى الذين قالوا فيما حكى الله عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾(١) فقال سبحانه رداً عليهم : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٢) تلك محاولة ملحدة لتغيير دين الله وشرعه ، والافتراء عليه بأفكار مخالفة للعقل والفطرة والشرع ، وقد قام إجماع المسلمين على تكفير هذه الفرقة الضالة .

---

(١) سورة البقرة : آية ١١١ .

(٢) سورة البقرة : آية ١١١ .

البـهـرة

تعريفهم ونشأتهم :

البهرة هي لفظ هندي قديم بمعنى التاجر ، وأطلق على هذه الفرقة من الإسماعيلية البهرة ؛ لأن أوائل معتنقي هذه النحلة من التجار .

فأساس نشأتهم يرجع إلى أن بعض أتباع الإسماعيلية من تجار اليمن كانوا يذهبون إلى الهند بقصد التجارة مع أهلها من الوثنيين وغيرهم ، فقام هؤلاء الإسماعيليون بالدعوة إلى دينهم فأجابهم بعض أهل الهند إلى ذلك ، وكان معظمهم من التجار فعرفوا بالبهرة .

انقسمت طائفة البهرة إلى فرقتين :

١- البهرة الداوودية : ومركزهم في الهند وباكستان ، وإمامهم يقيم في (بومباي) .

٢- البهرة السليمانية : ومركزهم في اليمن الجنوبي[١] .

عقيدتهم :

عقيدة البهرة الأساسية هي القول بألوهية أئمتهم .

إن أفراد الطائفة البهرية يحترمون القرآن الكريم ظاهرياً ، ويؤولون آياته الكريمة ليستخرجوا منها معاني ما أنزل الله بها من سلطان ، ولهم كتاب آخر يحظى بتقديسهم جميعاً هو كتاب «النصيحة» لمؤلفه الداعي

(١) «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص١٣١) .

الحادي والخمسين طاهر سيف الدين ▪ ويعتبرونه قرآنهم .

كما أنهم يتوجّهون في صلاتهم إلى قبره في مدينة بومبي في الهند ، ويطلقون عليه اسم : (روضة الطاهرة) - لا إلى الكعبة المشرفة - ، وتجب عليهم الصلاة في العشرة أيام الأولى من شهر محرم ▪ وفي غيرها لا تجب عليهم الصلاة .

ولا يصلون (البهرة) إلا في مكان خاص بهم يسمى الجامع خانة ، وإذا لم يذهب الشخص منهم إلى الجامع خانة في العشرة أيام الأول من شهر محرم يطرد من الطائفة ، ويفرض عليه الحرمان .

لهم في الكويت جامع خانة في شارع الاستقلال[١]، ولكنهم يقولون إن صلاتهم تلك للإمام الإسماعيلي المستور من نسل الطيب ابن الآمر .

وهم يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين ظاهرياً ، ويقولون إن الكعبة هي رمز على الإمام[٢].

ويضع البهرة كتبهم الدينية موضع السرية والكتمان ، ولم يطبع من كتبهم إلا القليل مثل «صحيفة الصلاة» ، ولهم كتب مخطوطة لم تطبع مثل كتاب «دعائم الإسلام والحقائق» ، وهذان الكتابان يعرضان مذهبهم ، ويترجمان لدعاتهم ويذكران أقوالهم .

لعل من المفيد بعد هذا العرض الموجز عن طائفة البهرة ، أن أذكّر القارىء بأن دعوات الإلحاد والإنحراف ، وخاصة المستترة منها بالأقنعة

---

(١) «مجلة المجتمع الكويتية» (العدد ٤١٧ - سنة ١٣٩٨هـ) .

(٢) «إسلام بلا مذاهب» (ص٢٤٠) الدكتور مصطفى الشكعة .

الكالحة » ومن بينها البهرة هذه تنتمي إلى الدعوة الإسماعيلية ، وآل البيت زوراً وبهتاناً ، كما أنها تستقي تعاليمها من المدرسة الباطنية ، وتلتقي مع القرامطة والدرزية والبهائية في مستنقع واحد ، والذي يجب التنبيه عليه أن هذه الطائفة ومثيلاتها التي تتسترّ بالإسلام ، وتحيي بعض الشعائر الدينية ظاهرياً كما تزعم ، وتقيم مساجد الضرار ، وينخدع بها المسلمون ما هي إلا دعاة فساد ، وبؤرة ضلال[1] .

(١) «الكشاف الفريد» (١/٢٠٨-٢١٤) .

البـــوذيـــة

البوذية هي ديانة وثنية هندية تنسب إلى رجل يلقب بـ (بوذا) أي العارف ، واسمه (سذهاتا) ، ولد من أسرة ثرية ، وذات سلطان ، ولكنه نزع إلى العزلة والزهد والتنسك لكن على غير هدى من وحي أو دين إلهي ؛ مما جعله يبتدع مبادىء وأخلاقاً وسلوكاً ويشكل نظاماً اجتماعياً ودينياً يميل إلى الإلحاد والوثنية ، وكان ظهوره في القرن السادس قبل الميلاد[1].

معتقـدات البوذيـــة :

١- في مسألة الألوهية : كان (بوذا) في دعوته لا يتكلم عن الألوهية ، ويتحاشى الخوض في أمور الغيب ، ثم تحول إلى محاربة الاعتقاد بوجود الله ، وصار ينادي بالإلحاد .

لكن بعد وفاة بوذا عبده البوذيون ، وأقاموا له التماثيل والمعابد .

٢- في قانون الجزاء : يعتقد البوذيون أنه لا بد من الجزاء على الأعمال خيراً أو شراً ، لكنهم يرون ذلك إنما يحدث في الحياة الدنيا ، لذلك فهم ينكرون البعث والجزاء بعد الموت (يوم القيامة) ، وينكرون الجنة والنار بلا دليل ولا برهان .

٣- في تناسخ الأرواح : حين اعتقد البوذيون بأنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، وأنكروا (اليوم الآخر) اضطروا إلى القول بعقيدة تناسخ

(١) انظر : «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص٨٦) .

الأرواح ، فهم يعتقدون أن من مات انتقلت روحه إلى حي جديد ، فإذا مات الثاني انتقلت إلى ثالث ، وهكذا إلى ما لا نهاية ، ويزعمون أن هذه الروح تلقى جزاءها على ما تعمله من خير أو شر بالنعيم أو الشقاء أثناء تنقلها من جسم إلى جسم .

٤- في إلغاء نظام الطبقات : فالبوذيون يحاربون نظام الطبقات ، فهم يقولون بتساوي الناس في الحقوق والواجبات ، وهذا ينافي شريعة الله وفطرته التي فطر الناس عليها .

٥- في التسول والبطالة : فهي توصي أتباعها بالتخلي عن أموالهم وعقاراتهم وحِرَفهم ، ومد اليد للآخرين بالتسوّل والاستجداء ، فهم يعيشون على البطالة والكسل ، وهذه تعاليم لا تستقيم معها الحياة ، ولا ترتقي بها الأمم بخلاف دين الإسلام الذي يأمر بالعمل والنشاط والقوة[١] .

مواطنها :

تعتبر البوذية من أوسع الديانات الهندية[٢] الإلحادية انتشاراً بعد الهندوسية في الهند وخارجها ، فلها أتباع في كوريا والصين واليابان ونيبال وأندونيسيا والتبت وسيلان وجاوه ومنغوليا وسيام وكمبوديا وبورما وتايلاند وغيرها .

---

(١) «الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة» (ص٨٦-٨٨) .

(٢) انظر : «أديان الهند الكبرى» أحمد شلبي .

انحـراف الأشـاعــرة

تعتبر فرقة الأشاعرة من الفرق الباطنية الضالة التي انحرفت عن العقيدة ، واتخذ أتباعها مبادىء ضللت كثير من الناس بهدف تغيير حقائق الدين ، ويمكن الإشارة إلى بعض ما وقع من الأشاعرة من انحرافات في العقيدة كما يلي[1]:

١- مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل ، وقد صرح كثير من أئمتهم بتقديم العقل على النقل عند التعارض .

٢- موقفهم من السُّنة أنه لا يثبت بها عقيدة بل المتواتر منها يجب تأويله ، وأحادها لا يجب الاشتغال بها حتى على سبيل التأويل .

٣- فَرّق الأشاعرة بين معنى القرآن ولفظه ، فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ، ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء .

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف ومنها القرآن ، فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة بل هي عبارة عن كلام الله النفسي .

والكلام النفسي شيء واحد في ذاته وهكذا ؛ فإن التوراة والإنجيل والقرآن كلها مخلوقة . ووصفها بأنها كلام الله مجاز ؛ لأنها تعبير عنه

(١) اختصرت معظم هذه النقاط من محاضرة بعنوان: «منهج الأشاعرة في العقيدة» لسفر بن عبد الرحمن الحوالي من جامعة أم القرى المكرمة .

فقط .

٤- أثبتوا لله تعالى سبع صفات ونفوا الباقي عنه .

٥- وقعوا في تناقض حينما أثبتوا الرؤية لله تعالى ، ونفوا صفة العلو فناقضوا أنفسهم حينما أثبتوا الرؤية ، ونفوا ما تستلزمه وهو الجهة ، وقد أولوا علو الله بالقهر والغلبة ، ومنهم من قال استوى بمعنى استولى .

٦- زعم الأشاعرة أن الصفات الاختيارية كالخلق والرزق ، لم يكن الله متصفا بها في الأزل ، وإنما اتصف بها بعد خلق الخلق .

٧- أما بخصوص القدر فقد أراد الأشاعرة أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية ، فجاءوا بنظرية الكسب ، وهي في مآلها جبرية خالصة ؛ لأنها تنفي أي قدرة أو تأثير للعبد .

٨- أما التأويل فهو أصل منهجي من أصول الأشاعرة ، وليس خاصاً بمبحث الصفات بل يشمل أكثر نصوص الإيمان .

والتأويل ضروري للأشاعرة ؛ لأنه لما تعارضت عندهم الأصول العقلية التي قرروها مع النصوص الشرعية ، وقعوا في مأزق رد الكل أو أخذ الكل ، فوجدوا في التأويل مهرباً عقلياً ، ومخرجاً من التعارض[1] .

كانت تلك بعض انحرافات الأشاعرة العقدية التي بثّوها أتباعها بين الناس ، ليفسدوا على المسلمين دينهم فينحرفوا بهم عن الطريق القويم لأغراض خبيثة . . . حسبنا الله ، ونِعم الوكيل .

---

(١) انظر : «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص٤٣-٤٤) للدكتور مروان القيسي .

الصـوفيـــة

دور التصوف في تحريف فهم العقيدة :

نشأت الحركة الصوفية في منتصف القرن الثاني الهجري ، وبلغت الذروة بعد مئة وخمسين عاماً تقريباً من ذلك التاريخ ، أي في أواخر القرن الثالث . وأصبحت ديناً عاماً للكثير من المسلمين في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر .

يعتبر إبراهيم بن أدهم رائد الفكر الصوفي . وهو المتوفى سنة ١٦١هـ .

والتصوف في حقيقته فكرة فلسفية قديمة كان لها فلاسفة في اليونان والهند وفارس ، لها عقيدة خاصة بها ذات حدود ومعالم . وقد قرن ابن تيمية التصوف بالرأي وعلم الكلام كألوان من البدع لم تعرف لدى القرون الأولى .

ويرجع ظهور التصوف إلى عاملين :

١- ظهور سلطان الموالي من غير العرب ولا سيما الفرس .

٢- ترجمة كتب الفرس والروم والهند .

إن الفكر الصوفي من أخطر ما يجابه المسلمين من مشكلات خاصة ، والفكر الصوفي هو مشكلة عقدية ، وهي من أخطر المشاكل التي يمكن أن تواجه الأمة . . . ولذلك كان لا بد لنا من وقفة على

انحرافات المتصوفة لتبصّرها وتبيان خطرها ، ومن أهم انحرافاتهم[١] :

١- **مصدر التلقي** : لقد امتلأت كتب الصوفية وأقوالهم في ذمّ العلم والتعليم وكتابة الحديث ، لذلك نجدهم من أعظم الناس جهلاً فيما أنزل الله على رسوله ، فهم يزعمون أن لديهم علوماً أخرى غير علوم الشريعة من وضعهم واختراعهم ، وهي علوم خاصة بهم لا يمكن لعلماء الشريعة أن يصلوا إلى شيء منها مهما بلغ علمهم ، وطريق العلم عند الصوفية هو طريق القلب ، فبالمجاهدة والصبر يحصل العلم للمسلم ، وهذا مخالف للحقيقة التي مفادها أن العلم في الإسلام بالتعليم ، وسلوك أسباب العلم ، إذ من المحال أن يتعلم المسلم بالصبر والصيام .

٢- **مفهوم المتصوفة للتوحيد** : يرى الصوفية أن التوحيد ينقسم إلى قسمين : توحيد العامة ، ويقصدون به توحيد الإلهية ، وتوحيد الخاصة وهو الذي ينتهي بصاحبه إلى الفناء والاتحاد مع الله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

ومن هنا فقد شذّ الصوفية عن أهل السُّنة والجماعة في هذه النظرة حيث أن مراتب التوحيد هي توحيد الربوبية ، أي أن الله خالق كل شيء في هذا الكون ، وتوحيد الألوهية وهو عبادة الله وحده لا شريك له . . .

٣- **مذهب وحدة الوجود** : ويقصد بوحدة الوجود[٢] أن الله هو عين

---

(١) انظر : «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص٣٥) وما بعدها .

(٢) للمزيد راجع كتاب : «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص٣٦) .

هذا الكون ، وأن الخالق والمخلوق لا فرق بينهما ، ويقصد بالحلول أن الله حلّ في مخلوقاته - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- .

لقد ترتبت على عقيدة وحدة الوجود أمور خطيرة منها :

أ - نشأت جبرية صارمة ، وتم التقريب بين الخير والشر ، والكفر والإيمان ، والثواب والعقاب ، فسقط الالتزام الخلقي ، ورفع الصوفية التكاليف الشرعية عنهم ، مما أدى فيما بعد إلى أن أصبح العبد رباً ، والرب عبداً ، والخير شراً . . .

ب - أدى الميول الجبري إلى انحسار المد الحضاري الإسلامي حينما تقاعس المسلمون عن الجهاد .

ج - إنكار علو الله ، واعتقادهم أنه موجود في كل مكان - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- .

٤- تقديس الأولياء والشيوخ : من الأسس التي يقوم عليها التصوف تقديس الأولياء والشيوخ ، وهذا خلاف ما جاء به الإسلام ، وهو إفراد الله عز وجل بالقداسة والتعظيم .

٥- تقسيم المتصوفة الدين : إلى حقيقة وشريعة ، أو ظاهر وباطن ، وإخضاع الشريعة للحقيقة (التصوف) ، وعلم الباطن لدى الصوفية هو أهم العلوم ، فهو علم خاص تكشف به حقائق معينة ، وهم يتفاوتون في إظهاره ، ويرون أن طريق الهداية هو طريق الهواتف ، من حيث أن طريقة الهداية في الإسلام هي طريق الكتاب والسُّنة .

٦- إن الهداية الصوفية تحمل الفرد على هجران الدنيا ، وهذا

مخالف للنصوص التي تفيد أنه ليس من شروط الهداية في الإسلام ترك الدنيا وهجرانها .

إليك -أخي القارىء- بعض الشواهد من أقوال وأفعال الصوفية الضالّـة[1] :

عن أبي سليمان الداراني أنه قال : إذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا[2] .

وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول ، حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لي معراج كما كان للنبي ﷺ معراج ، فأَخْرَجوه من بسطام[3] .

وقال النوري : أنا أعشق الله ، والله يعشقني[4] .

وكان سهل بن عبدالله إذا مرض أحد من أصحابه يقول له : إذا أردت أن تشتكي فقل : أوه ، فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح إليه المؤمن ، ولا تقل أفرج ؛ فإنه اسم من أسماء الشيطان[5] .

وعن أبي يزيد البسطامي أنه قال : وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم . فسأله رجل : ولم ذاك يا أبا يزيد ؟ فقال :

---

(١) للمزيد انظر : «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص٣٧-٣٩) .

(٢) «تلبيس إبليس» (ص٢٩٥) ابن الجوزي .

(٣) المرجع السابق (ص١٦٧) .

(٤) المرجع السابق (ص١٧٣) .

(٥) المرجع السابق (ص٣٤٠) .

إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة للخلق[1].

هذه بعض الضلالات والمنكرات التي كانوا يقترفونها من ينتسبون إلى الصوفية الحمقى، قاتلهم الله على سوء صنيعهم، وبئس الحال حالهم؛ فهل يرضى بمثل هذه القبائح من كان لديه مسكة من عقل أو ذرة من إيمان؟ اللهم لا، وألف لا، وإلى الله المشتكى والله حسبنا ونعم الوكيل.

أولياء الشيطان :

لقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه وسُنّة رسوله ﷺ أن له أولياء من الناس، كما أن للشيطان أولياء.

وقد فرق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان المردة، الذين لم يقبلوا لأنفسهم أن يكونوا عبيداً لله، بل تجدهم قد تمردوا على أمره سبحانه وتعالى فضلّوا السبيل، وكانوا قوماً بوراً.

إن أولياء الله هم الأتقياء الذين ينقادون لأمره، ويتبعون تعاليم شرعه قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

وفي حق أولياء الشيطان نقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّهُمُ

(١) المرجع السابق (ص٣٤١).

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٧.

(٣) سورة النساء: آية ١١٩.

﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1] .

بعض علامات أولياء الشيطان :

لقد تميّز أولياء الشيطان بعلامات ، بينها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فقال : فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي كان يحبها الشيطان ، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين ، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها ، أو يسجد إلى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لربّ العالمين ، أو يلابس الكلاب أو النيران ، أو يأوى إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوى إلى المقابر - لا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى ، أو المشركين- ، أو يكره سماع القرآن وينفر منه ، ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمٰن ، فهذه علامات أولياء الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمٰن .

قال ابن مسعود -رضي الله عنه- : «لا يَسأل أحدُكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله» .

وقال عثمان بن عفان -رضي الله عنه- : «لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل» .

---

(١) سورة الأعراف : آية ٣٠ .

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه- : «الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[1].

من الجدير بالذكر أن ولي الله هو من أدى فرائضه، والتزم آداب دينه، وعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم، بل قد يأتي بما يناقض ذلك، لم يكن لأحد أن يقول: هذا ولي الله، فإن هذا إن لم يكن مجنوناً بل كان متولياً من غير جنون، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق أخرى، وهو لا يقوم بالفرائض، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ فهو كافر.

وإن كان مجنوناً باطناً وظاهراً فقد ارتفع عنه القلم...، ولكن إن كان له حالة في إفاقته؛ كان فيها مؤمناً بالله متقياً، كان له من ولاية الله بحسب ذلك؛ وإن كان له حال في إفاقته فيه كفر أو نفاق، أو كان كافراً أو منافقاً ثم طرأ عليه الجنون، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق[2].

ويوضح لنا الشيخ رشيد رضا -رحمه الله- جوانب هامة من حياة أولياء الخيال الدجاجلة، فيقول تحت عنوان: أولياء الخيال وأولياء الطاغوت والشيطان: فأولياء الله -الذين يشهد لهم كتابه بالولاية له- هم المؤمنون الصالحون المتقون، ولكن اشتهر بين المسلمين -بعد

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» (ص٦٤-٦٥).

(٢) انظر كتاب: «الفرقان» (ص٤٠-٤١).

عهد السلف- ما يدل على أن الأولياء عَالَم خيالي غير معقول، لهم من الخصائص في عالَم الغيب، والتصرف في أنبياء الله المرسلين ▪ بل فوق كل ما وصف به جميع الوثنيين آلهتهم وأربابهم التي اتخذوها من دون الله.

وينقلون مثل هذه الدعاوى عن بعض من اشتهروا بالولاية، ممن لهم ذكر في التاريخ، ومن لا ذِكر لهم إلا في كتب الأولياء[1]، الذين فتن المسلمون والمسلمات بهم؛ ممن يسمّون بالمتصوفة وأهل الطريقة ▪ ينقلون عنهم ما يؤيدون به مزاعمهم الخرافية الشركية . . .

ولئن أنكر عليهم منكر ليقولن: هذا ضال مضلّ ▪ منكر للكرامات، مخالف للقرآن، وقرؤوا عليه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[2].

هذه الولاية الخيالية المبتدعة من محدثات الصوفية، ألبسوها ثوب الشريعة، وجعلوا للشريعة مقابلاً سموه الحقيقة . . .

أما فكرة خاتم الأولياء فهي فكرة باطنية، وليست من الإسلام في شيء.

وقد روى (ابن عربي) من أن الله قد أكرم محمداً ﷺ، فجعل من أمته رسلاً بعده - يقصد بهم الأولياء-، وأن خاتم الأولياء هذا ليس في

(١) مثل الأقطاب الأربعة المتداركة، أو مثل الدسوقي، الرفاعي، البدوي، والشعراني.

(٢) سورة يونس: آية ٦٢.

هؤلاء الرسل من هو أرقى منه ، وهو إن لم يكن عَلَوياً في النسب فهو عَلَوي في المشهد والولاية[1].

هذه من أفكار الصوفية المنحرفة التي تعمل جهدها لكي تُضل العباد ، وتبعدهم عن صفاء الدين ، ونقاوة تعاليمه ؛ لأن الشيطان هكذا يوسوس لها - والعياذ بالله - .

(١) انظر : «عنقاء مغرب» (ص١٨-١٩) ، نقلاً عن «ولاية الله والطريق إليها» .
وانظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (٢/ ٣٧٨) .

الفصل الرابع

وسائل الإعلام

وسائل الإعلام

كان لتطور وسائل الإعلام الأثر البالغ على سلوك الإنسان واتجاهاته في الحياة ، ويبدو هذا الأثر واضحاً في الحرب والسلم ، لذلك اهتم الإسلام بالإعلام ووسائله ، حتى يصون المسلمون من مزالق الأعداء وتشويهاتهم ، ليبقى المجتمع المسلم في مأمن من خطورة التضليل الدعائي والتخريب الإعلامي ، وهذا ما يظهر جلياً واضحاً في عالمنا المعاصر .

إن المجال الإعلامي في الكتاب والسُّنة قائماً على خطة منهجية دقيقة وفق أسس وقيم وأهداف واضحة . . .

وترتكز هذه الخطة على عدة محاور :

أولاً : الدعوة إلى الإسلام وإعلام الناس بالحقائق ، يقول الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١) .

ثانياً : الدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية ورعاية مصالحها ، وتفنيد دعاوي الأعداء وكشف مخططاتهم وتبيين سبيلهم ، يقول الله سبحانه : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٢) سورة التوبة : آية ٦٤ .

ثالثاً : مواجهة الإشاعات والأراجيف لحماية المسلم من التضليل والمخادعة ، ووضعه أمام الحقائق وجهاً لوجه . . .

المرجفون والخرّاصون :

وسنتكلم عن الركيزة الأخيرة - فيما يلي - بشيء من التفصيل :

إن الإشاعات والأراجيف تستهدف سمعة المؤمنين والنيل من كرامتهم ؛ لإسقاط شخصيتهم بالإثم والبهتان والله تعالى يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[١] .

ويقول الله سبحانه في موضع آخر : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢]، تمثل هذه الآية الكريمة تأديب لمن سمع شيئاً من الكلام السيء ، فقام بذهنه شيء منه ، فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[٢] أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح .

والإمام أحمد يقول : عن ثوبان - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «لا تؤذوا عباد الله ، ولا تعيّروهم ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته»[٣] .

فبالأراجيف يتمّ اختراق الصفوف ونشر الفتنة ، والتأثير على

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٨ .

(٢) سورة النور : آية ١٩ .

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٨٣) .

ضعاف الإيمان، وإرباك البنيان الإسلامي . لذلك كانت عاقبة الاستماع للأراجيف، والانسياق وراء الإشاعات وترويج الأخبار الكاذبة هو الندم، ويقول الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[1].

وبهذا يكون الإسلام قد أرشدنا إلى كيفية التعامل مع الإشاعة والأراجيف:

١- التبيُّن والتثبّت: فإذا سمع المسلم خبراً ينبغي أن يتحقق من مصدره، أهو ثقة أم غير ذلك؟

ومن الجدير ذكره أن كثيراً من العاملين على ساحة الدعوة الإسلامية يتلقون الأخبار من الإذاعات الكافرة، والصحف الفاجرة التي تخدم مصالح أعداء الله، وتشيع الفاحشة في المؤمنين، وتوحي بالشبهات والتُّهم، ويأخذون معظم ذلك بالتسليم، أو يكون له أثر نفسي سلبي في عقولهم وقلوبهم، قد يغير -بآثاره- كثيراً من المواقف والتصرفات!!

٢- التسلّح بالقوة الإيمانية، فإنها مناعة تبطل كيد الكافرين: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

٣- عدم نشر الإشاعة وترويج الأراجيف، وحسن الظن بالمؤمنين . قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكل ما سمع»[3].

(١) سورة الحجرات: آية ٦ .

(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٩ .

(٣) رواه مسلم في (المقدمة) (ص٥) .

٤- المواجهة الإعلامية لكشف الزيف وتعرية الإشاعة وبيان الكذب والتناقض لإسقاط فاعليتها : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾(١).

٥- الإسقاط : وهو ذو فاعلية في هزّ نفسية العدو ، وإشعاره بتفاهة منزلته وضعف موقفه : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾(٢).

٦- الإهمال : وهو عدم الاعتناء بالعدو ، ليشعر بضعف موقفه ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾(٣) فإذا اطلعت يا أخي المسلم -يرحمك الله- على شيء من عورات المسلمين ، فإياك أن تخدع ، فتسارع إلى بثّه فإنه يُريع الأمة ، ويزيد الغُمة ، ويمكّن للظلمة(٤).

---

(١) سورة محمد : آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٧٧ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ٣ .

(٤) انظر : «مجلة الأصالة» (ص٣٨-٤٠) - العدد الثالث (١٤١٣هـ) .

التلفـزيون وأضــراره

قد يسال سائل هنا فيقول : لماذا تبدأ بذكر الأخطار والأضرار قبل المنافع وصالح الآثار ، مع أن نبينا ﷺ قد أمرنا بالتبشير وعدم التنفير (بشّروا ولا تنفروا) ؟ .

والجواب عليه : هو أن التلفاز بواقعه الحالي يغلب فيه الشّر والضرر ، بحيث يمكن القول إنه شرّ جلّه أو كله .

وقد قال تعالى : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾[1] .

فلأن الإثم المترتّب على التعامل مع الخمر والميسر إثم كبير ، أكبر من المنافع المرجوة من الاتجار به ، فقد قُدم ذكر الإثم والضرر على المنفعة في النصّ ، وكان هذا النصّ خطوة أولى على طريق تحريم الخمر والميسر ! .

ونحن إذ نذكر هنا الأضرار الناجمة[2] أو التي قد تنجم عن استعمال التلفاز ، نحبّ أن نذكر أن هذه الأضرار وإن تفاوت تأثيرها من فرد لآخر فلا يستطيع أن يدعي أي إنسان أنه بمقدوره أن ينجو منها كلها ،

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٩ .

(٢) للمزيد راجع كتاب : «التلفزيون بين المنافع والأضرار» (ص١٦-٣٧) الدكتور عوض منصور .

إلا أن يكون معصوماً !..

ومن أهم أخطار التلفاز :

١- قتل الوقت وعدم استغلاله في عمل الصالحات ، والبعد عن اللهو والمنكرات ، وهكذا يضيع عمر الإنسان فيما لا فائدة مرجوة منه ، فيشغله عن أداء واجبات مهمة كالصلاة وذكر الله والتفكير في ملكه وعظمته .

٢- الإسهام في تقطيع الأواصر والعلاقات بين الناس ، بسبب استغناء الأفراد والعائلات بالتلفاز وبرامجه ، والتي يأخذ عليهم ألبابهم وأوقاتهم عن بعضهم البعض .

٣- زرع بذور الشك بين الناس ونزع الثقة فيما بينهم ، وتمزّق العائلات الواحدة ، بسبب بعض المسلسلات التي تؤدي مشاهدتها إلى هذه النتائج المدمّرة .

٤- نقل أخلاق البيئات الشاذة والمنحرفة إلى مجتمعنا ، وتعليم الناس الاختلاط بين الجنسين ، وفرض نماذج أخلاقية سيئة وهابطة على الناس ، وخلق المشاكل والعُقد النفسية والجنسية عند الجنسين من غير المتزوجين .

٥- تعويد المشاهد سماع الموسيقى وعدم غضّ البصر ورؤية المنكرات وعدم إنكارها ، مما يعرض فيه من مشاهد محرّمة وكشف العورات .

٦- الإسهام بشكل مباشر في هبوط مستوى التحصيل لطلبة المدارس

والمعاهد والجامعات ، والتلفاز يعتبر عاملاً مهماً في عدم تنظيم الوقت الدراسي للطالب ، إذ أن العدد الكبير من الساعات التي يحتاجها لتحصيل العلم ، وأداء الواجبات الدراسية يضيّعه الطالب أمام البرامج المغرية التي يعرضها التلفاز ، فبالتالي يتراجع المستوى التحصيلي للطالب .

٧- تشويه شخصيات التاريخ الإسلامي في عقول الناشئة والمشاهدين ، وذلك بعرض مسرحيات أو أفلام ذات عناوين إسلامية إلا أن محتوياتها تلقي بذور الشك في عظمة تاريخ أمتنا ، وعظمة قادتها ورجالها بما يعرضونها من مواقف تخالف الحقيقة التي هم عليها هؤلاء العظماء ، فيشوّهون صورتهم ويبخسون حقّهم .

٨- بناء ثقافة مشوّهة لدى الأطفال عبر أفلام الكرتون ، بسبب ما تعرضه من خوارق زائفة كاذبة يحاول الأطفال تقليدها ، مما يوقعهم في الأذى والمشاكل ، وأقل أفلام الكرتون خطراً هو ما يحشو عقل الطفل بالخرافات التي لا تسمن ولا تغني من جوع . . .

٩- إصابة العيون بالأمراض بسبب الأشعة الصادرة من الشاشة ، إذ لم تستعمل شاشة واقية فوقها لتقليل الأضرار الناجمة عن تركيز البصر على الشاشة فترة طويلة .

١٠- إلهاء الناس وإشغالهم عن قضايا أمتهم الأهم ، وامتصاص نقمة الناس وتخديرهم ، وهم لاهون غافلون بمتابعة المسلسلات الفكاهية التي تقدم نماذج وصور لفساد الأوضاع في البلاد ، مما يؤدي

إلى التنفيس عن بعض ما في صدور الناس الذين يعانون الأمرّين من ظلم هذا النظام أو ذاك . . .

١١- إظهار الفاسقين في موقع الصدارة من المجتمع ، والتركيز على مظاهر المباريات الرياضية والملاكمة والمصارعة والحفلات الفنية مع إهمال عرض جوانب الإعداد والاستعداد ، والتدريب على أعمال الجهاد ، وزرع روحاً في الناشئة .

١٢- التركيز على إظهار مشاركة المرأة في كل ميدان خارج بيتها ، وذلك من أجل إقناع المرأة بترك بيتها وزوجها وأولادها لتعيش بين الغرباء من الرجال طيلة النهار . . .

١٣- إفهام الناس أن كثرة النسل مشكلة اجتماعية ، وذلك لتقليل عدد المسلمين في العالم .

١٤- تشويه قضايا المسلمين المعاصرة ، وهدم الحواجز النفسيةبيننا وبين اليهود ، وذلك بكثرة ترديد أسماء زعمائهم ومؤسساتهم وعرض تقدمهم ، وازدهار حياتهم ، حتى يصبحوا جزءاً من حياتنا . . ، وإشاعة الود في قلوب الأمة لأعدائها من الصليبين في أوروبا وأمريكا ، وذلك بتصويرهم بصورة إنسانية ، وهم يقدّمون المساعدات المادية والفنية وغيرها لنا . . .

١٥- تحوّل التلفاز إلىمصدر وحيد لتلقي الثقافة عند الأمة ، نظراً لازدياد تعقيدات الحياة ، وإقبال الناس المتزايد على الدنيا ومتاعها وكمالياتها ، جعلت من التلفاز الحل البديل والوحيد الذي يتلقى منه

الفرد ثقافته، فلا وقت لديه لتلاوة القران أو مطالعة الكتب المفيدة أو المجلات أو الجرائد.

ولا نغفل هنا أخطار الفيديو المدمرة، ونوعية الأفلام التي يتداولها مستعملوا الڤيديو، والتي تجعل من مُشاهدها حيواناً في صورة إنسان، وتقلب أخلاقه إلى أخلاق شرسة رهيبة لا يرضاها الحيوان لنفسه، ومن هذه الأفلام: أفلام الإباحة الجنسية والبوليسية وأفلام الكراتيه والمغامرات، والتي تُعلّم هؤلاء الشباب الاعتداء على الناس، وطرق الغش والاحتيال والسرقة والقتل والإرهاب وترويع الآمنين.

فالفيديو له آثار مدمرة على الأسرة وكيانها، فهو يترك أفرادها في حيرة وتشتت وقلق، ويودع الكثيرين في السجون نتيجة ارتكابهم للجرائم التي تعلموا طرقها وأساليبها من ذلك الجهاز اللعين، الذي يعتبر اقتناؤه من طرق انحراف الشباب، وتقويض أركان الأسرة الواحدة[1].

حكم الإسلام في التلفزيون:

وهكذا فقد اطلعت أخي المسلم - حفظك الله - على أضرار التلفزيون ومفاسده، وكل ما تأنفه النفوس الأبية والأذواق السليمة.

وحان لنا الآن أن نقف وقفة متأنّ متأمل في حكم الإسلام في اقتناء جهاز التلفزيون والنظر إليه.

... ما دام التلفزيون اليوم يرمي في أكثر برامجه إلى هدر الشرف،

---

(١) انظر: «التلفزيون بين المنافع والأضرار» (ص٣٧-٤٠).

ويوجه نحو الفساد والإباحية، ويشجع على السفور والاختلاط... فإن اقتناؤه والاستماع إلى برامجه والنظر إلى مشاهده... يعد من أكبر الحرام، وأعظم الإثم[1].

والدليل على ذلك:

١- إجماع الفقهاء والأئمة والمجتهدين في كل زمان ومكان على أن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة: (حفظ الدين، حفظ العقل، حفظ النسب، حفظ النفس، وحفظ المال).

وقالوا: إن كل ما جاء في الشريعة من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وقواعد أصولية، تهدف إلى حفظ هذه الكليات الخمس، وباعتبار أن أكثر برامج التلفزيون الحالية: من أغانٍ ماجنة، وتمثيليات خليعة، ودعايات مثيرة، وأفلام فاسدة تستهدف هدر الشرف، وضياع العرض، وشيوع الفاحشة، فإنه يُحرم النظر إليها، والاستماع لها للحفاظ على النسب والعرض، وبالتالي يحرم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة إلى النظر والسماع.

٢- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (لا ضَرر ولا ضِرار)[2]، فهذا الحديث الشريف يُعدُّ قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قعّدَها الفقهاء، واستنبطها علماء الأصول؛ لأن عليها مدار الإسلام في أوامره ونواهيه، ولأنها تهدف إلى تحريم كل ما

(١) انظر: «الأجوبة النافعة» (ص٢٩٩).

(٢) رواه مالك وابن ماجه والدارقطني.

يضر بالفرد والمجتمع والأخلاق . . . بلفظ بليغ موجز[١] . . .

وباعتبار أن التلفزيون -في برامجه الحالية- يوجه إلى الميوعة والانحلال ، ويثير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة ، فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ويدخله بيته . . . حفاظاً على عقيدة الاسرة وأخلاقها ، وقطعاً لدابر الأضرار التي تنجم عنه ، وتطبيقاً لقاعدة (لا ضرر ولا ضرار)[٢] .

٣- من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية قاعدة (سد الذرائع) ، ومعناه : تحريم المباح لكونه يؤدي إلى المحرم . فاعتبار أن النظر إلى برامجه الحالية يؤدي إلى الفساد والتحلل ، صار اقتناؤه أو استعماله محرماً لكونه يؤول إلى أسوأ المفاسد ، وأحط الأخلاق .

٤- إن أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التلفزيون مصحوبة بالمعازف ، والغناء الخليع ، والرقص والمجون .

وباعتبار أن الاستماع إلى الموسيقى والمعازف محرم بالنص ، لما رُوي أن الرسول ﷺ قال : «إن الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير والمعازف والخمور والأوثان التي تعبد في الجاهلية . . .»[٣] .

وروى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه ﷺ قال : «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر (الفرج)، والحرير والخمر والمعازف» .

---

(١) انظر : «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص٨-٩) .

(٢) انظر : «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص١٨٦) وما بعدها .

(٣) رواه أحمد بن حنبل وغيره .

وباعتبار أن الاستماع إلى المغنيات، والنظر إلى الراقصات محرم بالسُّنة النبوية، لما روى مسدّد وابن حبّان عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: يُمسخ من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير قالوا: يا رسول الله أمسلمون هم؟ قال: «نعم، ويشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ويصومون»، قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: «اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا الأشربة (الخمر) فباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مُسخوا»[(١)].

وروى ابن عساكر في «تاريخه» عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: «من قعد إلى قيْنة يستمع منها صَبّ الله في أُذنيه الآنك (الرصاص المذاب) يوم القيامة».

وباعتبار أن المجون يترتب على مشاهدته إثارة الغرائز، وهياج الشهوات لما يصحبه من مظاهر الفتنة وتكشّف العورات... فهو محرّم بالنص الذي يأمر المؤمنين والمؤمنات، بغض البصر بشكل عام، ويأمر المرأة بالستر والحجاب وعدم إظهار التبرج والزينة بشكل خاص.

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[(٢)].

فإذا كان السفور وإبداء التبرج وإظهار الزينة محرم على المرأة،

---

(١) انظر: «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص١١-١٣).

(٢) سورة النور: آية ٣٠-٣١.

فلأن تظهر مفاتنها ، وتكشف عورتها ؛ لتثير غرائز الرجال في رقص أو غناء ؛ فهو محرم من باب أولى[1] .

لهذه الاعتبارات كلها كان اقتناء الجهاز التلفزيوني محرماً لما يُصاحب هذه البرامج الترفيهية من معازف وموسيقى وغناء ماجن ورقصات فاجرة ، وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرماً كذلك لما لها من خطر كبير في تقويض دعائم التربية والأخلاق . يا ويلتاه على أمة العرب والإسلام؟ التي أصبح حالها المؤسف إلى مثل هذا المصير المزري ، الذي يندى له جبين الإنسانية ويعود بها إلى الجاهلية الأولى! «وإذا لم تستح فاصنع ما شئت» .

والله أسأل أن يوفّق أبناء أمة الإسلام للعمل بالكتاب والسُّنة ، وأن يجنبهم غـرور الشيطـان ونزواتـه ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾[2] .

هذه أخي المسلم بعض السموم التي تنفثها وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ، وقد رأيت أيها القارىء خطورات هذه المعاول وسمومها القاتلة ، وبالتالي فما عليك إلا أن تكون على حذر من ضلال أسرتك التي تعيلها ، فأنت المسؤول عنها بين يدي الله . آمل الاعتصام بالكتاب والسُّنة ، وعدم التفريق في هذا الدين الذي هو عصمتنا ، وفيه صلاح أمرنا والله الموفق .

---

(١) انظر : «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص١٣) وما بعدها .

(٢) سورة الأنفال : آية ٤٢ .

آلة التسجيل (المسجّل) :

من المعروف أن آلة التسجيل تختلف عن جهازي الراديو والتلفزيون كل الاختلاف ،وذلك لأن برامج الراديو والتلفزيون ليست وفق رغبة الإنسان ، بل إن المستمع أو المشاهد ملتزم ببرامجها ومجبر عليها .

بينما آلة التسجيل تدخل في حيز الإرادة البشرية والاختيار الذاتي في كل ما تثبته من شرائط وما تذيعه من برامج ، وباستطاعة الإنسان المتبصّر أن يختار لنفسه برامج التسجيل النافعة من الناحية الروحية والخلقية والثقافية .

كما أنه في الوقت نفسه يستطيع أن يتخير من البرامج الفاسدة كل ما يُفسد الأسرة من ناحية دينها وخُلُقها .

إن آلة التسجيل سلاح ذو حدين : يستعمل للخير ويستعمل للشر ، فإذا أحسن استخدامها في الخير والإصلاح كان لها أكبر الأثر في إصلاح المجتمع وتكوين الأمة الفاضلة .

وهذا ما سمعناه عن تسجيل الشرائط للعلماء والكُتّاب والخطباء والدعاة ، وقد انتشرت هنا وهناك وانتفعت بها الأمة انتفاعاً محموداً .

وإذا كان الإعداد لهذه البرامج جيداً ، والتحضير لها محكماً . . . فتقديري أن كثيراً من الأسر المسلمة يستغنون عن الراديو والتلفزيون لاستخدامها آلة التسجيل في الشيء النافع ، والبرامج الهادفة[١] .

وخلاصة ما تقدم إن آلة التسجيل إن استحسن استخدامها في الأمور

(١) انظر : «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص٢١-٢٤) .

النافعة والبرامج المفيدة، فلا يشك عاقل في جواز اقتناؤها لما لها من الأثر الكبير في التوعية والهداية والإصلاح . . .

الراديـــو (المذياع) :

مما لا شك فيه أن استعمال الراديو واقتنائه والاستماع إليه في الشيء المفيد النافع مُباح، كالاستماع إلى القرآن الكريم، والاستماع إلى الأحاديث الدينية والطبية والتوجيهية . . .، والاستماع إلى الأخبار المحلية والعالمية، والاستماع إلى التمثيليات التاريخية وغيرها من البرامج المفيدة النافعة . . .

أما إذا كان الفرد المسلم أو الأب أو المربي يعلم من نفسه أنه لا يستطيع أو لا تستطيع أسرته أن يتحكموا في اختيار المفيد النافع، وأن يمنعوا الشر المتخلل أثناء العرض للبرامج، فإنه يحرم اقتناء الجهاز لما يترتب عليه من مفاسد فكرية، ومضار خلقية وأخطار نفسية واجتماعية . . .

والأدلة التي تدل على تحريم الراديو في عرض مفاسده هي نفس الأدلة التي عرضناها في حرمة الغناء والمجون، وإلا فمن يرضى على نفسه أن يستمع إلى أغاني الخنا والفُحش من جهاز الراديو والتلفزيون ؟!

ومن الذي يرضى على نفسه أن تستمع أسرته إلى ما يثير كوامن الغريزة والشهوة من جهازي الراديو والتلفزيون . !!

فلا شك أن الذي عنده ذرة من دين أو خلق أو نخوة، لا يرضى بل يمنع أي جهاز يدخل في بيته يؤدي إلى ضياع العرض والشرف ويحضّ على الفساد والفاحشة ما ظهر منها وما بطن . . .

ونخلص إلى القول : إن جهاز الراديو يجوز اقتناؤه شرعاً ، إذا استطاع المسلم أن يتحكم عند الاستعمال باختيار البرامج المفيدة النافعة ، وإلا فاقتناؤه من الحرام[1].

السينما والمسـرح :

من الأسلحة الهامة ذات الحدين في البناء والهدم ، والإصلاح والفساد ، سلاح السينما والمسرح .

إن الكلام عن السينما والمسرح يتعلق في قضيتين هامتين هما :

قضية التمثيل وقضية المشاهدة .

يمكن تعريف التمثيل بأنه : تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية ، أو الموقف السياسي ، أو الفكرة التوجيهية بشخصيات بشرية أو صور مادية وحسية ، لتتوضح للناس حقيقة هذه الحادثة ، وتتبلور لديها معالم هذه الفكرة .

لو استعرضنا القرآن الكريم في كثير من آياته ، وتقصّينا أحاديث النبي ﷺ في كثير من أحاديثه ، لوجدنا أن التمثيل بالشيء المحسوس وتجسيد الفكرة بالصورة المادية أمر لا ينكره إلا مكابر وجاحد لأوضح البدهيات وأظهر الحقائق!! .

ومما جاء في القرآن الكريم في أواخر سورة البقرة قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ

---

(١) انظر كتابنا : «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص١٨٤) ، وكتاب : «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص٢٥-٢٦) .

﴿سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] .

ففي هذه الآية يجسد القرآن الكريم حقيقة الإنفاق في سبيل الله بحقيقة الحبة المزروعة التي تعطي عوداً يحمل سبع سنابل وفي كل سنبلة مئة حبة ، حتى يتوضح للمسلم المنفق كم له من أجر عند الله إذا أنفق درهماً واحداً في سبيل الله ، والله يضاعف لمن يشاء ؟!

ومن التشبيهات الحسية والتجسيدات المادية[2] ما جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ : «مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ، ولا ريح لها . . .»[3] .

ومما يؤكد التمثيل بالشخصيات ، ما مُثِّل للنبي ﷺ ليلة إسرائه ومعراجه عن أحوال العصاة ، وأهل الكبائر من أمته ، وما سوف يلقونه من هوان وعذاب . . .

يتبين لنا مما سبق أن توضيح الفكرة بشيء محسوس ، وتجسيد الموقف بصور مادية هو من أسلوب القرآن الكريم ، والحديث الشريف في الموعظة والتأثير والإقناع وترسيخ الفكرة ، وهداية الناس إلى الخير ، وتثبيت دعائم الإصلاح في المجتمع .

ونفس الحال يقاس في قضية التمثيل على المسرح أو في الاستوديو ، لتوضيح الحادثة التاريخية أو تجسيد الواقعة الاجتماعية ،

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٦١ .

(٢) انظر : «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص٣٢) وما بعدها .

(٣) رواه النسائي في «السنن» .

فإنه من الوجهة الشرعية مباح، ولكن إباحته مقيّدة بشروط وضعها الإسلام تشمل على ما يلي:

١- ألا يمثّل بشخصيات تاريخية لها قداستها في نفوس المؤمنين كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين...

٢- ألا يظهر في التمثيل أي مظهر من مظاهر المجون والخلاعة، كالرقص والمعازف وظواهر الخمر...؛ لأنها محرمة في شريعة الإسلام.

٣- ألا يظهر في التمثيل نساء ورجال أو نساء يراهنّ رجال، وأن يستهدف التمثيل مصلحة الدين والعلم والأخلاق وتربية الفرد والأسرة والمجتمع.

٤- ألا يخدم التمثيل نظاماً أجنبياً أو مبدءاً هدّاماً أو عقيدة باطنية كافرة...، وأن يكون الاختيار للإخراج والتمثيل، وكتابة المسرحية من أصناف المؤمنين الواعين الذين يبلغون رسالات ربهم، ويخلصون لهذا الإسلام...

فإذا وجدت هذه المواصفات في التمثيل والممثل والمخرج وكاتب المسرحية، فالإسلام لا يرى في التمثيل حرجاً، ولا في المسرح بأساً، ما دام التمثيل في خدمة الإسلام، ومصلحة الفرد والأسرة والمجتمع[١].

أما قضية جواز المشاهدة: فمتعلق بسلامة التمثيل مما يتنافى مع

---

(١) انظر: «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص٣٧-٣٨).

آداب الإسلام ، ومرتبط ببراءة العرض ، ولا يتعارض مع روح الشريعة . . . أما إذا شاب صالة العرض منكر أو حاق بها إثم ، كوجود اختلاط بين نساء ورجال أو سماع عزف على آلات النغم ، أو عرض أشياء تثير الفتنة ، وتوقع الفساد ، فلا يجوز شرعاً ارتياد هذه الصالة مهما كان عرض التمثيلية سليماً ومهما كان الفيلم ذا توجيه وموضوعية .

والمتأمل أوضاع السينما والمسرح في البلاد بشكل عام ، يجد أن الفيلم أو التمثيلية أو المسرحية ، لا بد أن يتخلل فيها عرض لمناظر فاسدة ، ومشاهد مائعة ماجنة ، حتى إن السينما أصبحت اليوم هدفاً للتحلّل ، والمسرح بات مرتعاً للمجون والإباحية . . . بل صارت التجارة بالأعراض باباً للرزق ، وميداناً للسبق!! عند أصحاب المطامع الخسيسة ، وذوي النفوس الهابطة الدنيئة . . . فلا يعقل والحال هذه أن يرتاد المسلم المؤمن بالله واليوم الآخر هذه الأماكن الفاسدة الموبوءة ، أو يزجّ نفسه في مواطن التهم مخافة التأثر والوقوع في الحرام ، والإساءة إلى سمعته الاجتماعية في البيئات الإسلامية المخلصة . . .

والرسول ﷺ يقول في الحديث الشريف : «. . . ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» .

وهكذا فارتياد السينما أو المسرح بوضعهما الحالي اليوم من أعظم الإثم ، ومن أكبر الحرام لما فيهما من مظاهر الفساد والإباحية ، التي تؤدي إلى الوقوع في متاهات الرذيلة . . . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[١] .

(١) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .

الصحيفة والمجلـة :

من وسائل الإعلام المنتشرة في هذا الزمان والتي أصبحت في متناول الأيدي في كل مكان . . . ، وسيلة الصحيفة والمجلة . . .

تعتبر الصحيفة والمجلة من الأسلحة ذات الحدين : تستخدم للخير وتستخدم للشر ، وتستعمل للبناء وتستعمل للهدم ، فتكون سبباً للإصلاح وسبباً للإفساد .

ولكن لو ألقينا نظرة عامة إلى ما تصدره دول العالم بشكل عام والبلاد العربية بشكل خاص . . . من مجلات وصحف نجد أنها خلطت عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، خلطت عملاً صالحاً لما تنقله من أخبار عالمية هامة ، ولما تنشره من مواضيع علمية وفكرية متنوعة ، ولما تعرضه من تحقيقات صحفية عن شخصيات مرموقة ، وعن بلاد إسلامية وعربية وأجنبية ذات شأن . . . ، وخلطت عملاً سيئاً لما تنفثه من أفكار إلحادية ضالة ، ولما تروجه من نظريات إباحية عفنة ، ولما تعرضه من صور خلاعية فاجرة . . .

وقلما نجد صحيفة أو مجلة تعتني بالإصلاح والتوجيه وتختص بقضايا العلم والخُلق وتهتم بشؤون البيت والأسرة وتُولي عنايتها في تربية الفرد والمجتمع . . . بل أصبحنا نسمع عن مجلات ليس من غاية لها سوى الدعوة إلى الإباحية الفاجرة ، والوجودية والإلحادية الكافرة ، حتى ينزلق الشباب والشابات في متاهات الرذيلة ، ويسقطوا في مهاوي الإلحاد[1] .

---

(١) انظر : «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص٢٤) وما بعدها .

ويشرف على إصدار هذه الصحف وتحريرها قيادات يهودية وماسونية واستعمارية وشيوعية وصليبية ؛ وذلك للهيمنة على أفكار الجماهير ولإفساد الذمم والضماير ، ولتمييع الأمم والشعوب ، ولتشكيك أمة الإسلام بمعتقدها وتاريخها . . .

يقول اليهود في البروتوكول الثاني عشر : «. . . والأدب والصحافة قوتان تعليميتان كبيرتان وستصبح حكومتنا مالكة لمعظم الصحف والمجلات ، وإذا سمحنا بظهور عشر مجلات مستقلة ، فيجب أن يكون لنا ثلاثون صحيفة مقابلها ، ولن نجعل الناس يشكون في سيطرتنا على هذه الصحف ، ولذا فسنجعلها من النوع الذي يناقض بعضه بعضاً في الأفكار والاتجاهات لنحصل على ثقتهم ، ولنجتذب خصومنا الذين لا يتطرّق إليهم الشك في قراءتها ، فيقعون في الشّرَك الذي نصبناه لهم ، ويفقدون كل قوة على الإضرار بنا»[١].

وقد أعرب قادة اليهود عن امتلاكهم الفعلي لناصية الصحافة في العالم ، وعن استخدامهم لها في أغراضهم وتحقيق مقاصدهم . . .

ومما تقوله الشيوعية في وثائقها السرية الخطيرة بعد كلام طويل :

١- تشجيع الكتّاب الملحدين وإعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني ، والضمير الديني والعبقرية الدينية ، والتركيز في الأذهان أن السلام انتهى عصره . . .

٢- إن فصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمّان بهدم المساجد والكنائس ؛ لأن الدين يكمن في الضمير . . . ، والمطلوب هو هدم

(١) انظر : «مكائد يهودية» (ص٣٣٢) الأستاذ عبد الرحمن حبنكة .

الضمير الديني ، ولن يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به إن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية . . . ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والمجلات التي تروّج للإلحاد ، وتدعو إليه وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده وجعله الإله المسيطر(١) .

فإذا كانت أكثر الصحف والمجلات في العالم تسيطر عليها قيادات يهودية واستعمارية وصليبية وشيوعية ، -فعلى المسلم المتبصّر أن يكون دائماً على شك فيها ، وحذر منها- ، فعند اقتناء أي مجلة أو صحيفة سواء أكان ذلك عن طريق الشراء أو الاشتراك ينبغي أن يضع المسلم في اعتباره المواصفات التالية :

١- أن تكون معروفة باتجاهها الإسلامي أو صبغتها العلمية البحتة .

٢- أن لا يُعرف عمن يشرف على إدارتها وتحريرها بالزيغ والانحراف والتحلل .

٣- أن لا يُنشر فيها صور تمسّ الفضيلة والأخلاق .

٤- أن لا يُعرف عنها أن لها أي دسّ يستهدف نظام الإسلام .

٥- أن لا يُعرف عنها أن لها أي ارتباط عقائدي مع أي جهة استعمارية أو إلحادية .

فإذا وجدت هذه المواصفات في الصحيفة أو المجلة فلا بأس أن

---

(١) من كتاب : «الشيوعية والإسلام» (ص١٢٣) للمؤلفين عباس محمود العقاد وأحمد عبدالغفور العطار .

يقتنيها المسلم ويدخلها بيته وتكون في متناول الأهل والأولاد .

أما إذا اختلّ في المجلة أو الصحيفة وصف من هذه المواصفات الآنفة الذكر فإنه يحرم عليك أن تقتنيها ، لما لها من الأضرار البالغة على الدين والخُلق[1] .

أما بالنسبة للاطلاع العابر على المجلة أو الصحيفة فلا حرج في ذلك أو إثم ، بشرط أن يكون القارىء متمكناً من ثقافته الإسلامية ، راسخاً في عقيدته الإيمانية حتى يعلم ما يكتبه أعداء الإسلام عن الإسلام ، وحتى يكشف للمسلمين عن المخططات التي تصممها دول أجنبية وتنفّذها شخصيات عميلة وخائنة لهذه العقيدة الإسلامية ، وتحويل الجيل الإسلامي إلى تبع لأفكار الاستعمار وأخلاقياته الدخيلة . . .

---

(١) انظر : «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص٣٠) .

التصوير والصور

ومن مظاهر رقي الإنسان وما أنتجه العقل البشري في القرن العشرين ، التصوير واتخاذ الصور في كثير من مناحي الحياة اليومية ، حتى أصبح التصوير أمر لا غنى عنه ، وحاجة ماسة لتسهيل كثير من المعاملات اليومية التي تستخدم لأجل التعليم أو بيان الغامض ، وتسهيل الصعب .

ومن هذا المنطلق كان لا بدّ لنا من التعرّف إلى حكم الإسلام في التصوير ، وعرض الصور البشرية أو الحيوانية على صفحات الكتب والمجلات واللوحات المختلفة .

إن التصوير واتخاذ الصور في الأصل حرام ، سواء أكانت هذه الصور مجسمة أو غير مجسمة ، وسواء أكانت ذات ظل أو غير ذات ظل ، وسواء أكان التصوير بالآلة أو باليد ، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصورون» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما صنعتم»[١] .

---

(١) رواه مسلم والبخاري .

وقال عليه السلام : «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»[1].

ومما يؤكد حرمة الصور والتماثيل أن النبي ﷺ لم يدخل الكعبة بعد فتح مكة حتى أخرج كل ما فيها من صور وأصنام وتماثيل . . .

ويستثنى من التصوير الشجر وكل شيء ليس فيه روح باتفاق الفقهاء . فعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «من صوّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبداً»[2].

ويرخّص من التماثيل لعب الأطفال لكونها لا يظهر فيها قصد التعظيم .

إنما القصد منها التسلية والتعليم كما ويرخص من الصور ما جُعلت ممتهنة أو قطعت لأجل الوسائل . . . ، وما توجبه الضرورة وتقتضيه المصلحة ، كصور البطاقات الشخصية ، وجوازات السفر ، وصور المجرمين والمشبوهين ، والصور التي تتخذ وسائل للتعليم والإيضاح ، لكونها تدخل في القاعدة الأصولية العامة التي تقول : (الضرورات تبيح المحظورات) .

وإذا كان الإسلام يبيح الصور التي تتخذ للتعليم والإيضاح ، فإن إباحته لها ضمن شروط محددة يجب على من يُصنّعها أو يستخدمها أن لا يتعداها حتى تكون شرعية ضمن قواعد الإسلام .

---

(١) رواه مسلم والبخاري .

(٢) انظر : «حكم الإسلام في وسائل الإعلام» (ص٥٠) .

إن استعمال الصور الإيضاحية التي تثير الغريزة وتؤدي إلى المفسدة والمجون، والصور التي تجسد شخصيات الرسل ورجال الصحابة المشهورين، والصور التي تمثل حياة الاختلاط والسفور والتحلل، والصور التي تخدم مصالح التبشير والاستعمار والشيوعية، وتشوّه حضارة الإسلام وتاريخ المسلمين، تحرم تحريماً قاطعاً؛ لأنها تفضي إلى المساس بقواعد العقيدة والتشريع الإسلامي، ومن ثم الوقوع في ما نهى الله عنه . . .

أما عدا ذلك . . . فالشريعة الإسلامية لا ترى مانعاً من إباحة الصور التوضيحية والاستفادة، منها وتحقيق الخير لمن يتعلم بسببها، والله من وراء القصد . . .

وسائل النشر والدعايـة :

إن وسائل الإعلام والنشر والدعاية في بلادنا العربية والإسلامية من أكبر بؤر الفساد، وجرائم المجتمع التي لا يزال معظمها منابر للفساد والإلحاد، والتشكيك في الدين، يصرح من فوق أعوادها كتّاب متمسكون بالانتقاد الشديد لنصوص الدين الحنيف .

والبعض الآخر من هذه الوسائل كالصحف، قد جعلت - ولا تزال تجعل - من صفحاتها معارض واسعة للتحريض على الإثم، والدعوة إلى الانحلال والرذيلة .

كما أن كبار الكتّاب - كما يسمونهم - لا تزال اقلامهم تقطر دماً وتنفث سمّاً من جراء الطعنات النافذة التي أصابوا بها الإسلام في صميمه ومقاتله . . .

إنه البلاء المستورد من مستنقع الفساد ، وثقافة التغريب والحضارة المسموعة التي غزت ديارنا الإسلامية .

كذلك الكاتب العربي المرموق الذي اتهم الإسلام - في صفاقة - بأنه مخرب الأجيال ، ومروّع الشعوب[1]، وما يعلنه الآخرون الذين يشربونه الخمور ، ويتصرفون تصرف الخلعاء بأقلامهم وكتاباتهم الماجنة ، لذا كان لا بد لنا من الوقوف الحازم في وجوههم وتقليم أظفار المنشقين أمثالهم .

---

(١) انظر : «صراع مع الباطل» (ص٦٠) .

أسباب انهيار المجتمع الإسلامي

لقد انهار المجتمع الإسلامي وحاد أبناءه عن الصراط المستقيم ، كان لذلك جملة من الأسباب نذكرها فيما يلي :

١- السينما والمسرح وما يعرض على الشاشة من حيث نشر الرذيلة والفساد والتحريض على محاربة القيم والأخلاق .

٢- الصحف والمجلات والجرائد وما تنشره من دعايات مغرضة ، كالأخبار والصور والتعليقات الخليعة التي تحرض على الإثم والمجون والفساد . . .

٣- إباحة اختلاط الجنسين والتشجيع عليه بين البالغين ، وخاصة في معاهد التعليم من مدارس وجامعات . . .

٤- السفور والتبذل الذي بلغ بالنساء إلى درجة التفسخ والعراء ، حتى أن الشباب يجارون النساء في التهتك والميوعة والانحراف . . .

٥- القصص الخليعة والروايات الماجنة التي تتاجر بها الأقلام الآثمة ، وتدعو لها في الصحف والمجلات بين المراهقين والمراهقات . . .

٦- خلو المدارس والجامعات من التربية الدينية في جميع مراحل التعليم ، إلا بعض الحصص الإضافية في المنهاج المعتمد . . .

٧- قيام الأساتذة والمعلمين في المدارس والجامعات بنشر روح

الاستهتار بالإسلام بين الطلبة ، مما يربي في نفوسهم احتقار هذا الدين وعدم الاهتمام بعقائده .

٨- إباحة القوانين في بعض بلاد العرب والمسلمين ، لارتكاب الزنا والفواحش والقمار وكافة المحرمات ، وبدون رقابة أو فرض عقوبة على المخالفين ، الذين وقعوا في مثل هذه الجرائم الفاحشة .

٩- مشاركة الإذاعة بنشر الأغاني الماجنة المستهترة ، والتمثيليات المسمومة التي لا نتيجة لها إلا تدريب السامعين على سلوك طرق الانحراف والفساد .

١٠- ضعف الرقابة في المنزل وإعطاء المرأة كامل الحرية لتركه والخروج إلى أي مكان تشاء[١] .

هذه الأسباب الموجزة التي أدت إلى وصول بلادنا العربية والإسلامية إلى ما وصلت إليه من تميّع وتحلّل .

وهنا لا بد من أن أختتم هذا الموضوع بنصيحة إسلامية ، أقدمها للآباء والأمهات فأقول :

عليكم -أيها الآباء والأمهات- أن تتقوا الله في أماناتكم ، وألا تضيعوها بتسليمها إلى الشيطان طواعية وبدون أدنى عناء .

لقد حذّرنا الرسول ﷺ وأخبرنا أن الناس كافة سيسألون عن أماناتهم -الأبناء فلذات أكبادنا- التي أنيطت بهم لقول الرسول ﷺ : «كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته» .

---

(١) انظر : «صراع مع الباطل» (ص٦٣) .

وأجد هنا ضرورة التنبيه على ملابس المعلمات والطالبات بأن تكون ساترة للجسم صوناً للعفة والأخلاق .

وعلى وزارة التربية والتعليم مهمة إصدار القوانين الرادعة لكل مخالف ومستهتر بالقيم والأخلاق والتقاليد الإسلامية .

كما لا بد من تشكيل هيئة يكون من بين اختصاصاتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لتكون مراقبة ومسؤولة عن تنفيذ القوانين والقرارات التي تصدرها الدولة بحق كل مخالف لا يطبق هذه القوانين .

أما دور الصحف والمجلات الخليعة الماجنة التي تحوي في بطونها كل فسق ورذيلة وتنشر الأخبار والدعايات المغرضة والصور العارية ، فيجب إغلاقها وتقليم أظفار محرريها ، ليكونوا عبرة لكل فاجر مرتاب ، كما على الدولة مراقبة كافة وسائل الإعلام ، وقطع دابر الشر والانحلال وعدم إذاعة ونشر الأغاني الماجنة التي تُعَرّض الأمة إلى الفساد والضياع[١] .

والله ولي التوفيق ، وهو من وراء القصد . . .

---

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (٢/ ٤٩٧) .

الفصـــل الخامـــس

منكرات ومحاذير متنوعة

مـدخـل

لقد أمر الرسول ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث قال : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان»(١) .

فهذا أمر إلهي وجب الالتزام به ، والعمل بمقتضاه ، لما فيه الخير والسعادة للفرد والمجتمع .

كما نبّه سبحانه وتعالى على هذه المسؤولية الجماعية بقوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(٢) .

وكما هو واضح ومعلوم ، فإن كلمة الخير والمعروف تجمعان كل ما جاء به الإسلام من اعتقاد وفريضة ، فكل واحدة منها تجمع أصول التوحيد وفروعه .

وكلمة المنكر تجمع كل المحرمات التي جاء الإسلام لإزالتها من الشرك والبدع والمعاصي .

وكما هو واضح فالآية الكريمة تشمل الدعوة إلى الدين وإقامته وحفظه وإزالة الشرك والمنكرات .

وهذا يشمل الأصول والفروع ، وكل ذلك يشمله معنى الدعوة التي

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٤ .

كُلِّفت بها الأمة ، فاعلم يا أخي المسلم أنه إذا تخاذل الناس عن أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن الله سبحانه وتعالى يعاقبهم بعدم الاستجابة لهم وهم يدعونه ، لقول الرسول ﷺ : «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[١].

مما يؤدي إلى استحقاق اللعنة ، أي : الطرد من رحمة الله ، كما استحق ذلك بنو إسرائيل حين تخاذلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) رواه الترمذي .

بعض محظورات المساجد

تكثر المنكرات والمحظورات في المساجد وبخاصة هذه الأيام، فعلى المسؤولين والعلماء والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن ينتبهوا لهذه المحاذير الشائعة، ويبادروا لإزالتها وتطهير المساجد منها، ليعود المسجد للغاية التي وُجد من أجلها كعهد السلف الصالح رضوان الله عليهم.

قال رسول الله ﷺ: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . . .».

وفيما يلي أقدم لأخي القارىء بعض هذه المحاذير المنكرة:

١- رفع الصوت في المسجد بذكر أو غيره: قال الإمام ابن الحاج: ينبغي أن يُمنع من يرفع صوته في المسجد في حال الخطبة وغيرها؛ لأن رفع الصوت في المسجد بدعة . . .، وروي أن عمر بن الخطاب بنى إلى جانب المسجد رحبة فسماها (البطيحاء)، فكان يقول من أراد أن يلغط أو ينشد شعراً أو يرفع صوتاً، فليخرج إلى هذه الرحبة.

٢- الاحتراز عن البدع في الاحتفال بقراءة المولد النبوي: جاء في فتاوي شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، فيما يخص إقامة الاحتفالات بتلاوة قصة مولد الرسول ﷺ قوله: «وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية: لبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال لها ليلة المولد، أو

بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي تسميه الجُهال عيد الأبرار، فإنها من البدع التي لم يستحسنها السلف ولم يفعلوها»[1].

٣- **التحلّق لحديث الدنيا في المسجد**: قال الإمام ابن الحاج: يُنهى الناس عما يفعلونه من الحِلَق والجلوس جماعة في المسجد للحديث في أمر الدنيا، وما جرى لفلان وما جرى على فلان...

وقد أخرج ابن حبان في حديث ابن مسعود والحاكم: «يأتي على الناس زمان يحلّقون في مساجدهم، وليس همّهم إلا الدنيا وليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم»[2].

٤- **القصّاص في المساجد**: قال الغزالي في الإحياء في منكرات المساجد: ومنها كلام القصّاص والوعّاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة، فالقاصّ إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق، والإنكار عليه واجب، وكذلك الواعظ المبتدع...

٥- **التشويش بالقراءة على الناس**: وجاء في فتاوى الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: «... ليس لأحد أن يؤذي أهل المسجد أهل الصلاة أو القراءة أو الذكر أو الدعاء، ونحو ذلك مما بنيت المساجد له، فليس لأحد أن يفعل في المسجد ولا على بابه قريباً منه ما يشوش على هؤلاء[3]، بل قد خرج النبي ﷺ على أصحابه وهم يصلون

(١) انظر: «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» (ص١١٠ و١١٤).

(٢) حديث حسن عن أنس، خرّجه الألباني في «الصحيحة» (١١٦٣).

(٣) ومن المؤسف أن بعض المصلين لا يطمئن في صلاته، حيث ينقرها نقر =

ويجهرون بالقراءة، فقال: «أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة».

٦- الإعراض عن مجالس العلم بالمسجد وسماع خطبة العيد: والمعروف أن جلوس العالِم لبثّ العِلم من أكبر النعم على العامة، إذ يجب على المسلم السعي لطلب العِلم النافع ولو من مكان بعيد. قال ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية»، و «فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة».

٧- الاشتغال بنوافل العبادة في المساجد مع الجهل وترك محل العلم: قال السيوطي في كتابه «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع»: «ومن الأمور المحدثة الاشتغال بنوافل العبادة مع الجهل وترك محل العلم، وهذا خطأ يدخل على العبد منه آفات كثيرة مخالفة للشريعة، وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1] فأمره بطلب الزيادة منه» فتعَلُّم العِلم فرض على كل مسلم وتركه جهل وحمق[2].

٨- التلحين بالقرآن في المسجد: قال الإمام الغزالي في «الإحياء» في منكرات المساجد: ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه، ويجب تلقين الصحيح...، والذي يُكثِر اللحن في القرآن إن كان قادراً على التعلّم فامتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به، وإن كان

= الديك، ولا يتدبّر ما يقرأه، كما لا يحسن صلاة التراويح أحياناً، فيخشى على من لا يخشع في صلاته، ولا بدّ من إعطاء الصلة حقّها.

(١) سورة طه: آية ١١٤.

(٢) «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» (ص١١٩ و١٢٤-١٢٦).

لا يطاوعه اللسان » فإن كان أكثر ما يقرأه لحناً فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها ، وإن كان الأكثر صحيحاً ، وليس يقدر على التسوية فلا باس له أن يقرأ ، ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره . . .

٩- **زيادة لفظ (سيدنا) في ألفاظ إقامة الصلاة**[١]: إن ألفاظ الأذانين مأثورة متعبّد بها رويت بالتواتر خلفاً عن سلف ، في كتب الحديث الصحاح والحسان والمسانيد ، ولم يرو أحد قط استحباب هذه الزيادة عن صحابي ولا تابعي ، بل ولا فقيه من فقهاء الأمة ولا أتباعهم .

١٠ **التبليغ بالأنغام المعروفة** : التبليغ هو التسميع وراء الإمام ، وإنما يتسامح به للحاجة من كثرة المصلين أو عدم بلوغ صوت الإمام لجميعهم ، ومما لا يجوز هو حصر كل نغم لليلة مخصوصة من ليالي الاسبوع ، فكل ليلة لها نغم خاص بها ، ففي هذا التكلف لهذه التلاحين صرف القلب عن معنى الذكر المطلوب ، وجعل التكبير على وزن الموشحات والأغاني كما يحدث في جوامع دمشق المهمة[٢] .

١١- **توسيد التدريس إلى غير أهله** : إن الذي يناط به التدريس ينبغي أن يكون مشهود له بفضله وأثره وعلمه ، ليقوم على أخلاق الأمة

---

(١) ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيراً من المصلين يخالفون السُّنة عند الأذان والإقامة » فينسون الدعاء المأثور بعد الأذان وهو : «اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته» » وترديد ما يقوله الإمام .

(٢) انظر : «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» (ص١٢٨ و١٣٨ و ١٤٣) .

بالتهذيب وينشر بينهم العلم الصحيح ، والهدي النبوي والفقه في الدين وتفسير التنزيل ، واستخراج الفوائد بالإفادة والتعليم .

١٢- **جهل بعض أئمة القرى** : يجهل بعض أئمة القرى الكثير من تعاليم الإسلام وبخاصة كيفية الصلاة الصحيحة والمشروعة ، لذا يلزم هؤلاء تعليمهم وتبصيرهم بمسائل الفقه والسُّنة ، للقيام بما أمر الله على الوجه الشرعي الصحيح .

١٣- **دخول الأطفال المساجد** : ينبغي عدم إدخال الصبيان المساجد وذلك لأن الصبي دأبه اللعب ، فبلعبه يشوّش على المصلين وربما اتخذه ملعباً ، فنافى ذلك موضع المسجد لذا يجنب عنه .

١٤- **الوسوسة في أمر الطهارة** : قال ابن القيم -رحمه الله- في «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» : ومن كيده الذي بلغ به الجهال ما بلغ الوسواس الذي كادهم به ، في أمر الطهارة والصلاة عند عقد النية حتى ألقاهم في الآصار والأغلال ، وأخرجهم عن اتباع سنة رسول الله ﷺ ، وخُيِّل إلى أحدهم أن ما جاءت به السُّنة لا يكفي حتى يضم إليه غيره فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد والتعب الحاضر ، وبطلان الأجر أو تنقيصه ، ولا ريب أن الشيطان هو الداعي إلى الوسواس .

١٥- **البزاق في المساجد** : قال النبي ﷺ : «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» ، وهذه الخطيئة من السيئات التي لا تكفر إلا بإزالتها .

١٦- **غرس الأشجار في المساجد** : جاء في كتب الحنابلة : «يحرم غرس شجر في مسجد ؛ لأن منفعته مستحقة للصلاة فتعطيلها عدوان ،

فإن فعل قُلعت الشجرة فإن لم تُقلع فثمرها لمساكين المسجد وغيرهم».

١٧- غضب الملازمين لوراء الإمام على من يزاحمهم: جاء في «شرح الإقناع»: يكره لغير الإمام مداومة موضع منه لا يصلي إلا فيه.

وفي «فتح القدير»: يكره أن يتخذ في المسجد مكاناً معيناً يصلي فيه؛ لأن العبادة تصير له طبعاً فيه وتثقل في غيره، والعبادات إذا صارت طبعاً فسبيلها الترك، ولذا كره صوم الأبد[١].

لذا فلا يجوز ملازمة مكان واحد أو الغضب والتأفف ممن أخذ ذلك المكان المعتاد، فالمسجد ليس حكراً لأحد.

كانت هذه وقفة سريعة مع بعض منكرات المساجد، نسأل الله العلي القدير أن يجنبنا إياها ويعلمنا ما ينفعنا، إنه سميع قدير، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر: «إصلاح المساجد من البدع والعوائد» (ص ١٨٦ و٢٤١).

بعض منكرات الجنائز والقبور

يقع الكثير من المسلمين ببدع ومنكرات يغفل عنها الكثيرون فيما يخص الجنائز والقبور .

وفيما يلي أقدم بين يدي القارىء الكريم بعض هذه المنكرات والمحاذير :

١- تحية الجنازة بمختلف أنواع المراسم من خطب وقصائد شعرية وغناء : يكره أن تلقى الخطب والقصائد الشعرية التي تمجد الميت وتشيد بمناقبه ، أو أن تتبع الجنارة بنار أو أعلام ، فقد قال النبي ﷺ : «لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار»(١)، والاتباع بنار فعل أهل الكتاب ، وقد نُهينا عن التشبّه بهم .

ومثل النار اتباعها بالنوائح والورود بأشكاله المختلفة الطبيعي منها والصناعي ، وكذلك الفوانيس والنواقيس ، والطبول والخرفان والخبز وغيرها ، فإنها كلها من البدع وأعمال الجاهلية لما فيها من المباهاة والرياء والسمعة .

٢- مرافقة النساء للجنازة : إن خروج النساء ومرافقتهن للجنازة كرهه عامة الفقهاء باتفاق(٢) .

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الجنائز (٣/ ٢٠٣) .

(٢) انظر : «المغني والشرح الكبير» (١/ ٣٦٥)، و«البدائع» (١/ ٣١٠) .

روي عن أم عطية قالت : نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا[1].

فعدم اتباع المرأة للجنازة هو الأولى ، لما في ذلك من تعريض المرأة لأنواع من الفتن التي هي في غنىً عنها وذلك أصون وأستر لدينها وعرضها ، ولمثل هذا المعنى أشارت السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها : «لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء بعده لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل»[2].

٣- الكتابة على القبر وتطييبه برش الماء وغرس الزروع والورود :
تكره الكتابة على القبر بشتى أنواعها عند جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة[3] سواء أكانت اسم صاحب القبر أو غيره ، وسواء أكانت على لوح أو حجر أو بلاطة ؛ لأن كل ذلك معرّض للنجاسة والتلويث ، وما فيها من آثار الزينة والمباهاة المنهي عنها ، أما إذا كانت الكتابة على القبر لتمييزه ومعرفة صاحبه للدعاء له وطلب الرحمة والمغفرة له فهذا جائز . عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «نهى أن ترفع القبور أو يبنى عليها أو يُكتب فيها أو تقصص ، -ورُوي : تجصص-، وأمر بهدمها وتسويتها»[4]، وتجصص أي: تبيّض بالجير أو التراب الأبيض ، ويسن تطييب القبر برش الماء عليه باتفاق جمهور

(١) متفق عليه ، انظر : «المغني والشرح الكبير» (٢/ ٣٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب «الأذان» (١/ ٢١٩) ، ومسلم كتاب «الصلاة» (٤/ ١٦٣) .

(٣) «الفروع» (٢/ ٢٧١) ، و «مواهب الجليل» (٢/ ٢٤٢-٢٤٧) ، و «المهذب» (١/ ١٤٥) .

(٤) انظر : «المجموع» (٥/ ٢٩٦) .

الفقهاء دون مخالف[1]، أما الزراعة على القبر فحرام ابتداءً إلا إذا دُرس فيجوز زرعه ، ووضع الجريد الأخضر والريحان عليه[2].

ويكره قطع النبات الرطب والحشيش من المقبرة دون اليابس ، وعلل بأن الرطب من الحشيش يسبِّح فيؤنس الميت ، وتتنزل بذكره الرحمة .

٤- بناء المساجد والبيوت والحجر والقباب والخيام وغيرها على القبور : اعلم أخي المسلم أنه لا يجوز بناء البيوت والمساجد والخيام والحجر وغيرها على القبور ، سواء أكان الميت صالحاً أو عالماً أو شريفاً أو سلطاناً حتى ولو أوصى بذلك للأحكام وأدلة النهي الواردة باتفاق الفقهاء من أحاديث رسول الله ﷺ .

قال ابن القيم -رحمه الله- : «يجب هدم القباب التي على القبور ؛ لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ ، ولأن فيها تضييق على الناس بلا فائدة»[3].

ويحرم بناء الحجرة على القبر ويجب هدمها ، وكذا الخيمة والفسطاط ، فأبو هريرة -رحمه الله- أوصى حين حضره الموت أن لا تضربوا عليّ فسطاطاً[4].

---

(١) إلا الإمام أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة -رحمهما الله- انظر : «بدائع الصنائع» (١/ ٣٢٠) .

(٢) «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٢٤٥) ، و «مغني المحتاج» (١/ ٣٦٤) .

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢١١) ، وانظر : «كشاف القناع» (٢/ ١٣٩) .

(٤) «مسند أحمد» (٢/ ٢٩٢) ، وانظر : «كشاف القناع» (٢/ ١٣٩) .

ويكره بناء المساجد على القبور أو جانبها لأي غرض باتفاق الفقهاء[1].

لما رُوي عن النبي ﷺ قوله: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2].

وبناء المساجد يصرف الناس عن معاني كثيرة تتعلق بالميت وأحواله فيصرفهم عن العبادة وينسيهم رسالة المسجد في الإسلام، وبهذا تخرج العبادات عن وجهها الصحيح أو المطلوب.

٥- نبش القبر ومسّه وتقبيله والجلوس عليه والمبيت عنده: يحرم نبش قبر ميت ما دام فيه، فيدفن فيه ميت آخر لما في ذلك من هتك حرمة الميت الأول ومظنة تكسير عظمه؛ لأن حكم عظام الموتى في التكسير كعظام الأحياء من حيث الاثم.

مع أن النبش حرام وليس بحسن وعدمه أفضل، لكن جوّزه العلماء في حالات الضرورة منها[3]: إذا بلي الميت وصار رميماً جاز نبشه ودفن غيره مكانه. أو إذا وقع شيء من المتاع ذا قيمة داخل القبر[4].

أما قبور المشركين فيجوز نبشها وإقامة مسجد مكانها؛ لأن موضع

(١) «الفتاوى الهندية» (١/ ١٦٦)، و «مغني المحتاج» (١/ ٣٦٤)، و «كشاف القناع» (٢/ ١٤١).

(٢) متفق عليه، وانظر: «نيل الأوطار» (٤/ ٩٠)، و «كشاف القناع» (٢/ ١٤١).

(٣) انظر: «كشاف القناع» (٢/ ١٤٣)، و «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٢٣٣)، و «المبسوط» ٢/ ٧٣).

(٤) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٣٢٦)، و«الفتاوى الهندية» (١/ ١٦٧).

مسجد النبي ﷺ كان قبوراً للمشركين حيث أمر بنبشها وجعلها مسجداً .

أما الجلوس على القبر ولمسه واستلامه وتقبيله وكذا دوسه والنوم عنده والاتكاء والاستناد عليه فمكروه[1] .

٦- الدفن داخل صندوق أو تابوت : التابوت : هو الوعاء الذييحرز فيه المتاع أو الخشبة المسماة بالسحلية في زماننا[2] .

يجوز دفن المرأة في تابوت لأسباب عديدة منها : كأن تكون الأرض ندية أو رطبة أو لا يوجد لها محرم صيانة عن المسّ عند الدفن .

أما في حق الرجل فكراهية دفنه في التابوت وهذا رأي الشافعية والحنفية والمالكية . إلا أن تكون الأرض ندية أو رخوة ، وأضافوا على (الحنفية) جواز التابوت إذا كان في الميت تهرية بحريق أو لذع لا يضبطه إلا ذلك ، وأجازوا التابوت أيضاً إذا كانت الأرض مسبّعة (ذات سباع) لا يصون نبشها إلا التابوت[3] .

٧- الدفن في مقابر المشركين والذميين والحربيين : لا يجوز دفن مسلم في مقبرة الكفار أو العكس ، وإن اختلطوا دفنوا في مقبرة مستقلة . أما مقبرة أهل الحرب إذا درست فيجوز دفن المسلمين فيها[4] .

---

(١) انظر : «الدر المنثور في أحكام الجنائز والقبور» (ص٢١٤-٢١٨) .

(٢) «المعجم الوسيط» (١/ ٨١) مادة تبت ، و «الخرشي على مختصر خليل» (٢/ ١٣١) .

(٣) «مغني المحتاج» (١/ ٣٦٣) ، و «المهذب» (١/ ١٤٤) .

(٤) «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٢٣٤) ، و«حواشي الشرواني»، ابن قاسم العبادي=

فالأولى أن يدفن المسلم في مقبرة المسلمين ، أما إذا كان هناك عذر وضرورة فيجوز دفن المسلمين في مقابر المشركين إذا اندرست مقابرهم ونقل ما بقي من عظام إلى أماكن أخرى ، كما ويجوز لأهل الذمة وأهل الحرب الدفن في مقبرة المسلمين لعذر ؛ لأنه لا يجوز أن يبقى ميت من غير دفن . . .

ومن البدع المحظورة والعادات المنكرة الأخرى[1]:

١- اعتقاد البعض أن الشياطين يأتون المحتَضِر على صفة أبويه في زي يهودي ونصراني حتى يعرضوا عليه كل ملة ليضلوه .

٢- وضع المصحف عند رأس المحتضر .

٣- ترك الشغل ممن حضر خروج روح الميت حتى يمضي عليه سبعة أيام ! .

٤- اعتقاد بعضهم أن روح الميت تحوم حول المكان الذي مات فيه .

٥- إبقاء الشمعة عند الميت ليلة وفاته حتى الصبح .

٦- وضع غصن أخضر في الغرفة التي مات فيها .

٧- قراءة القرآن عند الميت حتى يباشر بغسله .

٨- جعل التراب في عيني الميت والقول عند ذلك : (لا يملأ عين

= (٣/ ١٧١) .

(١) انظر : «أحكام الجنائز وبدعها» - محمد ناصر الدين الالباني (ص٢٤٣) وما بعدها ففيها بسط وتفصيل .

ابن آدم إلا التراب) وإدخال القطن في دبره وحلقه وأنفه .

٩- شق الرجل الثوب على الاب والأخ ، والحزن على الميت سنة كاملة لا تختضب النساء فيها بالحناء ولا يلبسن الثياب الحسان ولا يتحلين . .

١٠- إعفاء البعض عن لحيتهم حزناً على الميت والأولى بهم أنلا يحلقوها أبداً كما ورد ذلك في السُّنة الشريفة لو كانوا صادقين !!

١١- قلب الطنافس والسجاجيد وتغطية المرايا والثريات .

١٢- قول المتصوفة : من بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف !

١٣- ترك ثياب الميت بدون غسل إلى اليوم الثالث بزعم أن ذلك يرد عنه عذاب القبر ، وقول بعضهم : إن من مات يوم أو ليلة الجمعة يكون له عذاب القبر ساعة ثم ينقطع عنه . . . !

١٤- الإعلان عن وفاة الميت من على المنائر ، والقول عند إخبارهم بالوفاة : الفاتحة على روح فلان .

١٥- ذكر غاسل الميت ذِكْراً من الأذكار عند كل عضو يغسله مع الجهر بالذِّكر عند غسل الجنازة وتشييعها وحمل الأعلام أمام الجنازة ولف الميت بعلم البلاد .

١٦- ذبح الخرفان عند خروج الجنازة تحت عتبة الباب وحمل الخبز والخرفان أمام الجنازة وذبحها بعد الدفن وتوزيعها مع الخبز .

١٧- اعتقاد البعض أن الجنازة إذا كانت صالحة خفّ ثقلها على حاملها وأسرعت .

١٨- الذكر خلف الجنازة بالذكر أو بقراءة القرآن أو بالجلالة أو بدلائل الخير . . .

١٩- القول خلف الجنازة «الله أكبر أشهد أن الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت» والصياح خلفها بـ «استغفروا له يغفر الله لكم» .

٢٠- الصياح بلفظ «الفاتحة» عند المرور بقبر أحد الصالحين وبمفارق الطرق .

٢١- قول المشاهد للجنازة : «الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم» .

٢٢- اعتقاد البعض أن الجنازة إذا كانت صالحة تقف عند قبر الولي عند المرور به على الرغم من حامليها .

٢٣- الطواف بالجنازة حول الأضرحة وحول البيت العتيق سبعاً .

٢٤- الإعلام بالجنائز على أبواب المساجد وحمل بعض الأموات على عربة المدفع .

٢٥- ذبح الجاموس عند وصول الجنازة إلى المقبرة قبل دفنها وتفريق اللحم على من حضر ، ووضع دم الذبيحة التي ذبحت عند خروج الجنازة من الدار في قبر الميت .

٢٦- الذكر حول سرير الميت في قبره ، والأذان عند إدخال الميت في قبره .

٢٧- التعزية عند القبور وتحديد التعزية بثلاثة أيام .

٢٨- التعزية بـ «إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت» فبالله فثقوا وإياه فارجوا ، فإنما المحروم من حرم الثواب» .

٢٩- تأبين الميت ليلة الأربعين أو عند مرور كل سنة المسمى بالتذكار .

٣٠- زيارة قبر الأبوين كل جمعة ، والوقوف أمام القبر واضعاً يديه كالمصلي ثم يجلس . وقول القائل : (إن الدعاء يستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين) .

هذا غيض من فيض ، وبعض من كل ، من بدع ومنكرات الجنائز[1] وهي ما تيّسر لنا جمعه . سائلاً المولى عز وجل الهداية والتوفيق والابتعاد عن البدع المنكرة والعودة إلى سنة الرسول ﷺ وسلفه الصالح ، والله من وراء القصد .

---

(١) للمزيد راجع الكتب التالية : «المدخل» ، و«السنن والمبتدعات» ، و«سفر السعادة» و«فتاوى ابن تيمية» ، و«الاعتصام» ، و«إغاثة اللهفان» ، و«الإبداع» ، و«حاشية ابن عابدين» .

منكــرات البيــوت

ولعل من المفيد أن أُشير إلى بعض منكرات العصر التي عمّ شرّها واستفحل ضررها فشملت أفراد الأمة وقوّضت بنيان المجتمع .

ولما كانت البيوت هي مكان القرار والاستقرار ، وفيها المعاش وحفظ الأنفس والأموال ، وهي المأوى من الفتن ، حرصنا كل الحرص على إصلاحها وصيانتها من كل ما يشوبها من الأضرار والشرور ، وذلك لأن البيت هو لبِنة الأساس للمجتمع الإسلامي فهو بمنزلة القلب من الجسد كله ، وكذلك البيوت إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع .

وهكذا ارتأينا أن نذكر بعض ما يحدث في البيوت من المنكرات التي تقوّض دعائم الأسرة المسلمة وتهدم بنيانها المتين .

روى البخاري في «الصحيح» عن حذيفة بن اليمان أنه قال : «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» .

وفيما يلي بعض المنكرات المنتشرة في بيوتات المسلمين ، والتي يغفل الكثيرون عنها :

١- **اتخاذ التصاليب في البيوت** : فهي من المنكرات الشائعة ، فهناك كثير من النقوشات والزخارف والستائر والبسط تحتوى على تصاليب

-أي: صورة الصليب التي للنصارى-، وكان من هدي النبي ﷺ أن ينقض هذه الصلبان، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «أن النبي ﷺ لم يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه»(١) ومعنى نقضه: قطعه وكسره.

وللصلبان أنواع تتجاوز العشرين نوعاً منها: الصليب الشرقي والصليب الغربي والصليب السوفييتي والصليب الأوروبي.

حيث أن بعض الدول اتخذت لنفسها صلباناً خاصاً بها... فالواجب الإسلامي يحتّم علينا ضرورة منع أي أثر لوجود الصليب في حياتنا ولباسنا لنحتفظ بطابعنا الإسلامي المميّز...

٢- اتخاذ الخدم الكفرة في البيوت: وهذه العادة من منكرات البيوت قد عمّت بيوت المترفين الذين انشغلوا بالدنيا عن الدين، وخالفوا أمر سيد المرسلين ﷺ المبعوث رحمةً للعالمين، واتخذوا الخدم من الكفرة والمشركين من الرجال والنساء؛ فكان لاتخاذ الخدم في البيوت عواقب وخيمة نذكر منها:

أ - الخلوة بين الرجل والمرأة، وما خلا رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان.

ب- الفساد الخلقي عند أفراد العائلة، فقد تعمل هذه الخادمة أو الخادم على نشر الرذيلة وقمع الفضيلة من بين أفراد الأسرة بدعوى التحضّر والانفتاح.

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٩٥٢).

جـ- حرمان الطفل من حنان أمه ، فالاعتماد على الخادمة بشكل كلي يؤدي إلى إهمال الأطفال ، فينشأ الأطفال محرومين من الحب والحنان ، مصابين بالعقد النفسية .

د - السرقات ، فقد تقوم الخادمة بسرقة البيت والهرب منه . . .

هـ- قتل الأطفال ، وقد تقوم هذه الخادمة التي ليس لها دين ولا ذمة بقتل الأطفال ، كما فعلت تلك الخادمة مع ذاك الطفل حيث وضعت له مادة سامة في الحليب لكي تتخلص من همّه ؛ لأنها هي التي ترعاه .

و - نشر العقائد الفاسدة والأسرار ، فقد يرسّخ الخادم بعض العقائد الفاسدة عند أبناء العائلة وذلك من خلال بعض الحكايات والكتب والروايات أو عندما يمارس الخادم شعائر دينه . . .

وقد يكون الخادم له صلة بشؤون الدولة وأسرارها ، أو عند بعض الأمراء والوزراء فيعمل جاسوساً لصالح دولة أخرى معادية . . . فالخدم أكثر ما يذيع أسرار الناس .

٣- اتخاذ السائق الأجنبي : قال الشيخ عبدالعزيز بن باز : (السائق والخادم حكمهما حكم بقية الرجال ، يجب التحجب عنهما إذا كانا ليسا من المحارم ولا يجوز السفور لهما ولا الخلوة بكل واحد منهما)[(١)] .

٤- اتخاذ الأجراس والساعات الموسيقية : ومن المنكرات اتخاذ الأجراس والساعات التي تحتوي على أنغام الموسيقى ، كذلك الجرس

---

(١) انظر : «الفتاوى» (١/ ١١٩) .

أو الساعة التي تحتوي على ألحان وأنغام البيانو وغيره وهذه منهي عنها لأنها داخلة تحت عموم قوله ﷺ : (وليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف)[1].

وروي الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (الجرس مزامير الشيطان)[2].

٥- الاحتفال بأعياد الميلاد وعيد رأس السنة الميلادية : ومن المنكرات مشابهة الكفار وموافقتهم في أعيادهم ومواسمهم الملعونة كما يفعله كثير من جهلة المسلمين، من مشاركتهم للنصارى في أعياد الميلاد وإحيائها في بيوتهم، وإقامة مثل هذه الأعياد حرام في الشرع للتشبّه بالمشركين، لقوله ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم»[3].

ولما يحدث في هذه الحفلات من اختلاط وشرب الخمور وسماع الموسيقى والغناء والرقص والتبذير في المأكولات والمشروبات، وكل ذلك منهي عنه وهو حرام.

٦- الدخول إلى البيوت بغير استئذان : ومن المنكرات كشف عورات البيوت والدخول إليها من غير استئذان وقد نهى الشرع الحنيف عن ذلك لما فيه من محذورات.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٥٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٤/ ٩٤) نووي.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود والطحاوي.

﴿تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقد نصّ الشرع على حرمة إطلاق البصر في البيوت والدخول إليها من غير استئذان . فليتق الله أناس يفعلون ذلك . وليعلموا أن في البيوت سوءات وعورات والدخول من غير استئذان من المحرمات .

٧- **الذبح عند شراء البيت أو استكمال البناء** : اشتهر عند كثير من الناس الذبح عند شراء البيت أو استكمال بنائه أو عند رفع سقفه وكذلك عند شراء السيارة وتلطيخها بالدم . . .

ويكون هذا الذبح إما على عتبة البيت أو على سطحه أو على مقدمة السيارة ، وهذا الذبح من أعمال الجاهلية التي كانوا يقصدون بها الذبح للجن خوفاً من أن يصيبهم ، ولا شك أن هذه الأفعال هي مما أُهل به لغير الله فهي شرك ، والذبيحة نجسة لا يحلّ أكلها ، وإن زعم بعض الناس أن الذبح ليس للجن ، والذي يذبح لغير الله عز وجل ملعون على لسان رسول الله ﷺ فالذبح لا يكون إلا لله .

٨- **عدم التفريق بين الأطفال في المضاجع** : ومن المنكرات الشائعة عدم التفريق بين الأطفال في المضاجع إذا بلغوا سن العاشرة ، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع»[2].

---

(١) سورة النور : آية ٢٧ .

(٢) أخرجه أبو داود ، وابن أبي الدنيا .

فالتفريق كما في الحديث يبدأ في سن العاشرة حيث تكون الغريزة الجنسية في طريقها للنضوج.

قال الدهلوي: «إنما أمر بتفريق المضاجع؛ لأن الأيام أيام مراهقة فلا يبعد أن تُفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة فلا بد من سدّ الفساد قبل وقوعه»(١).

٩- **جلوس النساء على أبواب المنازل أو الأسطح**: ومن المنكرات جلوس النساء والرجال على أبواب المنازل وعلى أسطح البيوت المكشوفة. وكثير ما يجلسن النساء على أبواب المنازل أو على الأسطح بالألبسة الشفافة الرقيقة القصيرة التي تسمى بـ (ملابس النوم)، وقد أطلقن الألسنة بالنميمة والغيبة، ويطلقن أبصارهن للنظر إلى الرجال، وكل ذلك يخالف الشرع الحنيف الوارد بالقرار والاستقرار في البيوت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾(٢)، والامتناع عن النميمة وآفات اللسان وغضّ البصر عن الرجال.

١٠- **تعليق الشهادات العلمية بقصد السمعة**: ومن المنكرات تعليق الشهادات العلمية بقصد الشهرة والسمعة وهذا من الرياء بالعمل الذي نهى عنه الشرع، قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٣).

---

(١) انظر: «حجة الله البالغة» (١/١٨٦).

(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٣) سورة النساء: آية ١٤٢.

وعنه ﷺ قال : «اليسير من الرياء شرك»[١].

وللأسف فقد أصبحت هذه الشهادات في عصرنا هذا هي المعايير التي يُقاس بها الناس على مختلف نواحي الحياة ، فهي الميزان للقبول أو الرد ، وليس التقدم في عرفهم بالتقوى ولا بالشرف ولا بالعلم النافع ولا بالعمل الصالح ولا باتباع النبي ﷺ ، ولكن التقدم بكثر الشهادات والأوراق وإن كان صاحبها من الأمواق[٢].

وكم رأينا من حملة شهادات الشريعة فيهم من قلة الدين وقلة العلم وهم من حملة الشهادات العليا (الماجستير والدكتوراة) ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والميزان الذي يجب أن يقاس به الناس هو ميزان التقوى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٣].

ومن المنكرات التي عمّت البيوت ترك الصلاة في البيوت وترك الذِّكر عند دخول البيت وعند الطعام ، فالواجب أن يُجعل للبيت نصيب من الصلاة لئلا تجعل كالمقابر ، قال عليه السلام : «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً»[٤].

ولأن هناك إمكانية من دخول الشيطان إلى البيت والأكل من الطعام وجب ذكر الله دائماً والتسمية في كل وقت وعند القيام بأي عمل .

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) الحمق في غباوة ، يقال أحمق مائق . انظر : «القاموس» (ص١١٩٤) .

(٣) سورة الحجرات : آية ١٣ .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

ومن المنكرات أيضاً : فرش الصحف تحت أطباق الطعام وجمع الأوساخ بها ، وتنظيف الزجاج بها ، ولف الأغراض بها ، وهذه الصحف لا تخلو في الغالب من آية قرآنية أو من أحاديث نبوية أو لفظ من ألفاظ الجلالة .

ففي هذا الفعل امتهان لآيات الله ولحديث الرسول ﷺ وهذا مخالف لتعظيم شعائر الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1] .

كانت هذه بعض المنكرات التي تقع في البيوت[2] ويغفل عنها المسلمون ، أوجزنا ما تيّسر لنا ليقف القارىء الكريم عليها ويتبصرها سائلاً المولى القدير التوفيق والسداد ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الحج : آية ٣٢ .

(٢) وللمزيد من المنكرات ، راجع كتاب «منكرات البيوت» - تاليف رائد بن صبري ابن أبي علفة .

ومن المنكرات التي شاعت وانتشرت في الأسواق نذكر منها ما يلي:

١- البيع عند أذان الجمعة :

ومن المنكرات الشائعة بين التجار البيع عند النداء لصلاة الجمعة وتخلف الباعة عن الصلاة .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) .

لقد حرّم الله تعالى البيع عند صلاة الجمعة على من كان مخاطباً بفرضها ويدخل في هذا الأمر البائع والمشتري ؛ لأن البيع لا يخلو من شراء فاكتفى بذكر أحدهما كقوله تعالى : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾(٢) .

وقد خُصّ البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق ، واتفق العلماء على حرمة البيع في هذا الوقت ، واختلفوا في فساد البيع على قولين .

أما تخلُّف الباعة عن صلاة الجمعة فما أكثره في هذه الأيام . فتجد الإمام واقفاً على المنبر يخطب ويعظ الناس وهم في خارج المسجد أو

(١) سورة الجمعة : آية ٩ .

(٢) سورة النحل : آية ٨١ .

على بابه ينادون وينعقون ويدللون على بضائعهم وهم بهذا الفعل الشنيع دخلوا تحت الوعيد الشديد في حق من تخلف عن صلاة الجمعة الوارد في هذه النصوص :

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة وابن عمر -رضي الله عنهم- أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره : «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»[١].

وروى الإمام مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»[٢].

وقد صحّ عنه ﷺ أنه قال : «من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها ثم سمعه فلم يأتها ثم سمعه فلم يأتها طبع على قلبه وجعل قلبه قلب منافق»[٣].

وجاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- موقوفاً : «من ترك الجمعة ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره»[٤].

ومن هنا فإن ترك هذه الفريضة العظيمة يؤدي إلى غضب الله

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٨٦٥) .

(٢) «صحيح مسلم» رقم (٦٥٢) .

(٣) أخرجه أبو يعلى (٧١٦٧) ، والبيهقي كما في «صحيح الترغيب» (٧٣٧) للألباني .

(٤) رواه أبو يعلى (٢٧١٢) ، وعبد الرازق (٥١٦٩) .

عز وجل وإيقاع العقاب الشديد بالمتهاونين عن أداء شعيرة من شعائر الله عز وجل(١) .

ولا ننسى أن يوم الجمعة من أعظم الأيام عند الله فلنجتهد فيه بالطاعات ونكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ، وندعو ما نحب من الدعاء ففيه ساعة مباركة يُستجاب فيها الدعاء . . .

اللهم وفقنا لطاعتك واهدنا لعبادتك ، إنك نِعم المولى ونِعم الوكيل .

٢- إطلاق البصر وعدم غضّه :

ومن المنكرات عدم غضّ البصر عن المحرمات فترى الرجل لا يدع امرأة إلا وقد نظر إليها - إلا من رحم الله - وكذلك النساء تجد إحداهن تنظر إلى الرجال وتمعن النظر فيهم بطريقة تستحي منها أتقياء الرجال ، ولا تستحي منها أولئك النساء !!

لقد أمر الله عز وجل المؤمنين والمؤمنات بغض البصر فقال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾(٢) .

وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب ، فإذا غضّ العبد بصره غضّ القلب شهوته وإرادته ، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته ، وفي «الصحيح» : «أن الفضل بن عباس -رضي الله عنهما- كان رديف

(١) انظر : «منكرات الأسواق» (ص١٢٢) وما بعدها .

(٢) سورة النور : آية ٣٠-٣١ .

رسول الله ﷺ يوم النحر من مزدلفة إلى منى فمرّت ظعُن يجرين فطفق ينظر إليهن فحوّل رسول الله ﷺ رأسه إلى الشق الآخر»[١].

وهذا منع وإنكار بالفعل فلو كان النظر جائزاً لأقرّه عليه.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فالعين تزني وزناها النظر واللسان يزني وزناه النطق والرِّجل تزني وزناها الخُطى واليد تزني وزناها البطش والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»[٢].

فبدأ بزنى العين؛ لأنه أصل زنى اليد والرِّجل والقلب والفرج ونبه بزنى اللسان بالكلام على زنى الفم بالقيل، وجعل الفرج مصدقاً لذلك إن حقق الفعل أو مكذباً له إن لم يحققه.

وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصي بالنظر وأن ذلك زناها ففيه ردّ على من أباح النظر مطلقاً[٣].

وجاء عنه ﷺ أنه قال: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية»[٤].

وبعد: فإن النظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته وهي بمنزلة الشرارة من النار في الحشيش اليابس فإن

(١) رواه مسلم (١٢١٨) والظُّعُن: جمع ظعينة، والمراد بها النساء.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٦٣٤٣).

(٣) «حكم النظر للنساء» (ص٣-٤) لابن القيم.

(٤) أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود.

لم تحرقه كله أحرقت بعضه[1].

ورحم الله القائل:

كل الحوادث مبدأه من النظر   ومعظم النار من مستصغر الشرر

٣- بيع الحاضر لباد:

ومن المنكرات التي شاعت استغلال التجار للقادمين من البادية، كأن يقدم غريب من البادية أو من بلد آخر بمتاع تعم الحاجة إليه ليبيعه بسعر يومه فيقول: له البلدي: اتركه عندي لأبيعه على التدريج بأعلى.

روى الشيخان عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد». قال: فقلت لابن عباس: ما قوله: «لا يبع حاضر لباد؟» قال: لا يكون له سمسارا[2].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبع حاضر لباد»[3].

قال الإمام النووي: «هذه الأحاديث تتضمن تحريم بيع الحاضر للبادي وبه قال الشافعي والأكثرون...».

وإنما يحرم بهذه الشروط وبشرط أن يكون عالماً بالنهي فلو لم يعلم

(١) «حكم النظر للنساء» (ص٩)، و«منكرات الأسواق» (ص٣٥) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

النهي أو كان المتاع مما لا يحتاج في البلد ولا يؤثر فيه لقلة ذلك المجلوب لم يحرم[1].

٤- البيـــوع المحرمـــة :

كما ويدخل في المنكرات ما نهى الله عنه ورسوله من البيوع المحرمة مثل :

١- **النجش** : هو الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها وقد سمى بذلك لأن الناجش يثير الرغبة في السلعة ويقع ذلك بمواطأة البائع ، فيشتركان في الإثم ويقع ذلك بغير علم البائع فيختص بذلك الناجش وقد يختص به البائع كمن يخبر بأنه اشترى سلعة بأكثر مما اشتراها به ليغر غيره بذلك[2].

٢- **بيع الغرر** : هو كل بيع احتوى جهالة أو تضمن مخاطرة أو قماراً وقد نهى عنه الشارع ومنع منه .

٣- **بيع الملامسة** : اختلف العلماء في تأويل الملامسة على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : هو أن يأتي بثوب مطوي أو في ظلمة فيلمسه المستام فيقول : صاحبه بعتكه هو بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته .

الوجه الثاني : أن يجعل نفس اللمس بيعاً فيقول : «إذا لمسته فهو

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٥٥ فتح) رقم (٢١٤٢) .

مبيع لك» .

الوجه الثالث : أنه يبيعه شيئاً على أنه متى مسّه انقطع خيار المجلس وغيره .

وهذا البيع باطل على التأويلات كلها[1] .

٤- **بيع المنابذة** : وفي تفسيره ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يجعل نفس النبذ بيعاً وهو تأويل الشافعي .

الثاني : أن يقول : بعتك فإذا أنبذته إليك انقطع الخيار ولزم البيع .

الثالث : المراد نبذ الحصاة[2] .

٥- **بيع الحصاة** : واختلف العلماء في تفسيره فقيل : هو أن يقول : بعتك من هذه الأثواب ما وقعت عليه هذه الحصاة ، ويرمي حصاة ، أو من هذه الأرض ما انتهت إليه في الرمي .

وقيل : هو أن يشترط الخيار إلى أن يرمي الحصاة .

والثالث : أن يجعل نفس الرمي بيعاً[3] .

٦- **بيع حَبَلِ الحَبَلَة** : وقد اختلف العلماء في المراد بالنهي عن بيع حَبَل الحَبَلَة . فقال جماعة : هو البيع بثمن مؤجل إلى أن تلد الناقة ، ويلد ولدها ، وقال آخرون : هو بيع ولد الناقة وهي حامل .

وهذا البيع باطل ؛ لأنه بيع بثمن إلى أجل مجهول ، والأجل يأخذ

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٠/١٥٥) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٣٦٠) .

قسطاً من الثمن ، وغير مملوك البائع ، وغير مقدور على تسليمه[1] .

٧- **بيع المخابرة ، والمحاقلة ، والمزابنة** : قال عطاء : فسّر لنا جابر قال : أما **المخابرة** : فالأرض البيضاء يدفعها الرجل إلى الرجل فينفق فيها ثم يأخذ من الثمر .

المـزابنـة : بيع الرطب في النخل بالتمر كيلاً .

المحاقلة : المحاقلة في الزرع على نحو ذلك يبيع الزرع القائم بالحب كيلاً[2] .

كانت هذه بعض أنواع البيوع التي تقدم ذكرها ، وكلها من البيوع المحرّمة ، والمنهي عنها بنص الشرع الحنيف .

والحمد لله رب العالمين .

٥- الغش والخديعة في البيع :

ومن المنكرات التي شاعت وذاعت بين الناس في الأسواق ، الغش والخديعة في البيوع :

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مرَّ على صُبّرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال : أصابته السماء يا رسول الله . قال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشنا فليس منا .

والصبرة : هي الكومة المجموعة من الطعام .

---

(١) للمزيد راجع كتاب «منكرات البيوت» (ص١٣٧) وما بعدها .

(٢) «صحيح مسلم» (١٠/ ١٩٣-١٩٤) نووي .

أي: من غشنا فليس على هدينا، ولا على طريقتنا، وقد كان بعض السلف يمتنع عن تاويل هذا الحديث ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ في الزجر. والحديث يدل على تحريم الغش، وهذا مجمع عليه عند أهل العلم.

والغش يدخل في البيوع[1] بكتمان العيوب، وتدليس السلع، فيدخل في الصناعات المختلفة كالخبز والطبخ والعدس والشواء، أو الملبوسات وغيرها من الصناعات...

وروى الإمامان البخاري ومسلم -رضي الله عنهما- أن رجلاً ذكر للنبي ﷺ أنه يُخْدَع في البيوع، فقال: «إذا بايعت فقل: لا خلابة»[2].

ومعنى قوله: (لا خلابة) أي: لا خديعة.

قال العلماء: لقنه النبي ﷺ هذا القول ليتلفّظ به عند البيع فيطلع به صاحبه على أنه ليس من ذوي البصائر في معرفة السلع، ومقادير القيمة فيرى له كما يرى لنفسه لما تقرر من حض المتبايعين على أداء النصيحة[3].

وسئل الفقيه ابن حجر الهيثمي -رحمه الله- عن أنواع كثيرة من الغش، فقال: «وأما ما ذكره السائل في صور الغش الكثيرة من تلك الأمور العجيبة التي يفعلها التجار والعطّارون والبزّارون والصواغون والصيارفة والحياكون، وسائر أرباب البضائع والمتاجر والحرف

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٧٢) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٣٣٧).

والصنائع ، كله حرام شديد التحريم ، موجب لصاحبه أنه فاسق غشاش خائن يأكل أموال الناس بالباطل . . .

والأحاديث في الغش والتحذير منه كثيرة ، فمن تأمّلها ووفقه الله لفهمها ، والعمل بها انكفّ عن الغش ، وعلم عظيم قبحه وخطره ، وأن الله لا بد وأن يمحق ما حصله الغاشون بغشهم ، وعلم أيضاً أن كل من علم بسلعته عيباً ، وجب عليه وجوباً متأكداً بيانه للمشتري[1] .

٦- غش السماسرة :

ويدخل في باب الغش والخديعة غش السماسرة ، فقد جاء في كتاب «المدخل» لابن الحاج بيان لما يقومون به من ترويج للسلع والبضائع ولو على حساب الصدق والأمانة ، فيقول : «وأما السماسرة فبعضهم في هذا الباب أقوى ، وأكثر غشاً بالقول من أصحاب السلع ، وقد يَسْلم بعضهم من ذلك لكن الكثير يطلعون على ما في السلعة من الغش فيبيعونها للمشتري ، ويزينوها في عينيه ، ولا يُبيّنون له ما فيها من الغش ثم يضيفون إلى ذلك الحلف بالأيمان الكثيرة ليؤكّدوا بها ما حسّنوه في عين المشتري .

ومن ذلك ما يفعله بعضم من أن السلعة تكون طيبة خالصة سالمة من الدنس والغش ، فيزينون لصاحبها خلطها ببعض الرديء منها ليرغبوه بذلك في زيادة الثمن ، وذلك غش ؛ لأنه لو بيّن ذلك للمشتري لكرهه وإن قل ، ولم يأخذ ما خطل معه إلا بثمن دون ثمن الطيب»[2] .

---

(١) انظر : «منكرات الأسواق» (ص٤٨) وما بعدها .

(٢) «المدخل» لابن الحاج (٤/ ٧٩) .

وغالباً ما يستعمل البائع في تدعيم أقواله وتزيين السلع في نظر المشتري اليمين (الحلف بالله)، وفيما يلي بيان ذلك . . .

٧- **كثرة الحلف :**

من المنكرات الشائعة كثرة الحلف، فغالباً ما نجد البائع يكثر من الحلف لكي ينفق سلعته، وكثير منهم لا يقتصر على هذا فقط بل يحلف بشرفه وعرضه وحياته وشاربه! فيدخل بهذا تحت قول النبي ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك»، وفي لفظ : «فقد كفر»[(١)].

وكثيراً ما تكون هذه الأيمان كاذبة (أي: يميناً غموساً).

واليمين الغموس يغمس الحالف في الإثم ونار جهنم - والعياذ بالله - قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم : المسبل إزاره والمنّان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[(٢)].

وعنه ﷺ قال : «الحلف منفقة للسعة، ممحقة للكسب»[(٣)].

والمعنى : «أنه إذا حلف على سلعته أنه أُعطي منها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقاً فيما يحلف عليه، فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب، وحلف طمعاً في الزيادة، فيكون قد عصى الله فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأساً، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته،

(١) أخرجه الترمذي والحاكم .

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٠٦) .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب»[1].

وروى البخاري عن عبدالله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - (أن رجلاً أقام سلعته وهو في السوق، فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يُعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾[2].

تأمل أخي القارىء هذه النصوص تجد فيها الوعيد الشديد لمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه، ولازم كثرة الحلف كثرة الحنث. وهذا يدل على الاستخفاف، وعدم تعظيم الله عز وجل وهذا ينافي كمال التوحيد . . .

٨- الاحتكـــار:

ومعنى الاحتكار: هو شراء الشيء وحبسه ليقل بين الناس فيغلوا سعره، ويصيبهم بسبب ذلك الضرر.

حكمه: والاحتكار حرّمه الشارع ونهى عنه، لما فيه من الجشع والطمع وسوء الخُلق والتضييق على الناس.

وفيما يلي بعض النصوص الدّالة على فساد المحتكرين وضلالهم:

١- فعن سعيد بن المسيب عن معمر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال: «لا يحتكر إلا خاطىء». قال أهل اللغة: الخاطىء: العاصي الآثم . .

٢- وعن النبي ﷺ قال: «من احتكر طعاماً أربعين ليلة فقد بريء

(١) انظر: «فتح المجيد» (ص٧١١).

(٢) سورة آل عمران: آية ٧٧.

من الله تعالى ، وبرىء الله تعالى منه»[1].

٣- وذكر رزين في جامعه أنه ﷺ قال : «بئس العبد المحتكر : إن سمع برخص ساءه ، وإن سمع بغلاء فرح» .

٤- وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون»[2].

٥- وعن معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال : «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة»[3].

متى يحرم الاحتكار ؟!

ذهب كثير من الفقهاء إلى أن الاحتكار المحرّم هو الاحتكار الذي توفر فيه شروط ثلاثة :

١- أن يكون الشيء المحتكر فاضلاً عن حاجته وحاجة من يعولهم سنة كاملة ؛ لأنه يجوز أن يدخر الإنسان نفقته ، ونفقة أهله هذه المدة ، كما كان يفعله الرسول ﷺ .

٢- أن يكون الاحتكار في الوقت الذي يحتاج الناس فيه إلى المواد المحتكرة من الطعام والثياب ونحوها ، فلو كانت هذه المواد لدى عدد

---

(١) «صحيح مسلم» بشرح النووي (١١/٤٣) .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم .

(٣) رواه أحمد والطبراني .

من التجار - ولكن لا يحتاج الناس إليها - فإن ذلك لا يُعد احتكاراً، حيث لا ضرر يقع بالناس .

٣- أن ينتظر الوقت الذي تغلو فيه السلع ليبيع بالثمن الفاحش لشدة الحاجة إليه .

٩- بيع الأشرطة الفاسدة وصور الفنانين :

ومن منكرات الأسواق الرائجة والتي تجدها في كل مكان، وجود محلات لبيع الاشرطة (الكاسيت) و (الڤيديو) التي تحتوي على الغناء والمجون والخلاعة، فتجد صاحب هذا المحل (استيريو) قد وضع مكبرات الصوت على باب المحل بحيث يُسمع كل أهل السوق الغناء .

فوجود هذه الأمكنة وبيع هذه المفاسد من المنكرات التي نهى عنها الشرع .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[(١)] .

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : اللهو هنا هو الغناء.

وقال تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾[(٢)] .

قال مجاهد : هو الغناء والمزامير[(٣)] .

---

(١) سورة لقمان : آية ٦ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٦٤ .

(٣) انظر : «الدر المنثور» (٣١٢/٥) .

وعن أبي عامر -أو أبي مالك- الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»[1].

فهذه الأشرطة التي تحتوي على الغناء حرام، وبيع الحرام حرام.

أما أشرطة (الڤيديو) فإنها رأس البلاء وأصل الشرور، فقد احتوت على أفلام المجون والخلاعة والعنف والجريمة، فلا شك في حرمة بيعها لما فيها من مظاهر الفساد والانحراف التي تؤدي بشباب الأمة إلى الهلاك، وبالتالي تؤدي بالمجتمع للانهيار...

ومن المنكرات -أيضاً- بيع صور الممثلين والممثلات وغيرهم من المنحرفين الذين أصبح الناس يطلقون عليهم (النجوم والفنانين) بل صاروا يُكرّمون، وتعطى لهم الجوائز، ويُحتفل بهم...، وكذلك بيع المجلات الماجنة الهابطة، فإنه لا يجوز بيعها، وهي من المنكرات التي تركت آثاراً كبيرة على أخلاق المجتمع فقوّضت أركانه، وأودت به إلى المهالك، وكل ذلك سببه غياب الحكم الشرعي عن الواقع الذي نحياه[2]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

١٠- استخدام صور النساء للإعلانات:

ومن المنكرات التي شاعت بشكل عظيم استخدام الصور الخليعة التي تحتوي على صور النساء العاريات لترويج السلع.

لقد أصبحت هذه الإعلانات التي لا تخلو من صور النساء شعاراً

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٠١) فتح - رقم (٥٥٩٠) معلّقاً.
(٢) أنظر: «منكرات الأسواق» (ص٧٦).

لبعض التجار الذين اتخذوها سُلّماً إلى أوطارهم ، وأصبحت المرأة عندهم عبارة عن صفقة تجارية من خلالها تنفذ السلعة ، فتجد صورة المرأة على كل شيء حتى على (علب الدهان) بل وعلى (علب دهان الأحذية) بل وعلى (سلة المهملات) !!

فنلاحظ هذه الظاهرة في كل مكان فنجدها عند الجزار ، وبائع الخضروات ، وبائع الأقمشة ، وأكثر ما تكون في محلات الأزياء . . .

فقد اشتهرت محلات الأزياء في عصرنا هذا بأنها تضع على باب المحل أو في داخله تمثالاً أو (لعبة) على شكل امرأة(١) .

وتصنع هذه التماثيل بدقة متناهية بحيث إنك لا تستطيع -أحياناً- أن تميّز بين المرأة الحقيقة ، وبين هذا التمثال (العروس أو اللعبة) .

وكثيراً ما تعرض على هذه التماثيل (اللعبة أو العروس) ملابس العُري والتبرج والسفور ، وأحياناً تعرض عليها الملابس الداخلية بطريقة تجلب أنظار الناس إليها ، فتثير الشهوات في النفوس .

وعلى هذا ، فإن صنع هذه التماثيل (اللعبة) ، وعرضها حرام في الشرع(٢) .

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «من صوّر صورة فإن الله معذبه بها حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبداً»(٣) .

(١) ويسمونه (مانيكان) !!

(٢) انظر : «منكرات الأسواق» (ص٦٩) وما بعدها .

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤١٦/٤) رقم (٢٢٢٥) .

قال الخطابي : إنما عظمت عقوبة المصور ؛ لأن الصور كانت تُعبد من دون الله ، ولأن النظر إليها يفتن ،وبعض النفوس إليها تميل[1] .

ومن أجل ترويج السلع ، تُعرض الإعلانات الهابطة التي تذاع عن طريق التلفاز أو المذياع أو في نفس السوق ، وتحتوي على ألفاظ سيئة وهابطة ، ومعانٍ ركيكة تصاحبها الموسيقى والغناء وغير ذلك من المحرمات ، وتقدمها المرأة بشكل مغري ، مما يؤدي إلى إفساد المرأة وإفساد المجتمع ، فإذا فسدت المرأة فسد المجتمع .

قال رسول الله ﷺ : «صنفان من أمتي لم أرهما ، وذكر رجالاً يحملون سياط كأذناب البقر ، ونساء كاسيات عاريات»[2] .

المتأمل في هذا الحديث يجد أن النبي ﷺ ربط ما بين الفساد الاجتماعي المتمثل بخروج المرأة كاسية عارية ، وبين الظلم السياسي المتمثل بالرجال الذين يحملون سياطاً كأذناب البقر ، فمتى وجد الفساد الاجتماعي كان هناك الظلم السياسي ، وهذا واقع مشاهد .

ومن الجدير ذكره ، أن الإعلانات دخلت كل شيء حتى إنها كتبت وطُبعت على الملابس ، فتجد بعض الملابس طُبع عليها إعلاناً لنوع من أنواع الدخان وآخر للخمر . . .

وفوق هذا كله تجد بنات المسلمين ونساءهم يلبسن هذه الملابس ،

---

(١) انظر : «أعلام الحديث» (٣/ ٢١٦٠) .

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٤/ ١٠٩-١١٠ - نووي) .

ويتفاخرن بها وينفقن عليها الأموال الطائلة ، وذلك تقليداً للغرب الكافر وصرعاته . . .

نسأل الله الهداية والتوفيق ، والله ولي ذلك والقادر عليه .

١١- خضوع النساء بالقول للباعة :

من المنكرات خضوع النساء بالقول للباعة فتجد بعض النساء يلنّ القول للباعة ، ويستعملن الألفاظ المريبة ، والحركات المائلة الماجنة ، وقد حرّم الله عز وجل ذلك فقال : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[١] .

قال السُّدي وغيره : المراد بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال ، ولهذا قال : ﴿ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ أي : دغل من فجور ونفاق .

﴿ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ ، قال ابن زيد : قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير ، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ﴾ من هن اللاتي يحذرهن الله هذا التحذير ؟ إنهن أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين ، وفي أي عهد يكون هذا التحذير ؟ في عهد النبي ﷺ ، وعهد الصفوة المختارة .

إن في صوت المرأة حين تخضع بالقول ، وتترقق في اللفظ ما يثير الطمع في القلوب ، ويهيج الفتنة في الصدور ، وإن القلوب المريضة

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٢ .
(٢) انظر : «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٦٤) .

التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد وفي كل بيئة[1].

فعلى كل امرأة أن تتقي الله في نفسها وفي غيرها، فلربما تكلمت بكلمة أو تحركت بحركة مائلة توقع غيرها من الرجال في الإثم والمعصية. ومن هذا -أيضاً- استرسال المرأة في الكلام، والمجادلة من الرجال من أهل الأسواق دون سبب شرعي. وهذا فيه مخالفة صريحة.

١٢- رفع الأصوات واستعمال البذيء من الألفاظ:

يكثر في الأسواق رفع الأصوات واستعمال ألفاظ الفحش والبذاءة، وسبب هذا كله ابتعاد الناس عن دينهم. فقد اشتغلوا بجمع الأموال ونسوا المقصد الذي من أجله خُلقوا...

قال تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2].

قال القرطبي في «تفسيره»[3]: «في الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية، فرفع الصوت لغير حاجة من الأمور المذمومة التي ذمّها الشرع، وهي من الأمور التي يبغضها الله عز وجل».

وعن عبدالله بن مسعود[4] -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله

---

(١) انظر: «الظلال» (٥/٢٨٥٩).

(٢) سورة لقمان: آية ١٩.

(٣) «تفسير القرطبي» (١٤/٧٢).

(٤) «صحيح مسلم» (٤/١٥٥-١٥٦ نووي) رقم (٤٣٢).

ﷺ : «ليلني منكم أولوا الأحلام والنُّهى ثم الذين يلونهم - ثلاثاً - وإياكم وهيشات الأسواق» .

وقوله : «وإياكم وهيشات الأسواق ؛ أي؛ اختلاطها ، والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها»[1] . مما يؤدي إلى نسيان أمر الآخرة ، وتضييع الصلاة وعدم أدائها في وقتها ، أما التلفظ بألفاظ الفحش والبذاءة ، فقد نهي عنه وهو من اللغو .

وقد أخبر المولى عز وجل أن من صفات المؤمنين الإعراض عن اللغو ، فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾[3] .

وروى البخاري عن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش البذيء» .

وجاء في «النهاية» أن الفاحش : أي من الفحش في كلامه وأفعاله ، والبذاء بالمد الفحش في القول ، وهو بذي اللسان[4] .

وقد سُئلت عائشة -رضي الله عنها- عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : «كان أحسن الناس خُلُقاً ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٤/١٥٦) .

(٢) سورة المؤمنون : آية ١-٣ .

(٣) سورة الفرقان : آية ٧٢ .

(٤) انظر : «تحفة الأحوذي» (٦/ ١١١) .

صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح»[١].

ومن هنا، فإنه يجب على الباعة أن يحذروا من خطورة إطلاق ألسنتهم، واستعمال الألفاظ البذيئة التي تؤذي الشعور وتبعث السقم.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٢].

وقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٣]، صدق رسول الله ﷺ.

١٣- عمل النساء في الأسوق مع الرجال:

من المنكرات ما نراه من عمل المرأة مع الرجال في الأسواق، فإذا ذهبت إلى محل للأزياء الخاصة بالرجال تجد أكثر الباعة نساء!! وكذا العكس بالنسبة إلى محلات الأزياء الخاصة بالنساء، وكانت هذه الظاهرة -قَبلُ- قليلة، ولكنها تزداد في كل يوم.

وعمل المرأة في الأسواق مع مشاركتها للرجال فيه ذو آفات كثيرة، ونذكر فيما يلي كلمة لفضيلة الشيخ ابن باز في كتابه: «خطر مشاركة المرأة للرجال في ميدان عمله»[٤] قال -حفظه الله-:

(١) انظر «سنن الترمذي» (٢٠١٧) وفي «الشمائل» (٢٩٨).

(٢) سورة ق: آية ١٨.

(٣) أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبّان.

(٤) انظر: نفس الكتاب (ص٤-٥).

إخراج المرأة من بيتها الذي هو مملكتها ومنطلقها الحيوي في هذه الحياة إخراج لها عما تقتضيه فطرتها وطبيعتها التي جبلها الله عليها .

فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي ، ومن أعظم آثاره الاختلاط الذي يعتبر من أعظم وسائل الزنى الذي يفتك بالجتمع ، ويهدم قيمه وأخلاقه .

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى جعل للمرأة تركيباً خاصاً يختلف تماماً عن تركيب الرجل هيأها به للقيام بالأعمال التي في داخل بيتها ، والأعمال التي بين بنات جنسها .

ومعنى هذا : أن اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعتبر إخراجاً لها عن تركيبها وطبيعتها[1] .

وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنويَّتها وتحطيم لشخصيتها ، ويتعدى ذلك إلى أولاد الجيل من ذكور وإناث ؛ لأنه يفقدون التربية والحنان والعطف ، فالذي يقوم بهذا الدور -وهو الأم- قد فصلت منه ، وعزلت تماماً عن مملكتها التي لا يمكن أن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة إلا فيه .

وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول ، والإسلام جعل لكل من الزوجين واجبات خاصة على كل واحد منهما أن يقوم بدوره ، ليكتمل بذلك بناء المجتمع في داخل البيت وفي خارجه .

---

(١) انظر : «منكرات الأسواق» (ص٣١).

فالرجل يقوم بالنفقة والاكتساب ، والمرأة تقوم بتربية الأولاد ، والعطف والحنان والرضاعة والحضانة ، والأعمال التي تناسبها كتعليم الصغار ، وإدارة مدارسهم والتطبيب والتمريض لهم ، ونحو ذلك من الأعمال المختصة بالنساء ، فترك واجبات البيت من قبل المرأة يعتبر ضياعاً للبيت بمن فيه ، ويترتب عليه تفكيك الأسرة حسياً ومعنوياً ، وعند ذلك يصبح المجتمع شكلاً وصورة لا حقيقة ومعنى .

١٤- تعليق الآيات القرانية للزينة :

ومن المنكرات التي يقع فيها الكثير من الناس ، تعليق الآيات القرآنية في المحلات التجارية للزينة واتخاذها حرزاً . . .

إن تعليق هذه (البراويز) التي تحتوي على آيات قرآنية لا يجوز شرعاً للأسباب التالية :

أولاً : لما في ذلك من الانحراف بالقرآن عما أُنزل من أجله من الهداية ، والموعظة الحسنة والتعهد بتلاوته ونحو ذلك .

ثانياً : لمخالفة ما كان عليه النبي ﷺ وخلفاءه الراشدون -رضي الله عنهم- فإنهم لم يكونوا يفعلون ذلك ، والخير كل الخير في اتباعهم لا في الابتداع والإحداث .

ثالثاً : للنهي الوارد عن تحلية المصاحف كما ثبت عن أبي الدرداء : «إذا زوّقتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم»[(١)] .

رابعاً : سد ذريعة الشرك والقضاء على وسائله من الحروز والتمائم

(١) صحّ موقوفاً عنه ، وله حكم الرفع ، وللشيخ علي بن حسين جزءٌ في تخريجه .

وإن كانت من القرآن لعموم حديث النهي عن ذلك .

ولا شك أن تعليق هذه (البراويز) وأمثالها ، يفضي إلى اتخاذها حروزاً لصيانة ما عُلقت فيه كما دلّ على ذلك التجربة وواقع الناس .

يقول النبي ﷺ : «من علّق تميمة فقد أشرك»[1] .

خامساً : لما في الكتابة عليها من اتخاذ القرآن وسيلة لترويج التجارة فيها ، والزيادة في كسبها ، فإنها قد تكون (خرقة) لا تساوي إلا ثمناً زهيداً ، فإذا كُتب عليها القرآن راجت وارتفع سعرها ، وما أنزل القرآن ليتخذ آلة ووسيلة للرواج التجاري وزيادة الأسعار ، فيجب أن يترفع عن ذلك .

سادساً : في ذلك تعريض آيات القرآن وسوره للامتهان والأذى عند الانتقال من محل إلى آخر ، حيث تُرمى مع أثاث المحل المتراكم على اختلاف أنواعه ، وكذلك عند بلاها فتُطرح هذه المعلقات بما فيها من الآيات في القمامات .

ويقوم كثير من التجار بتعليق الآيات على باب المتجر فيضعها في غير موضعها كما يفعل بعض الخياطين من كتابة قول المولى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾[2] ، وكما يفعل بائع اللحوم المجمدة وغيرها من كتابة قول الله عز وجل : ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[3] .

وكما يفعل بائع الخضروات والفواكه من كتابة قول الله عز وجل :

(١) أخرجه أحمد (٤/١٥٦) عن عقبة بن عامر ، بسند صحيح.

(٢) سورة الإسراء : آية ١٢ .

(٣) سورة الواقعة : آية ٢١ .

﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[1] .

ويقوم بعض العوام بالصلاة على النبي ﷺ في وقت بيعهم ، كقول ذلك المفتون : «الفول والصلاة على الرسول» فيأتي بها على القافية[2] .

إن هذه الفئة الضالة في قلبها مرض ، يجب تحذيرها والتنبيه على وجوب تعظيم الآيات القرآنية ، والابتعاد عن كل ما قد يسيء إلى قدسية آيات القرآن العظيم ، والله المستعان . . . !

١٥- الخمّـارات (الحانات) :

ومن المنكرات المنتشرة في يومنا الحاضر ، وجود الحانات أو الخمّارات ، وهو المكان الذي تباع فيه الخمور ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾[3] .

فقوله تعالى : ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ يشمل البيع والشرب والحمل والتشهيد على البيع ، وغير ذلك كثيراً[4] .

وجاء في الحديث الشريف ما روى البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- لما نزلت آيات البقرة عن آخرها ، خرج النبي ﷺ فقال : «حُرّمت التجارة في الخمر»[5] .

---

(١) سورة الطـور : آية ٢٢ .

(٢) انظر : «منكرات الأسواق» (ص٨٤) وما بعدها ، والمفتون : هو الجاهل الأحمق .

(٣) سورة المائدة : آية ٩٠.

(٤) انظر : «زاد المعاد» (٥/ ٧٦٢-٧٦٦) .

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ٢٢٢٦) .

ومن آفات الخمارات في السوق : أنه يدخل الفاسق إلى هذا المكان فيشرب الخمر حتى يسكر ، ومن ثم يخرج من هذا المكان إلى الشارع يترنّح ويتلوّى فيؤذي الناس ، وربما تصرف تصرفاً يخرجه عن إنسانيته فيظهر عورته ، وغير ذلك من الأمور المستقبحة والمستهجنة .

لقد حرّم الله عز وجل الخمر ، فهو أم الخبائث وجماع الإثم ومفتاح الشر ، والداعية إلى الفجور ، تهتك الأسرار ، وتقصر الأعمار وتولد في الجسم أنواع المضار ، تذهب بالثروة وتهدم أركان الأسرة ، وتورث شاربها فنوناً من الجنون والجهالة والغفلة .

لقد شرع الله سبحانه على لسان نبيه إقامة الحد بالجلد كفارة عنها ، ليكون بمثابة الزجر عن ارتكاب هذه الجريمة الأثيمة ؛ لأن دين الإسلام قائم على محاربة الجرائم على اختلاف أنواعها وتقليلها وتطهير المجتمع منها . فشرع حد الخمر صيانة للعقول والأرواح والأجسام والمجتمع ، وأنزل الله : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[(١)] .

لا تقوم النكاية بالسجن تكفيراً للجريمة ، وزجراً له عن معاودة فعلها ، وردعاً للناس ؛ لأن السجن يتعدى ضرره إلى أهله ، وعياله الذين لا جريمة لهم ، بخلاف الحد بالجلد فإنه مقصور على الفاعل نفسه[(٢)] .

---

(١) سورة النور : آية ٢ .

(٢) انظر : «المسكرات والخمور وما يترتب عليها من الأضرار والشرور» (ص٣٨-٣٩) للشيخ عبدالله آل محمود .

وفي وقتنا الحاضر أصبحت القوانين الوضعية الظالمة لا تُحاكم (السكران) بفعله ؛ لأنه فاقد الوعي والإدراك ، سواء ارتكب محظوراً أو جرماً مما جعل هذا سبباً لانتشار الجرائم ، حيث أصبح المجرم إذا أراد أن يرتكب جرماً ما من قتل أو سلب يذهب ويشرب الخمر لكي لا يُحكم عليه ؛ لأنه فاقد للوعي ، وهذه دعوى زائفة وهي للشرع مخالفة ، فعلى ولاة الأمور من علماء وأمراء ومجالس شورى ووزراء ، أن يكونوا بمثابة الحُماة المرابطين دون ثغر دينهم ووطنهم يحمونه عند دخول النساء ، وما يعود بخراب البلاد ، وفساد أخلاق العباد ، وخاصة النساء والأولاد[١] .

أسأل الله إصلاح شبابنا وهدايتهم إلى طريق الحق والصواب ، وهو نِعم المولى ونِعم النصير . . .

---

(١) انظر : «منكرات الأسواق» (ص١١٧) وما بعدها .

منكرات صالونات التجميل

ومن المنكرات الشائعة في صالونات التجميل التي يجب على المسلمين الحذر منها ، نوجز بعضها فيما يلي :

١- تحذير النساء من تصويرهن داخل الصالونات :

ومن المنكرات ما نراه على واجهات الصالونات من صور خليعة عارية لنساء كافرات ، لجذب انتباه الشباب والنساء على حد سواء .

وهذه الصور من أشد الفتن التي تفسد الأخلاق والعقائد والأديان .

يقول ابن القيم : «وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى ، والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خلاقها ، وملكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها ، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد ، ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد ، فصيّرت القلب للهوى أسيراً ، وجعلته عليه حالماً وأميراً»[١] .

ومن أكبر الأمثلة على ذلك ما نسمعه من كثير من الشباب أنه يعشق الممثلة صاحبة الصورة الفلانية ، حتى أنهم يقومون بتعليق تلك الصور في بيوتهم وسياراتهم .

وهذا مدخل يقودنا إلى أن نحذر النساء من تصويرهن داخل الصالونات فعندما تقوم (الكوافيرة) بتزيين المرأة تعرض عليها بأن تقوم

---

(١) انظر : «إغاثة اللهفان» (ص٤٧٦) ابن القيم .

بتصويرها لكي تعلق صورتها في الصالون أو على بابه ، وفي الحقيقة لا تقوم (الكوافيرة) بهذا العرض إلا على الجميلات منهن ، والكثير منهن يقبلن بذلك ، علماً أن هذا الفعل يؤدي بسمعة المرأة في حيّها ، فتصبح لقمة في أفواه الناس يلوكونها كيف شاءوا[1] ؛ نسأل الله العفو والعافية .

٢- نظر المرأة إلى عورة المرأة :

ومن المنكرات نظر المرأة إلى عورة المرأة ، وكثيراً ما يحدث هذا المنكر في صالونات التجميل ، وقد نصّت الشريعة الإسلامية على حرمته .

قال رسول الله ﷺ : «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ، ولا تُفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد»[2] .

قال النووي في شرح الحديث : «ففي هذا الحديث تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل ، والمرأة إلى عورة المرأة ، وهذا لا خلاف فيه ، وكذلك نظر الرجل إلى عورة المرأة ، والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع ، ونبّه ﷺ بنظر الرجل إلى عورة الرجل على نظره إلى عورة المرأة ، وذلك بالتحريم أولى ، وهذا التحريم في حق غير الأزواج . . . أما الزوجان فلكل واحد منهما النظر إلى عورة صاحبه جميعها . . . ، وضبط العورة في حق الأجانب ، فعورة الرجل مع الرجل

(١) انظر : «منكرات صالونات التجميل» (ص٢٤) وما بعدها .

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٣٣٨) ، وأحمد في «المسند» (٣/ ٦٣) وغيرهما .

ما بين السرة إلى الركبة وكذلك المرأة مع المرأة»[1].

٣- النمص والوصل والوشم والتفلج :

ومن المنكرات التي تحدث في الصالونات :

النمص : وهو إزالة شعر الوجه ، وقيل : إزالة شعر الحاجبين لترفيعهما .

الوصل : وهو وصل الشعر بشعر طبيعي أو صناعي (كالباروكة) .

الوشم : وهو النقش على مواضع من الجسم بواسطة الوخز بالكحل أو اللون الأزرق ، وفي أيامنا تستخدم جميع الألوان ، وكثير من الأشكال .

التفلج : وهو تسوية الأسنان المتلاصقة بالمبرد .

وهذه الأمور مغيّرة لخلق الله تعالى ، لذلك حُرّمت على المسلمين ، قال ﷺ : «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتلفجات للحسن ، المغيرات لخلق الله»[2]، واللعن : هو الطرد من رحمة الله - والعياذ بالله - .

٤- تدميم الأظفار وإطالتها :

تسربت عادة تدميم الأظفار وإطالتها إلى ديار المسلمين من بلاد الغرب الكافر ، فأقبل عليها أبناء الأمة وبناتها فاتخذوها شعاراً لهم .

---

(١) «شرح مسلم» (٤/ ٣٠) للنووي .

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ٥٩٣١) وغيره .

فقد قامت النساء بإطالة أظفارهن وطلائها بمادة لزجة، وهي صبغ أحمر تعرف بـ (منيكور)[1].

ومن المؤسف والمحزن حقاً أن كثيراً من أبناء المسلمين أخذوا يتشبهون بالنساء في هيئاتهم وملابسهم وعاداتهم، فأطالوا أظفارهم وأرسلوا شعورهم، وارتدوا ملابس غريبة عجيبة، حتى أصبحنا غير قادرين على التمييز بين الذكر والأنثى، وفي هذا تعدٍّ ومخالفة لتعاليم الإسلام الحنيف التي نهت وحذرت من ذلك.

وجاء في الحديث الشريف: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[2].

أقول: فإن هذا مع ما فيه من تغيير لخلق الله المستلزم لعن فاعله - كما ورد في الحديث السابق - ومن التشبه بالكافرات المنهي عنه في أحاديث كثيرة التي منها قوله ﷺ: «... ومن تشبه بقوم فهو منهم»[3].

فإنه أيضاً مخالف للفطرة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[4].

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «الفطرة خمس: الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط»[5].

---

(١) انظر «آداب الزفاف» (ص١٦).

(٢) رواه البخاري والترمذي وغيرهما.

(٣) رواه أبو داود وأحمد والطحاوي بسند صحيح.

(٤) سورة الروم: آية ٣٠.

(٥) متفق عليه.

٥- اقتناء المجلات الهابطة في الصالونات :

ومن المنكرات الشائعة في الصالونات اقتناء المجلات الخليعة التي احتوت على بلايا ورزايا من مناظر العُرى ، وقصص الحب والغرام ، ومن عرض للأزياء وأدوات التجميل وأصناف الخمور ، وغير ذلك من الطامات والشرور .

ولقد ساهمت هذه المجلات بدور فعّال في الحث على التبرج بدعوى الحرية ، واستقلال ذات المرأة ، والترويج للموضة بحجة التطور والتحضر ، وساهمت هذه المجلات في تدريب النساء على كيفية اجتذاب قلوب الرجال بمختلف الوسائل ، وأصبحت تدعو إلى الإلحاد ، وتهزأ بالقيم والأديان وتسميها برجعية متخلفة ، وتزكي الشهوات البهيمية وتسميها ممارسة الحب ، وتنشر الأفكار الجاهلية والخبائث بحجة التقدم وتسمي هذا الانحطاط فناً ، فيحرم قراءتها ومشاهدتها ، وينبغي القضاء عليها ومحاربتها قبل أن تهدم شباب أمتنا .

قال رسول الله ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[١] .

وفي نشر هذه المجلات واقتنائها إشاعة للفاحشة ، فعلى المسلم أن يغيّر هذا المنكر بيده ، فيمزقها ويرشد الناس إلى ضررها ، ويبيّن

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» وأبو داود في «السنن» ، انظر «السلسلة الصحيحة» (٨٦٥) .

حرمتها ويحث على القضاء عليها ، لما لها الأثر الكبير في إفساد المرأة والمجتمع[1] . . .

قال العلامة الشيخ ابن باز -مفتي الديار السعودية- : «لا يجوز إصدار المجلات التي تشتمل على نشر الصور النسائية ، أو الدعاية إلى الزنا والفواحش ، أو اللواط أو شرب المسكرات ، أو نحو ذلك مما يدعو إلى الباطل ويعين عليه .

ولا يجوز العمل في مثل هذه المجلات لا بالكتابة ولا بالترويج ؛ لما في ذلك من التعاون على الإثم والعدوان ، ونشر الفساد في الأرض والدعوة إلى إفساد المجتمع ونشر الرذائل ، وقد قال تعالى في كتابه المبين : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2] .

ونصيحتي للآباء والأزواج أن يمنعوا أبناءهم وبناتهم وزوجاتهم من الانحراف والانجراف وراء هذه المجلات الهابطة التي تؤدي إلى تفكك الأسرة وانحلالها ؛ وبالتالي تعمل على تفكك المجتمع المسلم ودماره .

٦- تشبه النساء بالرجال :

ومن المنكرات حلق شعر الرأس بحيث يصل الأمر في كثير من الأحايين إلى تشبه النساء بالرجال ، أو يتشبهن بنساء الكفار ، وذلك عندما تقوم الكوافيرة أو الكوافير بقص الكثير من الشعر بحيث يبدو الشعر تماماً كشعر الرجل ، أو أن تختار بعضاً من تلك القصات التي

(١) انظر : «منكرات صالونات التجمل» (ص١٨) .

(٢) سورة المائدة : آية ٢ . وانظر : «فتاوى المرأة» (ص٢٠٩) .

تشبه قصات الكافرات ، وقد نصّت الشريعة على حرمته .

عن النبي ﷺ : «من تشبّه بقوم فهو منهم»(١) .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»(٢) .

أما مجرد قص الشعر بحيث تأخذ من طوله أو تحسنه بطريقة أو بأخرى فلا مانع من ذلك ، سيما إذا كان ذلك يزيد من جمال المرأة . . . ، ولا نعلم نهياً عن ذلك ، والله أعلم .

٧- خلع المرأة ثيابها في محلات الأزياء :

غرفـــة القيـــاس :

ومن المنكرات الشائعة خلع المرأة ثيابها في محلات بيع الأزياء ، فقد روى الترمذي : «أن نساء من أهل حمص أو من أهل الشام دخلن على عائشة فقالت : أنتن اللاتي يدخلن نساؤكن الحمامات؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها»(٣) .

فلا يجوز للمرأة باي حال من الأحوال أن تخلع ثيابها في السوق أو في غيره؛(٤) لأنها مأمورة بالتستر والتحفظ من أن يراها أجنبي . . .

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠، ٩٢)، وأبو داود في «السنن» رقم (٤٠٣١) .

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» رقم (٥٨٨٥) .

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٤) ويستثنى من ذلك ما قد يكون للضرورةكالكشف عند الطبيبة للعلاج أو نحو=

أما ما يحصل في الأسواق في هذا العصر فإنه يندى له الجبين، ويقشعر له البدن، ويقف له شعر الرأس . . .

ومن المعروف أنه إذا ما أرادت المرأة أن تشتري ثوباً أو غير ذلك من الملابس ذهبت إلى محلات الأزياء فتختار ما تشاء من هذه الملابس سواء كانت داخلية أم خارجية، وتدخل غرفة القياس لتقيس الثياب عليها . وما يدريك بعد ذلك ما يحصل في هذه الغرفة من عُري كامل -أحياناً- والعياذ بالله . . .

ولا بد هنا من توضيح ما يحصل وراء كواليس غرفة القياس :

تُصمّم غرفة القياس هذه في أغلب الأحيان من زجاج ومرايا، وقد استغل هذا التصميم أعداء الله في تصوير النساء في هذه الغرفة من غير أن يشعرن بذلك، فبعضهم يركب (آلة تصوير) خفية حيث لا يراها أحد، فتدخل المرأة لتقيس الثياب فتخلع ما عليها من ملابس، و (آلة التصوير) تصوّر والمرأة لا تدري !![1].

وبعضهم يضع في تصميم هذه الغرفة الزجاج المصقول الذي هو من جهة مرآة ومن الجهة الأخرى زجاج عادي يُرى من خلاله . . .، وأحياناً أخرى يكون التلصصّ بإيجاد ثقب خفي . كل ذلك من أجل استغلال دخول المرأة للمحل، والتلصصّ عليها وكشف عورتها . . .

فلتحذر المرأة من هذا الفعل الخبيث الذي يوقع بها إلى الهلاك، وهي لا تدري، فلا تخلع ثيابها إلا في بيتها . . .

= ذلك .

(١) انظر : «منكرات الأسواق» (ص٤٠) وما بعدها .

ومن الجدير بالذكر أن هناك مسؤولية تقع على ولاة الأمر ، فعليهم وضع حد لمثل هؤلاء الذين يتلاعبون بأعراض الناس ، وأن يزيلوا من بين المسلمين ما تفعله هذه الطائفة من البهتان والزور ، فردعهم - والله - مثوبة عظيمة تعود بالخير على المجتمع والأمة . . .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] .

٨- عمل الرجل في صالونات التجميل النسائية :

إن الأمر ليزداد سوءاً إلى سوء عندما نسمع أن هناك رجالاً يعملون في صالونات التجميل النسائية ، وقد أصبحت هذه الظاهرة منتشرة فإنك تقرأ في الصحف اليومية أن فلاناً من المخنثين والذي حاز على جائزة (أوسكار) في التجميل قد افتتح صالوناً للنساء ، بل إنك ترى إعلان هذا (المزين) في التلفاز ، وحوله جميلات العالم .

إن عمل الرجال في هذه الصالونات جرّ المصائب والويلات ، ومن ذلك ما يحدث من تكشف للعورات - أي عورات النساء أمام الرجال - (الكوافير) فبعضهم يقوم بإزالة شعر الرجل واليد والإبط ، وغير ذلك من أماكن الجسد ، وهذا يقتضي من المرأة أن تتكشف أمام (الكوافير) .

ومن ذلك أيضاً لمس (الكوافير) لجسد المرأة أثناء عملية التجميل التي تقتضي ذلك ، والتي تفضي إلى كثير من المصائب بعد ذلك ، وهذا اللمس يدخل تحت الوعيد الشديد الذي جاء بحق من فعله ، فعن

(١) سورة الحج : آية ٤١ .

النبي ﷺ أنه قال : «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له»[١].

فهذا الوعيد جاء بحق المس ، فما بالكم بما يفعله الرجال في هذه الصالونات من الأمور التي يستحيى من ذكرها . . .

ولا يفوتنا أن نذكر ما يحدث في الصالونات من خلوة بين (الكوافير) والمرأة ، فإذا ما اجتمعت هذه المنكرات : النظر إلى العورات واللمس والخلوة ، تفجّرت الشهوات وأصبحت الفاحشة من الأمور المسلّمات[٢] . . .

٩- منكرات صالونات الرجال :

تشترك صالونات الرجال مع صالونات النساء بكثير من المنكرات مثل التشبه بالكفار في الحلاقة وغيرها ، وكذلك النمص واستخدام (الكولونيا) أي العطور التي تحتوي على الكحول أو (السبيرتو)[٣]، وتعليق الصور الماجنة وغيرها ، والاستماع للغناء والموسيقى .

إلا أن صالونات الرجال تنفرد ببعض المنكرات مثل :

١- **حلق اللحية والشارب** : وهذا المنكر لا يكاد صالوناً يخلو منه إلا من رحم الله ، علماً أن حلق اللحية حرام في الشرع ، وذلك لقوله ﷺ : «خالفوا المشركين ، احفوا الشوارب ، وأوفوا اللحى»[٤].

---

(١) الحديث الصحيح . انظر : «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٢٦) للشيخ الألباني .

(٢) انظر كتاب : «منكرات صالونات التجميل» (ص٩-١٣) .

(٣) السبيرتو : مادة مسكرة . انظر : «منكرات صالونات التجميل» (ص٤٤) .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

ومن هذا الحديث يتبين وجوب إطلاق اللحى ؛ لما في حلق اللحية من تشبه بالكفار والمشركين ، وفيه أيضاً تشبه بالنساء ، وفي حلقها أيضاً تغيير لخلق الله . . .

أما حد حف الشارب فعلى المسلم أن يقصه حتى يبدو طرف الشفة ، ولا يحفه من أصله ، كما قال الإمام النووي[1] .

٢- القـــزع : هو حلق جزءاً من الرأس وترك الجزء الآخر ، وأصبح لهذا النوع من الحلاقة أسماء مختلفة ، كاسم (قصة المارينز) وهي في الأصل قصة لبعض وحدات الجيش الأمريكي الكافر .

والقزع حرام في الشرع ، عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال : «أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع ، قال : قلت لنافع : وما القزع ؟ قال : يُحلق بعض رأس الصبي ويُترك بعض»[2] .

وقد اختلف في علة النهي فقيل : لكونه يشوه الخلقة ، وقيل : لأنه زي الشيطان ، وقيل : لأنه زي اليهود ، وقد جاء هذا في رواية لأبي داود[3] .

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٣/ ١٤٩) للنووي .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجه .

(٣) انظر : «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١٠١) و «فتح الباري» (١٠/ ٣٦٥) .

ضـلالـة تجهيل البنـات

يزعم كثير من الجهلة الذين تنقصهم الثقافة الإسلامية الصحيحة أن الإسلام لم ينصف المرأة ، ولم يراع حقوقها الإنسانية ، وأنه وقف حجر عثرة في طريقها ، فمنعها من طلب العلم ، والتزود بنور المعرفة .

ورداً على هذه الفرية الكاذبة نُبين فيما يلي مدى تقدير الإسلام للعلم واحترامه للمرأة وحضّه على تعليمها :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

وقال أيضاً : ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٢) .

فهذه الآيات القرآنية الكريمة تدلنا على ما للمتعلم من فضل على غيره ، كما تطلب منا التزوّد بالعلم ونور المعرفة . . .

ويقول النبي ﷺ لإحدى الصحابيات واسمها (الشفاء) : «ألا تعلمين هذه - يريد حفصة زوجته - رقية النملة كما علمتها الكتابة»(٣) .

وفي الحث على التربية الصحيحة وبيان فضلها قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾(٤) . والوقاية من النار لا تكون

---

(١) سورة الزمر : آية ٩ .

(٢) سورة العلق : آية ٣-٥ .

(٣) رواه أبو داود - حديث صحيح .

(٤) سورة التحريم : آية ٦ .

إلا بالتعليم والتربية الصحيحة ، وقال رسول الله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له»[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : «نِعم نساء الأنصار لم يمنعهن حياؤهن في أن يتفقهن في الدين»[2] .

وقد فطن المستشرقون إلى أهمية المرأة ودورها الرائد في الحياة الإنسانية ، فعملوا بكل ما في وسعهم العمل لتمييع هذا الدور ، وإبعاده عن المسار الصحيح في التربية .

جاء في كتاب «الغارة على العالم الإسلامي» : وينبغي للمبشّرين ألا يقنطوا إذا رأوا تبشيرهم للمسلمين ضعيفاً ، إذ من المحَقَّق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين -ويقصدون بذلك- فلسفتهم ونظرياتهم الإباحية اللاأخلاقية ، وتحرير المرأة وتعليمها العلوم[3] . هذا هو دورهم في مؤتمراتهم التبشيرية ، وهو إخراج الأمة عن دينها .

قال المستشرق (جب) : إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني[4] .

فقد نالت مدرسة البنات رضى وإعجاب أهل الاستشراق والتبشير ،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) انظر كتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٣٧٨) .

(٤) انظر : «الغارة على العالم الإسلامي» (ص٢٤٠) وما بعدها .

ولهذه المدرسة أشباه ونظائر هنا وهنا في أقطار العالم الإسلامي . . .

قال الزعيم الوطني (مصطفى كامل) رداً على كتاب «المرأة الجديدة» : أما تعليم النساء المسلمات فقد أصبح من المسائل الحيوية للإسلام والمسلمين ، ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراء في خطة مدنية الغرب ، كان معولاً لهدم أركان الإسلام ، وفأساً لفتح القبور لأبنائه ، ودسّهم فيها وهم أحياء[1] .

تكسّب المرأة :

لقد أنعم الله سبحانه على أمة الإسلام بنعم كثيرة ومنن وفيرة ، حباها إياها دون سائر الأمم ، كما أولاها نعمة الدين التي هي بحق من أعظم النِّعم وأكبر المنن ، فهل نقابل نعمة المنعم الكريم بالجحود والتمرد على شرعه ودينه ؟ أم أن حق الشكر يوجب علينا الامتثال لأمره تعالى ، والتزام منهجه القويم ؟!

ولما امتدت إلينا عدوى عادات الغرب الكافر في كل شيء ، قلّدناه في عوائده وأباطيله وترهاته ، وتمشينا مع أهوائنا فيما ينافي تعاليم ديننا ، وقد بدأت مجتمعاتنا تفتح صدرها لكل وافد ، وبلا أدنى تفكير أو دراسة أو تدبر . . . هكذا بدأت أوساطنا الاجتماعية منفتحة على كل جديد مستورد دخيل ، فقلّدت الغرب -صاحب الرذيلة وموئل الجريمة- في قرننا العشرين ، فها هي المجتمعات المختلطة قد عمّت دوائر الحكومة ، ومكاتب البوليس ، والشركات والمدارس والمعاهد وأماكن اللهو ؛ كالسينما والمقاهي والأندية والمحافل المختلفة .

---

(١) انظر المصدر السابق (ص٤٠) .

إن نظرة خاطفة على ما جناه الاختلاط من المفاسد والمنكرات التي ملأت جوانب الحياة لتلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم - اختياراً أو اضطراراً - تدل دلالة واضحة على سوء منقلبها، وانحلال أخلاقها الذي مرده انفلات المرأة من بيتها، وتفكك الأسر، والتمرد على الفطرة، والانقياد للهوى والشيطان.

لقد حرَّم الإسلام الاختلاط وحرَّم جميع الوسائل المؤدية إليه، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1].

وما أحسن قول فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - لما سئلت: ما خير للمرأة؟ فقالت: ألاّ ترى الرجال، ولا يراها الرجال. فضمها رسول الله ﷺ إلى صدره وقال: «ذرية بعضها من بعض»[2].

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «ألا تستحيون؟ ألا تغارون؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال»[3].

لقد أولى الإسلام رعايته للمرأة وعنايته بوسائل عيشها وتثقيفها، فأعطاها حق طلب العلم والإكثار من دروس الدين، من القرآن والسُّنة والفقه والتوحيد، والاهتمام بالعقيدة لتطهير النفس من شوائب الجهل والخرافة ورواسب الشرك كالسحر والرقى الشركية والشعوذة ودعاء غير الله سبحانه، وكذلك الاهتمام بالجانب الأخلاقي والتركيز على أهمية

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٣.
(٢) رواه الترمذي والدارقطني، راجع «المرأة المسلمة» (ص١٣٦) للأستاذ وهبي سليمان.
(٣) انظر: «المرأة المسلمة» (ص١٣٦) لأستاذ وهبي سليمان.

الفضائل ، ودور المرأة في تربية الأجيال ومعرفتها لواجبات الأسرة .

وقد صرّح الإسلام للمرأة العمل ضمن حدود مملكتها ، إذ خلقها الله بطبيعة معينة تختلف عن طبيعة الرجل .

لقد شاركت المرأة المسلمة في أعمال الحقل والمنزل والجهاد ، في جو ملائكي طاهر من الطرفين ؛ حيث خرجت للتمريض وخدمة جند الله ، على الطريقة التي يرضاها الله سبحانه ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾[١] .

وهكذا تستطيع المرأة أن تقوم بأعمال كثيرة إذا ما أحسن لها الاختيار ، سيما إذا كان هذا العمل بعيداً عن مزاحمة الرجال ، ويليق بكيانها ويحفظ كرامتها ، فأبواب العمل مفتوحة أمام المرأة كالتعليم والتمريض والكتابة والشؤون الاجتماعية ، وضمن الإطار النسوي ووفق مواهبها وخصائصها التي خصّها الله بها . . .

والإسلام لم يكلّف البنت والمرأة بالإنفاق على الأب أو الزوج أو الأم ، بل على هؤلاء تقع مسؤولية نفقة المرأة ، لتتفرغ للحياة الزوجية والأمومة والإشراف على شؤون الأسرة ، لتظل مصونة طاهرة . . .

أما فلسفة الغربيين حول مستقبل البنت ومهمتها بعد البلوغ ، فهي تقوم على أساس إنفاقها على نفسها ، وادخار ما يزيد على مصاريفها للحياة الزوجية المستقبلية ، وليس على أهلها وأقربائها الالتزام بالنفقة عليها ، كما عليها مساعدة زوجها في النفقة على بيتها وأبنائها . . .

(١) سورة الحج : آية ٥٤ .

وبناءً على تردّي أحوال الأسرة وتفككها - بعد نزول المرأة إلى ميدان العمل - فقد تذمّر الغربيون[1]، وشكوا سوء مآلهم وانتكاسهم، وصاحوا مرددين بقرب اضمحلال وانهيار حضارتهم نتيجة انحرافهم وسقوطهم.

فها هي أستاذة جامعية في انجلترا، تقف أمام مئات من طلبتها وطالباتها، تلقي خطبة الوداع بمناسبة تقديم استقالتها من التدريس.

قالت الأستاذة: ها أنا قد بلغت الستين من عمري، ووصلت فيها إلى أعلى المراكز؛ نجحت وتقدمت في كل سنة من سنوات عمري، وحققت عملاً كبيراً في المجتمع، كل دقيقة في يومي كانت تاتي عليّ بالربح، حصلت على شهرة كبيرة، وعلى مال كثير، أتيحت لي الفرصة أن أزور العالم كله، ولكن هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات؟.

لقد نسيت ما هو أهم من ذلك كله؛ نسيت أن أتزوج، وأن أُنجب أطفالاً، وأن أستقر، إنني لم أتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم استقالتي شعرت في هذه اللحظة أني لم أفعل شيئاً في حياتي، وإن كل الجهد الذي بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباء، فسوف أستقيل، وسيمر عام أو اثنان على استقالتي وبعدها ينساني الجميع في غمرة انشغالهم بالحياة، ولو كنت قد تزوجت وكونت أسرة كبيرة، لتركت أثراً كبيراً وأحسن في الحياة.

إنني أنصح كل طالبة تسمعني أن تضع هذه المهام أولاً في اعتبارها،

(١) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (٢/ ٤٥٥) ففيه بسط وتفصيل.

وبعدها تفكر في العمل والشهرة، أجل، سوف تخسر المرأة ما لا يعوضه جاه ولا شهرة ولا مال ولا منصب؛ إنها إذا لم تحافظ على هذا المطلب تخسر عشاً سعيداً هادئاً حالماً، فتجربة ستين عاماً أضعها أمام مسامع الجميع فلتتفكر[1].

وما أحسب هذا القول بحاجة إلى تعليق عليه، وإنني لأرجو أن يكون درساً وموعظة تنتفع بها سائر النساء في حاضرهن ومستقبلهن والله ولي التوفيق.

---

(١) «جريدة الأهرام» سنة (١٣٨٠-١٩٦١).

التبـرج والسفـور

إن من أعظم المحن التي ابتلي بها المسلمون في هذا الزمان فتنة العُرى والسفور، حيث خرجت نساء المسلمين إلى الأسواق والشوارع كاسيات عاريات، فإذا ما أرادت المرأة الخروج إلى السوق أو إلى غيره لبست أفضح الثياب، وتزينت وتعطّرت حتى تصبح مثيرة لأنظار كثير من الناس . فيصدق فيها قول رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

قال النووي: «فهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان، وفيه ذم هذين الصنفين.

وقيل: معناه: كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها.

وقيل: معناه: تستر بعض بدنها، وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه.

وقيل: معناه: تلبس ثوباً رقيقاً يصفُ لون بدنها.

وأما مائلات: فقيل معناه: عن طاعة الله، وما يلزمهن حفظه.

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٤/١٠٩-١١٠) نووي.

مميلات : أي : يُعلِّمن غيرهن فعلهن المذموم .

وقيل : مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن .

وقيل : مائلات يمشطن المشطة المائلة ، وهي مشطة البغايا .

مميلات يُمشطن غيرهن تلك المشطة ، ومعنى رؤوسهن كأسنمة البخت : أن يُكبِّرنها ، ويُعظِّمنها بلفٍّ عمامة أو عصابة أو نحوها»[(١)] .

ومن هنا حرّم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وسدَّ بابها : قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[(٢)] ، وفي النهي عن قربان الزنا ، نهيٌ عن وسائله والخطوات التي تؤدي إليه ، وذلك لأن الزنا لا يقع فجأة ، وإنما كما يُقال : نظرة فابتسامة فكلام فموعد فلقاء ، ولذا قال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾[(٣)] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ ﴾[(٤)] ، فسدَّ الله كل الابواب ، وكل الطرق المفضية إلى الاتصال بين الرجل والمرأة إلا طريقاً واحداً ، وهو الزواج .

ومن هنا فإن على المسلمين أن يبذلوا كل ما في وسعهم للقضاء على كل ما يثير شهوة الرجال ، وعلى كل محرك يحرك قلوب الرجال ، حتى لا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وحتى يظل المجتمع المسلم

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١١٠) ، والبُخت : الإبل .

(٢) سورة الإسراء : آية ٣٢ .

(٣) سورة النور : آية ٢١ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٦٨ .

مجتمع الفضيلة، والعفة والكرامة والشرف، واعلموا عباد الله أن من أكبر المثيرات التي تثير الشباب هذا العُري الذي ظهرت به نساءنا، وبناتنا في الشوارع والأسواق، والمدارس والجامعات، والغريزة الجنسية في النفس هي أكبر غريزة وأشد غريزة على الإنسان، فإذا لم يُقضَ على ما يثيرها ويحرّكها، ولم يكن لهذا الإنسان سبيل لقضاء هذه الشهوة في الحلال الطيب، سعى لقضائها عن طريق التسلل من الأبواب المغلقة، والطرق المسدودة التي تُفضي إلى الحرام[١].

لقد كان التبرج موجوداً في الجاهلية الأولى، ولكنه إذا ما قيس بتبرج جاهلية القرن العشرين عُدَّ حشمة ووقاراً، إن التبرج في الجاهلية الأولى كان كما يقول المفسرون:

«كانت المرأة تضرب بخمارها وراء رأسها فيبدو عنقها وصدرها، كانت المرأة تمشي بين الرجال وتختلط بهم، كانت المرأة تتبختر في مشيتها وتتثَنَّى».

هذه هي صورة التبرج في الجاهلية الأولى الذي نهى الله عنه نساء المؤمنين ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٢]. ألستم معي أن تبرج الجاهلية بالنسبة لجاهلية القرن العشرين يُعد حشمة ووقاراً؟ لقد كانت المرأة في الجاهلية يبدو صدرها وعنقها.

أما المرأة الآن فقد بدا منها كلُّ شيء! فإلى الله المشتكى من ذهاب

(١) انظر كتاب: «كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يتلقون الوحي عن الله بواسطة رسول الله» (ص٣٢-٣٣) للشيخ عبدالعظيم بن بدوي.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

الحياء من النساء، وضياع الغيرة من الرجال، وعدم المبالاة بالشرف والكرامة، الذين هما أغلى ما يملك الإنسان في هذا الوجود بعد الإيمان[1] لقد كان التبرج موجوداً في الجاهلية الأولى فلما جاء الإسلام نهى عنه فقال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[2]، ثم علمهن كيف يستترن فقال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[3]، أترى عزيزي القارىء كم من امرأة تخلّفت عن تنفيذ هذا الحكم؟!

كم من امرأة قالت: إني شابة، وإني في مستهل عمري، فكيف أغطي جسمي، ولا أبدي زينتي؟ وكم من امرأة ضربت بهذا الأمر عُرض الحائط؟

ورحم الله النساء المؤمنات في الجيل الأول الفريد، جيل الصحابة، كيف كان حالهن استجابة لأمر الله سبحانه: روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات، لما أنزل الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[4] قمن إلى مروطهن فشققنها ثم اختمرن بها.

قال الحافظ في «الفتح»: قول (مروطهن) جمع مُرط، وهو الإزار... (فاختمرن) أي: غطين وجوههن[5].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٣) سورة النور: آية ٣١.

(٤) سورة النور: آية ٣١.

(٥) انظر: «منكرات الأسواق» (ص١٠) وما بعدها.

هكذا يجب أن تكون نساء اليوم ؛ مسرعات إلى تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى ، وهكذا يجب أن تُربي النساء ، وهكذا يجب أن تعلم أنها أمة الله ، لا ينبغي لها أن ترد أمر سيدها ، مهما بدا الأمر ثقيلاً عليها .

أخي المسلم إن فتنة النساء ليس بعدها فتنة وهي شر فتنة ، هذا ما أخبر به النبي ﷺ فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال : «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء»[١] .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[٢] .

ولذا فإن الإسلام يأمر النساء بالجلوس في بيوتهن ، ولا يخرجن إلا لحاجة لا غنى لهن عن الخروج ، لهن قال تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[٣] أي الزمن بيوتكن ، ولا تخرجن إلا لحاجة لا تقضى إلا بخروجكن ، يرحم الله أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، حجَّت واعتمرت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ثم لزمت بيتها ، ولم تخرج لا لحج ولا لعمرة ، فقيل لها : يا أم المؤمنين ، لِم لا تحجين وتعتمرين ؟ قالت : الحمد لله ، قد حججتُ واعتمرتُ مع رسول الله ، وقد أمرني ربِّي أن أقر في بيتي فما خرجت رضي الله عنها إلا وهي محمولة على

(١) البخاري (٩/ ١٣٧) رقم (٥٠٩٦) ، ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٧٤٠) .

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٧٤٢) .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .

الأعناق إلى القبر[1].

رحم الله أزواج الرسول وسائر الصحابة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهدانا الله إلى طريق سلفنا الصالح، والحمد لله رب العالمين . . .

الاختـلاط :

من المنكرات التي عمّت البلاد الإسلامية عامة، والأسواق خاصة، ظاهرة الاختلاط، والناظر في أحوال الأسواق يراها تعجّ بالرجال والنساء .

وهذا الاختلاط جرَّ المآسي والكوارث التي تخفى على أي واحد منا ممن له أدنى اطلاع على هذا الأمر؛ إن هذا الاختلاط المستهتر بالمرأة الأجنبية حرام في دين الله، وهو من عوامل الهدم لأخلاق أمتنا، ومدعاة غضب الله وعذابه، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

(١) انظر : «الدر المنثور» (٦/٥٩٩) .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٩ .

﴿تَطْهِيرًا ۝٣٣ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾(1) .

فأمر الله أمهات المؤمنين - وجميع المسلمات المؤمنات داخلات في ذلك - بالقرار في البيوت ، لما في ذلك من صيانتهن وإبعادهن عن وسائل الفساد ؛ لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى التبرج كما يفضي إلى شرور أخرى ثم أمرهن بالأعمال الصالحة التي تنهاهن عن الفحشاء والمنكر ، ذلك بإقامتهن الصلاة وإيتائهن الزكاة ، وطاعتهن لله ولرسوله ﷺ .

ثم وجَّههن إلى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة ، وذلك بأن يكنَّ على اتصال دائم بالقرآن الكريم ، والسُّنة النبوية المطهرة اللذين فيهما ما يجلو صدأ القلوب ، ويطهرها من الأرجاس والأنجاس ، ويرشد إلى الحق والصواب(2) .

وعن النبي ﷺ قال : «إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو ؟ قال عليه السلام : الحمو الموت»(3) .

«ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تحصى ، فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم

---

(1) سورة الأحزاب : آية ٣٢-٣٤ .

(2) انظر : «خطر مشاركة المرأة الرجل في ميدان عمله» (ص٦) للشيخ عبدالعزيز ابن باز .

(3) أخرجه البخاري في «الصحيح» (رقم ٥٢٣٢) ، ومسلم في «الصحيح» (رقم ٢١٧٢) ، والحمو : الأقارب من جهة الزوج .

اختياراً أو اضطراراً بإنصاف من نفسه ، وتجرّد للحق عما عداه يجد التذمر على المستوى الفردي والجماعي ، والتحسّر على انفلات المرأة من بيتها ، وتفكك الأسر ، وتجد ذلك واضحاً على لسان الكثير من الكُتَّاب بل في جميع وسائل الإعلام ، وما ذلك إلا لأن هذا هدم للمجتمع وتقويض لبنائه .

والأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الخلوة الأجنبية ، وتحريم النظر إليها ، وتحريم الوسائل الموصلة إلى الوقوع فيما حرّم الله أدلة كثيرة قاضية بتحريم الاختلاط ؛ لأنه يؤدي إلى ما لا تُحمد عقباه» .

ينبغي للنساء أن يتعلمن السُّنة في الخروج إن اضطرت إليه ؛ لأن السُّنة وردت أن المرأة تخرج في حفش[1] ثيابها -وهو أدناه وأغلظه- وتجر مرطها خلفها شبراً أو ذراعاً[2]، ويعلمن السُّنة بمشيهن في الطريق ، وذلك أن السُّنة قد حكمت أن يكون مشيهنَّ مع الجدران ، فقد روى أبو داود في «سننه» عن أبي أسيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد ، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق : «استأخرن فليس لكن أن تضيقن الطريق ، عليكن بحافات الطريق»[3].

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها .

---

(١) قارن بـ «صحيح البخاري» رقم (٥٣٣٧) .

(٢) انظر : «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ٤٦١ و ١٨٦٤) .

(٣) أخرجه أبو داود والبيهقي .

وانظر -رحمنا الله وإياك- إلى هذه السنن كيف اندرست في زماننا هذا حتى بقيت كأنها لم تعرف لما ارتكبن من ضد هذه الأحوال الشرعية، فتقعد المرأة في بيتها على ما هو معلوم من عادتهن بحفش ثيابها، وترك زينتها وبعض شعرها نازل على جبهتها إلى غير ذلك من أوساخها وعرقها، حتى لو رآها رجل أجنبي لنفر منها بطبعه -غالباً-، فكيف بالزوج الملاصق لها، فإذا أرادت إحداهن الخروج تنظفت وتزيّنت ونظرت إلى أحسن ما عندها من الثياب والحُلي فلبسه، وتخرج إلى الطريق كأنها عروس تجلّت، وتمشي في وسط الطريق وتزاحم الرجال، ولهن صنعة في مشيهن حتى إن الرجال ليرجعون مع الحيطان حتى يوسعوا لهن في الطريق -أعني: المتقين منهم- وغيرهم يخالطوهن ويزاحموهن قصداً.

كل هذا سببه عدم النظر إلى السُّنة وقواعدها، وما مضى عليه سلف الأمة رضي الله عنهم(١).

ولا يفوتني أن أذكر هنا ما يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ألا تستحيون أو تغارون؟! فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج»(٢).

---

(١) انظر: «المدخل» لابن حاج (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائده» على «المسند» (١/ ١٣٣)، بسند صححه الشيخ أحمد شاكر في «شرح المسند» (١١١٨).

وانظر كتاب: «منكرات الأسواق» (ص٢٠) وما بعدها، - رائد بن صبري ابن أبي علفة.

مكيدة تحديد النسل :

لم يترك أعداء الإسلام باب سوء إلا وقد فتحوه ليلجه أبناء الإسلام ، وقد أفلحوا في كثير من دسائسهم هذه ، وكما هو معلوم فقد اتخذ أعداء هذه الأمة أسلحة عديدة لمحاربة أتباعها ، فمرة يستخدمون الجيوش والغزو المسلح ، وتارة الغزو الفكري وأدواته المختلفة ، وتارة يفتعلون الأكاذيب ويشوّهون الحقائق ، وينشرون الفساد ، والضلال ، والإباحية .

ولا عجب فقد استخدم دعاة الباطل أقسى الوسائل وأخبثها في حروبهم - المتعددة الجوانب - لتخريب الإسلام وتضليل أبنائه ، وقد تبنى الغزاة نظريات اقتصادية ثم قذفوها في وجوه المسلمين ، فتعلق بها المقلدون للغرب ، ودعاة الأخذ بما لدى الغربيين من حضارة ونظريات جديدة ، وروَّجوا لها بين المسلمين عن طريق التناسل ، وقد سمّوا هذه الضلالة الجديدة تحديد النسل . . .

وقد حاول الغربيون - أصحاب النظريات الاقتصادية ومبتكروا ضلالة تحديد النسل - أن يوهموا أبناء الشرق - المسلمين خاصة - بصدق دعواهم ، وحسن نواياهم ، فضربوا الأمثلة وقدموا الحجج والنظريات المختلفة لتأييد دعواهم ، ومع ذلك فلم تثبت لمعارضتها لطبائع الأشياء وبالتالي فهي تصطدم مع تعاليم الإسلام وعقائد المسلمين[١] .

وقد تسابقت أجهزة الدوائر المعادية للإسلام بدفع عملائها لنشر هذه الفكرة الخبيثة في معاقل المسلمين ، وتشجيعهم على الأخذ بها بتدبير

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (٢/ ٣٢٥) .

محكم ، وخطط بالغة الكيد . . .

المقصود بتحديد النسل : هو الإيقاف عن الإنجاب البتة ، ويكون هذا بمنع الحمل وقد حرّمه الإسلام ، وهو بخلاف تنظيم النسل ، الذي يعني الحمل والإنجاب على فترات منتظمة ، وكما هو معلوم فقد حثَّ الرسول ﷺ على الزواج من المرأة الودود الولود ليكاثر الأمم بالسلالات الإسلامية ، فقد قال ﷺ : «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[1] إن حمل أمة الإسلام أو تشجيعها على تطبيق تحديد النسل ، جريمة بحق هذه الأمة لا يقوم بها إلا جاهل غافل عن النتائج أو ملحد مأجور .

مسوّغات لتنظيم النسل :

اهتم الإسلام ببقاء النوع الإنساني واستمراره اهتماماً كبيراً ، كما حبَّب في كثرة التناسل ، وبارك المواليد ، وأثنى على المرأة الولود الودود ، ومن جهة ثانية رخَّص الإسلام في تنظيم النسل ، إذا دعت لذلك ضرورة معقولة . . .

وفي عهد النبوة عُرفت وسيلة منع النسل وتقليله ، وكانت تتم بواسطة العزل ، وهو قذف النطفة خارج الرحم عند الإحساس بنزولها[2] .

وقد كان الصحابة الأبرار يفعلون ذلك ، والوحي ينزل على رسول الله ﷺ ، كما ورد في «الصحيحين» عن جابر : كنا نعزل على عهد

---

(١) رواه أبو داود والنسائي .

(٢) انظر : «الحلال والحرام» (ص١٩١) .

رسول الله ﷺ والقرآن ينزل ، وفي «صحيح مسلم» قال : «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فلم ينهنا . . .» .

وفيما يلي أهم مسوغات تنظيم النسل :

١- الخشية على حياة الأم أو صحتها من الحمل أو الوضع ، إذا عرف بتجربة أو إخبار طبيب ثقة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(١) ، وقال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(٢) .

٢- الخشية في وقوع حرج دنيوي قد يفضي به إلى حرج في دينه فيقبل الحرام ، ويرتكب المحظور من أجل الأولاد ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾(٣) ، وقال : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾(٤) .

٣- الخشية على الأولاد أن تسوء صحتهم أو تضطرب تربيتهم ، وفي «صحيح مسلم» عن أسامة بن زيد أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إني أعزل عن امرأتي ، فقال له رسول الله ﷺ : «لِم تفعل ذلك ؟» فقال الرجل : أشفق على ولدها ، أو قال : على أولادها ، فقال رسول الله ﷺ : «لو كان ضاراً لضرّ فارس والروم»(٥) .

(١) سورة البقرة : آية ١٩٥ .

(٢) سورة النساء : آية ٢٩ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

(٤) سورة المائدة : آية ٦ .

(٥) أخرجه مسلم ، راجع كتاب : «تحديد النسل» للدكتور محمد سعيد البوطي .

٤- ومن الضرورات المعتبرة شرعاً الخوف على الرضيع من حمل جديد ووليد جديد، وقد سمّى الرسول ﷺ الوطء -في حالة الرضاع- وطء الغيلة أو الغيل، كما يترتب عليه من حمل يفسد اللبن ويُضعف اللبن، وإنما سمّاه غيلاً أو غيلة؛ لأنه جناية خفية على الرضيع فأشبه القتل سراً[١].

٥- وقرر الإمام أحمد وغيره أن تنظيم النسل يُباح إذا أذنت به الزوجة؛ لأن لها حقاً في الولد، وحقاً في الاستمتاع.

وروي عن عمر -رضي الله عنه- أنه نهى عن العزل إلا بإذن الزوجة، وهي لفتة بارعة من لفتات الإسلام إلى حق المرأة في عصر لم يكن يعترف لها بحقوق[٢].

وقد استحدث في عصرنا الوسائل المريحة التي تمنع الحمل، مما يحقق المصلحة التي هدف إليها الرسول ﷺ وهي حماية الرضيع من الضرر مع تجنب المفسدة الأخرى، وهي الامتناع عن النساء مدة الرضاع، وما في ذلك من مشقة.

---

(١) انظر: «الحلال والحرام» (ص١٩٢-١٩٣) بتصرف.

(٢) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (٢/ ٣٣٥).

الغنـــاء

يعرَّف الغناء (بالكسر والمد) بأنه رفع الصوت مطلقاً .

يقال غنى الرجل ، وتغنّى به إذا مدحه أو هجاه .

وتغنّى بالمرأة : تغزّل بها ، وأظهر محاسنها .

قال ابن الأثير : «كل من رفع صوته ووالاه ، فصوته عند العرب يسمّى غناء»[1] .

ويطلق الغناء على التمطيط والتلحين بالأشعار على النغمات الموسيقية .

موقف الإسلام من الغناء :

لا شك أن الصوت الطيب من حيث هو طيب لا يحرّم بل هو حلال ؛ لأنه يرجع إلى تلذّذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص ، ولم يقل أحد أنه حرام بمجرد أنه صوت طيب ! .

«والغناء ظاهرة إنسانية تشترك فيها جميع الأمم ، فليست هناك أمة من الأمم إلا ولها غناء ، ذلك من خصائص الطبائع البشرية ، فكل حاسة من حواس الإنسان لها مستلذاتها ، فالعين تستلذ المناظر الجميلة والمشاهد الأنيقة ، والأذن تستلذّ الأصوات العذبة»[2] .

---

(١) انظر : «النهاية» (٣/ ٣٩٠) .

(٢) عن مقدمة كتاب «السماع» للأستاذ أبو الوفا المراغي (ص١٢) .

ولما كانت الحناجر مختلفة الأصوات في مخارجها، كان لها أثر فعّال فيمن تنفر منها الأسماع كخُوار الأبقار، ونهيق الحمير...

فهذا الصوت الطيب أو الحسن ينبغي أن ينظر فيه من حيث هو صوت، فهو إما أن يخرج من جماد كصوت القصب والأوتار، أو من حيوان كصوت البلابل والحمام، أو من إنسان كصوت النغمات من حنجرة الإنسان...

فسماع هذه الأصوات ليست حرمتها لكونها طيبة حسنة أو موزونة، وإنما حرمتها لأنها أصبحت شعار أهل الفسق[1] والمجون؛ لكونها تذكر مجالس الفجور كشرب الخمر والزنا، ولهذا قال كثير من السلف[2]: «الغناء رقية الزنا».

فكان تحريم هذه الأصوات من قبيل الاتباع، أي حرّمت لأنها تجرّ إلى الحرام، وليس التحريم في نفسها كتحريم الخلوة بالأجنبية، لكونها مقدمة إلى التساهل في السوأتين.

وحرّم قليل الخمر وإن لم يسكر؛ لأنه يدعو إلى الكثير، وما من حرام إلا وله مقدمات تجرّ إليه...

لقد حُرمت الأصوات المطربة بالأوتار والمزامير لثلاثة أسباب[3]:

إحداهم: أنها تدعو إلى الفجور كمجالس شرب الخمور؛ لأن اللذة الحاصلة بها إنما تتمّ بالخمر...

---

(١) انظر: «الإحياء» للغزالي (٢/ ٢٦٩)، و «مفتاح السعادة» (٣/ ٣٨٥).

(٢) روى ذلك ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (ص٨٣) عن فضيل بن عياض.

(٣) انظر: «مفتاح السعادة» (٣/ ٣٨٥) أحمد مصطفى.

ثانيهم : أن الاجتماع بهذه الهيئة أصبح من عادة أهل الفسق ، فيمنع التشبه بهم ؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم . . .

ثالثهم : أنها تطرب فتخرج الإنسان عن حدّ الاعتدال فبينما الرجل تراه وعليه سمة الوقار ، وبهاء العقل وبهجة الإيمان ، فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله ، وقلّ دينه ، وذهبت مروءته فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ، وأبدى من سرّه ما يكتمه فيميل برأسه ويهزّ منكبيه ويضرب بالأرض رجليه[(١)] .

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : «الغناء ينبت النفاق في القلب ، وسُئل عن استماع القصائد؟ قال : أكرهه ، وهو بدعة ، ولا يجالسون» .

وكان أبو حنيفة - رضي الله عنه - يكره الغناء ، ويجعل سماع الغناء من الذنوب .

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : «وكم فتنت الأصوات بالغناء من زاهد وعابد»[(٢)] .

ومما يجدر ذكره أن هناك نوعاً من الغناء الحلال يشمل غناء بإنشاد ، والشعر الذي لا فجور فيه ولا يدعو إلى معصية بصورة ليس فيها تخنث ولا تخلع ولا تكسر ، وليس فيه إظهار لما أمر الله بستره عمن لا يحل .

ومن الغناء المباح : غناء المرأة لزوجها وذوي حرمتها ، وشبيه به

---

(١) انظر : «إغاثة اللهفان» (ص٢٦٧) - ط حلبي سنة (١٣٨١هـ) .

(٢) انظر كتابنا : «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص١٧٦) .

غناء الأولاد الصغار والجواري الصغار ولو في مجمع عام .

وأخيراً : الغناء في الأعياد والأعراس والمناسبات بحيث لا يتصل فيها شيء من المحرمات . . .

ومن الملاحظ - مع الأسف - أن أكثر الغناء المستعمل في مجتمعنا هو من الغناء المحرّم ، وأن ضرره قد تبين في شبابنا ورجالنا ونسائنا - في أخلاقهم وعاداتهم وأفكارهم - ، ويمكن الاستعاضة عنه بالغناء المباح الذي يزيد في المروءة ، ويُنمي الأخلاق الفاضلة ، بل يصنع الرجال ويجعلهم عدة لوقت الشدة[١] .

(١) قارن بكتاب «الأجوبة النافعة في المسائل الواقعة» (ص٢٩٨) .

المسكرات والمخدرات

إن الدين الإسلامي لم يدع سبيلاً إلى الخير إلا أرشد إليه ، ولم يترك طريقاً إلى الشر إلا حذّر منه .

قال ﷺ : «ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا شيئاً يبعدكم عن الله تعالى إلا وقد نهيتكم عنه» .

وبذلك قد وضح الأمر وتبين الرشد من الغي ، والهدى من الضلال ، ولم يبق بعد ذلك حاجة لطالب الرشد ، ولا عذر لمن وقع في الغواية ، ولكن فريقاً من الناس قد أعرضوا عن هدي الدين ، واتخذوه وراءهم ظهرياً ، ووضعوا عقولهم تحت أقدامهم ، واتبعوا الشهوات فعميت بصائرهم ، وأسقطوا أنفسهم من درجة الكمال الذي أعدهم الله له ، وأنزلوا أرواحهم إلى مرتبة الحيوان ، فكانوا بذلك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

لقد لعب الشيطان بعقولهم فزيّن لهم تناول المسكرات وتعاطي المخدرات ، وأوقعهم في وهدة الذل والدمار ، وأفسدت تلك السموم عقولهم وأضاعت عليهم أموالهم وحياتهم . . .

التدخين :

لقد أصبح من المناظر المألوفة أن ترى شاباً في عمر الورود وسن

الزهور ، قد أمسك بسيجارة بين أصابعه يشعلها ، أو بين شفتيه يمصّها ثم ينفثها ، وهو مزهو منتفخ . . . .

لقد انتشرت هذه العادة الذميمة بين الشباب والفتيات على حد سواء ، ولم ينج منها إلا من غلب إرادته على الهوى ، والعقل على العاطفة ، والمصلحة على المفسدة ، وقليل ما هم . . .

إن التدخين شر منتشر ، وضرر مؤكدّ ، ومصيبة من مصائب القرن العشرين ، وإذا كنا ندرك ضرره على كافة الناس من تحذير الأطباء ومواعظ العلماء وتنبيهات العقلاء ، فإننا ندرك له أضرارا أخرى أكبر وأكثر في شبابنا .

وفيما يتعلق بأضراره ، فنذكر الضرر الصحي والنفسي ، إذ ثبت بشكل قاطع لا يحتمل الشك أن الدخان -كما قرر أطباء الصحة- يورث الكسل ، وسرطان الرئة ، ويضعف الذاكرة ، ويقللّ الشهية ، ويسبب اصفرار الوجه والأسنان ، ويعيق التنفس ، ويهيجّ الأعصاب ويميّع الخُلق ، ويعوّد على الكسل والاسترخاء . . .

ومن أخطار التدخين نذكر ، أن في (بريطانيا) وحدها يموت أكثر من (٥٠ ألف) شخص سنوياً بسبب أمراض التدخين ، وفي (أمريكا) تقول تقارير الصحة العامة أن مدخن السجائر يتغيّب عن العمل سنويا فترة (٢٠ ٪) زيادة عن الفترة التي يتغيبها غير المدخن .

حكم الشرع في التدخين :

باعتبار أن الدخان ضار صحيا وماليا ، فقد أجمع العلماء والفقهاء والمجتهدون على أن ما يؤدي إلى الضرر ويوقع في المهالك فاجتنابه

واجب ، وفعله حرام ، للحديث الشريف : «لا ضرر ، ولا ضِرار»(١) .

ولعموم قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(٣) .

والدخان يفتّر الجسم ويخدر العقل ، وقد نهى الرسول ﷺ عن كل مفتر كما نهى عن كل مسكر ومخدّر ، فعن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت : «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»(٤) أي مخدر .

وعليه ، فإن تناول التبغ (الدخان) ما دام قد ثبت أنه يضر بمتناوله فهو حرام ، والله سبحانه وتعالى قد أحلّ للإنسان الطيبات ، وحرّم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه ، وسلامة خلقه وتفكيره ، وظهوره في المجتمع بمظهر جميل .

يقول الله تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾(٥) .

الخمـــر :

الخمر : هي تلك السوائل المعروفة المعدّة بطريقة تخمر بعض الحبوب أو الفواكه ، وتحول النشا أو السكر الذي تحتويه إلى غَـوْل (الكحول) بواسطة بعض كائنات حية لها القدرة على إفراز مواد

(١) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه .

(٢) سورة البقرة : آية ١٩٥ .

(٣) سورة النساء : آية ٢٩ .

(٤) رواه الإمام أحمد وأبو داود .

(٥) سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

خاصة يُعد وجودها ضرورياً في عملية التخمّر . . .

وقد سميت خمراً لأنها تخمِّر العقل وتستره أي تغطيه وتُفسد إدراكه[1]، ونحن لا نشك ولا يشك أحد من الناس ، أن سعادة الإنسان معقودة بحفظ عقله ، به يعرف الخير من الشر ، والضار من النافع ، والهُدى من الضلال ، وبه رفع الله شأن الإنسان ففضله ، وكرّمه على كثير من خلقه . . .

ولما كانت الخمر أم الخبائث فقد حرّمها الإسلام على الناس صيانة للفرد والجماعة ، لأن الإنسان إذا شربها سَكِر ، وإذا سَكِر فقد وعيه ، وسُلب إدراكه ، وأصبح أشبه بالحيوان ، فيرتكب كل موبقة ، ويأتي كل منكر ، ويفعل كل فاحشة ، إذ لا يميز بين ابنته وزوجته ، أو زوجته وخالته ، ولهذا وغيره ، شدّد الشارع الحكيم في أمرها ، وبالغ في النهي عنها ، فهي من الكبائر والموبقات المهلكة التي ثبتت حرمتها بالقرآن والسُّنة والإجماع .

يقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[2] .

وجاء في الحديث الشريف عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : «كل

---

(١) انظر : «الكبائر» (ص٨٢) وما بعدها .

(٢) سورة المائدة : آية ٩٠-٩١ ، وانظر : «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٢) وما بعدها .

مسكر خمر وكل خمر حرام»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه»[٢].

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ نهاهم عن الجعة، وهي: (نبيذ الشعير) أي - البيرة -[٣].

الحشيشة:

ومن أشكال المخدرات وأنواعها استعمال الحشيشة وهي المصنوعة من ورق القنب، وهي محرّمة كحرمة الخمر.

وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة، وغير ذلك من فساد الطبيعة البشرية التي أنعمها الله على الإنسان . . .

والخمر أخبث من جهة أنها تُفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصدّ عن ذكر الله، وعن الصلاة . . .

قال أبو موسى: يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن (البتع)، وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، و (المزر)، وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد، قال: وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع

---

(١) رواه أحمد وأبو داود.

(٢) انظر: «المشكاة» (٢٧٧٧).

(٣) رواه أبو داود والنسائي، وراجع «نيل الأوطار» (٧/ ١٥٧).

الكلم بخواتمه ، فقال ﷺ : «كل مسكر حرام»[1] .

وقال ﷺ : «ما أسكر كثيره فقليله حرام» .

ولم يفرّق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروباً ، على أن الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز ، وهذه الحشيشة قد تُذاب بالماء وتُشرب ، والخمر يُشرب ويؤكل ، والحشيشة تُشرب وتُؤكل . وإنما لم يذكرها العلماء ؛ لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي ، وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام . . .

لقد أجمع فقهاء الإسلام على هذه الحرمة (حرمة الخبائث) ، وكان في طليعتهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال : «هذه الحشيشة الصلبة حرام ، سواء سكر منها أو لم يسكر ، وإنما يتناولها الفجّار لما فيها من النشوة والطرب ، وهذه تجامع الشراب المسكر في ذلك ، والخمر توجب الحركة والخصومة ، وهذه توجب الفتور والذلة ، وفيها مع ذلك فساد المزاج والعقل ، وفتح باب الشهوة ، وما توجبه من الدياثة (فقدان الغيرة) ما هو شر من الشراب المسكر . . .»[2] .

قال بعض العلماء : «إنّ من قال بحلّ الحشيش زنديق مبتدع»[3] ، وهكذا تعتبر الحشيشة محرّمة كحرمة الخمر يحدُّ شاربها كما يُحدُّ شارب الخمر[4] .

---

(١) رواه مسلم ، وانظر : «الكبائر» (ص٨٦-٨٧) .

(٢) «فتاوى ابن تيمية» (٤/ ٢٦٢) وما بعدها ، راجع «السياسة الشرعية» لابن تيمية .

(٣) انظر : «فقه السُّنة» (٢/ ٣٨٥) .

(٤) انظر كتابنا : «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص١٦٢-١٦٤) .

القـــات :

القات : من النباتات التي تزرع في بلاد اليمن وغيرها من البلدان التي تشبه في مناخها مناخ اليمن ، كالسودان والباكستان وغيرها . . .

ويكون استعماله بأن يمضغ مضغاً ، وهو ضار جداً ، وضرره قريباً من ضرر الدخان (التبغ) ، وغيره من المخدرات .

وللقات تأثير بالغ على جسم الإنسان ، فهو ربما يضعف المنى ، ويُظهر الهزال ، ويسبب مرض الكلى . . .

والغالب أن أولاد صاحب القات يخرجون ضعاف البنية ، صغار الأجسام ، قصار القامة ، ومصابون بعدة أمراض خبيثة[١] .

ومن أضراره المعروفة :

ضياع المال ، والجناية على الصحة ، به يقع التشاغل عن الصلاة وكثير من الواجبات المهمة .

ومن الناحية الصحية ، يحطّم الأضراس ويفسد الصحة ، ويسبب التهاب المعدة وقرحتها ، والتهاب الكبد والإمساك الشديد ، واختلال نبضات القلب ، وارتفاع ضغط الدم ، ويُفقد الشهية ، ويسبب الاضطراب في النوم ، ويقلل حليب الأم المرضع ، والاختصار في البول .

إن استعمال (القات) فيه تبذير وإسراف ، وهو مفتّر -أي مخدِّر- للأعضاء والأعصاب ، وإذا كان كذلك فلا ريب في تحريم تعاطيه ، مع

---

(١) انظر : «تطهير المجتمعات» (ص١٦٢) أحمد بن حجر آل بطامي .

العلم أن بعض العلماء ذكر أن الأضرار الناتجة من استعمال (الحشيش) كلها موجودة في القات . . .

حبوب الكنغو :

ومن المخدرات أيضاً حبوب الكنغو . وهي حبوب ضارة ضرراً عظيماً ، لكونها صنعت خصيصاً لمقاصد سيئة غير خافية على الفطن ، وتحتوي على قدر كبير من المنبهات الضارة ، وعلى مادة يُروى أنها خليط من مادة الكحول والبنج والأفيون ، وتنتج هذه الحبوب مصانع يهودية ليغزوا بها الجيوش المضادة لهم ، حينما يأكلها الجنود ليسهروا ، ثم ينتهي مفعولها الكيماوي وبذلك يفقد الجندي أو السائق توازنه وحواسه .

ولحبوب الكنغو أضرار عظيمة ، فهي تُفقد متعاطيها نعمة الصحة ، وتودي بحياته ، فقد ثبت من التجارب أن تناول هذه الحبوب يُنشف الدماغ ، ويحدث لصاحبه الخبل أحياناً ، ورُوي أن إدمان أكلها يسبب تقرص الطحال بنقط سوداء وصفراء تفرز مادة خبيثة تكون في مجموعها قروحاً منتنة ، تزداد سوءاً إلى أن تتعطل عنده وظيفة الطحال ، فتأخذ طريقها إلى التضخّم والتعفّن والسيلان ، مع ما يصاحبه من إفرازات غريبة هي المرض الذي يوهن قوى المصاب ، فلا يزال في هبوط وانحراف في صحته حتى يُسلم روحه لبارئها ، وبهذا يكون قد جنى على نفسه وأزهق روحه بجهله واتباع هواه ، وقرناء السوء الذين يدّعون صداقته ومحبته ، فيلقون به إلى التهلكة .

إن هؤلاء الصنف من الناس يفتحون أبواب الشرّ بأيديهم، ويدعون الناس إلى الدخول إليها، كما تكون بالأقوال تكون بالأفعال، كمن يتناول شيئاً من المخدرات أو المسكرات بالدعوة إلى الضلالة، ويفعل هذا مراراً، ويتقدي به آخرون يقلدونه على فسقه، فعليهم مثل آثامهم بما عرفوا الحق وعاندوه وأعرضوا عنه[1].

إن ضرر الحبوب (الكنغو) لا يقتصر على متناولها فحسب، بل يتعداه إلى ذريته وجلسائه بحكم الاختلاط بهم، عدا على أن تناولها يحدث التشجنات العصبية، وشلل الأطراف والغثيان والدوار، وتضاعف ضربات القلب...

وهكذا نجد أن هذه الحبوب تفتك بالأجسام مثل أو أضر من فتك الأفيون والحشيش، لما يصاحب تناولها من أمراض وأسقام، عدا عن غضب الله سبحانه وتعالى لمتعاطيها ومروّجيها... ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[2].

حكم المخـــدرات:

أجمع فقهاء الإسلام[3] على تحريم (المخدرات) التي ظهرت في عهدهم -وعلى رأسها الخمر أم الخبائث- وتبيّنوا آثارها السيئة في الإنسان وبيئته ونسله، وعرفوا أنها فوق آثار الخمر الذي حرّمته

---

(١) للمزيد راجع كتابنا: «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص١٦٨).

(٢) سورة البقرة: آية ١٩٥.

(٣) فتاوى محمود شلتوت (ص٣٧٣).

النصوص الصريحة والواضحة في كتاب الله وسُنة رسوله ، وحرّمه النظر العقلي السليم .

لقد قرر الفقهاء حرمتها وقرروا عقوبة تناولها ، كما قرروا حرمة الاتجار بها وعقوبة المتجرين .

كما وقرروا أن استحلالها كاستحلال الخمر ، وقد جاء في كتبهم «ويحرم أكل البنج والحشيش والأفيون ؛ لأنها مفسدة للعقل وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويجب تعزير آكلها بما يردعه»[١] .

(١) المصدر السابق (ص٣٧٤) .

أكـــل الربـــا

حرّم الإسلام الربا لعظم شأنه وخطورته على المجتمع ، فهو من الكبائر المهلكة ، وقد ورد في ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية تبيّن أضراره ، وتؤكد حرمته ، ولنستمع لبعض هذه النصوص :

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ ﴾[٣] .

قال ابن كثير معلقاً على أكل الربا : لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه ، ويتخبّط الشيطان له ، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً .

وقال ابن عباس : «آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يُخنق . . .»[٤] .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٠ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٧٦ .

(٤) تفسير ابن كثير (١/٣٢٦) وما بعدها .

قال ﷺ : «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه ، هم فيه سواء»[1].

وقال رسول الله ﷺ : «ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولا ظهر في قوم الزنا إلا وظهر فيهم الموت ، وما بَخس قوم الكيل والوزن إلا منعهم الله القطر»[2].

كما صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمه : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا».

ومن ألوان الربا الفائدة المأخوذة عن إيداع المال في المصارف والبنوك بفائدة ، ولا حجّة لمن يقول بحلّ الفوائد عن الأموال التي قصد منها الاستثمار ، لأن الربا المحرّم هو ما كان على الأموال المأخوذة للاستهلاك[3].

اليانصيب :

وما يسمى (باليانصيب) هو لون من ألوان القمار ، ولا ينبغي التساهل فيه ، والترخيص به باسم (الجمعيات الخيرية) ، و (الأغراض الإنسانية) .

إن الذين يستبيحون اليانصيب لهذا ، كالذين يجمعون التبرعات

---

(١) رواه أحمد ومسلم - «مختصر مسلم» (ص٩٥٥) ، و «صحيح الجامع» (ص٥٠٩٠) .

(٢) ابن ماجه والبزار والبيهقي والحاكم ، وقال على شرط مسلم (المنذري) .

(٣) انظر كتابنا : «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص٩٩) .

لمثل تلك الأغراض بالرقص الحرام والفن الحرام ، ونقول لهؤلاء وهؤلاء : «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» .

والذين يلجؤون إلى هذه الأساليب يفترضون في المجتمع أن قد ماتت فيه نوازع الخير ، وبواعث الرحمة ، ومعاني البر ، ولا سبيل إلى جمع المال إلا بالقمار أو اللهو المحظور(١) .

والإسلام لا يفترض هذا في مجتمعه ، بل يؤمن بجانب الخير في الإنسان ، فلا يتخذ إلا الوسيلة الطاهرة للغاية الشريفة ، تلك الوسيلة هي الدعوة إلى البر ، واستثارة المعاني الإنسانية ودواعي الإيمان بالله والآخرة .

اللعب بالشطرنج :

ومن ألوان اللهو المعروفة الشطرنج ، وقد اختلف الفقهاء في حكمه بين الإباحة والكراهة والتحريم .

واحتج المحرّمون بأحاديث رووها عن النبي ﷺ ، ولكن نقاد الحديث وخبراءه ردوها وأبطلوها ، وبينوا أن الشطرنج لم يظهر إلا في زمن الصحابة فكل ما ورد فيه من أحاديث باطل .

أما الصحابة -رضي الله عنهم- فاختلفوا في شأنه .

قال ابن عمر -رضي الله عنهما- : هو شر من النرد ، وقال علي -رضي الله عنه-: هو من الميسر ، ولعله يقصد : إذا اختلط به القمار .

---

(١) انظر : «الحلال والحرام في الإسلام» (ص٢٩٧-٢٩٨) .

وروي عن بعضهم كراهيته فحسب، وروي عن بعض الصحابة والتابعين أنهم أباحوه، من هؤلاء: ابن عباس، وأبو هريرة، وابن سيرين، وسعيد بن المسيب وغيرهم، فالأصل في اللعب بالشطرنج الإباحة، ولم يجيء نص على تحريمه.

على أن فيه - فوق اللهو والتسلية - رياضة للذهن، وتدريباً للفكر، وهو لذلك يخالف النرد.

ولذلك قالوا: إن المعول في النرد على الحظ فأشبه الأزلام، والمعول في الشطرنج على الحذق والتدبير فأشبه المسابقة بالسهام[1].

وقد اشترط من أباحه شروطاً ثلاثة:

١- ألا يؤخّر بسببه صلاة عن وقتها، فإن أكبر خطورته في سرقة الأوقات.

٢- ألا يخالطه قمار.

٣- أن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب من الفحش والخنا ورديء الكلام.

فإذا فرّط في هذه الثلاثة أو بعضها اتجه القول إلى التحريم.

---

(١) انظر: «الحلال والحرام في الإسلام» (ص٢٩٠-٢٩١).

سـوء الظـن

اعلم أخي المسلم أن الإسلام يريد أن يقيم مجتمعه على صفاء القلوب، وتبادل الثقة بين جميع الناس، لا على الريب والشكوك والتهم والظنون.

لذلك صان الإسلام حرمات الناس فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1].

والمقصود بالظن الآثم هو ظن السوء.

فلا يحل للمسلم أن يسيء ظنه بأخيه المسلم دون مسوّغ، ولا بينة ناصعة.

إن الأصل في الناس أنهم أبرياء، ووساوس الظن لا يصح أن تعرض ساحة البريء للإتهام.

وقد قال النبي ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[2].

والمعروف أن الإنسان لضعفه البشري لا يسلم من خواطر الظن والشك، في بعض الناس، وخصوصاً فيمن ساءت بهم علاقته، ولكن عليه ألا يستسلم لها، ولا يسير وراءها[3].

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٢.

(٢) رواه البخاري وغيره.

(٣) انظر: «الحلال والحرام في الإسلام» (ص٣٠٦).

وهذا معنى ما ورد في الحديث الشريف : «إذا ظننت فلا تحقق»[1].

التجسس :

من الآفات القبيحة التي نهى عنها الإسلام ، آفة التجسس على الآخرين ، إن الإسلام أقام مجتمعه على نظافة الظاهر والباطن معاً ، ولهذا قرن النهي عن التجسس بالنهي عن سوء الظن ، وكثيراً ما كان هذا سبباً لذلك[2].

إن للناس حرمة لا يجوز أن تهتك بالتجسس عليهم ، وتتبع عوراتهم ، حتى وإن كانوا يرتكبون إثماً خاصاً بأنفسهم ، ما داموا مستترين به غير مجاهرين . عن أبي الهيثم كان عقبة بن عامر - أحد الصحابة - قال : قلت لعقبة بن عامر : إن لنا جيراناً يشربون الخمر ، وأنا داع لهم الشرطة ليأخذوهم ! . قال : لا تفعل وعظهم وهددهم ، قال : إني نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داع لهم ليأخذوهم ، قال عقبة : ويحك لا تفعل ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من ستر عورة فكأنما استحيا موؤدة في قبرها»[3].

وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام تتبع عورات الناس من خصال المنافقين الذين قالوا آمنا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وحمل عليهم حملة عنيفة على ملأ الناس ، فعن ابن عمر قال : صعد رسول الله ﷺ على المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : «يا معشر من أسلم بلسانه ، ولم

---

(١) رواه الطبراني .

(٢) انظر : «الحلال والحرام في الإسلام» (ص٣٠٦) .

(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم .

يفضِ الإيمان إلى قلبه ! لا تؤذوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»[١] .

ومن أجل الحفاظ على حرمات الناس حرّم الرسول ﷺ أشد التحريم أن يطلع أحد على قوم في بيتهم بغير إذنهم ، فقال عليه السلام : «من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حلّ لهم أن يفقؤوا عينه»[٢] فالأولى أن يستأذن ، ويسلم على أهل البيت قبل الدخول إليه .

كما حرّم الله أن يتسمّع حديثهم بغير علم منهم ولا رضا ، قال عليه السلام : «من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة»[٣] ، والآنك هو الرصاص المذاب ، ونصوص النهي عن التجسس وتتبع العورات عامة تشمل الحكام والمحكومين معاً ، وروى معاوية عن الرسول ﷺ قال : «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم»[٤] .

الغيبـــة :

ومن الخصال الذميمة التي نهت عنها آيات القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[٥] الغيبة .

(١) رواه الترمذي وابن ماجه .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخاري وغيره .

(٤) رواه أبو داود وابن حبان .

(٥) سورة الحجرات : آية ١٢ .

وقد أراد الرسول ﷺ أن يحدِّد مفهومها لأصحابه على طريقته في التعليم بالسؤال والجواب ، فقال لهم : «أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذِكرك أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهتّه»[١] .

وما يكرهه الإنسان يتناول خلقه ونسبه وكل ما يخصّه .

وعن عائشة قالت : قلت للنبي حسبك من صفية (زوج النبي) كذا وكذا - تعني أنها قصيرة - فقال النبي ﷺ : «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[٢] .

إن الغيبة هي شهوة الهدم للآخرين ، وهي شهوة النهش في أعراض الناس وكراماتهم وحرماتهم وهم غائبون ، إنها دليل على الخسة والجبن ؛ لأنها طعن من الخلف ، وهي مظهر من مظاهر السلبية ، فإن الاغتياب جهد من لا جهد له .

وهي معول من معاول الهدم ؛ لأن هواة الغيبة قلما يسلم من ألسنتهم أحد بغير طعن ولا تجريح .

فلا عجب إذا صورّها القرآن في صورة منفّرة تتقزز منها النفوس ، وتنبو عنها الأذواق ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[٣] .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

(٢) رواه أبو داود والترمذي والبيهقي .

(٣) سورة الحجرات : آية ١٢ .

والإنسان يأنف أن يأكل لحم أي إنسان، فكيف يأكل لحم أخيه، وهو ميت؟!.

وقد ظل النبي ﷺ يؤكد هذا التصوير القرآني في الأذهان، ويثبته في القلوب كلما لاحت فرصة لهذا التأكيد والتثبيت[1].

قال ابن مسعود: «كنا عند النبي ﷺ فقام رجل (أي غاب عن المجلس) فوقع فيه رجل من بعده. فقال النبي لهذا الرجل: تخلل، فقال: وممّ أتخلل؟ ما أكلت لحماً! قال: إنك أكلت لحم أخيك»[2].

وعن جابر قال: كنا عند النبي ﷺ فهبت ريح منتنة، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين»[3].

حدود الرخصة في الغيبة:

كل هذه النصوص تدلنا على قداسة الحرمة الشخصية للفرد في الإسلام.

ولكن هناك صور استثناها علماء الإسلام من الغيبة المحرّمة، وهي استثناء يجب الاقتصار فيه على قدر الضرورة.

ومن ذلك المظلوم الذي يشكو ظالمه ويتظلم منه، فيذكره بما يسوؤه مما هو فيه حقاً، فقد رخّص له في التظلم والشكوى. قال

---

(١) انظر: «الحلال والحرام في الإسلام» (ص٣٠٨-٣٠٩).

(٢) رواه الطبراني، ورواته رواة الصحيح.

(٣) رواه أحمد، ورواته ثقات.

تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[١] .

وقد يسأل سائل عن شخص معين ليشاركه في تجارة ، أو يزوّجه ابنته ، أو يوليه من قبله عملاً هاماً ، وهنا تعارض واجب النصحية في الدين وواجب صيانة عرض الغائب ، ولكن الواجب أهم وأقدس ، فقدم على غيره ، وقد أخبرت فاطمة بنت قيس النبي ﷺ عن اثنين تقدما لخطبتها ، فقال لها عن أحدهما : (إنه صعلوك لا مال له) ، وقال عن الآخر : (إنه لا يضع عصاه عن عاتقه) يعني أنه كثير الضرب للنساء .

ومن ذلك أيضاً : الاستفتاء والاستعانة على تغير المنكر .

ومن ذلك أيضاً : أن يكون للشخص اسم أو لقب أو وصف يكرهه ، ولكنه لم يشتهر إلا به كالأعرج ، والأعمش ، وابن فلانة .

ومن ذلك تجريح الشهود ، ورواة الأحاديث والأخبار[٢] .

والضابط العام في إباحة هذه الصور أمران هما : الحاجة والنية .

ومن المقرر في الإسلام هو أن السامع شريك المغتاب ، وأن عليه أن ينصر أخاه في غيبته ويرد عنه . ففي الحديث الشريف : «من ردّ عن عرض أخيه في الدنيا ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»[٣] ، وإن لم

(١) سورة النساء : آية ١٤٨ .

(٢) انظر : «الإحياء» للغزالي ، وكتاب «آفات اللسان من ربع المهلكات» ، و «شرح النووي» لمسلم .

(٣) رواه الترمذي بإسناد حسن .

يستطع السامع رد هذه الألسنة المفترسة فعليه أن يغادر المجلس[١] حتى يخوضوا في حديث غيره . . .

النميمـــة :

النميمية هي خصلة ذميمة حرّمها الإسلام أشد حرمة ، وهي نقل ما يسمعه الإنسان عن شخص إلى ذلك الشخص على وجه يوقع بين الناس ويكدِّر صفو العلائق بينهم أو يزيدها كدراً .

وقد نزل القرآن الكريم بذم هذه الرذيلة منذ أوائل العهد المكي إذ قال : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[٢] .

ومعنى همّاز أي : طعّان في الناس .

وقال عليه الصلاة والسلام : «لا يدخل الجنة قتات»[٣] ، والقتات هو النمّام ، كما وقال عليه السلام : «شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العيب»[٤] .

إن الإســلام في سبيـل تصـفيـة الخصـومـة وإصـلاح ذات البين يبيح للمصلح أن يخفي ما يعلم من كلام سيء قالـه أحدهما عن الآخر ، ويزيد من عنده كلاماً طيباً لم يسمعه من أحدهما في شأن الآخر .

---

(١) انظر : «الحلال والحرام في الإسلام» (ص٣١٠-٣١١) .

(٢) سورة القلم : آية ١٠-١١ .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه أحمد .

وفي الحديث الشريف : «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً».

ويغضب الإسلام أشد الغضب على أولئك الذين يسمعون كلمة السوء فيبادرون بنقلها تزلفاً أو كيداً ، أو حباً في الهدم والإفساد . . .

ومثل هؤلاء لا يقفون عند ما سمعوا ، إن شهوة الهدم عندهم تدفعهم إلى أن يزيدوا على ما سمعوا ، ويختلقوا إن لم يسمعوا . . .

دخل رجل على عمر بن عبدالعزيز ، فذكر له عن آخر شيئاً يكرهه ، فقال عمر : إن شئت نظرنا في أمرنا ، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية : ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا﴾[١] ، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية : ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[٢] ، وإن شئت عفونا عنك ، قال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبداً[٣] .

الحسد وأضـــراره :

وكما لا يخفى ، فإن الحسد خصلة ذميمة حذّرنا الله منها ، وهي من أعظم خصال الشر ، وقد حذّرنا منها النبي ﷺ فقال : «لا تحاسدوا» ، وقـال عليـه السـلام : «دبّ إليكـم داء الأمـم قبلكـم : الحسـد والبغضاء»[٤] .

(١) سورة الحجرات : آية ٦ .

(٢) سورة القلم : آية ١١ .

(٣) انظر : «الحلال والحرام في الإسلام» (ص٣١١-٣١٣) .

(٤) رواه أحمد والترمذي وأبو داود .

وقال عليه السلام -أيضاً- : «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب أو قال العشب».

والحسد هو كراهية وصول النعمة إلى الغير وتمني زوالها عنه .

والحسد هو الذي أخرج آدم من الجنة ، فقد حسده إبليس لما فاق الملائكة فعمل على إخراجه من الجنة .

والحسد صفة اليهود ، فقد حسدوا نبينا محمد ﷺ على ما آتاه الله من النبوة والمنزلة العظيمة ، فكفروا به مع علمهم بصدقه ، وتيقنهم أنه نبي الله . . .

ومن أضرار الحسد : أنه يورث البغضاء بين الناس ؛ لأن الحاسد يبغض المحسود ، فيحمل الحاسد على محاولة إزالة النعمة عن المحسود .

ومن أضراره -أيضاً- : أنه يمنع الحاسد من قبول الحق إذا جاءه عن طريق المحسود ، ويحمله على الاستمرار في الباطل الذي فيه هلاكه .

كما أنه يحمل الحاسد على الوقوع في الغيبة والنميمة حيث يقدم على غيبة المحسود والسعي بالنميمة بينه وبين غيره .

ويجعل الحاسد دائماً في قلق وهم ، لما يرى من تنزل فضل الله على عباده ، وهو لا يريد ذلك ولا يقدر على منعه فيبقى في هم وقلق كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله . . . فيوقع كل ذلك في المجتمع التخلخل والتفكك ، وعليه فمن وجد في نفسه شيئاً من الحسد فليسع في إزالته بأن يتذكر أن الحسد ضرر عليه هو في الدين والدنيا ، وأنه لا

يضرّ المحسود، فالأمور بيد الله عز وجل: «لا مانع ما أعطى، ولا معطي لما منع».

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين . . .

---

(١) سورة النساء: آية ٣٢.

الفصل السادس

مسائل متفرقة

«أقدم هذا الفصل (السادس) الذي يشتمل على بعض المسائل المتفرقة التي أرجو الله عز وجل أن ينفع بها إخوتي القراء ويتدبروها».

والله أسأل التوفيق والتسديد... والله من وراء القصد.

المرتـــدون

الردة تعني - في عرف الإسلام ومصطلح الشريعة الإسلامية - إبدال دين بدين ، وعقيدة بعقيدة ، وإنكار ما جاء به الرسول ﷺ ، وتواتر عنه وثبت بالضرورة من دين الإسلام .

وفي عقوبة المرتد يقول الرسول ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه» متفق عليه .

ماذا يفعل المرتـــد :

بعد أن ينكر رسالة الإسلام وصاحبها عليه الصلاة والسلام ، متنصلاً من تبعات ينتقل إلى ديانة أو عقيدة أخرى كالنصرانية أو اليهودية أو الوثنية كالبرهمة[١] ، أو يلحد أو يتنكّر لكل دعوات الرسل والأنبياء ، وينكر الرسالات والوحي ، والمعاد والثواب والعقاب . . .

هذا ما كان يرفضه العالم القديم ، ويقول به من ألوان الردة ومعانيها ، ومن كان يرتد عن دينه ، فإنه يدخل إما إلى هيكل أو كنسية أو معبد وثني ، حسب الدين الجديد الذي اعتنقه وتحول إليه ، وذلك على مرأى من الناس ومسمع الجميع . . . فيقطع منه المسلمون كل أمل وصلة ، ويكون هدفا لسخط المسلمين الشديد وينفصل عن مجتمعه الإسلامي السابق ، وتنتهي الروابط العرقية ورابطة الدم التي كانت تربطه

---

(١) «الحقبة المثالية في الإسلام» (ص٥٠) .

بأهله وأقربائه ، وأواصر الأرحام ، حيث أن الارتداد يعني الانتقال من مجتمع إلى مجتمع ، ومن حياة إلى حياة .

وهذا هو عكس حال المرتد في عهدنا الحاضر ، حيث يبقى المرتد على سابق عهده ؛ فلا مقاطعة ولا حرمان ولا سخط ، ولا انفصال عن مجتمعه الذي يستمر في أحضانه كأن شيئاً لم يكن ، فهذه جريمة بشعة في حق المجتمع والدين(١) .

موجـات الـردة :

لقد شهد تاريخنا الإسلامي حوادث ردة عديدة ، أبرزها وأعنفها ردة القبائل العربية على أثر وفاة الرسول ﷺ ، الثورة الكبيرة التي وأدها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- بإيمانه وعزمه الذي ليس له مثيل في التاريخ ، ومنها حركة التنصّر التي انتشرت على أثر جلاء المسلمين ، والتي ظهرت في بعض الأقطار التي استولت عليها بعض الدول الغربية المسيحية ، ومنها -أيضاً- ارتداد بعض ضعاف العقول وصغار النفوس من المسلمين عن دين الإسلام ، واعتناقهم للبرهمية .

لقد ظهرت الردة البغيضة في موجات مختلفة ، وذلك بعد ظهور الإسلام ، وأخذت أشكالاً متباينة ولا زالت تتكرر . . .

ولا يخفى أن الألوف من الإباحيين في الشرق والغرب -القديم والحديث- يبطنون أو يظهرون كفرهم(٢) . هذا وإن القرآن الكريم سبق أن ناقش هؤلاء الملحدين ، ووصف مذهبهم بدقة .

---

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٥٧٧) .

(٢) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٥٧٩) وما بعدها .

والله تعالى يقول في كتابه الكريم عن هؤلاء : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1] .

فالإلحاد في عصرنا هو ثورة على الإيمان ، تبغي قطع دابره ، واجتياح أهله ؛ ثورة تتحقق وراء أسباب مادية واقتصادية .

إن الملحد الذي يمارس حياة التحلل والإلحاد على مرأى ومسمع من الناس ، ليس مشدوداً إلى حياته تلك بسبب فكري مجرد ، ولكنه في الحقيقة مشدود إلى هذه الانحرافات والتحلل ؛ لأن هذه الأهواء النفسية أصبحت في دخائله مستحكمة ، كما أن الغرب كافة يخوض اليوم حمأة المادة ، متقلباً في أوحال الرذيلة وهاوياً إلى درك الإلحاد والفجور ، حيث انتهى أمره إلى مستنقع الفحش والإباحية . . .

يقول البروفسور (ليكي) في كتابه «تاريخ الأخلاق في أوروبا» : «إن الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية ، قد انهارتا بسبب انحرافهما عن حميد الأخلاق ، وتخليهما عن خصائص الرجولة»[2] .

وهكذا ، فعلى المرتدين عن مصابيح الهدى العودة قبل الفوات للخلاص من موروثات الجاهلية ، ورجس الوثنية . . .

والتمسّك بالشخصية المؤمنة بربها الواثقة من دينها وعقيدتها السليمة للوصول إلى تحقيق الغاية الأسمى من وجود الإنسان على هذه الأرض

---

(١) سورة الجاثية : آية ٢٤-٢٥ .

(٢) «مجلة الحج» (ص٢٣٤) وما بعدها .

وهي العبادة ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] .

من أين جاءت معاول الهدم والـردة :

لقد حملت أوروبا والدول الغربية إلى بلاد الشرق والعالم الإسلامي خاصاً ، كثيراً من فلسفاتها المستوردة ، والأفكار الهدّامة ، تلك الدعوات والفلسفات التي تقوم على إنكار أسس الدين ، وإنكار القوة المصرفة لهذا العالم -لله الحق والأمر- وعلى إنكار عالم الغيب والوحي والنبوءات ، ونكران الشرائع السماوية ، وإنكار القيم الروحية والخلقية ، منها ما تبحث في عالم الحياة والنشوء والارتقاء ، ومنها ما يتصل بالأخلاق ، ومنها ما تدور حول علم النفس ، ومنها ما موضوعها الاقتصاد والسياسة ، ومهما اختلفت هذه الفلسفات في أهدافها وألوانها وأسسها ، فإنها جميعاً تلتقي على النظرة المادية المحضة إلى الإنسان وإلى الكون والتعليل المادي لظواهرها وأفعالها[2] .

لقد غزت هذه الفلسفات الطارئة المجتمع الشرقي الإسلامي ، وتغلغلت في أحشائه ، وكانت أعظم ديانة ظهرت بعد الإسلام في التاريخ ، وأعظمها انتشاراً ، وأعمقها جذوراً ، وأقواها سيطرة على العقول والقلوب ، وأقبل عليها زهرة البلاد الإسلامية ، وزبدتها عقلاً وثقافة ، وساغتها وهضمتها ودانت بها كما يدين المسلم بالإسلام ، والمسيحي بالمسيحية بكل معنى الكلمة ، هي تستميت في سبيلها ، وتقدّس شعارها ، وتجلُّ قادتها ودعاتها ، وتدعو إليها في أدبها

---

(١) سورة الذاريات : آية ٥٦ .

(٢) انظر : «ردّة جديدة لا أبا بكر لها» أبي الحسن الندوي .

ومؤلفاتها، وتحتقر كل ما يعارضها من الأديان والنظم والعقليات، وتؤاخي كل من يدين بها، فأفرادها أمة واحدة، وأسرة واحدة، ومعسكر واحد.

إن هذه ردة زعزعت العقائد، واكتسحت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وغزت الأسر والبيوتات والجامعات والكليات والثانويات والمؤسسات. فما من أسرة مثقفة - إلا من عصم ربك - إلا وفيها من يدين بها أو يحبها أو يجلّها، وإذا استنطقته أو خلوت به أو أثرته عرفت أنه لا يؤمن بالله، أو لا يؤمن بالآخرة، أو لا يؤمن بالرسول ﷺ، أو لا يؤمن بالقرآن أنه الكتاب المعجز الخالد، ودستور الحياة[1].

وأفضلهم من يقول: أنه لا يفكر في مثل هذه المسائل، ولا يهتم بها إنها ردة، ولكنها لم تلفت المسلمين، ولم تشغل خاطرهم، ولم يلتفتوا لهذا المرتد وأباطيله وانحرافاته.

الخلاصة:

اعلم أخي المسلم - حفظك الله - أن هذا هو الحال الذي يعانيه المجتمع من موجات الردة المتلاحقة، ولا يخفى أن مرد ذلك هو الانحراف عن طريق الإسلام السوي، وغياب تطبيق الدين عن الساحة، وهذه هي الردة... إنها ردة القرن العشرين، وبئست الجاهلية جاهليته... ألم تكشف الحجب عن البصائر؟! نعم، وقد ظهر ما وراء الأكمة، ولم يبق بعد اليوم مكان في العالم لم يستمتع بأشعة نور الدين الحنيف، وبزوغ فجر الإسلام الذي عم سائر المعمورة، وقضى

---

(١) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (١/ ٥٨٥-٥٨٦).

على رواسب وعفن التخلف والوثنية ، إلا أن تكون تلك العقول متحجرة ، ومؤثرة تقاليد الجاهلية وغوائلها على مبادىء السماء العظيمة . . .

التحذير من استقدام الأجانب

من الخير الذي ابْـتُلِيَ به بعض المسلمين كثرة الأموال ، مما حمل الكثير منهم على الأشر والبطر والإسراف والتبذير ، فعرَّضوا أنفسهم وعرَّضوا بلادهم لأسوأ العقوبات ، فمما سَبَّبه الغنى تساهُل المسلمين بشأن الكفار وتناسي خطرهم وعداوتهم ، فصار الكثير من الأغنياء والمترفين يسافر إلى بلاد الكفار بعوائلهم لا لشيء إلا للنزهة وقضاء الوقت ، وقد يكون لأسوأ من ذلك ، وهو فساد الأخلاق ومشاركة الكفار في لهوهم ومجونهم ، والابتعاد عن بلاد المسلمين وأخلاق المسلمين ؛ لأنهم لا يحصلون فيها على ما تشتهي نفوسهم الأمّارة بالسوء . . .

والسفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا لغرض مباح من تجارة أو علاج أو دراسة ، لا يمكن الحصول عليها في بلاد المسلمين . . .

هذا مع تمكن المسلم من إظهار دينه ، والمحافظة على عقيدته ، وابتعاده عن مواطن الشر ، وأهل الشر حتى يعود إلى بلاده كما ذهب منها . . .

ومما سببه توفر المال بأيدي بعض الناس جلب الكفار إلى بلاد المسلمين باسم عمال أو مُسْتَخدَمين أو سائقين أو مربين ، مما أدى إلى ازدياد عدد الكفار في بلاد المسلمين مع اختلاطهم بهم ، واطلاعهم على أسرار المسلمين ، فَسَرَت عادات الكفار وأخلاقهم وربما أديانهم

الكفرية بين المسلمين ، وتأثر الشباب والأطفال والجهال بتلك الأخلاق . والعقائد الفاسدة ، وبعض المسلمين يأتمن الكافر على ماله وعلى محارمه وأولاده ، ناسياً أو متناسياً قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾[1] .

ففي هذه الآية الكريمة ينهى الله سبحانه عباده المؤمنين عن اتخاذ الكفار بطانة ، وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره ، فيبين سبحانه ما يكنه هؤلاء الكفار ويضمرونه في أنفسهم من عداوة وبغض للمؤمنين ، وقد ذكر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- غلام من أهل الحيرة حافظ كاتب ، وطُلب منه أن يتخذه كاتباً فامتنع عن ذلك ، وقال : قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- : ففي هذه الآية مع هذا الأثر دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين ، واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء . وهذا جانب من جوانب ضررهم على المسلمين . وهناك جوانب كثيرة ، من أهمها : تأثيرهم على المسلمين بجلب المذاهب الكفرية ، والأفكار الإلحادية ، وتلقينها لأولاد المسلمين خصوصاً إذا تولوا تربيتهم ، ومنها جلبهم لوسائل الإفساد الخلقي من الخمور والمخدرات والمسكرات عن طريق الخفية وإيصالها إلى أيدي شباب المسلمين وسفهائهم . ومنها إفسادهم للنساء وللعوائل والبيوت إذا

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٨ .

استخدموا سائقين أو خدم أو طباخين ، ومنها أنهم يسحبون ثروة المسلمين ، ويتقوون بها على الكفر ، وعلى محاربة المسلمين .

فلا يجوز للمسلم أن يجلب كافراً إلى بلاد المسلمين ، لما في ذلك من الأضرار البالغة على المستقدم وعلى المجتمع الإسلامي .

ولكن إذا اضطر صاحب العمل إلى جلب عمال أجانب فعليه أن يختار عمالاً مسلمين ، وهم والحمد لله كثير[١] .

هذا مع أن البعض أو الكثير من الذين يستقدمون الأجانب يتسقدمونهم من غير حاجة ، وإنما يستقدمونهم من باب المباهات والمفاخرة ، ومجارات الآخرين ، ليظهر أمام الناس أن لديه سائقاً أو لديه خدم ليفتخر بذلك . . .

فاتق الله يا عبد الله ، ومن رزقه الله مالاً فليحسن التصرف فيه ، فلا تسرف ، إن الله لا يحب المسرفين ، ولتحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ في الأرض الفساد ، إن الله لا يحب المفسدين . . .

أحوال اليهود بين الكتاب والسُّنة :

يعجب الكثير من الناس ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويؤمنون بالكتاب المنزّل على رسوله ﷺ كيف وصل اليهود إلى هذه السيطرة العجيبة ، بينما كَتَبَ الله عيلهم الذلة والمسكنة والغضب واللعنة الأبدية ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟

(١) انظر : «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية» (ص٢٣٢-٢٣٥) .

يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[1].

ويهجس في نفوس بعضهم خاطر : هل توقف وعد الله ووعيده ؟ هل تغيرت السنن الربانية ؟!

نقول : حاشا لله أن يقع شيء في هذا الكون كله مخالفاً للسنن الربانية أو خارجاً عن وعد الله ووعيده ، ولكن الناس قد ينظرون إلى بعض السنن ، ويغفلون عن بعضها الآخر ، أو ينظرون إلى بعض الوعد والوعيد ، ويغفلون سائره .

لقد ضرب الله الذلة والمسكنة على اليهود في الدنيا والآخرة ، ولكنه استثنى من ذلك فترة من الزمن أو فترات في قوله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[2].

ومن الأسباب التي تم من خلالها الاستثناء والوسائل التي حققت وقوعه ، فإن الله الذي يقدر المقادير قد جعل لقدره أسباباً ، وجعل أعمال البشر من بين تلك الأسباب .

لقد كلّف الله فئتين من البشر أن يكونوا حراساً على اليهود ، يمنعونهم من أن يعيثوا في الأرض فساداً ويحققوا مخططاتهم الشريرة في إضلال البشرية :

---

(١) سورة البقرة : آية ٦١ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١١٢ .

الفئة الأولى هي النصارى :

فلو أن النصارى كانوا نصارى -على كل ما في دينهم من انحرافات أحدثها اليهودي (شاول) فيما مضى من الزمان- ما قبلوا أن يكونوا عبيداً لليهود يجثون عند أقدامهم ، -سواء في ذلك أمريكا أو روسيا أو دول أوروبا- ولكانت لهم اليد العليا عليهم ، كما كان الأمر خلال أربعة عشر قرناً من القرن الرابع إلى القرن الثامن عشر الميلادي .

ولو أن المسلمين كانوا على إسلام صحيح ، ما تجرأ اليهود عليهم هذه الجرأة حتى ينهشوا جزءاً من جسدهم الحي (فلسطين) حيث الأقصى المبارك ثالث الحرمين الشريفين ، ويعيثوا في المقدسات فساداً فيفسدون البلاد والعباد ، ثم يرهبونهم بكل وسائل الإرهاب حتى يمكنوا ويستكينوا ! .

إن المسؤول عن خروج الوحش من حجره وعيثه فساداً في الأرض ، إنما هم أولئك الحراس الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، والمسؤول الأول والأكبر في هذا الشأن هو الأمة الإسلامية ؛ لأنها هي المكلفة بالشهادة على كل البشرية بما فيها اليهود ، فلما نكلت أصابها ما أصابها بقدر من الله ، وحسب سنة الله .

ما الحكمة من تمكين اليهود اليوم ، وهم يحملون في قلوبهم هذا الشر كله ، ويسعون إلى هذا الفساد كله؟! وهم أخوة القردة وأبناء الأفاعي - قاتلهم الله -.

لا نزعم أننا نلم بحكمة الله على سبيل القطع ، حين لا يرد ذكر

الحكمة في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ على سبيل القطع .

فكل ما نستطيع قوله في هذا الشأن هو أن الله تعالى يعاقب البشرية على كفرها بتسلط اليهود عليها .

إن الله قد توعد الكافرين حيث يصرون على الكفر بقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[1] .

وقد كفرت البشرية اليوم كفراً لم تكفره في تاريخها كله ، وتبجحت بالكفر كما لم تتبجح به في تاريخها كله ، فأنكرت الله جهرة ، ونفت هيمنته وسيطرته وتدبيره . فقال قائل منهم : «لا إله والكون مادة»[2] ، وقال قائل منهم : «لقد خضع الإنسان لله في الماضي بسبب عجزه وجهله ، والآن وقد تعلم وسيطر على البيئة فقد آن له أن يحمل على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر العجز والجهل على عاتق الله ومن ثم يصبح هو الله»[3] .

ولم تعد تلك عقيدة فرد أو أفراد ، إنما أصبحت عقائد الكثرة من البشر ، لذلك حقق الله وعيده فلبسهم شيعاً ، وأذاق بعضهم باس بعض ، واقتضت حكمته سبحانه أن يذيق البشرية الكافرة المتبجحة بالكفر بأس شر الخلق الذين خلقهم الله ، وهم أولئك اليهود ، جزاءً

(١) سورة الأنعام : آية ٦٥ .

(٢) هذه قولة الشيوعيين .

(٣) هذه قولة جوليان هكسلي .

وفاقاً على ذلك الكفر الذي هو أسوأ كفر مرّ بالناس[(١)].

ولقائل أن يقول: ولكن «المسلمين» لم يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب الكافر الملحد، إلا أقلية منهم لا تكاد تذكر. وما زال القوم يؤمنون بوجود الله! نعم!، ولكنهم فرطوا في مقتضيات لا إله إلا الله، وفرطوا في رسالتهم التي ندبهم الله لها، وهي الشهادة على البشرية، وفرطوا في أمر الله لهم أن يعدوا ما استطاعوا من قوة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[(٢)].

فرطوا فأصابهم النذير في قوله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهة الموت»[(٣)].

وكان من بين الأمم التي تداعت على الأمة الإسلامية شر أمة في الأرض أمة اليهود.

ثم تحقق في الأرض كلها نذير آخر من نذر الله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ

(١) انظر: «رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر» (ص١١٦-١١٨).

(٢) سورة الأنفال: آية ٦٠.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح.

يَرۡجِعُونَ﴾[1]، واختار الله شر المفسدين من الخلق، ليظهر على أيديهم الفساد في الأرض، لعل الناس يرجعون!، ولكنهم ليسوا بناجين من سنة الله التي كتبت الدمار على المفسدين...

فمع كونهم فاسدين إلى أقصى حد يتصوّره العقل، فهم أشد من في الأرض اليوم تجمعاً لهدف محدد يصبون إلى تحقيقه، ويحتشدون لبلوغه، بينما (الأمميون) مهما تكن درجة تجمعهم، وبذلهم للجهد في سبيل تحقيق أهدافهم هم أقل من اليهود احتشاداً وتجمعاً وعزيمةً وتجنيداً لأنفسهم من أجل تحقيق تلك الأهداف، ويتركز هدف اليهود في إفساد الأمميين[2].

وكل ذلك إلى حين... ثم تأتي سنة الدمار، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾[3].

وظاهر كذلك من آية آل عمران أنه تمكين إلى حين...؛ لأنه استثناء من القاعدة، وليس هو أصل القاعدة والاستثناء -بطبيعته- ينتهي والأصل يدوم.

أما المدى المحدد لذلك الاستثناء فهو غيب لا يعلمه إلا الله.

ولكنا نقول -حسب سُنة الله- إنه يزول حين تزول الأسباب التي أدت إليه في تقدير الله، أي حين يستيقظ الأمميون من غفلتهم، ويعودون إلى الله.

---

(١) سورة الروم: آية ٤١.

(٢) انظر: «رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر» (ص١١٩).

(٣) سورة الحج: آية ٤٨.

وتظل الأمة الإسلامية هي المسئولة عن كل ما يجري في الأرض من الأحداث ، لأن الله نصبها لتكون مسئولة عن إزالة المنكر في كل الأرض ، في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

المنافقــون

تتعرض المجتمعات الإنسانية لكثير من الآفات والمحن والغوائل والأمراض التي تظهر بأشكال مختلفة، وأنماط متباينة بين الحين والآخر، وكما هو معلوم فليس المرض الجسماني هو الذي يهدد حياة الفرد والمجتمع فقط، بل هناك أمراض كثيرة أخرى لا تقل خطراً عنه، وفي مقدمتها الآفات الاجتماعية والنفسية، وهي أسرع في التفشي، وأفتك بالكيان الإنساني، وأبشع الأمراض الوبائية التي تجتاح الأمم حيناً بعد حين، ولعل النفاق هو في طليعة هاتيك الآفات المدمرة.

والنفاق نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر: هو الاعتقادي.

والأصغر: هو عملي مثل الكذب والرياء والخيانة وغيرها.

وجاء في الحديث الصحيح: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

فالأكبر يوجب الخلود في النار[1]، في دركها الأسفل، وهو أن يُظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله، مُكذِّب به، لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس، يهديهم بإذنهم، وينذرهم

(١) انظر «الإيمان» (ص١٧٦-٢٢٩) ابن تيمية.

بأسه ، ويخوفهم عقابه ، قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[1] .

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين ، وكشف أسرارهم في القرآن ، وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر ، وقد ورد ذكرهم في ثلاث عشرة آية لكثرتهم ، وعموم الابتلاء بهم ، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله ، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً ؛ لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته ، وهم أعداؤه في الحقيقة ، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه عِلْم وإصلاح ، وهو غاية الجهل والإفساد[2] .

إن أساس النفاق هو الكفر والجبن ، أما الكفر فهو ما يبطنه المنافق ، وأما الجبن فهو الذي يجعل المنافق يظهر خلاف ما يبطن من الكفر ، ولهذا لا يكون المنافق إلا جباناً ضعيف القلب ، يحسن الكيد والعمل في الظلام ، وإذا لقي المؤمنين أظهر لهم نفسه كأنه مؤمن ، ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[3] . فهم لجبنهم يقولون : إننا مؤمنون ، وإذا خلوا إلى قرنائهم من المنافقين والكاذبين قالوا : نحن نستهزيء بالمؤمنين بقولنا لهم إنا مؤمنون .

والواقع يثبت أن الكافر أقل ضرراً من المنافق ؛ لأن المنافق يماثل

(١) سورة آل عمران : آية ١٦٧ .

(٢) انظر رسالة «صفات المنافقين» (ص١٥-١٦) ابن قيم الجوزية .

(٣) سورة البقرة : آية ١٤ .

الكافر في الكفر ويمتاز عليه بالخداع والتضليل وإمكان تسلله في صفوف المسلمين، فيكون إيذاؤه شديداً، والحذر منه قليلاً بخلاف الكافر الذي لم ينخدع بظاهره المسلمون، فهو مكشوف ولا مجال للاشتباه فيه . . .

وقد أحسن ابن قيم الجوزية - رحمه الله - الوصف حين قال عنهم: (فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟!، وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟!، وكم من علم له طمسوه؟!، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟!، وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها؟!، فلا يزال الإسلام وأهله في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سَرِية بعد سَرِية، ويزعمون أنهم بذلك مصلحون! ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1].

اتفقوا على مفارقة الوحي، فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2]، ولا جرم ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[3] . . .)[4].

أهم علامات المنافقين:

فيما يلي عرض موجز لأهم العلامات التي تظهر على المنافقين:

١- مرض القلب والإفساد في الأرض، والفساد هو الكفر قولاً

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢.

(٢) سورة المؤمنون: آية ٥٣.

(٣) سورة الفرقان: آية ٣٠.

(٤) انظر رسالة: «صفات المنافقين» (ص١٦).

وعملاً، وعمل المعصية والأمر بها وموالاتهم لأعداء الدين، ومحاربتهم لأولياء الله الداعين إليه، والتربص بالمؤمنين...

٢- رمي المؤمنين بالسفه واللدد في الخصومة والعزة بالإثم...

٣- الرياء والتكاسل عن أداء العبادات، والإفساد بين المؤمنين والكذب والخوف وكره المسلمين.

٤- التحاكم إلى الطاغوت، وخداع الناس والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والغدر وعدم الوفاء بالعهد، والإضرار بالمؤمنين والسخرية منهم(١).

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(٢).

وهذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى تلائم إرتقاء الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين؛ تتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتختفي وراءها، وهي ترمي هذا الدين(٣)...

كانت تلك أهم إمارات أهل النفاق، فعلى المسلم أن يحذرها، وهي كانت إذا ما نزلت بمجتمع قضت على معالمه، وقوّضت أركانه،

---

(١) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (١/٦٣١) وما بعدها.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٧-١٠٨.

(٣) انظر: «في ظلال القرآن» (١١/٣٥-٣٦).

وعلى المسلم أيضاً ألا يثق بعهودهم ؛ لأنهم كاذبون لم يفوا بالتزاماتهم ، ومن يعتمد عليهم يهلك ، ويا ضيعة أمة ، ويا ويل شعب ، ويا خراب ديار ، ويا فناء مجتمع غلب عليه منافقوه؟! فهم معاول هدم تنخر في قلب الأمة تقوض أركانها ، وتبتليها بالشرور ، ويصدق فيهم قول القائل : يعيشون مع الذئب ، ويبكون مع الراعي ألا ساء ما يصنعون .

الملحـــدون

لقـد كرّم الله الإنسان ورفع من قيمته وأعده بملكات وقوى ربانية لا يعرف حقيقتها البشر .

ومع هذا فهناك طوائف من الناس قد تنكرت لأنعم الله ؛ ونكصت على أعقابها وحطت من إنسانيتها ، وارتدت كافرة ملحدة فكان مثواها إلى الدرك الأسفل من النار ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾[1] .

إن فكـرة الإلحاد تقوم على ترويج التعاليم الشيوعية والإباحية والآراء الفوضوية التي ينجم عنها التحلل من قواعد السلوك والفضائل .

وتقوم هذه الدعوى على الطعن في الأديان والذات الإلهية ، وكل ما جاءت به الرسل والأنبياء ، ودعا إليه المصلحون .

ويمكن تفسير معنى الإلحاد بأنه الإيمان بأن سبب الكون يتضمن الكون في ذاته ، وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم .

إن المشترعين لأنفسهم شريعة لم يأذن بها الله ، قد عبدوا غير الله ، وما اعترفوا بألوهيته الكاملة ، وألحدوا في أسمائه .

فهؤلاء مغفلين مضللين أو مقلدين متعصبين أو مجرمين شهوانيين أو مستكبرين مغرورين بالنزر اليسير الذي تعلموه من ظاهر الكون ، فظنوا أنفسهم عرفوا الكثير ، وجهلوا أنهم ما غمسوا بعد أكفهم في شاطىء

---

(١) سورة عبس : آية ١٧ .

بحر صغير من بحور علم الكون[1].

كتب (أندروكونواي إيفي) -من العلماء الطبيعيين ذوي الشهرة العالمية من سنة ١٩٢٥م إلى سنة ١٩٤٦م- تحت عنوان: وجود الله حقيقة مطلقة: (يظهر أن الملحدين -أو المنكرين- بما لديهم من الشك لديهم بقعة عمياء أو بقعة مخدرة داخل عقولهم، تمنعهم من تصور أن كل هذه العوالم -سواء ما كان منها ميتاً أو حياً- تصير لا معنى لها بدون الاعتقاد بوجود الله)، وكما يقول اينشتين: «إن الشخص الذي يعتبر حياته وحياة غيره من المخلوقات عديمة المعنى ليس تعيساً فحسب، ولكنه غير مؤهل للحياة».

الملحد يطرح العقل ويستسلم للأهواء:

إن العقل يدعو إلى الاعتبار، والحكمة تحث على الاستبصار، والقرآن ينادي: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[2]، والملحدون خالفوا هذا وغلبت عواطفهم على عقولهم؛ فدرجوا على العمل بالأهواء، وما توحيه إليهم شياطين المصالح الموهومة، وما تشغله في نفوسهم نيران الشهوات المشؤومة.

فهم إذا أنكروا الألوهية فليس عن نظر وتفكير، وإذا نفوا الشرائع وحاربوها، فليس عن تقديم المصلحة وحب الخير، وإذا اختاروا الزندقة فليس ذلك لأنها بُنيت على العقل الصحيح، والفكر الرجيح، لا؛ وإنما ذلك تخرص وتكهن، ابتدىء بخاطر شيطاني، فوجد إرادة

---

(١) «العقيدة الإسلامية وأسسها» (بتصرف).

(٢) سورة الحشر: آية ٢.

مستسلمة تتأثر بسرعة لخلوها من عقيدة إيمانية راسخة ، فذهبت في تحقيق هذا الخاطر بكل ما أوتيت من قوة ، غير آبهة لخطره ، ولا ناظرة إلى ما فيه من أضرار جسام تعود على الروح والقلب في الدنيا ، يتبعها النكال والوبال في الآخرة[1].

يقول الملحدون تبعاً لعواطفهم وشياطينهم : (لا إله للعالم) !!.

والله يقول : ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[2].

يقول الملحدون : إن الديانات أحاديث خرافة ، جاءت للجاهلين وساغت دعوتها على الأغرار المغفلين ، تخوفهم بإله لم تقم الأدلة بعد على وجوده ، ونرد عليهم : فما دعاويكم -وإن طليتموها وموّهتموها- إلا ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[3].

قال أحد الحكماء : (أشهد أن السمٰوات والأرض آيات دالات ، وشواهد قائمات ، كل يؤدي عن الله الحجة ، ويشهد له بالربوبية)، وقال قيس بن ساعدة : «إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لعبراً ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رتاج ، وبحار ذات أمواج»[4].

ونحن نبين عظمة هذا الدين ، نتوجه إلى أولئك الحاقدين

---

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٦٥١) .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٤٨-١٤٩ .

(٣) سورة النور : آية ٣٩ .

(٤) «سهام الدين المارقة» (ص٢٤-٢٥) .

وأضرابهم فنقول لهم: راجعوا أسفار التاريخ، وصحائف السير الموثوقة، فهي كفيلة بكشف الحقائق وتجلية المراحل التي مرّ بها الإسلام، الذي غزا جلّ هذه المعمورة، من الصين والهند شرقاً، إلى قبل أوروبا وسواحل أمريكا وأدغال القارة السوداء في زمن يسير...

لقد زحفت مبادىء الإسلام، وغزت مجاهل أفريقيا مجردة من السلاح مسلّحة بالإيمان، والعقيدة الصحيحة، كما اقتحمت هذه المبادىء أيضاً معاقل الفكر الأوروبي والأمريكي، وهناك قام دعاة أوروبيون وأمريكيون فدرسوا هذا الدين وفهموه واعتنقوه ديناً لهم، وأخذوا أنفسهم بالدعوة إليه، فالمستقبل ولا ريب لهذا الدين، الذي اتخذ من العلم شعاراً؛ فأوجب في كلمة التوحيد -وهي من الدين أساسه- أن تبنى على العلم؛[1] فقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2].

وخلاصة القول: أن دعوى الباطل مهزومة مهما راوغ مفتعلوها، وتجاهل الحق معتنقوها، فتلك حتمية الباطل ونهايته. أما دعوة الإسلام وأنصارها، فلهم البقاء والخلود؛ لأن الإسلام مؤيد من قبل الله، ومتكامل ثابت؛ وهو دين سماوي عالمي، والعلم يخدمه، ويكشف من حقائق الكون ما يكون مادة بيان وبرهان، لذا ينبغي -بل ومن الضروري- أن نخط طريق المستقبل بالعمل الجاد، والتفكير المخلص، وبذلك ننتقل من طور إلى طور لنبني شخصيتنا الإسلامية

---

(١) انظر كتابنا: «الكشاف الفريد» (١/ ٦٥٤).

(٢) سورة محمد: آية ١٩.

المستقلة الواعية. لنكون كما أرادنا الله أن نكون خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

تعطيل مهمة العلماء:

لا يخفى على أحد أن العلماء في هذه الأيام قد تخلوا عن مهماتهم، والواجبات الخطيرة التي يفترض ألا تسند إلى غيرهم مما أفقدهم ثقة الأمة، بعد أن أصبح هؤلاء العلماء يسخرون القرآن لمصلحة الحكومات، بدل أن يجعلوه وسيلة لانقاذ الشعوب والنهوض بها.

وكلما حزب الأمر إحدى الحكومات لجأت إلى علماء الإسلام، فأسرعوا يردون المسلمين إلى طاعة الحكومات التي تبيح الخمر والزنا والكفر والفسوق والمجون، وتستبدل بحكم الإسلام أهواء الناس، ونزوات الحكام والأحزاب.

وطال هذا الأمر بالمسلمين حتى ظن جمهرة المسلمين أن ما نحن فيه من فسوق وعصيان هو الإسلام الصحيح، ففشا الفجور والفسق والبدع والشرك وعمّ الفساد وعزّ الإصلاح، وكل ذلك بفضل تضليل علماء السوء المتسبين إلى الإسلام وتهاونهم في إقامة أحكامهم.

والذي لا ريب فيه أن مكانة علماء الدين جزءٌ من مكانة الإسلام نفسه، والتقدير الذي ينالونه جزء من تقدير الإسلام نفسه، ولن يكون للإسلام المكانة والتقدير اللذان يليقان به، إلا إذا كان لعلمائه مكانة

---

(١) سورة آل عمران: آية ١١٠.

وتقدير في نظر المسلمين ، وإجلال واحترام في نظر الحكومات ، وكما هو معلوم بالضرورة أننا لا نؤمن برجال الدين ؛ لأننا نعتبر كل مسلم رجل دين وكل متفقه عالماً دينياً[١] .

فلا يقر الإسلام علماء دينيين رسميين ، ولا رجال دين رسميين ، بل يجيز لكل مسلم مثقف - مهما كان شأنه - أن يتحدث باسم الإسلام ما دام يملك القدرة على التحدث عنه .

إن لون الحكم في معظم دول المسلمين يكاد يكون مغايراً لشريعتهم حيث تسود القوانين الوضعية بدلاً من القوانين الشرعية ، وإن شعوب هذه الدول تكاد تكون مستعبدة استعباد السادة للرقيق ، وتفرض هذه الأحكام الكبت والسكينة والإنزواء ، فهل رأينا ثورة لعلماء الدين ضد أي لون من ألوان الحكم الجائر في دولة مسلمة . . .

علماء الدين في بلاد المسلمين لهم القدرة على أن يجعلوا مطية لرقبات الحكومات ، وأن يجعلوا هذا الدين الضائع ملبياً لكل اتجاهات هذه الحكومات ، سواءٌ كانت خيراً أم شراً .

وخطباء المساجد مستعدون لأن يذيعوا على الناس ما يطلبه أسيادهم ولكنهم غير مستعدين ؛ لأن يشيعوا المعاني الإسلامية من تلقاء أنفسهم وبوحي من عقيدتهم وأفكارهم ، وخاصة ما يتعلق بالتوحيد والجهاد والحكم الصالح[٢] .

لقد استعان الاستعمار والاحتلال في شرقنا الإسلامي

---

(١) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٦٧٥) وما بعدها .

(٢) انظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (١/ ٦٧٧) .

بعض المحسوبين على الإسلام . وصدرت فتاوى كثيرة من العلماء بأن الجهاد الأكبر - هو جهاد النفس لا جهاد الاحتلال الذي يمتص دماء المسلمين - ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

(١) سورة المائدة : آية ٣٣ .

الهجوم على علوم القرآن وبلاغته

كان الاستعمار الغربي يواجه الإسلام بقواه المختلفة وأساليبه الكثيرة لمسخه وإبعاد أهله عنه، وإقصائه هو نفسه عن الحكم في كل أقطار الإسلام، وتشويه سمعته، واختلاق الأكاذيب عليه، وإخفاء محاسنه ومزاياه، وإلصاق التهم به وترديدها، ومن أشنعها: أنه دين غير صالح لأهل هذا العصر، وأنه دين يدعو إلى ما لا يتفق مع الحضارة والمدنية . . .

وليس الاستعمار الغربي -بما فيه الاستعمار الأمريكي- وحده الذي يقوم بحصار الإسلام وضربه، وضرب المسلمين أنّى كانوا، بل انضمت إليه قوى جديدة هي الصهيونية والشيوعية -قاتلهما الله- ووحدت هذه القوى صفوفها لضرب الإسلام في جميع مقاتله، وطرده من كل أقطاره.

فقد تناولت هذه القوى القرآن الكريم بالنقد والتجريح والتخطئة، واتخذوا أساليب كثيرة لضربه في الصميم بواسطة ما زعموه أنه (البحث العلمي)، و (حرية الفكر)، ومقتضات الحضارة والمدنية في البحث والدراسة. فقد وجدوا ممن يحملون أسماء إسلامية عربية أتباعاً لهم مخلصين فسخّروهم للتأليف في هذا الباب مثل كتاب: «القصص الفني في القرآن الكريم» لمحمد أحمد خلف الله، المقدم منه لنيل إجازة

الدكتوراة بإشراف الشيخ (أمين الخولي) المصري[1].

ولم تقبل الجامعة رسالة (خلف الله) المنحرف، وردتها في وجهه؛ لأن ما فيها من تكذيب للقرآن ليس مما تتقبله جامعة أقامها بلد مسلم.

وقد حشد أعداء الإسلام صحفاً وكُتاباً يدافعون عن هذا الكتاب، ويحتجون على الجامعة باسم حرية البحث وحرية الجامعة وحرية العلم، وكان أول المحتجين (أمين الخولي) بصفته مشرفاً على الرسالة، وكان أيضاً من قواد هذه المعركة الأستاذ (توفيق الحكيم) الذي انخدع بمن رجوه أن يدافع عن حرية البحث وحرية الفكر وحرية الجامعة، وحرم الجامعة، فأخذ يدافع ويندّد بالجامعة المصرية التي (تصادر) الحرية.

لقد ثار الشيخ (أمين الخولي) على علوم البلاغة فتجنّى عليها علماً وأنكر من قعّدوا قواعد علومها، وهاجمهم بعنف، وانتهى به الهجوم والهدم إلى العبث المشين بكتاب الله، وببلاغته العالية.

ومن أمثلة ما جاء بمذكرات الخولي تحت عنوان «مذكرات في علم المعاني»[2] أملاه الخولي على طلبته في كلية الآداب بالجامعة المصرية، فقد تناول (الخولي) هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[3]، وأراد أن يتحدث عما فهمه من بيانها فقال ما نصه: «يريد الله أن يقول: هو

(١) انظر: «الزحف على لغة القرآن» (ص٧) وما بعدها.

(٢) انظر: «الزحف على لغة القرآن» (ص١٠) وما بعدها.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٤٤.

محمد ده يطلع إيه؟ محمد هذا، والرسل من قبله مجرد (سعاة بوسطة) هو مرسال زي المراسيل اللي قبله بيجي ويروح ويموت وينقتل. القصد هنا واضح في أن المقصود به التوهين من أثر الرسول في الدين، وكذلك جاءت تسميته برسول الله، ولو قال: نذير هاد سراج، لقطع الطريق على هذا الغرض، وكأن أبو بكر يريد أن يقول: يا سي عمر، الدنيا بخير، والأمانة لا تزال في أعناق الموجودين ومحمد يموت زيه زي غيره».

وفي شرح الخولي البياني لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٢٢ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[1]. يقول:

«إنت مش حتسمّع اللي في القبور، والحقيقة إنه مش قدام أموات، وإنما قدام ناس ألواح وبهايم، والقرآن بيقول له: إنك حريص قوي على هدايتهم، الأحسن إنك ما تتحركش كثير على هذه الهداية، قال له ذلك لأنه شاف أنه لفرط عنايته بأنه يهدي هؤلاء القوم أن يخرج عن حده فينسى أن مهمته هي مجرد التبليغ، فقال له الله: يا أخي أنت حارق نفسك ليه؟ أنت مانتش حاجة أبداً إلا نذير، تنذر من يُنذر وتخوف من يخاف، وتعلم من يتعلم، وتنبه من يتنبه، ودول أموات فالأحسن لك تريح نفسك»[2].

هذا مثال مما يقول الشيخ (أمين الخولي) في تدريسه (البلاغة)، وما نقلناه يجب أن يُقرأ أكثره بالعامية المصرية، وبلهجة الشيخ (الخولي)

---

(١) سورة فاطر: آية ٢٢-٢٣.

(٢) انظر: «الزحف على القرآن» (ص١١).

نفسه حتى نتذوق البيان الرفيع . . .

قبّح الله الشيخ ، فقد أراد أن يجدّد فجدف ، وأراد أن يتفلسف فخرّف ، أهذه بلاغة القرآن ؟!.

هكذا أراد خصوم الإسلام بالقرآن ، فشوهوا جماله العظيم بمثل تخريف الشيخ الخولي ، وسموه له تجديداً ، وثورة في علوم البلاغة العربية ، وانتهت بهم قوتهم وسيطرتهم ، إلى أن انتدبوه ليدرس الناشئة الإسلامية في الجامعة ليفسدوا الذوق السليم بتدريس هذا الهراء . . .

والمراقبون آنذاك أفادوا أن (الخولي) طامع في مجد أدبي كمجد العقاد ، وطه حسين ، وهيكل ، والمازني ، ولكنه محروم من مواهبهم ، فاتخذ هذا السبيل ليشتهر ، فقد كشفه الأستاذ سيد قطب منذ زمن ، فقال عنه : «إن أمين الخولي يعاني من أزمة نفسية ، وإنه ينظر فيرى نفسه لا يقل إن لم يكن خيراً من أساتذة جامعيين كبار في هذا البلد ، ثم لا يرى لنفسه مثل مكانهم في العالم الخارجي خارج الجامعة ، وأقرب الأمثلة أمامه الدكتور طه حسين ، وما يتمتع به من مكانة ملحوظة ، والأستاذ أحمد أمين ، وما له - كذلك - من شهرة ، وهذا الوضع يسبب له قلقاً نفسياً يتجلّى في مظاهر كثيرة كلها تدور حول لفت النظر بكل وسيلة . . .»[1].

لقد زحفت مذاهب الهدم والتخريب إلى أرضنا ، وصارت لها أوكار ففي صحفنا منابر تهتف بأسماء رؤوس الكفر والباطل والضلال ، الذين هم شر ما عرف الإسلام في كل تاريخه من أعداء ، وفي صحفنا قلاع

(١) جريدة السواري - العدد ٦٦ الصادر يوم الاثنين ١٦ صفر ١٣٦٧هـ .

تقذف لغة القرآن والأدب العربي شرّ قذف وتنشر ما فيه من إفساد الخلق وزعزعة العقيدة .

والحرية التي تتمتع بها بلادنا في التجارة والاقتصاد والصحافة والنشر ، وفي السفر والانتقال ، وفي الخروج بالنقد ودخوله أوجدت الفرصة لدخول تلك المذاهب ، فهاجموا رسول الله خاتم النبيين محمداً ﷺ ، وشغلت الصحف نفسها في كل عدد من أعدادها اليومية بأخبار الفن والطرب ، ومجّدوا آلهة عبدها وثنيون ، وبلغ التمجيد حد العبادة ؛ لأنهم دعوها من دون الله عز وجل ، والدعاء عبادة « أو مخ العبادة كما قال علماء السلف -رضوان الله عليهم-، وغير هذا كثير مما لا أحصيه .

يقول صاحب كتاب «الزحف على لغة القرآن» أحمد عبدالغفور عطار : (ولقد أفزعني ما رأيت وما سمعت ، وما -والله- كتبت كتابي هذا إلا بعد أن نفذ الصبر ، واستكبر الدعاة والصحف على نصح الناصحين » وأخافني اليوم أن أجد دعوات الهدم تتسلل إلى وطني المقدس ثم ترسخ ويقوم لها كيان ، وتقوى منها الجذور ، وتكثر لها الفروع والأغصان ، لتحمل أزهار الشر والإثم ، وينهض الدعاة آمنين مطمئنين يحملون رايات الدعوة ، ويستخدمون صحفنا لترويجها ، ومحاربة لغة القرآن والأدب العربي ، والتمكين لمبادئهم دون خوف ، ومهاجمة خصومهم من أنصار الفصحى ، وحزب الله لا يخشون أحداً ، كأن الوطن لهم وحدهم يمزقونه ويهدمون مثله ، ويقوّضون ماضيه ،

ليبنوا حاضراً جديداً أساسه الوثنية والكفر والإلحاد والتحلل من الأخلاق)[1].

قام هؤلاء الدعاة من أبناء وطني العاقين يدعون لما دعا إليه أعداء الإسلام والعروبة مثل (سبيت، وفولرس) الألمانيين و (ودفرين، وولكوك، وولمر) الإنكليز، و (لندبرج) الاسوجي، و (سلامة موسى) القبطي الفرعوني الماركسي، و (لويس عوض) الصليبي الشيوعي وغيرهم.

بل تجاوز بعض الدعاة المنحرفين المغرضين أولئك الأعداء المجاهرين بخصوص القرآن، واللغة العربية، والأدب العربي، وساندتهم الصحف المأجورة كل المساندة فخاصمت خصومهم، وتجهّمت لمبغضيهم.

ولعلي بكتابي (الزحف على لغة القرآن) أكون مؤدياً بعض ما لله، ولرسوله ثم لوطني وأمتي، وللإنسانية الخيّرة من حق عليّ.

ولقد هددني بعض الدعاة وأرعدوا وأبرقوا، وتوعّدوا إذا ظهر الكتاب، وغفلوا أنني لست من أولئك الذين يخافون ويجبنون ويعلمون شجاعتي وقوتي وصرامتي، فما باليت قوى الهدم، وأنا أعيش في بلادها، هاجمتها في المقدمة التي كتبتها لكتاب (الشيوعية والإنسانية) تاليف كاتب العربية الأكبر، ومفخرة الإسلام (عباس محمود العقاد)، وهاجمتها في كتابي (الشيوعية والإسلام)، وفي رسالتي (حرب الأكاذيب).

---

(١) انظر: «الزحف على لغة القرآن» (ص٢٢ و٢٣).

أتراني أباليهم بعد أن وجدت الله معي يدفع عني كيد الكائدين ، وقذائف الكفرة والمرتدين؟ كلا ، فنحن على عهد الله باقون ، ولحزب الله منتسبون ، وفي طريق الجهاد سائرون ، وفي ميدان الحرب ثابتون[١] .

هذا ما قاله أحد علماء العربية ، وهو الداعية المصلح المجاهد الشيخ أحمد عبدالغفور ، جمعنا الله وإياه في مستقر رحمته ، ويعتبر كتابه القيم (الزحف على لغة القرآن) من الكتب النفيسة التي أرى أن يكتب بماء الذهب ، نظراً لما احتوى من المآثر القيمة ، والعبر السديدة ، حيث ألقم أعداء العربية حجارة ألجمتهم ، ونسفت مقالاتهم الفجّة ، والله أكبر ، ولله الحمد .

---

(١) انظر : «الزحف على لغة القرآن» (ص٢٦ و٢٧) .

استعمال اللهجات والألفاظ الأجنبية

الحمد لله الذي أنعم على أمتنا نعماً كثيرة لا تحصى فأنزل على رسولنا القرآن ، الآية الكبرى في البيان ، أنزله بلغة الضاد القادرة على الاستيعاب الجامع للقرآن الكريم . . .

إن أي لغة هي وعاء التفكير ، ووعاء المشاعر ، والعناية باللغة عناية بعقل الإنسان ووجدانه ، ولنا أن نقول : إن الأفكار العظيمة لا توصّلها إلا لغة عظيمة .

إننا مقبلون على فترة خطيرة ، تستمد خطورتها من ترك اللغة ومحاسن ألفاظها وإيداعها في (المتاحف) . فالأجيال الحاضرة بدا لها أن تستغني باللفظة السهلة ، ولا تجد فيها (ركاكة) ، وبدا لها أن تؤلّف لغة عالمية من الرموز الرياضية . . .

وبدا لها -أيضاً- أن تكتفي بالكلمات (العامية المحلية) ، وبالرموز وبالإشارة وبالكلمات المشوهة المجروحة ، ولقد صاح صائح إن عصر السينما والتلفزيون والصحافة يجب أن يتفاهم أبناؤه بلسان (الصور والألوان) ، وأن (فيلماً من الأفلام) أفضل من تجشّم قراءة قصة تاريخ .

إنهم يريدون أن تنقرض (الأساليب) اللغوية ، فلم يعد يتسع لها الوقت في هذا العصر (الألكتروني) السريع .

وصاح آخر : لقد انتهى عصر القصائد ، والنظم البديع ، إننا في عصر نتفاهم بـ (س ، ص)[1] .

وينادي آخرون بالشعر الجديد والحر ، وبالتعبير (الرمزي) أي المقنع الذي لا يعرف حقيقته إلا صاحبه ، وفي كل يوم بدعة لها أنصار يتعاونون جميعاً على تشجيع (اللهجات المحلية) حتى في الأدب[2] .

إنهم - وللأسف الشديد - يقطعون الصلة بين فحولة اللغة ، وجزالة الألفاظ ، وامتلائها بالمعاني ، وبين العصر الذي نعيش فيه .

إنهم يريدون شراً بلغتنا ، تلك التي اتسعت فحملت كل ما يتشرف به كل إنسان ناطق ، وكل أمة ناطقة بتلك اللغة إلى يوم الدين : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[3] .

ونحن ندرك أن إبعاد اللغة العربية عن العلوم العصرية ما هو إلا جزء أساسي من مخطط خبيث مرسوم في معاهد الغرب ، للقضاء بطريقة غير مباشرة على اللغة الأم لغة القرآن العظيم ، وعلى آداب تلك اللغة الحية المباركة التي ستبقى شوكة في حلوق الغربيين والملاحدة - أذلهم الله - ، والحكم بحبسها حتى تصبح غريبة على أبنائها فيسهل عليهم أن يهجروها بدون استعمال ، مستبدلين بها لغة الحضارة الغربية ، وولاء الحضارة الغربية ، والتأثر بتلك الحضارة سبْقُها في هذا العصر ، ولن

(١) انظر كتابنا : «أعلام التربية والمربين» (ص٤٨٢) وما بعدها .

(٢) انظر : «مجلة الوعي الإسلامي» (ص١٠٢) العدد ١٠٥ - سنة ١٣٩٣هـ - الكويت .

(٣) سورة الزخرف : آية ٤٤ .

يفلحوا أبداً، وسترد اسلحتهم إلى نحورهم بعون الله .

أخي القارىء -حفظك الله- وكما لا يخفى عليك فقد هاجمتنا آلاف المصطلحات في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع، وما زالت العلوم الكيماوية والطبية والهندسية وغيرها كلها تدرس اللغة الانجليزية، إننا نطالب بطرح قضية (التعريب) في مراحل التعليم كأهم قضية إسلامية تواجهنا اليوم، إننا نطالب بتطهير اللغة العربية من (العجمية والدخيلة)، وإيجاد البديل العربي .

إن لغتنا العربية لا تنقصها المرونة والاتساع والقدرة على الاشتقاق والتوليد والنحت والتركيب، إن الإطار العربي قادر على إعطاء الشكل المطلوب في كل الفنون .

إننا نطالب بتطهير الكتب الحديثة والمجلات، ووسائل الإعلام (الصحافة والمحاضرات والإذاعة والتلفاز)، وغيرها من اللهجات المحلية، والمصطلحات الأعجمية، ونطالب بالأداء العربي في كل دوواوين الدول، وخصوصاً مجال الثقافة والتربية والإعلام[1].

كما ونطالب بالمبادرة إلى التعريب في إطار عربي لفظاً ومعنىً على مستوى الأمة، ونطالب بالاحترام لآداب العربية، فلقد تسرّبت إلينا آداب وفنون (أجنبية) لفظاً ومعنىً، فانظر إلى (الأغاني والموسيقى والمسرحيات والأشعار والروايات) كل هذا (الركام) أفسد الحاسة العربية السليمة، وأثّر في قدرتها على تذوق المحاسن العربية . . .

إن اللغة العربية قادرة على المرونة والاستيعاب، وإعطاء الشكل

---

(١) انظر : «أجنحة المكر الثلاثة» (ص٢٩٣ و٣٢٥) بتصرف .

المطلوب لكل الفنون كما ثبتت صلاحيتها لغة لتدريس العلوم كافة .

يقول المستشرق (غوستاف لوبون) : «ظلت ترجمات كتب العرب -ولا سيما الكتب العلمية- المصدر الوحيد تقريبا للتدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون ، ويمكننا أن نقول : إن تأثير العرب في بعض العلوم في أواخر القرن الماضي»[1] .

أما الدكتورة (زيغرد هونكة) فإنها تقول : (قبل ستة قرون امتلكت كلية الطب في باريس أصغر مكتبة في العالم ، وكانت محتوياتها مجرد كتاب واحد لمؤلف عربي هو (أبو بكر الرازي) هذه بعض النتائج السلبية المؤسفة التي آلت إليها اللغة العربية بإهمال استعمالاتها في سائر الفنون العربية ، مع العلم بأثرها في رقي الأمم) .

دعاة العامية يحاربون الفصحى :

إن غزو الصليبين والصهيونيين والشيوعيين الإسلام جاء مدخلاً للوصول إلى محاصرة القرآن الكريم ، والقضاء عليه ، ومن ثم مواجهة اللغة العربية وجهاً لوجه ؛ لأنها لغة القرآن ، فقد حاصروا هذه اللغة الكريمة على حدة ليجهزوا عليها بعد إثخانها جراحاً .

فقد زعموا أن العربية لغة غير صالحة ، وإن قواعدها معقدة وإعرابها صعب ، وإنها تراث بدو لم يكن لهم نصيب من العلم والثقافة والحضارة ، وإنها لغة الدين التي جمدت به إلى عشرات التهم والأباطيل فصدق منا ضعفاء في الدين واللغة زعماتهم .

---

(١) انظر : «مجلة الوعي الإسلامي» (ص٤٢-٤٣) العدد ٨٦ - سنة ١٣٩٢هـ - الكويت .

لقد بدأت دعوة العامة منذ أكثر من قرن ، وأخذ اللاحقون يتسلمونها من السابقين حتى انتهت إلى لويس عوض وذيوله .

وأرادوا أن يضربوا القرآن في الصميم بضرب الفصحى في المقتل فقاموا بهذه الدعوة التي أحكم تدبيرها المستعمرون لتسير مع حروبهم التبشيرية ضد الإسلام ، وبخاصة القرآن[1] .

ومن القادة المجلّين في هذا المضمار المستشرق الألماني (ولهلم سبيتا) فقد عاش (سبيتا) في مصر وسكن في أحيائها ، وعاشر المصريين عامة وخاصة ، وحضر حفلاتهم وسمع خطب الجمعة والعيدين ، فإذا الخطب باللغة العربية الفصحى والشعب العربي المصري الأمي يفهم خطب الجمعة والعيدين ، وفهم الكثير من أحاديث الرسول ﷺ وآيات القرآن الكريم .

فأدرك (سبيتا) أن الإسلام بخير ؛ لأن لغة القرآن بخير يفهمها الأمي العامي ، فكان لا بد من قذيفة تنقض الفصحى . . .

وأرسل قذيفة في كتاب ألفه وسمّاه : «قواعد اللغة العامية في مصر» أعلن فيها الحرب في أسلوب الغيور على الشعب الحريص على إنقاذه من الجهل .

يقول (سبيتا) في المقدمة : «. . . إذ كيف يمكن في فترة التعليم الابتدائي القصير أن يحصل المرء حتى على نصف معرفته بلغة صعبة جداً كاللغة العربية الفصحى» .

---

(١) انظر : «الزحف على لغة القرآن» (ص٤٧) وما بعدها .

ويقول : «وطريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا ، ومع ذلك يكون الأمر سهلاً لو أتيح للطالب أن يكتب بلغة إن لم تكن هي لغة الحديث الشائعة فهي على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة»[١] .

وممن دعا إلى العامية المستشرق الألماني (كارل فولرس) كان أخذ أساتذة جامعة (يانا) بألمانيا ، ثم جاء إلى مصر وصار أمين المكتبة الخديوية بالقاهرة ، وألّف رسائل في اللغة العامية المصرية ، وأشهرها كتابه : «اللهجة العامية الحديثة في مصر» .

وكان الانجليزي (وليم ولكوكس) من الدعاة إلى نبذ الفصحى واستعمال العامية .

يقول (ولكوكس) : «. . . فقد عشت في مصر أربعين سنة فلم أجد فيها مصرياً واحداً يفكّر فيها تفكيراً حراً ، فإن قوة المصريين الذهنية يستنفذها على الدوام جهدهم في أن يترجموا ما يقرأونه باللغة الفصحى إلى اللغة المصرية المألوفة ، ثم هم عند الكتابة يترجمون ما فهموه بهذه اللغة إلى اللغة الفصحى ، وهذا العمل ضرب من التسخر الذهني»[٢] .

وهؤلاء الذين قاموا بالدعوة إلى العامية غرباء عن الفصحى ، وأعداء لها وللقرآن والإسلام ، ومحمد عليه الصلاة والسلام ولغتهم ، وكل الدعاة إلى العامية لا يفترقون عن أولئك الأوربيين الذين قاموا بالدعوة له لعل الدعاة من العرب أشد إثماً وأشد كفراً .

---

(١) انظر : «الزحف على لغة القرآن» (ص٥١) .
(٢) انظر : «الزحف على لغة القرآن» (ص٥٤) .

ومن العرب الذين دعوا إلى العامية وحاربوا الفصحى (سلامة موسى) الذي حمل الراية منذ عرف الكتابة، حتى قبيل وفاته بآرائه وعقيدته التي تتفجر غيظاً وحنقاً على الإسلام والقرآن.

يقول (سلامة موسى) في كتابه (البلاغة العصرية، واللغة العربية): «هذا المجتمع العربي أيضاً كان مجتمعاً دينياً، فكان الخليفة في بغداد بمثابة البابا في روما، ومن غير المعقول أن نطالب أي دين إلهي في العالم بالتغيير. فاستقرار الدين أدى إلى استقرار اللغة أي جمودها».

ويقول كذلك: «إن هذه اللغة لا ترضي رجلاً مثقفاً في العصر الحاضر إذ هي لا تخدم الأمة ولا ترقيها»[1].

ومن الذين حاربوا الفصحى -أيضاً- (لويس عوض) الذي عمل لهدم الإسلام من جميع نواحيه بهدم لغته الفصحى وترجمته القرآن إلى اللغة المصرية العامية فيقول بهذا الشأن: «إن استخدام اللغة المصرية كأداة للكتابة قد ينتهي بعد قرن أو قرنين بترجمة القرآن إلى اللغة المصرية كما حدث للإنجيل».

ومن الجدير ذكره، أن هؤلاء انهزموا جميعاً مع وجود أشد القوى في العالم جبروتاً وشراً وبطشاً، ومن يزعمون أنهم مصريون (كسلامة موسى) يفخرون بغربيتهم، ولو عقلوا لوجدوا أن في هذا الفخر ميسم عار لهم وخزي، ولكن فساد أنفسهم وأذواقهم أعمى بصيرتهم فأضلوا السبيل . . .

---

(١) «البلاغة العصرية واللغة العربية» (ص١٣٠-١٣٧).

نـــداء وتحـذيــر :

نظراً لخطورة كتابة لغات المسلمين بالحروف اللاتينية وعدم تعلم اللغة العربية وهجرها ، وحرصاً على مصائر الأجيال المسلمة وربطها بلغة القرآن ، فإني أضع بين يدي القارىء الكريم هذا النداء ، وهو في نظري العلاج الشافي والدواء الناجع ، لما يتعرض له أبناء المسلمين من الجيل الناشيء من إفساد وتضليل من قِبل الأعداء ، وخصوصاً (المستشرقين والمبشرين) وغيرهم ، إذ أن معرفة اللغة العربية والفهم لها في لغاتهم القومية يحصّن عقائدهم ، ويديم صلتهم بالتراث الإسلامي الـذي كُتب بالعربية منذ البعثة النبوية الشريفة في جميع الأقطار الإسلامية . لهذا وغيره فقد رأيت أن الواجب يدعوني لإطلاع أجيالنا المسلمة على هذا النداء الهام النافع ليبقى أثراً في التاريخ وها هي ذي نصوصه كما صدرت عن «مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف»(١) .

١- بسم الله الذي جمع كلمة المسلمين على ما فيه خيرهم ، وخير الإنسانية ، وجعلهم في مشارق الأرض ومغاربها أخوة متساوين ، لا فرق بينهم على أساس من الجنس أو الوطن أو اللون ، يتقدم مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بهذا النداء إلى جميع المسلمين الذين يتكلمون بلغات وطنية غير العربية ، ليضع أمامهم رأي الإسلام في تعلم لغة الإسلام التي هي أساس عبادتهم ، ووسيلة تفاهمهم في دينهم ،

(١) انظر : «مجلة الوعي الإسلامي» (ص٨٦-٨٨) العدد (١٠٥) - سنة ١٣٩٣هـ - الكويت .

ووعاء ثقافتهم الروحية، ورمز وحدتهم، إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولغة السُّنة الشريفة، ولغة جميع العلوم الدينية التي أسست القواعد، ونسقت الفروع في جميع العبادات والمعاملات وسائر شؤون المسلمين، ولقد صرّح الإمام (الشافعي) رضي الله عنه في رسالته في (أصول الفقه) في وجوب تعلم اللغة العربية على جميع المسلمين - كل بالقدر الذي يستطيعه وبالقدر الذي يستقيم به دينه للعبادة - فأشار إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(١)، وإلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾(٢)، وإلى قوله عز شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣).

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، ويتلو كتاب الله تعالى، وينطق بالذكر فيما افترضه عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك، وإن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر يذكر المسلمين جميعاً بأن قيام الدين الإسلامي متوقف على العلم بلغة كتابه المنزل، وسنة نبيه المرسل، سواء في ذلك هدايته الروحية ورابطته الاجتماعية.

وإن المسلمين لم يكونوا في عصر من العصور أحوج إلى وحدة

---

(١) سورة الشعراء: آية ١٩٢-١٩٥.

(٢) سورة الرعد: آية ٣٧.

(٣) سورة الزخرف: آية ٣.

الكلمة ووضوح الهدف منهم في هذا العصر الذي قد استيقظوا فيه ، من سبات التخلف الذي كان قد فرضه عليهم الاستعمار ، وإن من أهم الوسائل لدعم هذا الاستقلال وصيانة الحرية التي كافحوا في سبيل الحصول عليها ، أن تقوى صلاتهم بعضهم ببعض أفراداً وجماعات ، عن طريق لغة دينهم بدلاً من تفاهمهم وتراسلهم وتعلمهم بلغات المستعمرين الذين طمسوا بها شخصيتهم الإسلامية .

فأيها أكرم لشعوب إخوتنا المسلمين : أن يكون تفاهمها بعضها مع بعض بالانجليزية والفرنسية لغة من كانوا قد فرضوا عليهم سياسة المستعمر ، ومذلة التبعية ، أم لغة دينهم التي تربطهم بمئات الملايين من أبناء عقيدتهم وثقافتهم وحضارتهم ومصيرهم ؟! .

٢- وهذا أمر آخر يناشد فيه (مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر) إخوته من المسلمين من الناطقين بلغاتهم الوطنية غير العربية ، هو أن هذه اللغات التي نتمنى لها القوة والازدهار بين أهلها قد اتخذ معظمها منذ دخول أهلها في الإسلام والحروف العربية لكتابتها ، وكان لذلك سببان قويان :

أولهما : أن هذه اللغات قد اشتملت على كثير من الألفاظ والتعبيرات العربية المتصلة بالدراسات الإسلامية والمجالات الحضارية .

ثانيهما : أن الحروف العربية أثبتت صلاحيتها لتصوير الأصوات اللغوية المطلوبة في هذه اللغات .

والذي يدعو مجمع البحوث الإسلامية لتوجيه هذا النداء الآن هو هذه البدعة الاستعمارية الخبيثة التي يدعو إليها أعداء الإسلام

والمسلمين ؛ وهي اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة بعض اللغات التي يتحدث بها المسلمون في افريقيا وآسيا .

وهذه البدعة قديمة قدم عداوة الاستعمار للإسلام والمسلمين ، فقد حاولوا الترويج لها حتى لإحلالها محل الحروف العربية في اللغة العربية نفسها ، ولكنهم أخفقوا في ذلك إخفاقاً كاملاً ، ومن جهة ثانية فإن الحروف اللاتينية قاصرة عن تصوير الأصوات اللغوية لغير اللغة التي نشات لها ، وهذا ثابت علمياً ، وإلى جانب هذه الاعتبارات الفنية من قصور الحروف اللاتينية عن التعبير الدقيق عن أصوات لغات أخرى ، ومن وفاء الحروف العربية بذلك يوجه مجمع البحوث الإسلامية أنظار إخوته المسلمين إلى أن الحروف العربية تربطهم باللغة العربية التي تحتمل لغاتهم على كثير من كلماتها وتعبيراتها . كما أنها تديم ارتباطهم بالخط العربي الذي يُكتب به القرآن الكريم ، وبذلك يكونون أقدر على صحة النطق به وفهمه ، ذلك إلى معرفتهم بالحروف العربية والفهم لها في لغاتهم القومية يديم صلتهم بالتراث الإسلامي ، الذي كُتب بالعربية على مدى أربعة عشر قرناً في جميع الأقطار الإسلامية من شرق آسيا إلى غرب إفريقيا .

كذلك يوجه (المجمع) الأنظار إلى أن كرامة الشعوب الإسلامية التي تحررت من قيد الاستعمار ، ومذلة التبعية للامبريالية الغربية ، تأبى أن تتخذ الحروف التي يستعملها الاستعمار ، فتكون هذه الشعوب قد ارتضت أنها ما تزال تستمسك بمذلة التبعية لنظم أقدرها الله تعالى على التخلص منه ، واختتم (المجمع) نداءه بقوله : «إن الدين هو النصيحة

ونحن نتقدم بهذا النصح خالصاً لوجه الله تعالى ثم الإسلام والمسلمين»[١] .

وبعد فهذا -أخي القارىء- هو بيان ونداء (مجمع البحوث الإسلامية) الموجه إلى حكومات العالم كله ، ويدعو فيه المسلمين ، وبخاصة الذين لا ينطقون منهم بالضاد (يدعوهم) إلى تعليم اللغة العربية ، والتشبث بها ، وفيه أيضاً بيان خطورة استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية . فهذه دعوة مباركة ونداء حار جديران بالاحتذاء والاقتداء ، وإني أهيب بالمسلمين كافة -حكاماً ومحكومين- أن يتولوا هذا الموضوع الخطير بالرعاية والاهتمام ، وكل قدر طاقته وجهده امتثالاً لأمر الرسول المعلم ﷺ القائل : (بلغوا عني ولو آية) ، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] .

كلمة لا بد منها :

اعلم أخي القارىء -حفظك الله- أني أتحفك بفائدة يعم نفعها ويدوم فضلها -إن شاء الله تعالى- فإن تلقيتها بالقبول ، وأمسكتها بيد الحاذق النابه ، ظفرت بكنز عظيم وذخيرة نافعة .

فبعد أن اطلعت على أخطار الغزو الثقافي ومكائده الخبيثة ، وهي من الحقائق الراهنة التي لم تُملها إلا الحمية الدينية ، والتألم العميق والإشفاق من المستقبل الرهيب على مصائر الأجيال المنتظرة .

---

(١) انظر : «أعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين» (ص٤٨٦-٤٨٨) للمؤلف .

(٢) سورة الذاريات : آية ٥٥ .

والغريب أن الاستعمار الثقافي جعل بعض المسلمين يستحي من تاريخه وأمجاده وتعاليم شريعته، وأن يكون دار الإسلام مرقصاً عاماً تنمو فيه الدنايا، أو مسرحاً يجد فيه المتوحشون والإباحيون فرصاً شتى لاغتيال القيم والأخلاق، والاعتداء على الأبرياء، وانتهاك الأعراض؟!!

إن المأساة المقلقة وقوع الغارتان الوحشيتان: الشيوعية والصهونية، ومن قبلهما الغارة الصليبية السوداء وبهذا وغيره استطاع الاستعمار الثقافي (الغازي) خلق جيل مهزوز الإيمان والثقافة، ضعيف الثقة بنفسه وأمته، فهو يعطي الدنيّة في دينه ودنياه غير آبه أو شاعر بأولاه وعقباه.

فمعذرة ثم معذرة إلى من يريد أن يعيش في الأوهام والأحلام ويغالط في الحقائق نفسه؟.

ونصيحتي إلى من يستهين بالدين والعقيدة والتراث ويؤثر دار الدنيا على الآخرة أن يراجع نفسه، ولا يعجل بعد أن أصبح على حال لا يحسد عليها.

إلى من طغت على نفوسهم المادة واستعبدتهم الشهوات إلى هؤلاء وأمثالهم أقول:

تشبثوا بحضارتكم وتراثكم وأصلحوا أجهزة العلم والإدارة في مؤسساتكم، وبينوا للبشرية تعاليم دينكم ومعالم حضارتكم تظفروا بالحسنيين! سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

إن كل ساعة تمر دون يقظة منا ندفع ثمنها باهظاً. وتحقق لخصومنا انتصارات رخيصة، وما أظن (العالم) اليوم امتهن حقوقاً، ولا ازدرى

قضايا مثل ما فعل في حقوقنا . وقضايانا الحضارية ، وخطته الموضوعة[(١)] الآن أن لا تقوم للإسلام قائمة (لا قدّر الله).

وأود أن أذكر الغافلين من الناطقين بالضاد أن الملل والنحل كلها حتى الوثنيين منهم طامعون فينا ويودون الخلاص منا .

وكما لا يخفى فإن الذي يغزى في عقر داره يذل ، وتستباح حرماته! . ومن جهة ثانية فاعلم - أخي القارىء - وإني لك - إن شاء الله - لناصح أمين ، اعلم أن الناس ثلاثة :

غافل لم يدر سر وجوده ولم يدرك الغاية من حياته ، فهو بلا قلب وبلا عقل ، وبلا أثر . . . حي كميت وموجود كمفقود ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[(٢)] .

٢- ومخطىء التبست عليه المسالك ، واشتبهت أمامه السبل ، فضلّ الطريق ، وظن الغاية من الحياة متعة فانية وكأساً مترعة ، وامرأة مضيئة ثم لا شيء بعد ذلك !! .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن الغرب والشرق والصليبية الخبيثة الملحدة والصهيونية الحاقدة والمجوسية الضالة وبالتعاون مع الدعوات الهدّامة قد اتفقت جميعاً على إزالة الإسلام من الوجود ومن يراجع بروتوكولات حكماء صهيون ومبادىء الماسونية والدعوات الباطنية يرى ذلك واضحاً وضوح الشمس. . .؟.

(٢) سورة الأعراف : آية ١٧٩ .

ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[1] .

٣- وعارف انقشعت عن نفسه سحائب الوهم ، وأشرقت من حنايا فؤاده أضواء الفهم ، فعرف ربه وعرف نفسه وأدرك سر حياته ، فجعل الله غايته ، والرسول ﷺ قدوته ، ومحاربة الشرك والابتداع هدفه والموت في سبيل الله أمنيته .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[3] .

القضاء على القرآن الكريم :

أود أن أشير إليك - أخي القارىء - في هذه العجالة ، على بعض ما يقوم به أعداء الإسلام من مؤامرات خبيثة ، وأساليب ماكرة من أجل تشويه الإسلام والقضاء على القرآن الكريم .

فها هي الصليبية الحاقدة تعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسي لقوة المسلمين ودعوتهم إلى عزهم ومجدهم ، وماضي قوتهم وحضارتهم ، لذا فهم يعملون جهدهم لتحريفه ، أو تأويله أو محوه . . . إن كان في مقدورهم واستطاعتهم . . .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٤ ، وانظر : «مجلة التضامن الإسلامي» (ص٧٨) الجزء الخامس سنة ١٤٠٢هـ - مكة المكرمة .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٩٦ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٥٣ .

يقول (غلادستون) في مجلس العموم البريطاني، وقد رفع المصحف أمام المجتمعين: «ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[١].

ويقول المبشر الصليبي (وليم جيفورد بالكراف): «متى توارى القرآن، ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه»[٢].

ويقول المبشر الصليبي (كاتلي): «يجب أن نستخدم القرآن -وهو أمضى سلاح في الإسلام- ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تماماً يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً»[٣].

كما ويقول الحاكم الفرنسي للجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها: «يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم».

ولكنهم اندحروا وخسؤوا في أن يصلوا إلى غايتهم الخبيثة في القضاء على القرآن الكريم، أو التحريف فيه أو التشكيك بإعجازه؛ لأن الله سبحانه تكفل بحفظه من كل تحريف أو تبديل إلى يوم البعث والنشور،

---

(١) «الإسلام على مفترق الطرق» (ص٣٩).

(٢) «جذور البلاء» (ص٢٠١).

(٣) «التبشير والاستعمار» (ص٤٠).

قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1]، والله غالب على أمره .

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

تعطيل الجهاد المقدس

منذ بزوغ فجر الإسلام وانتشار نوره عبر المعمورة، والأعداء يكيدون له، ولمنتسبيه ليلاً ونهاراً سراً وعلانية، وقد تمثلت تلك الحملات الخبيثة بلفيف من طواغيت الكفر والإلحاد والنفاق، الذين بذلوا -وما يزالون يبذلون- جهوداً حثيثة، ومكائد خبيثة، ليصدوا الناس عن سبيل الله حسداً من عند أنفسهم، وتنكّراً للحق والخير، والمثل السامية التي حملها هذا الدين، وتجلّى بها أهله ودعاته . . .

لقد كان في مقدمة هؤلاء الأعداء مجرموا التحريف والتشويه في كتاب الله، وقتلة أنبيائه اليهود الأشرار أعوان الشيطان إخوة القردة والخنازير، فهم أشد أعداء الله على الإسلام والمسلمين خداعاً ومكراً وحرباً، وقد وصفهم الله سبحانه العليم بسوء طوياتهم، وما جبلت عليه نفوسهم بقوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ ﴾[1]، ولليهود مع الإسلام، وأهله حلقات متصلة، ومواقف مليئة بالمؤامرات، والدسائس عبر العصور المتعاقبة . . .

فقد تقولوا بالكذب وأرجفوا بألسنتهم، ونصروا أعداء الإسلام على كل صعيد علاوة على نقضهم العهود والمواثيق التي تدل على خستهم وحقارتهم، كما أن أعمالهم الوحشية في فلسطين -أرض المقدسات- وحرق المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين،

(١) سورة المائدة : آية ٨٢ .

والتنكيل بالأهالي المدنيين ، وتشريدهم وتعذيبهم لأكبر دليل على لؤمهم وغدرهم وفسادهم ووحشيتهم[1] .

وقد ساهم مع اليهودية في إبعاد المسلمين عن دينهم وتشويهه وإفساده جند الصليبية الحاقدة التي ما فتئت تدبر المؤامرات ، وتشن الحملات الكثيفة صوب معاقل الإسلام بالغزو المسلح تارة ، وبالاستعمار والانتداب أحيانا ، وبجحافل الاستشراق والتبشير وأدواتهم من الأقلام المدسوسة تارة أخرى ، حيث استعملت كافة الوسائل لإخراج المسلمين من دينهم وإفساد معتقداتهم . . .

وقد استطاعوا تحقيق الكثير من برامجهم ومخططاتهم الشريرة ، ومنها ما يتعلق بمفهوم التوكل على الله ، والقضاء والقدر ، وتعطيل الجهاد المقدس . . .

فضل الجهاد والمجاهدين :

لقد اهتم الإسلام بالجهاد الذي هو شعيرة من شعائر الإسلام ، وفرض من فرائضه الجليلة ، حتى أصبح موئل حرصه ومحط رعايته الدائمة .

هذه الشعيرة السامية التي عني بها المسلمون الأولون ، وطبّقوها عملياً ، وتسابقوا لأدائها في سبيل الله ، فصنعوا تاريخاً فريداً ، وساسوا الأمم والشعوب ورفعوا راية لا إله إلا الله .

والمعروف أن الجهاد الحقيقي هو الذي يراد به وجه الله ، وإعلاء

---

(١) راجع كتابنا : «الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد» (٢/ ٣٠٤) .

كلمته ورفع راية الحق ، ومطاردة الباطل ، وبذل النفس في سبيل مرضاة الله سبحانه ، أما إذا أريد به شيء دون ذلك - من حظوظ الدنيا - فهو ليس بجهاد ، وليعلم : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى»[١] .

وعن فضل الجهاد والرباط في سبيل الله ، والحث عليها فقد وردت نصوص عديدة[٢] في الكتاب والسُّنة ، نذكر منها ما يلي :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٣] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾[٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[٥] .

وجاء في السُّنة المطهرة أحاديث كثيرة في فضل الجهاد والمجاهدين منها :

---

(١) فقرة من حديث شريف رواه البخاري .

(٢) للمزيد انظر : «رسالة في موقف اليهود من الإسلام» ، و«فضل الجهاد والمجاهدين» للشيخ عبدالعزيز بن باز .

(٣) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٤) سورة النساء : آية ٧١ .

(٥) سورة الأنفال : آية ٣٩ .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»(١) .

وكذلك ورد عنه ﷺ أنه قال : «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا»(٢) . أي : إذا طُلب منكم الخروج إلى الحرب فاخرجوا ، وقال -أيضاً- عليه السلام : «يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدَّيْن»(٣) .

كانت تلك طائفة من الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة في الجهاد والدعوة إليه ، والترغيب فيه ، وما يستوقفنا هنا أعداء الإسلام الذين ما فتئوا يشككون في الدين وأحكامه ، وحضارته منذ فجره الأول ، وكان على رأسهم اليهودية والباطنية والزنادقة والصليبية الحاقدة ، والاستعمار وأدواته ، ومنها بعض فرق الصوفية والقاديانية والبهائية ، التي يجب الحذر منها ومن دسائسها . . .

فقد عمل الاستعمار وأعوانه من المستشرقين على تفريغ الجهاد من مضمونه ، وإضعاف أثره في نفوس المسلمين ، وهدم بواعثه في قلوبهم .

وقد أحلوا محل الغاية الإسلامية عبارات القومية والوطنية والعروبة ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه مسلم .

وعبارات البسالة والشجاعة والحمية ، وما اشبه ذلك من غايات جاهلية ضعيفة الأثر[١]، لا تستطيع أن تقف على أقدامها أمام غايات ثابتة مركزة ذات قوة محركة فعّالة . . .

المؤامرة على الجهاد والمجاهدين :

إن المسلمين اليوم بحاجة إلى أن يتوجّهوا إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله ﷺ وإلى الجهاد في سبيل الله من أجل إقامة شرع الله في الأرض ، ومن أجل تحرير أوطانهم ومقدساتهم وقبلة نبيهم ومسراه ﷺ .

نواجه اليوم مؤامرة عالمية على أقدس قضايانا -قضية فلسطين- يقود هذه المؤامرة ويخطط لها أمريكا ، وينفذ هذه الخطة دول المنطقة ، والمنظمة الصهيونية ، وسيان أن تعلم أو لا تعلم بهذا المخطط الأمريكي الصليبي الحاقد . . .

إن هذه المؤامرة لا يعمل أصحابها بها في الخفاء ، بل إنهم يصرحون صباح مساء أن الحل لهذه القضية باتباع الشرعية الدولية ، وتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، وقرار ٣٣٨ ، وهذه الدعوة معناها الإقرار والتنازل عن ٨٠٪ من أرض فلسطين لليهود ، والمطالبة بإجراء التفاوض حول البقية الباقية من أرض فلسطين ، وهي قطاع غزة والضفة الغربية ، والتي تساوي ٢٠٪ من أرض فلسطين ، وهذه النسبة لم تنج من أطماع اليهود ، فقد أشغلوا حوالي ٧٠٪ من أرض الضفة الغربية ، والقطاع بالمستوطنات اليهودية التي تمول بالمال الأمريكي ، وتزود

(١) راجع كتاب : «أجنحة المكر الثلاثة» .

بالسكان اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفييتي[(١)].

الجهاد طريق تحرير الأوطان والمقدسات :

إن خير من يجهض هذه المؤامرة الاستسلامية التصفوية للقضية الفلسطينية هو الجهاد الدائب الدائم حتى التحرير الشامل لكل فلسطين من بحرها إلى نهرها ، والاستمرار في الانتفاضة ودعمها ، وتصعيدها حتى تصبح ثورة شاملة لجميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والعسكرية والثقافية ، وأن تقوم حركة جهادية من أبناء العالم الإسلامي تجتمع في جيش هو جيش الأقصى ، يقوم بعمليات جهادية استشهادية لمناجزة العدو وإنهاك قواه العسكرية والاقتصادية ، وتعطيل الهجرة اليهودية ، وضرب المصالح المعادية والأهداف القريبة والبعيدة لأعداء هذه الأمة .

إن هذه الحالة الجهادية الدائمة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في قوله : «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال ، لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل»[(٢)].

هي وحدها التي تكفل تحرير المقدسات وسائر أرض فلسطين المباركة المقدسة ، وهي وحدها التي تقضي على كل مؤامرات التصفية والاستسلام بالفشل .

وقد جاء في القرآن الكريم وتحديداً في مطلع سورة الإسراء ،

(١) انظر كتاب : «في ظلال سورة الأخلاق (الحجرات)» (ص١٥٠) وما بعدها للدكتور محمد أبو فارس .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢) .

الطريق البيّن لتحرير المسجد الأقصى ، وفلسطين من اليهود وإفسادهم .

قال تعالى : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾(١) .

وهكذا أخي المسلم ، فتحرير بيت المقدس وسائر الديار الإسلامية ، لا يكون إلا بإساءة الوجوه وبخاصة وجه زعماء صهيون ، وسائر المغضوب عليهم وتهشيمها وتلطيخها بالدماء في ساحات القتال والنـزال ، لتطهير الأرض من رجسهم ، ولقد ذكرت الآية الكريمة أن العباد الصالحين سيدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة ، فيكف دخلوه أول مرة؟ فقد مشوا خلال دياركم يا معشر اليهود قتلاً وتشريداً ، وها هم في المرة الثانية يشعرون بالاستقرار والاطمئنان على هذه الأرض المقدسة ، فينشئون المباني والعمارات الضخمة ، وحتى يقطع أملهم في هذه الأرض ينبغي تدمير كل ما بنوا تدميراً تاماً ، والله غالب على أمره ، وهو نِعم المولى ، ونِعم النصير . . .

١- فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين :

نظراً لخطورة ما تتعرض له أرض فلسطين وسائر المقدسات الإسلامية من بيع وتنازل وتهويد ، فقد رأيت أن الواجب يدعوني

(١) سورة الإسراء : آية ٤-٧ .

لإطلاع أجيالنا المسلمة على هذه الفتوى الشرعية الهامة ، لتبقى أثراً في التاريخ ، وهذه ذي نصوصها كما صدرت من مجموعة كبيرة من العلماء جاء فيها[1] :

«الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والصلاة والسلام على من أسرى به إلى الأرض المبارك فيها للعالمين ، قبلة المسلمين الأولى ، وأرض الأنبياء ، ومهبط الرسالات ، وأرض الجهاد والرباط إلى يوم الدين ، وعلى آله الأخيار وصحبه الذين عطّروا بدمائهم الزكية تلك الأرض الطيبة حتى أقاموا بها الإسلام ، ورفعوا فيها رايته خفاقة عالية ، وطردوا منها أعداءه الذين دنّسوا قدسه بالشرك والكفر ، وعلى الذين ورثوا هذه الديار فحافظوا على ميراث المسلمين ، ودافعوا بأموالهم وأنفسهم ، وبعد :

فإن مهمة علماء المسلمين ، وأهل الرأي فيهم أن يكونوا عصمة للمسلمين ، وأن يبصروهم إذا احتارت بهم السبل ، وادلهمت عليهم الخطوب .

ونحن الموقعين على هذه الوثيقة نعلن للمسلمين في هذه الظروف الصعبة أن اليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، واغتصبوا فلسطين ، واعتدوا على حرمات المسلمين فيها ، وشردوا أهلها ، ودنّسوا مقدساتها و ولن يقر لهم قرار حتى يقضوا على دين المسلمين وينهوا وجودهم ، ويتسلطوا عليهم في كل مكان .

---

(١) انظر : «فتوى عُلماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين» (ص٥٢) .

ونحن نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق، في بيان الحق أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وليس لشخص أو جهة أن تقرّ اليهود على أرض فلسطين، أو تتنازل لهم عن أي جزءٍ منها أو تعترف لهم بأي حق فيها.

إن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول، والأمانة التي وكل إلى المسلمين المحافظة عليها، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(١).

وأي خيانة أكبر من بيع مقدسات المسلمين والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء الله ورسوله والمؤمنين.

إننا نوقن بأن فلسطين أرض إسلامية، وستبقى إسلامية، وسيحررها أبطال الإسلام من دنس الصليبين، ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾(٢)، وصلى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذه جملة تواقيع من علماء الأمة:

الدكتور يوسف القرضاوي

الدكتور فتحي يكن

الدكتور عيسى زكي شقرة

الدكتور همام سعيد

الدكتور عبد الله عزام

الدكتور نجم الدين أربكان

الشيخ أحمد القطان

حكمت يـار

(١) سورة الأنفال: آية ٢٧.

(٢) سورة ص: آية ٨٨.

وحيد الدين خان	مصطفى مشهور مشهور
عبد الرحمن عبد الخالق	الدكتور عبد السلام الهراس
أحمد شـــاه	أبو الليث الندوي
الشيخ فيصل المولوي	وحيد الدين خان
قاضي حسين المولوي	الدكتور الأمين محمد عثمان

وغيرهم كثير. . . .

٢- فتوى الشيخ محمد رشيد رضا[١]:

إن من يبيع شيئاً من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنكليز، فهو كمن يبيعهم المسجد الأقصى، وكمن يبيع الوطن كله؛ لأن ما يشترونه وسيلة إلى ذلك، وإلى جعل الحجاز على خطر فرتبة الأرض من هذه البلاد هي كرقبة الإنسان من جسده، وهي بهذا تعدّ شرعاً من المنافع الإسلامية العامة لا من الأملاك الشخصية الخاصة، وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام، ولا اذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة، وإنما اقترح على كل من يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله خاتم النبيين أن يبث هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرون على خيانتهم في كل شيء، المعاشرة والمعاملة والزواج والكلام حتى رد السلام.

ورد في «صحيح مسلم» أن الله تعالى وعد رسوله ﷺ لأمته أن لا

(١) انظر: «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين» (١٩١٧-١٩٤٨م)، سلسلة الدراسات رقم (٥٧)، الطبعة الثالثة - بيروت (ص٧٤١).

يسلّط عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها . . . الخ ، وقد بينت في شرحه من جزء التفسير السابع[1] ، أنه ما زال مُلك الإسلام عن قُطْر إلا بخيانة من المسلمين ، فتوبوا إلى الله أيها الخائنون[2] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3] .

٣- فتوى لجنة الفتوى في الأزهر الشريف بحكم الصلح مع اليهود :

عندما ذهب السادات إلى القدس في نوفمبر ١٩٧٧م ، والتي انتهت بعقد معاهدة (كامب ديڤيد) ، وبعد أن رجع من زيارته حاول بعض العلماء ممن شغلتهم الدنيا عن الحق والمتملّقين للسلطان ، أن يبرروا زيارة السادات وعملية السلام ، وشبهوا في وثيقة صدرت عن الأزهر المعاهدة بصلح الحديبية الذي شرعه الله للمؤمنين !! .

غير أن لجنة الفتوى في الأزهر الشريف قد اجتمعت بعد ذلك وأصدرت فتوى أكدت فيها على فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الصادرة سنة ١٩٥٦م ، وذكرت في فتواها : (أن اللجنة تفيد أن الصلح مع إسرائيل كما يريده «الداعون إليه» لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار للغاصب على الاستمرار على غصبه ، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، وتمكين

---

(١) صفحة (٤٩٥ و٤٩٦) طبعة ثانية .

(٢) انظر : «فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين» (ص٧٦) .

(٣) سورة الأنفال : آية ٢٧-٢٨ .

المعتدي من البقاء على عدوانه...).

«...ومن مبادىء الإسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد ، وإذا كانت إزالته واجبة في كل حال فهي في حالة هذه العدوان أوجب وألزم ، فإن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند إخراج المسلمين من ديارهم ، وسلب أموالهم وتشريدهم في البلاد ، بل تجاوز ذلك إلى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها ، وهي احترام المساجد ، وأماكن العبادة»[١].

---

(١) انظر : «حكم الصلح مع اليهود» محمد عثمان شبير ، الكويت - الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين ، وكتاب : «فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين» (ص١١٢) توزيع دار الفرقان .

القوانين الوضعية وسوء عواقبها على الدين

إن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه الحكيم ، ويعث نبيه محمداً الصادق الأمين ﷺ رحمة للعالمين ، وحجة على الخلق أجمعين ، فجاء رسول الله ﷺ بشريعة سمحة سهلة ، مهيمنة على جميع الشرائع قبلها ، فهي خاتمة الشرائع قبلها ، كما أن محمداً رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين ، ورسول الله إلى الخلق أجمعين ، وقد جاء بدين كامل وشرع شامل ، صالح لكل زمان ومكان ، قد نظم حياة الناس أحسن النظام بالحكمة والمصلحة والعدل والإصلاح والإحسان ، فلو أن الناس آمنوا بتعاليمه ، وانقادوا لحكمه ، وتنظيمه ، ووقفوا عند حدوده ومراسيمه ، لصاروا به سعداء ؛ لأنه ﴿ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1] ، وقد سماه الله شفاء لعلاج أسقام العقائد وإزالة الشبه والشكوك وسوء الطرائق ، ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[2] .

ففي نظام شريعة الإسلام حل مشاكل سائر الناس ، وكل ما يتنازعون فيه ؛ لأن الله سبحانه قد نصب الشريعة لعباده في الدنيا بمثابة الحكم العدل تقطع عن الناس النزاع ، وتعيد خلافهم إلى مواقع الإجماع .

---

(١) سورة الإسراء : آية ٩ .

(٢) سورة فصلت : آية ٤٤ .

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾[1] .

واتفق العلماء على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إلى سنته ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾[2] .

ففي شريعة الإسلام حل جميع ما يحتاج إليه الناس ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾[3] .

ففي الشريعة أحكام البيع والشراء والأخذ والعطاء والوقف والوصاية وقسمة التركات ، ومنها العهد والأمان والحرب والسلم والنكاح والطلاق والقصاص ، وأحكام الجروح والشجاج ، وفيها تحريم الربا وشرب الخمر ، وإقامة الحدود التي هي من أسباب تقليل فشو الجرائم ، وفي الشريعة الحث على مكسب المال من حله ، ثم الجود بواجب حقه ؛ من أداء زكاته والصدقة منه .

وفيه بيان فضل حفظه بنمائه وتحريم تبذيره ، وفضل التجارة المباحة .

وبالجملة ، فإن الشريعة الإسلامية كفيلة بحل مشاكل العالم ، بحيث يسود العاملين بها سربال الأمن والإيمان ، والسعادة والاطمئنان ، وهذا

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٣٦ .

(٣) سورة النساء : آية ٨٣ .

هو حقيقة ما وصى به النبي ﷺ أمته، حيث قال: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[1].

وقال: «إنه ما نقض قوم عهد الله وعهد رسوله، إلا سلّط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم شديداً»[2].

وهذا أمر واضح يشهد به الواقع المحسوس[3].

هذا وإن لسلطان الدين السيطرة الفعالة على قلوب الناس، وخاصة المؤمنين، بحيث يدفعهم إلى الفرائض والفضائل ويردعهم عن منكرات الأخلاق والرذائل، فهم يخضعون لسلطان شريعة الدين، سامعين مطيعين، فمتى قيل للخصم اللجوج هذا حكم الله، وقف على حده، وقنع بحقه، وعرف حينئذ أنه لا مجال للجدل بعد حكم الله.

إن البلاد التي يحكم فيها بشريعة الإسلام، وتُقام فيها الحدود، وتُستوفى فيها الحقوق، نجدها آخذة بنصيب وافر من الإيمان والسعادة والاطمئنان، آمنة من الزيغ والافتنان، والضد يظهر حسنة الضد وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، بخلاف البلاد التي تحكم بالقوانين التي هي شريعة الكافرين، نرى منها من أسوأ الناس حالاً، وأشدهم اضطراباً وزلزالاً، قد ابتلوا بفنون من الفتن والاضطراب وعدم أمن الجناب،

(١) رواه الحاكم عن أبي هريرة.

(٢) بعضه من حديث بريدة عن ابن عمر.

(٣) انظر كتاب: «الحِكم الجامعة لشتى العلوم النافعة» (ص٨١-٨٣).

إلى حالة كثرة القتل والنهب وحرف الحوانيت المملوءة بالمال، واختطاف النساء والغلمان، وهذه الأعمال تزداد عاماً بعد عام، كلها نتيجة أو عقوبة عزل شريعة الدين، والرضا بحكم القوانين، التي هي آراء شرعها قوم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، وهي مبنية على عزل الدين عن الدولة كما هو الحال في الدول العلمانية التي ترفع سلطان الولي عن موليته، وتبيح لها أن تتصرف بنفسها كيف شاءت، غير محجور عليها في نفسها، تبيح لكل ملحد كافر أن يجهر بعقيدته وكفره، وغير محجور عليه في أمره ولا رأيه.

والشريعة الإسلامية مهيمنة على حماية الدين والأنفس والأموال والعقول والأعراض، وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق وتزيل الكفر والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.

من عادة محاكم القوانين تمديد الخصومة بالنقض والإبرام للحصول على ما يترتب عليها من المدعي والمدعى عليه، فمن أجل كثرة الترديد يحدث بين الناس القلق والاضطراب.

وليعتبر المعتبر بالبلدان التي أغلقت فيها محاكم شريعة الدين، وفتحت فيها محاكم القوانين، كيف حال أهلها، وما دخل عليهم من النقص والجهل والكفر وفساد الأخلاق والعقائد والأعمال، حتى صاروا بمثابة البهائم يتهارجون في الطرقات، لا يعرفون صياماً ولا صلاةً، ولا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، ولا يمتنعون من قبيح، ولا يهتدون إلى حق، لهذا صار المحبون لها هم أشد الناس سخطاً عليها، وبغضاً

لها ، لأنهم ذاقوا مرارتها ، وعرفوا مضرتها ، ولن تجد شخصاً مسلماً يحبها ، أو يرضى بها إلا أن يكون مجبوراً عليها ، أو أن له غرضاً بإضرار خصمه .

لقد مكث المسلمون ثلاثة عشر قرناً يتحاكمون إلى الشريعة الإسلامية ، ويعتزون بها ، وحكام المسلمين وسلاطينهم يسمون أنفسهم (عبيد الشرع) ، كما قال صلاح الدين الأيوبي لرجل شكى إليه : لقد نصبت قضاة الشرع ليحكموا لك أو عليك ، وما أنا إلا عبد للشريعة أنفذ حكمها .

وقد فتحت محاكم القوانين في البلدان الإسلامية والعربية رغماً على أهلها ، وذلك أن النصارى لما كانت لهم السلطة والسيطرة على بلدان المسلمين العربية ، وكانوا يحبون كون الناس على دينهم ففتحوا محاكم القوانين بالرغم من المسلمين ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١) .

وعلى أثر فتح محاكم القوانين في بلدان المسلمين واستمرار التحاكم إليها ، وقد وقع بالناس ما حذّرهم منه نبيهم ﷺ ، حيث قال : «وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم شديداً»(٢) .

وهذا الحديث بمثابة الصبح الساطع والبرهان القاطع ، وخير الناس من وعظ بغيره ، فقد رأينا الذين استبدلوا القوانين الوضعية بدلاً عن المحاكم الشرعية ، رأيناهم من أسوأ الناس حالاً ، وأبينهم ضلالاً ،

---

(١) سورة المائدة : آية ٥٠ .

(٢) رواه البيهقي .

وأشدهم اضطراباً وزلزالاً ، وصاروا جديرين بزوال النعم والإلزام بالنقم ، لأن دين الإسلام منجاة عن الغرق في الفوضى والشقاق ، وبمثابة سفينة نوح ، من لجأ إليها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

وقد عرف بالتجربة أن القوانين الوضعية منصوبة لسلب أموال الناس ، وأمانة حقوقهم وحدودهم ، فهم معاً دائماً بين إبرام ونقض وحكم واستئناف . والله يقول : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[١] .

إن أعداء الإسلام قد شوهوا سمعة الإسلام وألبسوه أثواباً من الزور والبهتان والتدليس والكتمان فوصفوه بالقدم ، وكونه لا يتلائم الحكم به مع القرن العشرين ، وإن شرائعة تكاليف شاقة ، وأنه ينبغي عزل الدين عن الدولة ، ونحو ذلك مما يقولون ويأفكون ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[٢] .

هذا ما يزعمه معاول الهدم وأتباع العلمانية الضالة الذين يحاولون هدم الإسلام ونسفه والهيمنة على أتباعه ، ليكونوا تبعاً لهم ، هذا غيض من فيض - أخي القارىء - حفظك الله ، مما بثته الماسونية والصهيونية العالمية . ودول الكفر الباغية في معاقل العرب والإسلام .

ومما لا يخفى ، فإن أكبر ما ينقم أعداء الإسلام على الإسلام كونه يحكم بالقصاص بقتل القاتل ، وقطع يد السارق ، وجلد شارب الخمر . وينسبون هذه الحدود إلى الوحشية وهي شكاة قد ذهب عنا

(١) سورة المائدة : آية ٤٤ .

(٢) سورة الكهف : آية ٥ .

عارها ما هي إلا بمثابة التجريح والتقطيع لبعض أجزاء الجسم في سبيل إصلاح بقيته ، لكون المضار الفردية تغتفر في ضمن المصالح العمومية وإقامة هذه الحدود هي الدواء الوحيد في تقليل الجرائم التي تغصّ بها السجون ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾[1] .

لكن هؤلاء نسوا ما صنعوا من القنبلة الذرية التي تفضي بفناء الملايين من الآدميين ، ما بين شيوخ ونساء ، والتي أفسدت الحرث والنسل ، فهذه -والله- هي أخلاق الوحشية لا الحدود الدينية .

لقد مكث المسلمون ثلاثة عشر قرناً ، ودستورهم السُّنة ، والقرآن التي هي سفر السعادة وقانون العدالة ، وقد فتحوا المحاكم الشرعية في سائر مشارق الأرض ومغاربها ، يتحاكم جميع الناس من المسلمين والكفار إليها ؛ لأن شريعة الإسلام كافلة لحل جميع مشاكل العالم ، وما وقع في هذا الزمان ، وما سيقع بعد أزمان ، فلا تقع مشكلة ذات أهمية إلا وفي الشريعة الإسلامية طريق حلها ، وبيان الهدى من الضلال فيها ، كما أنه لا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما يدحضها ، ويبين بطلانها ، لكنه لما ضعف الإسلام في هذا الزمان وضعف عمل الناس به ، وساء اعتقادهم فيه ، صار فيهم منافقون يدعون إلى نبذه وإلى عدم التقيد بحدوده وحكمه ، ويدعون إلى تحكيم القوانين بدله ،

---

(١) سورة النور : آية ٢ ، وانظر كتاب : «الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة» (ص٨٧) .

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وفات على هؤلاء أن أساطين حكّام المسلمين من الصحابة والتابعين ، وكذا ملوك بني أمية ، وبني العباس ، ونور الدين ، وصلاح الدين ، وغيرهم من ملوك المسلمين الفاتحين ، إنما شاع لهم الذكر الجميل والثناء الحسن ، والتمكين في الأرض ، واتساع الفتوح كله من أجل تمسكهم بالدين ، وتحكيم شرائعه بين الناس أجمعين ، وصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(٢).

وإنه من الجائز شرعاً والواقع عُرفاً إبدال قاضٍ بقاضٍ أحسن منه ، أما إبدال شرع الله الحكيم ، بشريعة القوانين فإنه حرام بإجماع علماء المسلمين . وإن حكام المسلمين والزعماء العاقلين في هذا الزمان لما عرفوا مضار القوانين ، وكونها تبعدهم عن الدين ، وتوقعهم في الفتن والاضطراب ، وفي الفوضى والشقاق وفساد الأخلاق ، وكونها فرقت شملهم وفلت حدّهم وأفسدت مجتمعهم ، لهذا أخذوا يتداعون إلى الرجوع إلى أخلاق دينهم ، وتحكيم شريعة الإسلام فيما بينهم ، يتداعون بهذه مناسبة اجتماعهم ، وتبادل آرائهم في علاج عللهم . فيما يصلح مجتمعهم ، وسيكون لهذا التداعي تجاوب ولو بعد حين . ﴿فَإِن

(١) سورة المائدة : آية ٤١ .

(٢) سورة الحج : آية ٤١ .

﴿يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[1].

يقول الإمام مالك بن أنس -رضي الله عنه- : «والله لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»[2].

فيا أيها المسلمون أفيقوا من رقدتكم، وتوبوا من زللكم، وتمسكوا بدينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

دور السلطة السياسية في حماية الدين من التحريف :

اعلم -أخي القارئ- أن ديننا الحنيف محاط بسياج حديدي متين، إذ فيه تمكين سعادة المسلم في الدنيا والآخرة، ولأن كل أوجه حياته تعتمد عليه، فإن الإسلام لم يترك للمسلمين أو علمائهم فقط وظيفة الدفاع عن أصالة الدين، وتنقيته من الشوائب كلما علقت به عبر العصور نتيجة لأسباب داخلية أو خارجية.

وإنما بالإضافة إلى ذلك كلف السلطة السياسية أن يكون لها دور هي كذلك في حماية الدين من التشويه والتحريف.

يقول الإمام ولي الله الدهلوي : «اعلم أنه يجب أن يكون في جماعة المسلمين خليفة لمصالح لا تتم إلا بوجوده، وهي كثيرة جدا يجمعها صنفان :

أحدهما : يرجع إلى سياسة المدنية من ذب الجنود التي تغزوهم، وتقهرهم، وكف الظالم عن المظلوم، وفصل القضايا وغير ذلك، وقد

(١) سورة الأنعام : آية ٨٩.

(٢) انظر كتاب : «الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة» (ص٨٩).

شرحنا هذه الحاجات من قبل .

وثانيهما : ما يرجع إلى الملة ، وذلك أن تنويه دين الإسلام على سائر الأديان لا يتصور إلا بأن يكون في المسلمين خليفة ينكر على من خرج من الملة ، وارتكب ما نصّت على تحريمه أو ترك ما نصّت على افتراضه أشد الإنكار»[1] .

إن المطّلع على كتب الفقه ليجد أحكاماً خاصة شرعت للذود عن الدين بعامة ، وعن العقيدة بخاصة ، وفيما يلي بعض منها :

١- حكم المرتد : قال ﷺ : «من بدّل دينه فاقتلوه»[2] .

٢- حكم المبتدع : ذهب كثير من العلماء إلى أن المبتدع في الدين لا يُلقى عليه السلام .

٣- حكم الساحر : إن الواجب على ولاة الأمور ، وعلى كل مسلم قادر في استئصال أعمال السحرة والمنجمين والكهان والعرّافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والحُجب ومنعهم من مزاولة أعمالهم الفاسدة .

ويأثم كل من يستطيع أن يفعل ذلك ولا يفعله .

فمثل هذه المجموعة من الناس تستحق العقوبة البليغة ، التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس .

---

(١) انظر : «حجة الله البالغة» (٢/ ٧٣٥) ولي الله الدهلوي .

(٢) أخرجه البخاري وأحمد عن ابن عباس ، انظر «صحيح الجامع الصغير» (٦٠٠١) .

وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كما يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات ، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ، ونحو ذلك ، ونوع يتكلم في هذه الأمة على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر ، وجمهور من العلماء يوجبون قتل الساحر ، كما هو مذهب أبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد في المنصوص عنه ، وهذا هو المأثور عن الصحابة ، أضف إلى ذلك أن الإسلام يمنع تداول كتب السحر والكفر والمبتدعة ، بل لم يجعلها مالاً متقوماً شرعاً ، ومن يبعْها يأكلْ ثمنها حراماً ومن يشترها ينفق ماله في حرام[1] .

٤- الإفتاء بغير علم : حرم الإسلام الفتوى بغير علم فقال ﷺ : «من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه . . .»[2] .

كما أن حماية الدين من المفتين بغير علم ، والضرب بيد من حديد عليهم من وظائف السلطان المسلم .

وهكذا يتضح دور السلطة السياسية -المتمثلة بالحاكم ومساعديه- في حماية الدين من التحريف والابتداع ، وذلك بوضع الأسس والدعائم التي تعين على حفظه من الخطأ ونشره بأمانة .

التحذير من تغيير التاريخ الهجري إلى التاريخ الميلادي (الإفرنجي) :

تعتز الأمم والشعوب بأمجادها الغابرة وحضارتها التليدة ، كما تحتفظ لنفسها بتخليد هذه الأمجاد بالتاريخ لها ، فهذه أمة الإسلام

(١) انظر : «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص١٤٣-١٤٤) ، وكتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» .

(٢) رواه أبو داود ، انظر : «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٥٩٤٤) .

واحدة من تلك الأمم التي تحتفظ بتاريخها الخاص بهذا الذي وضع حجر أساسه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

والتاريخ الهجري هو ذكرى علو كعب الإسلام وظهوره ، فعلى أبنائه المخلصين له والغيورين عليه استعمال التاريخ الهجري[1]، ويحرم عليهم استعمال التاريخ الميلادي النصراني .

كما يجب اعتبار الشهور العربية القمرية ، ويحرم اعتبار الشهور الإفرنجية وغيرها ، لأن الله سبحانه جعل الأهلة لجميع الناس مواقيت للمعاملات والعبادات ، قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[2] .

ويجب على المسلمين التقيّد بالشهور العربية والقمرية في توقيتهم ، وهي الشهور الإثنى عشر التي أولها المحرم ، وآخرها ذو الحجة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[3] .

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية : تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها ، إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها

(١) ومن الجدير بالذكر أن معظم الدول العربية والإسلامية قد أهملوا التاريخ الهجري ولم يتقيّدوا به ، حاشا المملكة العربية السعودية حرسها الله ورعاها وأبقاها قدوة للعرب والإسلام ، والله المستعان .

(٢) سورة البقرة : آية ١٨٩ .

(٣) سورة التوبة : آية ٣٦ .

العرب دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط، وإن لم تزد على اثنى عشر شهراً؛ لأنها أي الشهور غير العربية مختلفة الأعداد منها ما يزيد على ثلاثين، ومنها ما ينقص، وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وإن كان منها ما ينقص.

وقريب من رأي القرطبي كان رأي الإمام الشوكاني -رحمهما الله-[1].

فعلى العرب والمسلمين أن يؤرخوا خطاباتهم ووثائقهم بالتاريخ الهجري والشهور العربية، وعدم التساهل بهذا الأمر، لأن التاريخ شعار الأمة، وفي التعامل بالتاريخ النصراني إحياء لشعارهم، وتخليد لدينهم الباطل . . .

عطلة يومي السبت والأحد:

من المؤسف أن أبناء المسلمين انساقوا في تيار الغرب الكافر، فقلّدوهم في كل أمر حتى في أعيادهم، فتراهم يغلقون متاجرهم يومي السبت والأحد تشبهاً بالكتابيين، وفي هذا مخالفة صريحة لتعاليم الإسلام الحنيف والهدي النبوي الشريف.

وقد ثبت أن الرسول ﷺ قصد إلى صوم يومي السبت والأحد ليخالف الكتابيين في جعلهما يومي عيد؛ لأن صوم اليوم يبعده من أن يكون عيداً.

إن إغلاق المسلم محل عمله في يومي السبت والأحد يناقض قصد

(١) انظر كتابنا: «مصرع الشرك والخرافة» (ص٣٨٢)، وانظر: «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية» (٣/٣٥٦).

الرسول ﷺ في صوم هذين اليومين(١)، لأن إغلاق محلات التجارة ، وعدم العمل في هذين اليومين من شأنه الاعتقاد أن ذلك اليوم حقيق بأن يتخذ عيداً ، في حين عيد المسلمين هو يوم الجمعة . . .

فكفى بعداً أيها المسلمون . . . عودوا إلى دينكم . . . إلى عزكم وفخركم . . .

التسمّي بالأسماء الأجنبية :

لقد حذّرنا ديننا الحنيف من التشبه بالكفار ، وغيرهم من أمم الأرض ، وجعل لنا من ديننا ما فيه عبرة لأولي الألباب .

شاع في هذا العصر إطلاق الأسماء الأجنبية على أبناء المسلمين وبناتهم ، وأماكن وجودهم ، كما أن كثيراً من تقاليد الغرب وعاداته التي استوردها المسلمون وتشبثوا بها تشبهاً بالغربيين ، وتخلقاً بأخلاقهم ، أصبحت طابعاً متميزاً لأبناء جلدتنا انسياقاً وراء حضارة الغرب الزائفة .

ومن المؤسف أن نرى كثيراً من المسلمين قد انجروا وراء الغرب مقلدين حتى في الأسماء والتسميات الأجنبية التي أطلقت على الأبناء والبنات ، نجد منها مثلاً : نهرو ، رومل ، سيزار ، للذكور

وللإناث أسماء : ساندي ، ناريمان ، كاترين ، هيلين. . .(٢).

وقد علمنا الرسول ﷺ أحب الأسماء وأفضلها عند الله ، قال ﷺ :

---

(١) راجع : «رسائل الإصلاح» للشيخ محمد الخضر الحسين .

(٢) انظر كتابنا : «مصرع الشرك والخرافة» (ص٤٠٦) وما بعدها .

«أحب الأسماء إلى الله، عبد الله ، وعبد الرحمن»[1].

فالأولى بك -أيها المسلم- أن تقتدي برسولك ومرشدك ، حيث نجاحك وفلاحك بالاقتداء والتأسّي بمن أُرسل رحمة للعالمين، ومن المشاهد في ديار المسلمين، أن المسلم إذا ما سار في إحدى مدن المسلمين يجد نفسه وكأنه في بلاد الفرنجة، حيث يقع بصره على أسماء أجنبية، فيرى مثلاً يافطات -آرمات- قد علقت على أبواب المحلات التجارية، وقد كتب عليها: محلات كازابلانكا، وسي تاون، وفندق هيلتون، وشارع رمسيس، ومطعم الكرنك...

وهذا يدل على ابتعاد المسلمين عن صلب دينهم وجوهره، والمطلوب من شباب أمتنا التخلق بأخلاق ديننا، والتمسك بسنة نبينا، والمحافظة على تقاليدنا وعاداتنا وشن حرب شعواء على كل ما هو غربي مستغرب، والله الموفق...

التحذير من الاغترار بالدنيا:

اعلم أخي المسلم أن الإنسان ما خلق عبثاً، ولن يترك سدى، وأن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب بلا عمل، فالدنيا إلى زوال صائرة، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[2]. فكل حي فيها يموت، وكل قوي يضعف، وكل جديد يبلى.

لقد حذّرنا الله سبحانه وتعالى من الاغترار بالدنيا، وبيان سرعة

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

(٢) سورة الرحمٰن: آية ٢٦-٢٧.

زوالها ، وقد أخبر كذلك عن مصير من قصر همه عليها ، ورضي بها وأرادها وحدها ، وأعرض عن الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١] .

وفي «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ قال : «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع» .

وفي حديث آخر : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[٢] .

وفي حديث آخر : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء»[٣] .

ذم الدنيا لا ينصرف إلى ما خلق الله فيها من المنافع والمآكل والمشارب والأموال ، وإنما ينصرف الذم والوعيد إلى تصرفات بني آدم فيها ، فمن افتخر وأعجب بها وشغلته عن طاعة الله ، وأنسته الآخرة فهذا هو المذموم يعاقب كحالة (عاد) لما خوّفهم نبي الله (هود) عليه السلام من عقوبة الله تعالى فيهم : ﴿ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[٤] ، والله يدعوكم إلى التقوى والصلاح لما فيه خيركم في الدنيا والآخرة .

(١) سورة هود : آية ١٥-١٦ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذي وصححه .

(٤) سورة فصلت : آية ١٥ .

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

بادر أخي المسلم إلى الأعمال الصالحة ، ولا تترك الدنيا تغرك بغرورها ، فتقع في شرورها .

---

(1) سورة العنكبوت : آية ٥-٦ .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يختلف الحق والباطل ، وأن يكون للحق أنصاره وأهله ، وأن يكون للباطل أنصار وأهله ، وأن يتصارع أهل الحق وأهل الباطل ، وأن يقوى أهل الباطل أحياناً ، وأن يضعف أهل الحق أحياناً ، ولكن أهل الحق - على ضعفهم وقوتهم - يتصفون بصفة لا تفارقهم ، ويقومون بوظيفتهم مهما ادلهمت الخطوب ، واحلولكت الليالي ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1] ، فكلمة (الخير) ومثلها كلمة (المعروف) تجمعان كل ما جاء به الإسلام من اعتقاد وفريضة وفضيلة ، فكل واحدة منها تجمع أصول التوحيد وفروعه .

وكلمة (المنكر) تجمع كل المحرّمات التي جاء الإسلام لإزالتها من الشرك والبدع والمعاصي والرذائل . . .

فالآية تشمل الدعوة إلى الدين وإقامته وحفظه ، وإزالة الشرك والمنكرات ، وهذا يشمل الأصول والفروع وكل ذلك يشمله معنى الدعوة التي كلفت بها الأمة .

(١) سورة آل عمران : اية ١٠٤

فضل الأمة الإسلامية :

اعلم أخي القارىء الكريم - حفظك الله - أنه لا يختلف اثنان عاقلان على أن الأمة الإسلامية هي خير أمم الأرض، لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١).

وأكد هذه الخيرية رسول الله ﷺ، فقد روى الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: «إنكم تتمّون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»(٢).

وعلى المسلم أن يعلم أن الإيمان بالله هو الشرط الأول والأساسي من شروط الخيرية، بل عداه مبني عليه، ذلك لأن الناس يختلفون في تفكيرهم ومقاييسهم وحكمهم على الأشياء، فالمؤمن يقيس بمقياس الشرع، فما اعتبره الشرع خيراً فهو الخير، وإن خالف هواهم، وما استقبح الشرع فعله كان قبيحاً وشراً، ينبغي على الناس أن يكفوا عنه وإن مالت إلى فعله النفوس الأمّارة بالسوء، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣).

والمعروف في مقياس الشرع الإسلامي هو كل اعتقاد أو عمل أو

---

(١) سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٢) رواه الترمذي وقال عنه: حديث حسن، انظر: «سنن الترمذي» (٥/٢٢٦).

(٣) سورة البقرة: آية ٢١٦.

قول أو إشارة اقرها الشارع الحكيم، وأمر بها على وجه الوجوب أو الندب.

فالتوحيد والإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر، والجنة والنار والصراط والحوض، وغيرها من العقائد تعتبر معروفاً.

وكذلك الصلاة والصوم والحج والصدقة، وقول كلمة الحق تدخل في دائرة المعروف...

أما المنكر في مقياس الشرع الإسلامي هو كل اعتقاد أو عمل أو قول أنكره الشارع الحكيم ونهى عنه.

فالشرك بالله والشعوذة والتمائم وضرب الودع، والخط في الرمل والكهانة والفتح في الفنجان منكرات اعتقادية[١].

وشرب الخمر والسرقة والزنا منكرات عملية.

والغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور منكرات قولية.

فالمنكر هو الشر بعينه.

والإيمان بالله ضروري لكل من يمحص نفسه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الذي يقف نفسه على هذه الوظيفة يواجه من أول يوم كل قوى الشرك والبغي والطغيان، ولن يُترك ليتحرك بحرية يأمر وينهى، بل يتعرض لصعوبات جمّة ولابتلاءات شديدة.

والإيمان بالله سبحانه من شأنه أن يسكب الأمن في قلب المؤمن، فيواجه الصعاب بصبر ورباطة جاش، وهو يؤمن أن ما أصابه لم يكن

---

(١) انظر: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص١٧-٢٣).

ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهو في الوقت ذاته يشعر بأنه يلجأ إلى ركن شديد، وحصن منيع أمين، وأن القوى المادية مهما كانت ضخمة لا تُذكر أمام قوة الله وجبروته التي تقف بجانبه وتسدد خطاه.

لقد حمل الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين ومن أتى بعدهم، مشعل الهداية للناس ليحرروهم من الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي والفساد الخلقي وهوى النفس، ويخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فيدعوهم إلى التوحيد ونبذ الشرك، فكانت الأمة أنفع أمم الأرض للناس، حين قدمت لهم جماع الخير كله، وهو عقيدة التوحيد وعبادة الله، ونأت بهم عن صفوف الشر كله، وهو الشرك فذاقوا طعم الحياة الهانئة المستقرة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة شرعية:

إن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض في دين الإسلام، لم يترك لأهواء الناس واختياراتهم، فإن شاءوا أمروا ونهوا، وإن كفوا عن ذلك فلهم ذلك، بل عليهم أن يقوموا بهذه الوظيفة مهما كانت الظروف قاسية والأجواء مكفهرة، ولا يتخلوا عنها...

وجاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

وصيغة (ولتكن) صيغة أمر ، والأمر يفيد الوجوب ، ومن ثم فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب بنص الآية .

وقال تعالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1] .

والربانيون هم علماء النصارى ، والأحبار هم علماء اليهود . . .

قال القرطبي –رحمه الله– في تفسيره : «دلت هذه الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر ، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» .

وقال سبحانه وتعالى على لسان لقمان عليه السلام : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾[3] .

والآية قرنت بين إقامة الصلاة التي هي فرض ، وإيتاء الزكاة التي هي فرض أيضاً ، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض ، والعطف يقتضي التسوية في الحكم غالباً .

وفي السُّنة الشريفة أحاديث كثيرة نذكر منها :

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٣ .

(٢) سورة لقمان : آية ١٧ .

(٣) سورة الحج : آية ٤١ .

روى الإمام مسلم - رحمه الله - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1] .

وهذا أمر يفيد الوجوب في القيام بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . . .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إياكم والجلوس على الطرقات ، قالوا : يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها ، قال رسول الله ﷺ : فإذا أبيتم إلا المجلس ، فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حقه؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2] .

ومن الملاحظ في هذا الحديث الشريف أنه اعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقاً لأجل الطريق ، والحق كما هو معلوم واجب الأداء إلى مستحقه ، ويلاحظ أيضاً أنه قد ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمرة واجبات مؤكدة هي غضّ البصر عمّا حرّم الله ، وكف الأذى عن الناس ، ورد السلام على من طرحه مما يؤكّد وجوب

(١) «مختصر صحيح مسلم» للمنذري (ص١٦) ، وانظر : «سنن الترمذي» (٤/٤٦٩-٤٧٠) .

(٢) انظر : «صحيح مسلم بشرح المنذري» (١٤/١٤١-١٤٢) ، و «مختصر شرح الجامع الصغير» (١/٢٠٠) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

لقد كانت هذه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تنص على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه لا عذر للمتخلف عن هذا الواجب خاصة إذا كان المنكر ظلم الآخرين وهلاكهم، فالحذر الحذر، والله مع المتقين.

ما يترتب على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وكما تقدم، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض، وحين لا يقام بالفريضة فإن الإثم يحل بالمقصرين . . .

وما من أمة تقاعست عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا عاقبها الله على ذلك، فإذا فشت المعاصي في الناس وظهر الفساد في البلاد، ولم يقف الصالحون في وجه الفساد ينكرونه ويقاومونه، فإن الله سبحانه وتعالى يعمهم بعقاب من عنده يشمل المفسدين والصالحين . . .

فقد روى عن زينب بنت جحش أنها قالت: «قلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث»[2]. والخبث: الفسق والفجور، وإذا تخاذل الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة الظلم، فإن الله سبحانه يعاقبهم بعدم الاستجابة لهم وهم يدعونه، لقول الرسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف

---

(١) انظر: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٣٠-٣٨).

(٢) «مختصر صحيح مسلم» للمنذري (رقم ١٩٨٧)، ورواه البخاري في «صحيحه» (٩/ ٦٠).

ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم»[١].

مما يؤدي إلى استحقاق اللعنة ، أي الطرد من رحمة الله ، كما استحق ذلك بنو إسرائيل حين تخاذلوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . .

ومن العقوبات التي قد ينزلها الله في من يستبعدون شرع الله عن واقع الحياة ، وعدم تحكيمه في حياة الناس ، بأن يجعل بأسهم بينهم حيث يدب الخلاف والشقاق وفساد ذات البين حتى يقتلوا ويسفكوا دماء بعضهم بعضاً ، والأصل أن يكون باسهم على عدوهم تقتيلاً وتشريداً وأسراً . . . وهذا ما حذّر رسول الله ﷺ المسلمين منه ، واستعاذ بالله أن يدركوه فأدركناه ، فنسأل الله السلامة والمغفرة .

روى ابن ماجه -رحمه الله- عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : «يا معشر المهاجرين ! خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن . . .، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[٢].

ومن العقوبات الأخرى عقوبة الاستئصال المعنوي ، فقد كانت الأمم الماضية إذا كذبت رسلها وعتت عن أمر ربها ، أرسل الله عليها عذابا يهلكها ويطهر وجه الأرض من رجسها ، كما حدث للمكذبين من قوم

(١) «سنن الترمذي» (٤/٤٦٨) ، وقال عنه الترمذي : هذا حديث حسن .

(٢) «سنن ابن ماجه» (٢/١٣٣٣) رقم الحديث (٤٠١٩) .

هود وصالح وشعيب ونوح ولوط عليهم وعلى رسولنا الصلاة والسلام .

قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1] .

وإكراماً لنبينا محمد ﷺ فقد رفع الله عن أمته عذاب الاستئصال الحسي الذي كان يحل بالمكذبين من الأمم الماضية والقرون الخالية . . .

ولئن رُفع هذا النوع من العذاب فقد بقي نوع آخر لم يُرفع هو عذاب الاستئصال المعنوي ، حتى لا تعدل في ميزان الله ، ولا عند الناس شيئاً ، ليس لها هيبة في نفوس أعدائها ، ولا احترام في نفوس أصدقائها . . .

ورضي الله عن أبي الدرداء الصحابي الجليل القائل : «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن عليكم سلطاناً ظالماً لا يجلّ كبيركم ، ولا يرحم صغيركم ، ويدعو عليه خياركم فلا يُستجاب لهم ، وتستنصرون فلا تُنصرون ، وتستغفرون فلا يُغفر لكم»[2] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[3] .

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٤٠ .

(٢) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣١١) .

(٣) سورة الزلزلة : آية ٧-٨ .

أمـــور لا بد عنها للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر :

لقد علمنا علماؤنا الأفاضل وفقهاؤنا الأكارم عليهم الرحمة من الله تعالى والرضوان ، كثيراً من الشروط والآداب(١) التي ينبغي مراعاتها في الأمّارين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وسنذكر بعضها بإيجاز :

١- التكليف : أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالغاً عاقلاً ، ذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، لا يجوز على الصغير والمجنون . . .

٢- الإسلام : لا بد أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مسلماً ، لأن هذا فرض والمسلم مكلّف بالقيام به ، ولا يكلف الكافر الجاحد للإسلام . والمسلم عالم بالحلال والحرام ، وقادر على التمييز بين المعروف والمنكر .

٣- العلم : أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ذا علم يستطيع به أن يميز المعروف من المنكر ، حتى يأمر بالأول وينهى عن الثاني . . .

٤- العدالة : كأن لا يُعرف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بفسقه ومجونه وكذبه ، ويكتفى منه أن يكون قائماً بالفرائض من الأركان مجتنباً للكبائر من الآثام ، غير مصر على الصغائر . . .

٥- الالتزام وحسن الخلق : على القائم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يلتزم بالمعروف الذي يأمرهم به ، ويكف عن

(١) انظر : «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص١٠٣-١١٣) .

المنكر الذي ينهاهم عنه ، وأن يكون ورعاً وعفّ اللسان وهو يواجه أناساً مختلفين في طباعهم وعقولهم وأخلاقهم ، لذلك يجب أن يكون رفيقاً بالجميع صبوراً عليهم رفيقاً في مخاطبتهم . . .

وهكذا ينبغي أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في سلوكه هذه الوظيفة العظيمة ، يقول الرسول ﷺ : «لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يكون فيه خصال ثلاث : رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عالم بما ينهى ، عدل فيما ينهى»[(١)] .

كيف نغير المنكر ؟

لقد علّمنا رسول الله ﷺ كيف نغير المنكر في الحديث الشريف ، قال عليه الصلاة والسلام : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان»[(٢)] .

فمن الملاحظ في الحديث الشريف أن أقوى وسائل تغيير المنكر هي اليد ثم اللسان ثم القلب .

فإذا كان الآمر بالمعروف قادراً وله السلطة فعليه أن يغير المنكر بيده ، كالسلطان على الرعية ، والزوج والأب على الزوجة والأبناء . . .

أما تغيير المنكر بالقلب ، فله آثاره القوية على المنكر وإزالته ومحوه من المجتمع ، ذلك لأن النبي ﷺ قد اعتبره تغييراً بقوله : (فليغيره) أي فليغير بيده إن استطاع فإن لم يستطع تغييره بيده فليغيره بلسانه ، فإن لم

(١) «منهاج الصالحين» (ص٤١٣) ، نقلاً عن الديلمي .

(٢) «مختصر صحيح مسلم» للمنذري (ص١٦) .

يستطع تغييره بلسانه فليغيره بقلبه .

والمقصود بإنكار المنكر بالقلب تغييراً لهذا المنكر ، هو أن المسلمين إذا رأوا رجلاً يرتكب منكراً من المنكرات فنصحوه ، ولم يستجب لهم فعلى كل واحد منهم أن ينكر فعل المنكر هذا ، وأن يقاطع من يأتيه فلا يؤاكله ولا يشاربه ولا يجالسه ولا يتعامل معه ولا يخدمه ولا يدافع عنه .

فإذا فعلوا ذلك مع الظلمة ألزموهم بالكف عن المنكر والالتزام بما يقولون . . .

وقد تمر حالة على المجتمعات[1] يخرج حكامها عن الإسلام ، ويستبعدونه من واقع حياة المسلمين ، ويرضون تطبيقه ، ويستوردون قوانين وشرائع لم يأذن بها الله ولا رسوله ، ولا يرضى عنها صالح المؤمنين ، فتنقلب الموازين والمعايير التي تحكم في أفعال الناس وأقوالهم ، فيفسد المجتمع ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، فيحلّ الحرام ، ويحرّم الحلال ، فيصبح الخمر حلالاً والعري مباحاً، وقد نهى الله عنه ، والربا مباحاً ، وسبّ الله مباحاً، بينما سبّ الزعيم يصبح حراماً يقع فاعله تحت طائلة العقاب .

إذا وصلت الأحوال إلى هذا الدرك الأسفل من الانحطاط والفساد ، فإن طريق التغيير تكون حينئذ ما بدأ به رسول الله ﷺ دعوته في مكة ، حيث سار في دعوته وفق مراحل ووسائل تناسب كل مرحلة .

---

(١) انظر : «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٩٠) وما بعدها .

لقد بدأ يدعو إلى الإيمان بالله ، وأخذ يصحح تصورهم الاعتقادي نحو الكون والإنسان والحياة ، ويجمعهم حول العقيدة التي اعتقدوها . . وفي بداية الدعوة ، كان الرسول ﷺ يدعو الناس إلى الخير ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .

فقد كان يدعوهم إلى تأليه الله في المجتمع بتطبيق شرع الله ، وينهاهم عن رفض ألوهية الله برفض تطبيق شريعته في واقع الحياة . . .

ومن الجدير ذكره أن تغيير المنكر في مجتمع انقلبت موازينه واختلت معاييره لا يكون باعتزال الناس والتقوقع ، وإنما يكون بمخالطة الناس وتوعيتهم ، وتصحيح التصوّر الاعتقادي عندهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . . . والله ولي التوفيق . والحمد لله رب العالمين .

أمثلة من الانحراف والتحريف المعاصرين

إن تعدد أوجه الانحراف والتحريف ليس أمراً غريباً على هذه الأمة، فقد عاصرنا الكثير من الانحرافات والأباطيل، والمعروف أن الباطل متعدد والحق واحد، ولذا فليس عجباً أن نرى تشابهاً في سبب مظاهر التحريف، وهو البعد عن منهج الكتاب والسُّنة، وأن نرى تعدداً في نتائج الابتعاد عن هذ المنهج.

وفيما يلي -أخي القارىء- عرض لبعض مظاهر الانحراف والتحريف في القرن العشرين:

١- دعوى أن دور الإسلام مشابه لدور الأديان الأخرى، مقصور على تحديد وتنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق، وأن الإسلام لم يأت كمنهاج حياة شامل، وهذا إنما هو ترديد للمفهوم اللاهوتي الغربي للدين، ومحاولة لفصل الدين عن الدولة كما حصل في أوروبا.

٢- العمل والأخذ ببعض الإسلام وترك بقية الإسلام، مثل التزام الناس بالعبادات والشعائر الدينية، وإلهامهم الالتزام بالأحكام الشرعية فيما يخص النظام الاجتماعي مثلاً، فلا تظهر فيهم سمات المجتمع المسلم.

٣- تحريف مفهوم صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان على حساب الإسلام وأحكامه، فإذا ما اختلطت العائلات في الزيارة رجالاً ونساءاً،

واحتجّ أناس ، قيل : إن هذا ينسجم مع روح الإسلام الصالح لكل زمان ومكان ، وهكذا أصاب هذا المفهوم نوع من الميوعة جعلت في أدعيائه وترديده شبهة واستنكاراً .

٤- دعوى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة ، ويريدون بالأصالة الإسلام ، والمعاصرة روح العصر الحديث ، ويكفي هذه الدعوى شراً وخطراً أنها تترك الانطباع بأن الدين وأحكامه لا تتلائم مع العصر الحديث دون تعديل أو توفيق بينهما ، ونحن نعتقد خلاف ذلك ، وأن الأصالة وحدها تكفي ففيها المعاصرة نفسها .

٥- المطالبة بالالتزام بروح الإسلام لا بنصوصه في محاولة لنسف أوامر الإسلام ونواهيه ، وتحقيقاً لهذا المطلب تمّ إطلاق أوصاف سيئة على الملتزمين تشويهاً لصورتهم وإثناءاً لهم على استقامتهم .

وهكذا أصبح يطلق على المتمسك بدينه متزمت متشنج متطرف ، جامد حرفي ، متعصب ، ومقابل ذلك طالب هؤلاء بالالتزام بروح الإسلام لا بنصوصه ، وبالأفكار المعقولة المعتدلة في محاولة لتمييع القضية من أساسها ، وفي محاولة خبيثة للإشارة بطريقة غير مباشرة إلى وجود أفكار غير معقولة وغير معتدلة في الإسلام .

٦- تحريف المسلمين للمصطلحات التي تدل على أمور منكرة ، وإطلاق ألفاظ جميلة ، وأسماء مقبولة في محاولة لتجميل تلك الأمور لجعلها مقبولة لدى الناس ، فأطلقت المشروبات الروحية على الخمر ، والإكرامية على الرشوة ، والفائدة على الربا ، والفنانة على الراقصة التي

تعبث بجسدها ، والشيخ على الساحر ، والتحرر والعصرية على التحلل من قيود الأخلاق .

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى بعض هذه الأمور فقال : «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها»[(١)] .

٧- استعمال مصطلحات غربية لوصف الإسلام ، كوصف الإسلام بأنه دين ديمقراطي ، أو الإشارة إلى اشتراكية الإسلام ، أو أن الإسلام دين اشتراكي ، مما لا يجوز إطلاقه على الإسلام ، فالإسلام هو الإسلام ، والمسلم هو المسلم .

٨- إطلاق لفظ التراث على الإسلام ، وهو لفظ لطيف في محاولة ذكية لإعطاء الانطباع بأنه لا صلة له بالحاضر أو المستقبل .

يقول الأستاذ أنور الجندي : «مفهوم التراث لا ينطبق على الفكر الإسلامي الحي المتجدد الفعّال ، وإنما ينطبق على الفكر الروماني المبتوت المنقطع الذي انفصل ألف عام ، ومن ثم فقد حقّ أن يكون موضع المراجعة والنظر والانتقاء»[(٢)] .

٩- حصر الإسلام في مؤسسات معينة ، وفي أناس معينين ، وهذا ما أصاب اليهودية والنصرانية من قبل .

وهكذا حُصر الإسلام في مؤسسات دينية ورجال دين .

لكن ذلك لا ينفي الحقيقة الخالدة أنه لا توجد منظمة دينية ، ولا

---

(١) حديث صحيح : رواه أبو مالك الأشعري ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه .

(٢) انظر : «شبهات في الفكر الإسلام» (ص٥٤) أنور الجندي .

رجال دين في الإسلام، وكما أنه لا رجال دين في الإسلام، غير أن في واقع المسلمين رجال دين.

وكما أنه لا كهنوتية في الإسلام، غير أن واقع المسلمين طبقة تتصف إلى حد ما ببعض صفات الكهنوتية.

إن نظام الإسلام وإن كان لا يمنع من وجود وزارات مختلفة، لكن لا على أساس حصر الإسلام بواحدة منها، فحصر الإسلام في وزارة معينة، وعزل الإسلام عن المؤسسات الأخرى بداعي التخصص ونحوه، أمر ليس من الدين في شيء[1].

كانت تلك أمثلة من الانحرافات والتحريف الذي وقع فيه الكثير من الناس، فضلوا وعموا عن طريق الحق، وإليك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾[2]، فاتبعوا الباطل، فكانت هناك التيارات، والأفكار الدخيلة التي غزت بلاد الإسلام، وانحرفت بالمسلمين عن الصواب.

ومع كل محنة يبقى الأمل عامراً القلوب المؤمنة في النصر لهذا الدين. وبالخير المعقود على الفئة المؤمنة التي بارك الله فيها: «الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة»، والحمد لله رب العالمين...

---

(١) انظر: «معالم الهدى إلى فهم الإسلام» (ص١٠٣-١٠٥).

(٢) سورة الأنعام: آية ١٥٣.

غُـربـة الإسـلام

إن صفوة الأمة هم أصحاب النبي ﷺ الذين هم أبرأ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، ثم التابعون لهم بإحسان ، الذين تلقوا العلم عنهم فهم من خير الناس بعدهم لما في «الصحيحين» عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال : (خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، - لا أدري أذَكَرهم مرتين أو ثلاثة - ثم يجيء قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، ينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن) أي : من أجل غرقهم في الترف ، وسائر الأكل المسمن للجسم ، وفي رواية : (تسبق شهادة أحدهم يميناً ، ويمينه شهادته) ، وهذا مما يدل على فساد الناس في آخر الزمان ، كما جاء في حديث الرسول ﷺ : «ذهب الصالحون الأول فالأول ، ثم تبقى حفالاً - وفي رواية - حثالاً كحثالة الشعير أو التمر ، لا يباليهم الله تعالى باله»[١] .

ومن المعلوم أنه متى ذهب الصالحون المصلحون الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر ؛ فإنه يخلو الجو للفاسدين الفاسقين ، فيبيضون ويصفرون .

وجاء من أشراط الساعة أن يذهب العلم ، ويفيض الجهل ، كما في «الصحيحين» من حديث عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال : «إن الله

---

(١) رواه البخاري وأحمد .

تعالى لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العباد ، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا»[١] .

ولهذا حثّ النبي ﷺ على التمسك بسنته أي بدينه عند فساد أمته .

وقال ﷺ في الحديث الصحيح : «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وآخرون .

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال : «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد» رواه البيهقي والطبراني .

وقد سماه النبي ﷺ بأيام الصبر وقال : «إن من وراءكم أيام الصبر القابض فيهن على دينه كالقابض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين منكم ، قالوا : كيف يكون له أجر خمسين منا ؟ قال : إنكم تجدون على الحق أعواناً ، وهم لا يجدون» رواه الترمذي .

إن أكثر الناس في هذا الزمان يتسمون بالإسلام ، وهم منه بعداء وينتحلون بأنهم من أهله وهم له أعداء ، يعادون بنيه ، ويقوضون مبانيه ، لم يبق معهم منه سوى محض التسمي به ، والانتساب إليه بدون عمل به ، ولا انقياد لحكمه ، فترى أكثرهم لا يصلون الصلوات الخمس المفروضة ، ولا يؤدون الزكاة الواجبة ، ولا يصومون رمضان ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عمرو بن العاص .

ويستحلون الربا ، وشرب الخمر ، فهم في جانب والإسلام في جانب آخر ، فهؤلاء أكثر الناس ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1] .

يقول بعض الناس : إن الدين إذا فسد العمل به صار آلة ضعف وانحطاط ، ونحن نقول : أنه متى فسد العمل بالدين فلا دين ، كما أنها متى فسدت الصلاة فلا صلاة ، ومتى فسد الصيام فلا صيام ، لكون الدين عند الإطلاق ينصرف إلى الدين الصحيح[2] .

فمتى أفسد الناس الدين بترك أوامره ، وارتكاب نواهيه ، فقد خرجوا عن حده ، واستبدلوا ضده ، وكانوا بهذا الانقلاب جديرين بالضعف والانحطاط ؛ لأن ذنوب الجيش جند عليه ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[3] .

فكل ضعف حصل بالمسلمين فبسبب ما ضيّعوا من تعاليم الدين حتى التنازل والاختلاف والقتال بين حكام المسلمين ، فكلها ذنوب تورث الضعف والذل .

إن لضعف الدين عوامل عديدة تساعد على ضعف الناس ، نذكر منها قول عمر بن الخطاب : «أنه يفسد الإسلام ثلاثة أشياء : الأئمة المضلون ، وزلة العالم ، وجدال المنافق بالقرآن» .

---

(١) سورة يوسف : آية ١٠٣ .

(٢) انظر : «الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة» (ص٣٩) وما بعدها ، للمصلح الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود - رحمه الله - .

(٣) سورة الرعد : آية ١١ .

وروى مسلم عن ثوبان أن النبي ﷺ قال : «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»[(١)] .

والخطر المخوف من زلة العالم هو الاغترار به فيها ، ومتابعته عليها ، إذ لولا التقليد والاتباع لما خيف على الإسلام وأهله من زلته ، وكان ابن عباس –رضي الله عنه– يقول : «ويل للأتباع من عثرات العالم» .

فقد شبهوا زلته بغرق السفينة يغرق بغرقها الخلق الكثير .

كما أن الأئمة المضلين هم أمراء الناس الذين تنكبوا الطريق المستقيم ، وتركوا شريعة القرآن الحكيم ، وسُنة رسول الله ﷺ ، واستبدلوا بها شريعة القوانين فتبعهم الناس على ضلالهم ، ورافقوهم على فسادهم واستبدادهم . والناس غالباً على طرائق ملوكهم في الخير والشر ، ومتى فسد الراعي فسدت الرعية[(٢)] .

ومنها دنيا تقطع أعناق الناس حتى تجعلهم كالميتين عن مصالحهم الدينية . وعن ما يوجب قوتهم واستقامتهم ، والاستعداد للجهاد في سبيل الله ؛ لأن شغفهم بلذاتهم المادية قد شغلهم عن الأمور الدينية فلأجل حبها صارت هي الجيش الغازي بلاد الإسلام في هذا العصر ، وكأنها الكافلة لأعداء الإسلام بالفتح ، والنصر بغير جموع ولا جنود ، وبغير دفاع ولا امتناع ، فقد قال ﷺ : «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعت الآكلة على قصعتها ، قالوا : أمن قلة يومئذ؟ قال : لا ،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) انظر : «الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة» (ص٩٤) .

ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ينزع الله مهابة عدوكم منكم ، ويسكنكم مهابتهم ، ويلقي في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت»[١] .

وكل ما كان أصلاً للفساد فإنه يكون سبباً لدخول الضعف منه على العباد ، فهذا الضعف الحاصل بالمسلمين ليس من الدين ، وإنما حصل بسبب ما ضيعوه من تعاليم الدين .

ثم إن الضعف والغربة في الدين لا يلزم أن تدوم ، بل قد تقع ثم تزول ، إذ هي وصف عارض كالأمراض الطبيعية ، وربما صحت الأبدان بالعلل .

فقد يعود الإسلام إلى قوته ، ويفيء من غربته ، كما اشتد ضعفه وغربته زمن وفاة النبي ﷺ حتى ارتدت العرب عنه ، ولم يبق مسجد يصلى فيه إلا مسجد مكة ومسجد المدينة ، ومسجد (عبد القيس) بجواثي - أي الإحساء .

وعلى أثر هذا الضعف وهذه الغربة ، جاهد الصحابة في الله حق جهاده حتى استعادوا قوة الدين ونشاطه .

فقول النبي ﷺ : «بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء[٢]، وفيه يا رسول الله من الغرباء؟ قال : النزاع من القبائل ، وفي رواية قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس» .

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» ، وأبو دواد في «سننه» .

(٢) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد .

وقد اتخذ الناس هذا الحديث بمثابة التحذير لهم والتخذيل للأمم، بحيث يتخذونه بمثابة العذر لهم عن القيام بما أوجب الله عليهم من الجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ولأئمة المسلمين وعامتهم، حتى كأن الرسول بزعمهم قصد بهذا الحديث الاستسلام لهذا الضعف المفاجيء للمسلمين، ولهذه الغربة في الدين، وأن هذه الغربة تقع في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان.

إن العاقل -أخي القاريء- لا يستوحش طرق الهدى من قلة السالكين، ولا يغتر بكثرة الهالكين التاركين للدين، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

وفي «الصحيح» عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنها لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة»[2]، وأن الله سبحانه لا يزال يغرس لهذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته، ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[3]، وأن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[4].

---

(١) سورة يوسف: آية ١٠٣.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة، والحاكم في «المستدرك».

(٤) رواه أبو حاتم من حديث الخولاني.

وقال عليه الصلاة والسلام : «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»[1].

فكل هذه الآثار تدل دلالة واضحة على تقلّب الأحوال وغربة الإسلام ، وإن الدين محفوظ عن الزوال بحفظ الله سبحانه حتى تقوم الساعة ، فمن ظنّ أن الله يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة فقد ظن بالله السوء ، ولكن المصارعة لا تزال قائمة بين الحق والباطل ، يقول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[2].

والعاقبة للمتقين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) رواه الترمذي ، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: هو حديث حسن .

(2) سورة الرعد : آية ١٧ .

لِم تقولون ما لا تفعلون ؟ !

أمر الله عز وجل عباده المؤمنين أن يقرنوا بين القول والفعل ، وبين العلم والعمل ، فما من آية نادى الله فيها المؤمنين إلا ودعاهم إلى العمل المقتضي للعلم بذلك .

لقد كان العلم المجرد عن العمل من سنن وأخلاق المغضوب عليهم ؛ من أجل ذلك قال بعض علماء السلف : (من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود ، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شبه بالنصارى) .

فالعلم والعمل أمران متلازمان ، وهما جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلمين . وقد وعد الله تعالى الذين يقولون ما لا يفعلون عربهم وعجمهم فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] .

وهذا الوعيد في شأن آحاد المؤمنين ، أما خاصتهم من علماء وغيرهم فالوعيد أشد ؛ لأن الناس يقتدون بهم في الخير والشر ، لذلك أول من تُسعّر بهم النار ثلاثة : أولهم عالم لم يعمل بعلمه ، ولم يتق الله فيما أنعم الله به عليه ، فلم يُخلص فيه العمل لله[2] .

وقد جاء في «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال في شأن

---

(١) سورة الصف : آية ٢-٣ .

(٢) انظر : «مجلة الأصالة» (ص٢٣) العددان الخامس والسادس عشر ١٤١٥هـ .

هؤلاء : «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقول : يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه».

فهذه سوء عاقبة أولئك الذين يلتزمون بالشعارات التي يرفعونها ، ولا يطبقون المثل العليا التي ينادون بها ، بل كانوا أمثال سوء . . .

وما أسوأ الشيخ المفتون الذي يسوغ لنفسه الرُّخص ، ويتأوّل لنفسه الفواحش ، بينما نراه يحرمها على غيره أشد تحريم !!

أليس الجدير بهؤلاء المشايخ أن يكونوا هداةً مهديين ، وأن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم ، فيكونوا أئمة هدى ، ومنارات دجى ، وقد بوّأهم الله مركز الصدارة والريادة يوم كانوا ورثة -حقاً- بعلمهم الشرعي؟ لكن ما قيمة العلم الشرعي الذي لا يحمل صاحبه على الخشية والعمل والتقوى والورع والإخلاص لله على كل حال !!

لهذا بيّن الرسول ﷺ حال الأمة حينما تفتقد العلماء العاملين المقتدى بهم ، الذين بالحق قاموا وبه يعدلون ، الذين ورثوا علم النبوة حقاً وكانوا مدرسة قرآنية تمشي بين الناس إمامهم في ذلك الأسوة الحسنة رسولنا محمد ﷺ .

قال ﷺ : «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فَسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا»[1] .

---

(١) متفق عليه .

فما أحوج الأمة اليوم إلى القدوة الحسنة التي تتربى الأمة على أخلاقهم وسمتهم وسننهم ، وحينما فقدت الأمة القدوة الحسنة بين الناس ، قلّ فيها الخير وكثر فيها الشر ، وعصفت بها الفتن ، ولا مخرج لها منها إلا أن تتبع سبيل المؤمنين ، وإمامهم محمد ﷺ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

قـرناء الســـوء :

إن انحراف الشباب في هذه الأيام ظاهرة واسعة الانتشار ، فهم أعضاء فاسدون في المجتمع ، لا يصلحون للحياة الكريمة حيث أنهم لا يفكرون إلا بالإثم والمعصية . . .

وهذه الفئة تتواجد حيث نهى الله تعالى عنه ، وتفقد حيث أمر الله عز وجل به ، فتنام في نهار الحياة وضوئها ، وتستيقظ في ليل الضلالة وظلام الغواية – والعياذ بالله – .

وقد قال الله تعالى محذّراً من هذه الفئة : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[١] .

كما يقول الله سبحانه مبيناً مآل هذه الفئة : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[٢] .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٣٦ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٢٧-٢٩ .

وتذكروا قوله تعالى : ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١].

وكذلك فقد مثّل رسول الله ﷺ قرين السوء والصاحب الشرير، والصديق المنحرف برجل دأبه وديدنه الانغماس في الفحم والخشب، والنفخ في الكير، وإشعال النار، ونشر الدخان وبث القتار، فويل ثم ويل لمن يجاوره أو يقاربه أو يدانيه . . .

ومثّل عليه الصلاة والسلام قرين الخير وصاحب الفضيلة والصديق الصالح برجل المسك وشغله العنبر وهمه الاتجار بالعود، وطبعه الكرم والسماحة، يبيعك مما عنده إن شئت ويضمخك بالطيب إن أحببت ويغمرك بآثاره . . .

يقول عليه الصلاة والسلام : «مثل الجليس الصالح والجليس السوء : كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»[٢].

واعلم – أخي القارىء – أن قرناء السوء ربما كانوا فئة ضالة تشاركك مقاعد الدراسة، أو مجموعة مرموقة منحرفة تجاورك في السكن، أو طائفة مارة تنتظرك عند نادٍ أو حديقة.

واعلم كذلك – يرحمك الله – أن قرناء السوء ربما قدموا لك المال الوفير، وربما أغروك بالشهوات، وخدعوك بالكلام الجميل، وربما

---

(١) سورة الزخرف : آية ٦٧ .

(٢) رواه البخاري عن أبي موسى .

جروك بالخمر والمخدرات ، وأقنعوك بالرحلات والسهرات ، وغير ذلك مما يمثل الطعم القاتل والفخ الماكر .

ومن الجدير ذكره أن التبصّر بنتائج الجري وراء رفقة السوء ومشاركتهم عبثهم وجرائمهم ، هو طريق النجاة من الهلاك ؛ لأن بحر الهلاك سيكون الجريمة أو الانحلال والميوعة التي تقضي على كل رجولة وإرادة ، هما أساس الحياة الكريمة ، ومن ثم الفشل في تكوين أسرة صالحة ، هذا عدا عن غضب الله ونقمته وسخطه ولعنته التي تنصب صبّاً على الأوكار الخفية ، والأعمال الدنية .

ومما لا يخفى أن مفاتيح الشر وأقبح الأخلاق وأسوأ الطرق وأبشع أنواع الظلم ، والتفكير الأعوج قيود وسلاسل ذرعها سبعون ذراعاً ، تطوق أعناق قرناء السوء وهي تحاول أن تشدكم إلى قيدها وتجركم إلى أسرها .

وهذا مصداق قول رسول الله ﷺ : «المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل»[1]، ويقول ﷺ : «إياك وقرين السوء فإنك به تعرف»[2]، أي حتى ولو لم توافقه على هواه ، وتجاره في خطاياه فإنك إليه تنسب ، وبه تشتهر ، ومعه تقرن .

إن رفقة الصالحين ومجاورة المتعبّدين ومصاحبة المستقيمين ومصادقة الأبرار المتقين أمان من السقوط والتردي ، وخير وبركة في كل حال ، وتجارة رابحة وكسب طيب بل هي فريضة محكمة في كتاب

(١) رواه الترمذي وأبو داود .

(٢) رواه ابن عساكر عن أنس .

الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1] .

ولهذا أتوجه إليكم -أيها الشباب- قبل آبائكم . . . ؛ لأن قرين السوء إذا تمكّن منكم عزّ على آبائكم إبعاده ، فأقول لكم :

إن هناك أناساً جعلهم الله مفاتيح للخير ومغاليق للشر ، وأناساً آخرين جعلهم الله مغاليق للخير ومفاتيح للشر ، كما جاء في الحديث الشريف ، وإن من السعادة أن نبحث عن صاحب نفتح به باب كل خير ، ونغلق به باب كل شر ، ومن السعادة والخير أن نهجر الصاحب الذي يفتح علينا باب كل شر ويغلق في وجوهنا باب كل خير .

ألا يسرّكم -أيها الشباب- أن يظلكم الله يوم القيامة بعرشه يوم لا ظِل إلا ظله ، إذن فكونوا من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ، يوم الحشر العظيم ، وجاء في الحديث الصحيح : «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» ، ومثل الرجل الشاب والمرأة والفتاة . . .

العابد والجاهل :

لقد أكرم الله سبحانه عباده المؤمنين بالإيمان ، ورفع منزلة العلماء العاملين بعلمهم النافع ، والداعين إلى الله على هدى وبصيرة .

قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2] .

فللعلماء الصادقين في دعواهم درجات عالية، ومنازل رفيعة عند الله

(١) سورة التوبة : آية ١١٩ .

(٢) سورة المجادلة : آية ١١ .

سبحانه فهم الذين لم يبخلوا على أمتهم بعلمهم النافع . وخاصة ما يتعلق بالعقيدة والتوحيد ؛ فقد نشروا هذا العلم ، وقاموا على بيانه وتطبيقه ، ونصحوا الأمة ، وبذلك قوّضوا معالم الجهل ودكّوا معاقل الضلال والإلحاد . . .

ولا يستطيع الإنسان التثبّت أو التبصّر بأمر دينه إلا بالعلم والتفقه .

أما الجاهل الذي لم يستطع التفقه في دينه ، فقد يعبد الله بإخلاص وصدق ، ولكنه قد يخرج على أمر الله دونما علم ؛ لأنه لا يستطيع أن يميز بين الحلال والحرام ، أو النور والظلام ، فيرتكب المعاصي والمنكرات ؛ لجهله بالعقيدة والعبادات ، وأضدادها من المحظورات ؛ كالبدعيات والشركيات . . .

وكذلك فعالم السوء المبتدع يضلل الناس ، ويخرجهم عن الطريق السوي ، كما أن العابد الجاهل - الذي لا يدرك موازين العبادة - يخشى عليه من الانحراف والهلاك ؛ لأنه فاقد الإدراك بمعالم الطريق القويم فيزل قدمه ، كمن يلج البحر ، ويتوغل داخله وهو لا يجيد السباحة ، ولا يعرف كيف يقاوم وحوش البحر وأمواجه ، فقد يكون هلاكه أقرب إلى الظن من نجاته ، وذلك لعدم دربته وخبرته . وجهله لعالم البحار ولوازمها .

وقد بيّن رسولنا الكريم محمد ﷺ درجات العلماء والعاملين في قوله : «فَضْل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة»[١] .

---

(١) رواه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» ، وانظر : «مختصر شعب الإيمان» (ص٣٨) للإمام البيهقي .

قال ابن القيم : (وأما العابد الجاهل فآفته من إعراضه عن العلم وأحكامه ، وغلبة خياله وذوقه ووجده وما تهواه نفسه[1]، ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره : «احذروا فتنة العالم الفاجر ، وفتنة العابد ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فهذا بجهله يصدّ عن العلم وموجبه ، وذاك بغيه يدعو إلى الفجور»[2] .

وقد ضرب الله مثل النوع الآخر بقوله : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] .

وهذا الإنسان أساس أمره على عبادة الله بجهل فأوقعه الشيطان بجهله ، وكفّره بجهله ، فهذا إمام كل عابد جاهل يكفر ولا يدري ، وذلك إمام كل عالم فاجر ، يختار الدنيا عن الآخرة .

وقد جعل الله سبحانه رضى العبد بالدنيا وطمأنينته وغفلته عن معرفة آياته وتدبرها ، والعمل بها سبب شقائه وهلاكه ، ولا يجتمع هذان - أعني الرضا بالدنيا والغفلة عن آيات الرب - إلا في قلب من لا يؤمن بالميعاد ، ولا يرجو لقاء رب العباد ، وإلا فلو رسخ قدمه في الإيمان بالميعاد لما رضي الدنيا ، ولا اطمأن إليها ، ولا أعرض عن آيات الله . . .

وهذا الملاحظ أن هذا الضرب هو الغالب على الناس ، يقول الله

---

(١) انظر : «الفوائد» (ص١٣٧) .

(٢) المصدر السابق ، وانظر كتابنا : «الكشاف الفريد» (٢/٤٣٨) وما بعدها .

(٣) سورة الحشر : آية ١٦-١٧ .

تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

يقول ابن القيم : الجاهل يشكو الله إلى الناس ، وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو إليه ، فإنه لو عرف ربه لما شكاه ، ولو عرف الناس لما شكا إليهم .

والعارف إنما يشكو إلى الله وحده ، وأعرف العارفين من جعل شكواه إلى الله من نفسه لا من الناس ، فهو يشكو من موجبات تسليط الناس عليه ، فهو ناظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[2] .

وهذا هو الفرق بين العابد والجاهل ، والعابد العالم .

---

(١) سورة يونس : آية ٧–٨ .

(٢) سورة الشورى : آية ٣٠ .

أسباب تخلف المسلمين وضعفهم

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

لقد قرر القرآن الكريم أن الله ينصر من ينصره ، فكيف يكون نصرنا لله سبحانه وتعالى وهو القوي المستغني عن كل شيء بذاته الكريمة ؟

يقول الشيخ العلامة الشنقيطي -رحمه الله- في هذا المضمار موضحا هذه الآية الكريمة : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2] .

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين إن نصروا ربهم نصرهم على أعدائهم وثبت أقدامهم أي عصمهم من الفرار والهزيمة وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة ، وبين في بعضها صفات الذين وعدهم بهذا النصر كقوله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[3] ثم بيّن صفات الموعود بهذا النصر في قوله تعالى بعده : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[4] يدل على أن الذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ، ولا يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون

(١) سورة الحج : آية ٤٠ .

(٢) سورة محمد : آية ٧ .

(٣) سورة الحج : آية ٤٠ .

(٤) سورة الحج : آية ٤١ .

عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر البتة . . .

ومعنى نصر المؤمنين له نصرهم لدينه ولكتابه وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه وتتمثل أوامره، وتجتنب نواهيه، ويحكم في عباده بما أنزل على رسوله ﷺ[1] .

وقال ﷺ : «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[2] .

فسبب الذل -والذي هو عكس العزة- ليس التخلف العلمي أو التكنولوجي كما يظن كثير من الناس، ولكن سبب الذل كما ذكر الرسول ﷺ في الحديث السابق هو البعد عن الدين، ولا سبيل لنا نحن المسلمين لنزيل هذا الذل عنا إلا بالعودة إلى ديننا كما في الحديث الذي ذكرناه سابقاً : «سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»، ونذكركم بقول الإمام مالك -رحمه الله- : «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، وأول هذه الأمة لم يصلح بالتكنولوجيا، وإنما صلح بالتمسك بالإسلام[3] .

إن الرجوع إلى دين الإسلام هو الحل، ولا يتأتى ذلك إلا بعدة أمور هي :

---

(١) «أضواء البيان» (٧/ ٤٢٢) .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما .

(٣) انظر : «الطريق إلى الجنة» (٦/ ٢٦٨) .

أولاً : أن نفهم ديننا فهماً صحيحاً كما فهمه أصحاب النبي ﷺ -رضي الله عنهم- سلفنا الصالح .

قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] .

لاحظ هنا -أخي القارىء- أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿هَٰذَا صِرَٰطِي. . .﴾ بالمفرد أي أنه صراط واحد ، وهو المستقيم بينما عندما تكلم تبارك وتعالى عن الطرق والسبل الضالة قال : ﴿ٱلسُّبُلَ﴾ بالجمع ، وهذا الأمر معروف عند أهل السُّنة والجماعة أن صراط الله المستقيم القويم واحد ، أما السبل والطرق الضالة فهي كثيرة .

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية : «وقوله تعالى : ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾ إنما وحّد سبيله ؛ لأن الحق واحد ، ولهذا جمع السبل لتفرقهم ، وتشعبهم. . .»[2] .

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه- خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ، وقال : «هذا سبيل الله»، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه ويساره وقال : «هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه»[3] ثم قرأ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4] .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٣٠٦) .

(٣) حديث صحيح ، صححه الألباني في «تخريج شرح الطحاوية» (ص٨١٠).

(٤) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .

وعلى هذا فالفهم الصحيح للإسلام بعيداً عن الأفكار الدخيلة ، والابتداع هو الذي يقودنا إلى الصراط المستقيم كما أراده الله سبحانه ونبيه محمد ﷺ .

ثانياً : أن نطبق الإسلام -الذي فهمناه فهماً صحيحاً- تطبيقاً صحيحاً ، ولا نتنكر لأي جزء منه صغيرا كان أم كبيرا بدعوى أننا لا نستطيع أو بالأصح لا نريد أو يشق علينا الالتزام به .

ثالثا : أن ندعو ونعمل لهذا الذي فهمناه وطبقّناه فهماً وتطبيقاً صحيحاً ، ومن أعظم أعمال الدعوة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال ﷺ : «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يُستجاب لكم»[١] .

كيف نفهم ديننا فهماً صحيحاً :

لكي نفهم ديننا فهماً صحيحاً يجب أن نفهم أول ركن من أركان الإسلام ، والذي به يعتبر الإنسان مسلماً وبدونه لا يعتبر مسلماً وإن عمل كل ما يعمله المسلمون من عبادات ، هذا الركن هو : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله[٢] .

هذا الركن العظيم من أركان الإسلام لا يفهم معناه كثير من

(١) «صحيح الترمذي» للألباني (ص١٧٦٢) .

(٢) «الطريق إلى الجنة» (٦/ ٢٧٠) .

المسلمين ، ولا يعملون بمقتضياته فإذا سألت اليوم كثيراً من المسلمين ما معنى «لا إله إلا الله»؟ قالوا لك : «يعني أن الله عظيم كريم ، وهو خالق كل شيء ، وهو الرزاق المدبر والمالك لكل شيء ، ويجب علينا عبادته» .

هذا ما يفهمه أكثر الناس من معنى لا إله إلا الله ، والحقيقة أن هذا جزء يسير من معنى لا إله إلا الله .

أما الجزء الأهم فقد نسيه أو تناساه كثير من الناس -إلا من رحم ربي- وهو أن أهم معاني لا إله إلا الله هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة دون غيره ، أو كما يقول العلماء : «لا معبود بحق إلا الله» .

فلا يجوز للمسلم أن يذبح إلا لله ، ولا أن يدعو إلا لله ، أما الذين يعظمون الله تعالى ويعبدونه ويتقربون إليه ، وفي الوقت نفسه يصرفون أنواعاً أخرى من العبادات لغير الله كالذبح أو الدعاء أو غير ذلك من العبادات ، فهؤلاء وإن عبدوا الله في نفس الوقت إلا أنهم مشركون خارجون عن ملة الإسلام ؛ لأن الإقرار بعظمة الله وعبادته مع غيره عمل لا يجعل الإنسان مسلماً موحداً بل يجعله مشركاً مستحقاً للمحاربة -إذا أقيمت عليه الحجة وأصرّ على ذلك- والدليل أن رسول الله ﷺ حارب كفار قريش ، وهم يعظّمون الله تعالى ، ويتقرّبون له بأنواع العبادات ، لكنهم كانوا يصرفون في الوقت نفسه أنواعاً من مسألتهم لأصنامهم وآلهتهم المزعومة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ

﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾[1].

فالمهم - أخي الكريم - ليست عبادة الله وحده فقط، ولكن المهم هو إفراد الله وحده بالعبادة دون غيره كائناً من كان، فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله، لا لنبي ولا لجني ولا لولي ولا لصنم، ولا لصاحب قبر، ولا لأي مخلوق كائناً من كان جماداً أو إنساناً أو غيره، هذا المفهوم المفقود عندنا في المجتمعات الإسلامية هو أهم وأول مفهوم يجب أن نذكره لنفهم ديننا فهماً صحيحاً لنرجع إلى ديننا لنستحق النصر من الله تعالى، وليرفع الله تبارك وتعالى الذل عنّا، ورسولنا الكريم يقول: «سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[2].

إن الصلاة والصيام والزكاة والحج من أركان الإسلام، ومن أهم الواجبات، ولكنها تأتي بعد (لا إله إلا الله) فالتوحيد أولاً، فلا يصح أي عمل ولا يقبله الله تعالى إلا من مسلم موّحد كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[3].

فالتوحيد هو الفرق بيننا نحن المسلمين، وبين سائر الأديان الأخرى في هذا العالم الذي تخيم عليه ظلمات الشرك، وبالتوحيد ينجّي الله الإنسان من الخلود في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ

(١) سورة الزمر: آية ٣٨.

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

(٣) سورة الزمر: آية ٦٥.

﴿بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[2].

مؤشرات انتصار الإسلام:

يتعرّض المسلمون اليوم لمحن ومصائب كثيرة، حيث أن الصراع مستمر بين الحق والباطل ليلاً ونهاراً ولم يتوقف، وهذه سُّنة الله في الكون، ولن تجد لسُّنة الله تبديلاً، فعلى جند الله من دعاة الحق المخلصين لدينهم الملتزمين بالعقيدة الصحيحة، والشريعة الغرّاء التفاؤل بالخلاص من كيد أعدائهم، ومؤامراتهم الخبيثة بهذا النصر المحقق ▪ حيث الكرامة والنصر الذي وعد الله به عباده المخلصين، والله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

والمعروف أن الله سبحانه تكفّل لأتباع دينه الأتقياء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر بالتمكين في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[4].

ألا فليعلم -أخي المسلم- مسيرة النصر التاريخية، وانتفاضة الأمة الإسلامية ▪ ولو استعرضنا النصوص التي تؤكد أن الانتصار لهذا الدين

(١) سورة النساء: آية ٤٨.

(٢) «مختصر صحيح مسلم» (ص٥٢).

(٣) سورة الروم: آية ٤٧.

(٤) سورة القصص: آية ٥.

مستمر، وأن العزّ لهذا الإسلام قائم، لرأيناها تتركز في أمرين :

الأول : نصوص تؤكد أن النصر مرتبط بنصر المسلمين لله .

الثاني : نصوص تبشّر بالنصر والسيادة في مستقبل الأيام .

أما النصوص التي تؤكّد أن النصر مرتبط بنصر المسلمين لله فهي كثيرة، نذكر منها :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] .

فهذا النص يوضح أن الاستخلاف في الأرض مرهون بالإيمان، والعمل الصالح، والتزام منهج الله . .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2] .

فهذا النص يبني أن التمكين في الأرض وتحقيق النصر مرهون بالنصر لله، وذلك بالتزام منهجه سبحانه .

---

(١) سورة النور : آية ٥٥ .

(٢) سورة الحج : آية ٤٠-٤١ .

ومن هذه المؤشرات كذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[١] .

ومن خلال هذا النص نجد أن الانتصار في المعارك مرهون بنصر الله ، وذلك بالتزام دينه جلّ جلاله ، أما النصوص التي تبشّر بالسيادة والنصر في مستقبل الإسلام فهي كما يلي :

روى الشيخان وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

فهذا الحديث يؤكد على دلالة قاطعة ، وهي وجود طائفة من المؤمنين ظاهرة على الحق حتى قيام الساعة وهذه الطائفة ستبقى في صراع مع الباطل حتى ينتصر الحق .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، ولعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من جابههم ، ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتي أمر الله ، وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله ، وأين هم؟ قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس. . .»[٢] .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : «بينما أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصري ، فعمد إلى الشام ، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام»[٣] .

وروي عن الرسول ﷺ أنه قال : «طوبى للشام فإن ملائكة الرحمٰن

---

(١) سورة محمد : آية ٧ .

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٣) رواه البزار .

باسطة أجنحتها»(١)، وفي رواية : «لم يظهر منافقوها على مؤمنيها».

وعن أبي قبيل قال : «كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص، وسئل : أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية؟(٢) فدعا عبدالله بصندوق له حِلَق، قال : فأخرج كتاباً، فقال عبدالله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سُئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تُفتح أولاً؟ فقال : مدينة هرقل يعني القسطنطينية»(٣).

وقد تحقق الفتح الأول على يد الخليفة العثماني (محمد الفاتح) -رحمه الله- عام ١٤٥٣م، أي بعد (٨٠٠) سنة تقريباً من إخبار النبي ﷺ.

وسوف يتحقق الفتح الثاني بإذن الله، بوجود الطائفة المؤمنة التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ في الحديث السابق الذكر.

من خلال هذه الأحاديث يتبين لنا أن ساحة الجهاد في إقامة دولة الإسلام هي بلاد الشام، وأكناف بيت المقدس، وهذه بشارة من رسول الله ﷺ أن الإسلام لا بد أن يحكم، وأن فلسطين لا بد أن تتحرر، وأن الدولة الإسلامية لا بد أن تعود، وها هي ذي الظاهر من الصحوة الإسلامية تبشر بنصر قريب، فلا بد لهذا الدين أن ينتصر، وللإسلام أن ينتشر، وللمعارك أن تدور بين الحق والباطل، وسيخرجون أصحاب

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

(٢) القسطنطينية هي (بيزنطة) أو (استانبول) حالياً، و (رومية) المقصود بها (روما) عاصمة ايطاليا اليوم.

(٣) رواه الدارمي وأحمد.

الحق مكللين بأكاليل النصر والفتح المبين[1].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله زوى لي الأرض -أي ضمها وجمعها- فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها»[2].

وفي الحديث الذي رواه ابن حبان: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، بعز عزيز وبذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر».

فهذان الحديثان يؤكدان حقيقة رجوع الإسلام إلى مركز الريادة، وموضع القيادة، ومقام السيادة... من شرق الدنيا إلى غربها، لتحقق إرادة الله التي اقتضاها لأمة الإسلام منذ الأزل!!.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبىء اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»[3].

قد أخبر الصادق في هذا الحديث أن اليهود يبلغون في زمن من الأزمان الذروة في القوة والسيطرة، وأنهم سيجتمعون في مكان واحد، ثم يتسلّط عليهم المسلمون، ويضعون في رقابهم السيف، ويناديهم كل شيء حتى الحجر والشجر!!.

---

(١) انظر كتاب: «الشباب المسلم في مواجهة التحديات» (ص٣٢٢-٣٢٥).

(٢) رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن إلا النسائي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وها هم الآن يجتمعون في فلسطين ، وسيكون هلاكهم بعونه تعالى على أيدي المؤمنين الصادقين ، الراكعين الساجدين ، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾(١) .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .

وصيتي

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، وتزول به الكربات، وتُنال به الخيرات، فقد اشتمل كتابنا هذا -والحمد لله- على مسائل متفرقة، وغير ذلك كالمذاهب المعاصرة، وهي أشد الأخطار الفتّاكة التي يحرص على بثّها أعداء الإسلام، وترويج سمومها بين جنبات المجتمع، وذلك يستدعي الحذر والانتباه لمخططات الأعداء لحماية الأمة من هذه الأخطار الهدامة، والأفكار الخبيثة.

وكما لا يخفى -أخي المسلم- فإننا نعيش في عالم تتصارع فيه الأفكار والمبادىء عالم يضج ويموج بكل دعوة لكل ناعق، وإذا قدر لنا في هذا الزمن الصعب ألا نكون فاعلين في العالم مؤثرين فيه، سبّاقين إلى مجده، قادة لدفته، فإننا نعاني مما هو أشد وأنكى، نعاني من هجوم العالم علينا بآرائه ودياناته ونظرياته وتلبيساته وأنظمته ورغباته.

والهدف الأول لهذا الهجوم الشرس هو شباب هذه الأمة وفتياته، والسبب في ذلك أن العدو يعلم تمام العلم ضعف مناعتهم، وقلة خبرتهم، واشتداد رغبتهم في الحياة السهلة، وعدم وجود مُثل عليا حية بين أظهرهم، أو قيادات فكرية قوية تستقطبهم، لذا فاصطياد أفراد منهم سهل تحت شعارات متعددة ووعود برّاقة ودعايات مزيفة[1].

---

(١) للمزيد انظر كتابنا «الكشاف الفريد» (١/ ٤٢٥) وكتاب: «المراهقون - ظاهرة =

شيوعية مدمرة :

وهذه هي الشيوعية تهاجمكم في أخلاقكم ، فتصوّر لكم كل مسؤول خائناً ، وكل غني جشعاً ، وكل فقير مظلوماً ، وكل مشروع فاشلاً ، وكل عادة رجعية ، وكل دين دروشة ، وكل عقيدة سخفاً ، وكل عدو صديقاً حميماً ، وكل أخ عدواً لئيماً . . .

هكذا تحاول الشيوعية وقد تتستر وراء كلمة الحق ، ولكنها تستثمرها استثماراً سيئاً خبيثاً ، فبحجة مقاومة الإقطاع ، وتوزيع الثروات بين الشعب ، ونصرة المظلومين من العمال ، وتحرير الأذهان من الخرافة ، دخلت أذهان بعض الشباب وانحرفت بهم إلى الوقوع في أسرها ، فقيدهم بقيودها المادية بعد تخلصهم من قيود الإقطاع ، وقضت على ثروات بلادهم ، وكفاءات شعبهم بحجة التنمية ، والعدل والتحضر ، وصبّت في أذهانهم خرافات التطور نحو الشيوعية ، وحتمية ذلك مع أنها أبعد ما يكون عن الواقع ، وأخطر ما يكون على البشرية[1] .

ورأسمالية ماكرة :

وهذه هي الرأسمالية وهي ليست بأقل من غيرها خطراً على الدين والمجتمع ، بل ربما كانت أشد ضرراً وأبعد أثراً ؛ لأنها في لبوس الداعي إلى حقوق الإنسان ، والحامي لها سحقت ألوف البشر ، وعشرات الشعوب ، وفي لبوس المنقذ للعالم من الجوع والجهل ،

= الانحراف أسبابها وعلاجها» (ص٧٩) وما بعدها ، عبد الله نجيب سالم.

(١) هذا الكلام قيل قبل عشر سنوات من اندحار الشيوعية وانفراط عقدها ، والحمد لله .

وضعت الخطط لتسييس المساعدات ، وإفساد التعليم ، وفي لبوس المحافظ على الأديان والإيمان أفسحت المجال لحملات التنصير ، والتشكيك في الإسلام .

وفي لبوس حماقة الحرية زرعت الإباحية ، ونقضت عرى التكافل والتضحية ، وقد وقعت فئات كثيرة من الشباب اللاهث وراء الدعايات ، والراكض خلف المشاريع الانفتاحية والأفكار المالية الجهنمية فريسة سهلة ولقمة سائغة في فم هذا التنين .

وماسونية كافـرة :

وهذه هي الماسونية ، وهي الرديف الخفي والصديق الوفي للصهيونية تغري شبابنا وفتياتنا بالجمع بين الأديان ، وإزالة الحدود بين البشر ، وتحقيق حلم المجتمع الأمثل .

وهي بذلك تريد محو وإزالة خصائص مجتمعنا الإسلامي ومسح سماته ، وربطه بغير هدفه الرباني والسير به إلى وجهة يأتمر فيها بأمر الصهيونية العالمية التي تخفي قبضتها الحديدية الغادرة وراء قفازات الحرير الناعم ، وكم أفسدت وأغرت قفازات الحرير الناعم من شباب وفتيات فجروا وراء نوادي الماسونية أو محافلها ومجامعها .

كل الذي مرّ - أخي المسلم - وغيره تيارات هدّامة أو عواصف عاتية أو أعاصير مخربة تستهدف هذه الأمة ، وتركز على براعمها الفتية ، وتحاول خنق آمالها الغضة ، وتريد القضاء على طموحاتها المستقبلية ، وتبذر فيها بذور اليأس والقنوط من شبابها ، حتى لا تحلم بغدٍ وضاء ، وفجر قريب ، وحياة جديدة .

الصراط المستقيم . . . لا السبل المعوجة :

نعم ، إن خير ما نتواصى به فيما بيننا قول الحق سبحانه : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(١) .

وقوله جل وعلا : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٢) .

وجاء في قول الرسول ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(٣) .

وجاء في «الصحيح» : «. . .من رغب عن سنتي فليس مني. . .» .

وبعد : فهذه -أخي المسلم- نصيحتي ووصيتي ، أقدمها إليك فتدبرها ، وانشرها بين الناس ، وأملي فيك كبير ، أن توطّن نفسك ، وتراثك المقدس ، وبهذا تنال رضى الله ومغفرته ، وتسعد في دنياك وأخراك ، وصدق الله حيث يقول : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾(٤) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٢٠ .

(٣) رواه البغوي في «شرح السنة» ، والنووي في «الأربعين» بسند صحيح .

(٤) سورة العصر : آية ١-٣ .

مسك الختام في الصلاة على خير الأنام

اغتنم أخي القارىء الكريم فرصة اختتام هذا السِّفر النافع - نفع الله بك أمة الإسلام - وذلك لأقدم إليك نبذة لطيفة نافعة في فضل الصلاة على خير الأنام التي يجدر بمحبي السُّنة الشريفة معرفتها والوقوف عليها لتدبرها وإذاعتها بين الناس .

ومما لا يخفى أخي المسلم أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة بإجماع المسلمين ، ويقول الله في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1] .

فلا خلاف بين العلماء في أنها واجبة ، وإنما الخلاف في أمر آخر وراء التسلم بمبدأ الوجوب ، فمنهم من أوجبها كلما ذكر اسمه عليه السلام ، ومنهم من أوجبها مرة في كل مجلس ، ومنهم من أوجبها في العمر مرة .

وقد علق الزمخشري على هذا الخلاف بقوله : والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر[2] .

وقد قال ﷺ : «ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله ، ولم يصلوا على نبيه إلا كان مجلسهم عليهم ترة يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم ،

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٦ .

(٢) انظر : «الدين عند الله» (ص٣٨٠) عبدالرحيم فودة .

وإن شاء عاقبهم».

والمراد بالترة : التبعة والنقص ؛ لأن المجلس لا يكمل إلا بذكر الله ، والصلاة على نبيه ، ولعل مما يؤكد ذلك قوله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

معنى الصلاة على النبي ﷺ :

وأصل هذه اللفظة في اللغة يرجع إلى معنيين ، وهما :

١- الدعاء والتبريك .

٢- العبادة .

قال البخاري : قال أبو العالية : صلاة الله تعالى : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة : الدعاء[١] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾[٢] .

قال المبرد : أصل الصلاة الرحمة ، ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله[٣] .

فضل الصلاة على النبي ﷺ :

لقد ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية كثيرة نذكر منها :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٦) .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٦ .

(٣) «جلاء الأفهام» (ص٨٣) ، و «الشفاء» (٢/ ١٣٧) .

﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً»[2].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى عليّ واحدة، صلى الله عليه عشراً، وحطّت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات»[3].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام»[4].

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»[5].

أما فوائد وفضائل الصلاة على النبي ﷺ فنجملها فيما يلي:

١- امتثال أمر الله تعالى.

٢- حصول عشر صلوات من الصلوات على المصلي مرة واحدة.

٣- يرفع له (المصلي) عشر درجات، ويكتب له عشر حسنات، ويُمحى عنه عشر سيئات.

٤- إنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها، فقد

(١) سورة الأحزاب: آية ٥٦.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه النسائي في «سننه» (١/ ١٩١)، وسنده صحيح.

(٤) رواه أبو داود والبيهقي.

(٥) رواه الترمذي.

قال ﷺ : «من صلّى عليّ أو سأل لي الوسيلة ، حقّت عليه شفاعتي يوم القيامة»[1] .

٥- تقوم مقام الصدقة لذوي العسرة ، وهي سبب لقضاء الحوائج .

٦- إنها زكاة للمصلي وطهارة له وسبب لنجاته من أهوال يوم القيامة .

٧- إنها سبب لنيل رحمة الله له ، ودوام محبته للرسول ﷺ .

٨- إنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه .

مواطن الصلاة على النبي ﷺ :

الصلاة على النبي ﷺ تكون تارة واجبة ، وتارة مستحسنة ، وذكر العلماء لها مواضع كثيرة منها[2] :

١- الصلاة في آخر التشهد ، وفي التشهد الأول ، وآخر القنوت ، وفي صلاة الجنازة ، وبعد التكبيرة الثانية .

٢- في خطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء ، وبعد إجابة المؤذن ، وعند الإقامة ، وعند الدعاء .

٣- عند دخول المسجد والخروج منه ، وعند اجتماع القوم ، وقبل تفرقهم .

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما .

(٢) انظر كتابنا : «مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات» (ص٢٨٢) .

٤- عند ذكره ﷺ وكتابة اسمه ﷺ ، وعند الفراغ من التلبية ، وعند استلام الحجر الأسود .

٥- عند الهم والشدائد ، وطلب المغفرة ، وتبليغ العلم ، وإلقاء الدروس .

٦- في أول النهار وآخره ، وعقب الذنب للتكفير عنه ، وعند وقوع الخوف والفقر .

٧- عند خطبة الرجل المرأة في النكاح ، وبعد الفراغ من الوضوء .

٨- عقب الصلوات ، وعند الذبح ، وعند كل كلام ذي بال .

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : «كل كلام لا يذكر الله فيه فيبدأ به وبالصلاة عليّ فهو الأقطع ممحوق من كل بركة»[(١)] .

كانت هذه وقفة سريعة مع فضائل الصلاة على سيدنا محمد ﷺ ، ومواطنها التي أرجو أن يتدارسها المسلمون ، ويعملوا بها ، وهي ترفع درجة قائلها وناشرها ، وبها تُنال شفاعة نبينا الأعظم محمد ﷺ .

---

(١) انظر : «جلاء الأفهام» (ص٢٦١) .

الخاتمة

الحمد لله الذي به تتم الصالحات، وتزول به الكربات. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهذا كتابي بين يديك –أخي القارىء– تسرح فيه النظر، وتقلّب فيه الفكر، فتعيش في رياشه، وتقطف من ثماره ما شاء الله، جمعت بين دفتيه عصارة السنين، وما أبغى إلا مرضاة الله، وهذا ديدني طوال حياتي العلمية إنشاء الله . . .

لقد قدمت إليك أخي القارىء الكريم هذه الدراسة، ورجائي أن يملأ أهم جانب من جوانب الفراغ الذي يشعر به الجيل المعاصر، وأن يكون مبارك النفع هادياً إلى طريق النجاة والسعادة، دافعاً إلى انطلاقة سليمة تجدد آمال أمتنا، وتحيي موات قلوبها، وتأخذ بأيديها إلى ربها لتشعر بلذّة معرفته، ومتعة العمل والجهاد في سبيله . . .

وبيّنت بعض الاعتقادات الضالة، والمزاعم الباطلة التي يؤمن بها بعض منتسبي الإسلام. كما كشفت ضلال الملاحدة والكفرة وترهاتهم، من شيوعيين وماسونيين وعلمانيين ومستشرقين، ودعاة التغريب والمتفرنجة وسائر الطواغيت . . .

كما بينت أن من ادعى علم الغيب ، ومن ذهب إلى الكهنة وسائر المبتدعة فقد كفر وأشرك بالله .

كما أمطت اللثام عن كثير من المنكرات والمحظورات التي شوّهت عقائد المسلمين ليكون المسلم في مأمن منها .

وبعد : فإني مطمئن كل الاطمئنان أن كلماتي ستترك الأثر المنشود في نفوس الناس وعقولهم ، وستزعزع أركان العقائد الفاسدة ، والدعوات الباطلة عاجلاً أم آجلاً ، قريباً أو بعيداً – بإذن الله – فإن دعوة الحق والإصلاح إن لم تظهر بمن يستجيب لها اليوم فستظفر غداً إن شاء الله .

والحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافىء مزيده ، ونسأله أن يوفق قارىء هذا الكتاب إلى اتباع رسول الله ﷺ ، وأصحابه وأنصاره ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . . .

المؤلف في سطور

* ولد المؤلف خالد محمد الحاج في بيت أولا الخليل عام ١٩٣٥م .

* تلقى علومه الابتدائية في مسقط رأسه في بلدته بيت أولا .

* ثم أكمل علومه الإعدادية والثانوية في مدارس محافظتي الخليل والقدس .

* ثم تخرّج في جامعات بيروت ومصر ، فنال شهادتها العلمية وحصل على الشهادة الأولى الجامعية في بيروت وشهادة الدراسات الإسلامية العليا في القاهرة و (الماجستير) في لبنان ومصر .

* حصل على شهادة الدكتوراة وهي بعنوان (الإمام ابن القيم مصلحاً وأديباً) في عام ١٩٨٥-١٩٨٦م .

* عمل مدرساً ومديراً في مدارس التربية والتعليم الأردنية .

* عمل في وزارتي الأوقاف الأردنية ودولة قطر حيث كان يعمل في الوعظ والإرشاد ومحاضراً في الشؤون الإسلامية .

* كما حاضر في إذاعة الشؤون الدينية في الراديو والتلفزيون القطري .

* كتب في الصحف والمجلات الإسلامية ، وله بحوث ومؤلفات إسلامية عديدة منها :

مصرع الشرك والخرافة ، كتاب الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد ، أعلام التربية والمربين ، السُّنة مفتاح الجنة ، ابن القيم مصححاً وأديباً ، مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات .

ولا يزال يواصل دفاعه عن الإسلام والمسلمين ويحارب الدعوات الفاسدة ويقارع الفرق الضالة ، والمذاهب الباطنية بقلمه ولسانه .

والله الموفق .

من آثـار المؤلـف

* مصرع الشرك والخرافة / ط ١٩٧٨م .
* الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد/ط١٩٨٣ قطر .
* السُّنة مفتاح الجنة / مطبعة عمان .
* الكواكبي مصلحاً وأديباً (رسالة ماجستير) / لم يطبع .
* الإمام ابن القيم مصلحاً وأديباً (رسالة دكتوراه) .
* حقائق الإيمان بالملائكة والجان / ١٩٨٧ ط بيروت .
* أعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين / ط عمان ١٩٨٩م .
* مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات / عمان ١٩٩٠م .
* ترجمة القرآن الكريم .
* ابن القيم وآراؤه التربوية .
* المصلح ابن باديس رائد النهضة الجزائرية .
* الإمام الماوردي وآراؤه التربوية .
* مصطفى الرافعي ناقداً .
* شبهات استشراقية .
* علي مبارك رائد النهضة المصرية (بحث) .

* القراءات والأحرف السبعة .
* حسان بن ثابت - شاعر الرسول ﷺ .
* اللغة الفصحى والعامية .
* أعلام الفكر والإصلاح (تحت الطبع) .
* سنن الصلوات الخاصة وبدعها / ط عمان ١٩٩٤ .
* معاول الهدم والمنكرات (وهو كتابنا هذا) .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم :

١- أديان الهند الكبرى - أحمد شلبي - .

٢- أجنحة المكر الثلاثة - عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني - دار القلم - بيروت .

٣- آداب الزفاف - محمد ناصر الدين الألباني .

٤- أساليب الغزو الفكر للعالم الإسلامي ، الأستاذين جريشة ، والزيبق .

٥- أعلام التربية والمربين - الدكتور خالد محمد الحاج - طبعة ثانية ١٩٨٩م .

٦- إرشاد الطالب - ابن إسحاق - .

٧- إحياء علوم الدين - أبي حامد الغزالي - دار المعرفة - بيروت .

٨- إغاثة اللهفان - ابن القيم الجوزية - تحقيق الشيخ حامد الفقي - مكتبة السنة المحمدية - القاهرة .

٩- أحكام الجنائز وبدعها - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي / ط ٤ - بيروت ١٩٨٦م .

١٠- إصلاح المساجد من البدع والعوائد - تأليف محمد

جمال الدين القاسمي - تعليق محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي ط / ٥ - بيروت ١٩٨٣م .

١١- أسرار الماسونية - جواد رفعت آتلخان .

١٢- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم - شيخ الإسلام ابن تيمية .

١٣- آداب اللغة العربية - جورجي زيدان - طبعة أولى .

١٤- إسلام بلا مذاهب - الدكتور مصطفة الشكعة .

١٥- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - علاء الدين الكاساني - دار الكتاب العربي / ط بيروت ١٩٨٢م .

١٦- بروتوكولات صهيون واليهودية العالمية - هنري فورد .

١٧- التيجانية - علي الدخيل الله .

١٨- جذور العلمانية - أحمد فرج .

١٩- جامع بيان العلم وفضله - أبو عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي - دار الفكر - بيروت .

٢٠- تفسير الرازي - التفسير الكبير - فخر الدين الرازي - للإمام محمد بن ضياء الدين عمر الرازي - دار الفكر / ط بيروت ١٩٨١م .

٢١- حصوننا مهددة من داخلها - محمد محمد حسين - طبعة ثانية القاهرة .

٢٢- حجة الله البالغة - ولي الله الدهلوي .

٢٣- الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان - ابن تيمية - مطبعة صبيح ط ٢ / القاهرة .

٢٤- المرأة المسلمة - وهبي سليمان .

٢٥- رسالة العبودية - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٢٦- الكواشف الجلية - عبد العزيز محمد السلمان .

٢٧- العقائد السلفية - أحمد بن حجر آل بطامي .

٢٨- خطر مشاركة المرأة في ميدان عمل الرجل - عبد العزيز بن باز .

٢٩- الإسرائيليات في التفسير والحديث - الدكتور محمد حسين الذهبي - ط مصر ١٩٧١م .

٣٠- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير - الدكتور رمزي نعناعة .

٣١- حكم النظر للنساء - ابن القيم الجوزية .

٣٢- فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد - عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - الرياض ١٤٠٣هـ .

٣٣- شرح العقيدة الطحاوية - أبو جعفر أحمد الطحاوي .

٣٤- الحلال والحرام في الإسلام - الدكتور يوسف القرضاوي .

٣٥- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) الحافظ ابن كثير - طبعة الحلبي - مصر .

٣٦- فقه السنة - الشيخ سيد سابق - دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٩هـ .

٣٧- شبهات في الفكر الإسلامي - أنور الجندي .

٣٨- زاد المعاد - ابن قيم الجوزية - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت .

٣٩- المسكرات والخمور وما يترتب عليها من الأضرار والشرور - الشيخ عبدالله آل محمود .

٤٠- تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي - الإمام ابن العربي المالكي - دار الكتب العلمية - بيروت .

٤١- مجموع الفتاوى - ابن تيمية - جمعها عبدالرحمن بن قاسم .

٤٢-فتح الباري شرح صحيح البخاري - الحافظ ابن حجر العسقلاني - البابي الحلبي ١٩٥٩م .

٤٣- تحديد النسل - الدكتور محمد سعيد البوطي .

٤٤- الزحف على لغة القرآن - أحمد عبدالغفور عطار - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٦٥م .

٤٥- جلاء الأفهام - الإمام ابن قيم الجوزية - دار الطباعة المحمدية - القاهرة .

٤٦- الفتاوى الكبرى - أحمد بن تيمية - دار المعرفة - بيروت .

٤٧- رسائل الإصلاح - محمد الخضر حسين .

٤٨- سنن ابن ماجه - أبي عبدالله القزويني - تحقيق محمد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٤٩- سنن أبي داود - أبي داود السجستاني ضبط محمد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٥٠- سنن الترمذي - أبي عيسى بن سورة الحلبي - تحقيق كمال الحوت - دار الكتب العلمية ط بيروت ١٩٧١م .

٥١- سنن الدارمي - الإمام الدارمي - دار الكتب العلمية - بيروت .

٥٢- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - دار الجيل - بيروت .

٥٣- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي - مسلم بن حجاج النيسابوري - دار إحياء التراث العربي ط٢ - بيروت ١٩٧٢م .

٥٤- مختصر صحيح مسلم - الحافظ المنذري - زكي الدين عبدالعظيم - تحقيق ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي/ بيروت .

٥٥- الدر المنثور - جلال الدين السيوطي - دار الفكر ط١ - بيروت ١٩٨٣م .

٥٦- البداية والنهاية - أبي الفداء عماد الدين بن كثير - مطبعة السعادة - القاهرة .

٥٧- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - الإمام ابن الجوزي - الطبعة الهندية ١٣٥٨هـ .

٥٨- حتى لا نخدع - الدكتور عبد الودود شلبي .

٥٩- الإسلام والماركسية - الدكتور مصطفى محمود .

٦٠- مفتاح السعادة - أحمد مصطفى .

٦١- البابية - عبد الله الحموي .

٦٢- الصارم المسلول على من سبّ الرسول - ابن تيمية - دار الكتب العلمية - بيروت .

٦٣- اليهودية والصهيونية - أحمد عبد الغفور عطار .

٦٤- مؤامرة الصهيونية على العالم - أحمد عبد الغفور عطار .

٦٥- الشيوعية والشيوعيين في ميزان الإسلام - الدكتور عبدالجليل شلبي .

٦٦- حقائق الشيوعية - نهاد الغادري .

٦٧- الماسونية منشئة ملك إسرائيل - محمد علي الزعبي .

٦٨- أفيون الشعوب - الأستاذ عباس العقاد .

٦٩- الوجودية - أنور الجندي .

٧٠- موسوعة الأبطال والقاديانية - أبو الحسن الندوي .

٧١- القادياني والقاديانية - أبو الحسن الندوي .

٧٢- حقيقة الوحي - الميرزا غلام أحمد .

٧٣- تاريخ العرب والمسلمين - الدكتور عمر فروخ .

٧٤- التبشير والاستعمار - عمر فروخ وزميله - بيروت ١٩٦٤م .

٧٥- تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران - أحمد بن حجر آل بطامي - الدوحة - قطر ١٩٨٩م .

٧٦- معالم الهدى إلى فهم الإسلام - الدكتور مروان القيسي - المكتبة الإسلامية ط١ عمان ١٩٨٥م .

٧٧- الإسلام بين العلماء والحكام - عبدالعزيز البدري - منشورات المكتبة العلمية - المدينة المنورة .

٧٨- منكرات البيوت - رائد بن صبري بن أبي علفة - مكتبة السوادي للتوزيع ط١ جدة ١٤١٤هـ .

٧٩- جذور العلمانية - الدكتور السيد أحمد فرج - دار الوفاء للطباعة والنشر ط١ ١٩٨٥م .

٨٠- الخطر الأكبر على العالم العربي وكيف يستعيد العرب مكانتهم - أبو الحسن الندوي - دار الصحوة للنشر ط١ - القاهرة ١٩٩٤م .

٨١- في ظلال سورة الأخلاق (سورة الحجرات) - الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس - دار عمان ط١ / عمان ١٩٩٢م الأردن .

٨٢- الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد - الدكتور خالد محمد الحاج .

٨٣- مسائل ومشكلات تهم المسلمين والمسلمات - الدكتور خالد محمد الحاج - الطبعة الأولى ١٩٩٠ عمان .

٨٤- الأجوبة النافعة عن الأسئلة الواقعة - عبد الرحمن الفارسي - الكويت ١٩٧١م .

٨٥- الكبائر - الحافظ الذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٨٦- مشكاة المصابيح - الخطيب التبريزي - تحقيق ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي .

٨٧- السياسة الشرعية - شيخ الإسلام ابن تيمية .

٨٨- تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات - أحمد بن حجر آل بطامي - مطابع علي بن علي - قطر .

٨٩- تلبيس إبليس - عبدالرحمن ابن الجوزي - تحقيق خير الدين علي - دار الوعي العربي بيروت .

٩٠- صحيح الجامع الصغير - الشيخ ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت .

٩١- مصرع الشرك والخرافة - للمؤلف تحقيق الشيخ عبدالله الأنصاري - قطر ١٩٧٨م .

٩٢- الشفا بتعرف حقوق المصطفى - القاضي عياض - تحقيق جماعة من العلماء - دار الوفاء للطباعة والنشر - دمشق .

٩٣- الوابل الصيب - ابن قيم الجوزية - تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ورفيقه - بيروت ١٣٩٣هـ .

٩٤- منهاج الإسلام في الحكم - محمد أسد .

٩٥- الفتاوى - الشيخ محمود شلتوت .

٩٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة - الشيخ ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي .

٩٧- الفجر المنير - الصيادي .

٩٨- العلمانية - سفر بن عبد الرحمن الحوالي .

٩٩- تهافت العلمانية - عماد الدين خليل .

١٠٠- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام - محمود الصوّاف - طبعة أولى .

١٠١- الدين عند الله - عبدالرحيم فودة - السنة الرابعة - العدد الثالث والخمسون .

١٠٢- صراع بين الحق والباطل - محمد الصادق عرجون - ط أولى - القاهرة .

١٠٣- يسألونك في الدين والحياة - الدكتور أحمد الشرباصي .

١٠٤- المدخل - ابن الحاج العبدري - دار الكتاب العربي - بيروت .

١٠٥- الفوائد - ابن القيم الجوزية .

١٠٦- الملل والنحل - عبد الكريم الشهرستاني .

١٠٧- رسالة صفات المنافقين - ابن القيم الجوزية .

١٠٨- الإيمان - محمد نعيم ياسين - طبعة رابعة - جمعية عمال المطابع - عمان ١٤٠٥هـ .

١٠٩- في ظلال القرآن - سيد قطب .

١١٠- الرأي الصواب في تعدد الأحزاب - المهندس جواد موسى عفانة - الطبعة الأولى ١٩٩٢م - عمان الأردن .

١١١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس - دار الفرقان للنشر والتوزيع - ط٤ عمّان ١٩٨٧ - الأردن .

١١٢- الكفر والمكفرات - الأستاذ أحمد عز الدين البيانوتي - دار السلام للطباعة والنشر - ط٢ - القاهرة ١٩٨٥م .

١١٣- تنبيه الغافلين إلى حكم شاتم الله والدين - عبد المنعم مصطفى حليمة - دائرة المطبوعات والنشر - ط١ الأردن ١٩٩٥م .

١١٤- الدر المنثور في أحكام الجنائز والقبور - الدكتور ياسين غادي - طبعة أولى - الأردن ١٩٩٤م .

١١٥- المسند - أحمد بن حنبل الشيباني - دار الفكر .

١١٦- حاشية الخرشي - محمد الخرشي - دار صادر - بيروت .

١١٧- الفروع - ابن مفلح الحنبلي - عالم الكتب - ط٣ بيروت ١٩٨٢م .

١١٨- مواهب الجليل - أبي عبد الله الحطاب - دار الفكر - طبعة ثانية ١٩٧٨م .

١١٩- المهذب - أبي إسحاق الشيرازي - دار المعرفة - ط٢ - بيروت ١٩٥٩م .

١٢٠- المجموع شرح المهذب - أبي بكر زكريا النووي - المكتبة السلفية - المدينة المنورة .

١٢١- مغني المحتاج - الخطيب الشربيني - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

١٢٢- كشاف القناع - منصور بن يونس البهوتي - عالم الكتب - بيروت ١٩٨٣م .

١٢٣- الفتاوى الهندية - الشيخ نظام ومجموعة من علماء الهند - المكتبة الإسلامية - ديار بر - الطبعة الأميرية بولاق - مصر ١٣١٠هـ .

١٢٤- نيل الأوطار - الإمام الشوكاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - طبعة أخيرة - مصر .

١٢٥- المبسوط - شمس الدين السرخسي - دار المعرفة - ط٣ بيروت ١٩٧٨م .

١٢٦- المعجم الوسيط - إبراهيم مطصفى وآخرون - دار إحياء التراث العربي .

١٢٧- المغني والشرح الكبير - ابن قدامة المقدسي - دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٣م .

١٢٨- الطريق إلى الجنة - دار ابن المبارك للنشر والتوزيع - ط١ السعودية ١٤١٤هـ .

١٢٩- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة - ناصر بن عبد الله

القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل - دار الصميعي للنشر والتوزيع ط١ الرياض ١٩٩٢م .

١٣٠- القدوة الصالحة - أخلاق قرآنية ونماذج ربانية - حسني أدهم جرار - دار الضياء للنشر والتوزيع ط١ - عمّان ١٩٨٥م الأردن .

١٣١- التلفزيون بين المنافع والمضار - الدكتور عوض منصور - مكتبة المنار ط٤ - الزرقاء ١٩٨٩م الأردن .

١٣٢- الشباب المسلم في مواجهة التحديات - الدكتور عبد الله ناصح علوان - دار القلم ط٣ دمشق ١٩٩٤م .

١٣٣- حكم الإسلام في وسائل الإعلام - الدكتور عبد الله ناصح علوان - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ط٣ بيروت ١٩٨٣م .

١٣٤- منكرات الأسواق - رائد بن صبري ابن أبي علفة - دار التراث السَّلفي - ط١ الأردن ١٩٩٢م .

١٣٥- منكرات صالونات التجميل - رائد بن صبري ابن أبي علفة - دار البشير وعمار - ط١ عمّان ١٩٩٤م .

١٣٦- الخطب المنبرية في المناسبات العصرية - صالح بن فوزان ابن عبد الله آل فوزان - مؤسسة الرسالة ط١ بيروت ١٩٨٧م .

١٣٧- الغارة على العالم الإسلامي - تأليف شاتليه - ترجمة محبّ الدين الخطيب ، ومساعد اليافي .

١٣٨- رسالة الدكتوراة - ابن القيم مصلحاً وأديباً - الدكتور خالد محمد الحاج .

١٣٩- منهاج السنة النبوية - شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

١٤٠- مناقب الشافعي - الإمام البيهقي .

١٤١- روضة الناظرين - الوتري .

١٤٢- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر - المفكّر محمد قطب - دار الوطن للنشر - ط١ الرياض ١٩٩١م .

١٤٣- شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السُّنة - عبدالرحمن دمشقية - لبنان .

١٤٤- المراهقون - ظاهرة الانحراف وأسبابها وعلاجها - عبدالله نجيب سالم - دار ابن حزم للطباعة والنشر ط١ - بيروت ١٩٩٤م .

١٤٥- فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين - توزيع دار الفرقان - ط٢ عمان ١٩٩٠م - الأردن.

الفهـــرس

الإهداء ٥

المنهاج الرباني ٧

من مشكاة النبوة ٩

المقدمة ١١

الفصل الأول : الشرك والكفر ١٩

الشرك والكفر ٢١

معنى لا إله إلا الله ٢٣

معنى محمد رسول الله ٢٤

مدخل ٢٦

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ٢٦

نواقض الإسلام ٢٨

افتراء جديد على علماء التوحيد ٣٣

الشرك - تعريف الشرك وأنواعه ٣٦

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر ٣٧

الفرق بين الشرك والكفر ٣٨

الذبح والنذر لغير الله ٣٩
الاستعاذة بغير الله ٤٠
الحلف بغير الله ٤٢
التحذير من اتباع الهوى ٤٣
علم الغيب ٤٧
التوسل والوسيلة ٤٩
أنوع من التوسل المشروع ٥٠
الشفاعة ٥٢
تصديق الكهّان كفر وشرك ٥٥
قراءة الفنجان والبخت ٥٦
الاشتغال بالسحر ٥٩
مشرك من جعل لله نداً ٦١
سقوط الصلاة عن بعض الشيوخ والعارفين ٦٣
وصف غير الله بالألوهية كفر ٦٤
الكذب على الله كفر ٦٥
الكذب في الرؤى ٦٦
التلاعب بأحكام الحلال والحرام كفر ٦٧
الحكم بغير ما أنزل الله كفر ٦٨

الكفر بالجزء كفر بالكل ٦٩
الكفر بالله جهل وحمق ٧٠
لا عذر للكافر وشره يرجع إليه ٧١
مجانبة الكفر حيطة وحذر ٧٢
الكافر لا ينفعه عمل ولا عظة ٧٣
الله تعالى يمهل الكافر ٧٥
عاقبة الكافرين ٧٦
البدع والابتداع ٧٨
أسباب الابتداع ٨٠
التوبة محجوبة عن كل صاحب بدعة ٨١
آثار البدع ٨٣
الإسرائيليات ٨٥
آثار الإسرائيليات على عقائد المسلمين ٨٥
موالاة غير المسلمين ٨٨
النهي عن التشبه بالكفار ٨٩
عدم مشاركة المشركين في أعيادهم ومؤاكلتهم أو مهاداتهم ٩٢
الذين يتبرأ منهم الإسلام ٩٥
رأي أهل السُّنة في الولاء والبراء ٩٦

علاقة المسلمين بالكفار كما رسمها القرآن الكريم ٩٨
حكم شاتم الله والدين وصحابة رسول الله ﷺ ١٠١
استتابة الشاتم ١٠٣
هل يعذر الشاتم؟ ١٠٤
الفرق بين شتم شعيرة من شعائر الدين وبين شتم المسلم ١٠٥
المتنبؤون ١٠٧
أشهر المتنبئين الكذّابين ١٠٩
بالرفاء والبنين ١١٢
خاتم الخِطبة ١١٢
الكبر وآثاره السيئة ١١٤
التشـــاؤم ١١٦
الفصل الثاني : مذاهب معاصرة ١١٩
مذاهب معاصرة - تمهيد ١١٩
الشيوعية ١٢١
مصادمة الشيوعية للدين والفطرة ١٢١
خطر الشيوعيين على العالم الإسلامي ١٢٣
التبشير ١٢٥
غزو تبشيري جديد ١٢٦

أخطر وثيقة لمستشرق ومبشّر قسّيس ١٢٩
المستغربون ١٣٢
الغزو الثقافي ١٣٦
حركة الثورة الكمالية في تركيا ١٣٩
أخطر شخص في تاريخ الإسلام - مصطفى كمال أتاتورك ١٤٠
الدساسون ١٤٥
الاستشراق والمستشرقون ١٤٧
وسائل الاستشراق لتحقيق أهدافهم ١٤٩
المخططات اليهودية ١٥٠
القومية مؤامرة خبيثة وخنجر مسموم ١٥٥
لماذا نعارض القومية العربية؟ ١٥٦
المؤامرات لقطع صلة العرب بالإسلام ١٥٩
الصهيونية ١٦٣
تاريخها ونشأتها ١٦٤
الماسونية ١٦٧
حقيقة الماسونية ١٦٧
نشأتها ومؤسسها ١٦٨
نشاطها عبر التاريخ ١٦٩

الوجودية ١٧٣
تعريفها ونشأتها ١٧٤
خطر الوجودية ١٧٥
أخلاق الوجودية ١٧٥
الوجودية في البلاد الإسلامية ١٧٦
العلمانية - تعريفها ١٧٧
تاريخ العلمانية في العالم المعاصر ١٧٧
أبرز الاتجاهات الجاهلية (العلمانية) في العالم الإسلامي ١٧٩
العلمانية في تركيا ١٧٩
العلمانية في مصر وبعض البلاد العربية ١٨٠
حكم الإسلام في العلمانية ١٨٢
العلمانية في تونس ١٨٢
الشــورى ١٨٥
الديمقراطية ١٩٠
الفرق بين الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية ١٩٢
مخططات العملاء في الداخل ١٩٦
من هم العملاء ١٩٧
السنن الربانية التي تحكم أوضاع الجاهلية المعاصرة ٢٠٢

اتباع النصرانية - قديماً وحديثاً - يطالبون بالإسلام ٢٠٧
الفصل الثالث ٢١٧
الفرق الباطنية - تمهيد ٢١٩
فرقة الأحباش ٢٢٢
تعاليم الحبشي ٢٢٣
رد من أمريكا على الحبشي ٢٣٧
فتوى ابن باز في الحبشي ٢٣٨
لا تأخذوا عنه دينكم ٢٣٩
فرقة الإسماعيلية ٢٤١
إسماعيلية معاصرة ٢٤٢
عقيدة الإسماعيلية ٢٤٤
البهائية ٢٤٦
مزاعم البهاء وضلالاته ٢٤٧
تطوير جديد للبهائية ٢٤٨
حكم الإسلام فيها ٢٤٩
القاديانية ٢٥٠
دعاوى القادياني ٢٥٢
حكم الإسلام فيها ٢٥٤

الشيعة ٢٥٦
فرق الشيعة ٢٥٦
التقية ٢٥٨
المهدي عند الشيعة ٢٦٠
المهدي عند أهل السُّنة ٢٦١
انحراف الشيعة ٢٦٣
الآغاخانية ٢٦٦
تعريفها ونشأتها ٢٦٦
عقيدتها ٢٦٦
الفاطمية ٢٦٨
تعاليم دار الحكمة ٢٦٩
الــدروز ٢٧٣
تعريفهم ونشأتهم ٢٧٣
عقيدتهم ٢٧٣
النصيرية ٢٧٦
عقائدهم وعباداتهم ٢٧٧
حكم الإسلام فيها ٢٧٩
التيجانية ٢٨٠

تعريفها ونشأتها ٢٨٠
عقائد التيجانية ٢٨١
البهرة ٢٨٣
تعريفهم ونشأتهم ٢٨٣
عقيدتهم ٢٨٣
البوذية ٢٨٦
أصلها وسبب تسميتها ٢٨٦
معتقدات البوذية ٢٨٦
انحراف الأشاعرة ٢٨٨
الصوفية ٢٩٠
دور التصوف في تحريف فهم العقيدة ٢٩٠
أولياء الشيطان ٢٩٤
بعض علامات أوليات الشيطان ٢٩٥
الفصل الرابع ٢٩٩
وسائل الإعلام ٣٠١
المرجفون والخرّاصون ٣٠٢
التلفزيون وأضراره ٣٠٥
حكم الإسلام في التلفزيون ٣٠٩

آلة التسجيل (المسجّل) ٣١٤
الراديو (المذياع) ٣١٥
السينما والمسرح ٣١٦
الصحيفة والمجلة ٣٢٠
التصوير والصور ٣٢٤
وسائل النشر والدعاية ٣٢٦
أسباب انهيار المجتمع الإسلامي ٣٢٨
الفصل الخامس ٣٣١
منكرات ومحاذير متنوعة ٣٣١
مـدخـــل ٣٣٣
بعض محذورات المساجد ٣٣٥
بعض منكرات الجنائز والقبور ٣٤١
منكرات البيوت ٣٥٠
اتخاذ التصاليب في البيوت ٣٥٠
اتخاذ الخدم الكفرة في البيوت ٣٥١
اتخاذ السائق الأجنبي ٣٥٢
اتخاذ الأجراس والساعات الموسيقية ٣٥٢
الاحتفال بأعياد الميلاد وعيد رأس السنة الميلادية ٣٥٣

الدخول إلى البيوت بغير استئذان ٣٥٣
الذبح عند شراء البيت أو استكمال البناء ٣٥٤
عدم التفريق بين الأطفال في المضاجع ٣٥٤
جلوس النساء على أبواب المنازل أو الأسطح ٣٥٥
تعليق الشهادات العلمية بقصد السمعة ٣٥٥
منكرات الأسواق ٣٥٨
البيع عند أذان الجمعة ٣٥٨
إطلاق البصر وعدم غضّه ٣٦٠
بيع الحاضر لباد ٣٦٢
البيوع المحرّمة ٣٦٣
الغش والخديعة في البيع ٣٦٥
غشّ السماسرة ٣٦٧
كثرة الحلف ٣٦٨
الاحتكـــار ٣٦٩
متى يحرم الاحتكار ٣٧٠
بيع الأشرطة الفاسدة وصور الفنانين ٣٧١
استخدام صور النساء للإعلانات ٣٧٢
خضوع النساء بالقول للباعة ٣٧٥

رفع الأصوات واستعمال البذيء من الألفاظ ٣٧٦
عمل النساء في الأسواق مع الرجال ٣٧٨
تعليق الآيات القرآنية للزينة ٣٨٠
الخمّارات (الحانات) ٣٨٢
منكرات صالونات التجميل ٣٨٥
تحذير النساء عن تصويرهن داخل الصالونات ٣٨٥
نظر المرأة إلى عورة المرأة ٣٨٦
النمص والوصل والوشم والتفلج ٣٨٧
تدميم الأظفار وإطالتها ٣٨٧
اقتناء المجلات الهابطة في الصالونات ٣٨٩
تشبه النساء بالرجال ٣٩٠
خلع المرأة ثيابها في محلات الأزياء ٣٩١
عمل الرجال في صالونات التجميل النسائية ٣٩٣
منكرات صالونات الرجال ٣٩٤
حلق اللحية والشارب ٣٩٤
القــزع ٣٩٥
ضلالة تجهيل البنات ٣٩٦
تكسّب المرأة ٣٩٨

التبرج والسفور ٤٠٣
الاختلاط ٤٠٨
مكيدة تحديد النسل ٤١٢
مسوّغات لتنظيم النسل ٤١٣
الغناء ٤١٦
المسكرات والمخدرات ٤٢٠
التدخين ٤٢٠
الخمر ٤٢٢
الحشيشة ٤٢٤
القات ٤٢٦
حبوب الكنغو ٤٢٧
حكم المخدرات ٤٢٨
أكل الربا ٤٣٠
اليانصيب ٤٣١
اللعب بالشطرنج ٤٣٢
سوء الظن ٤٣٤
التجسس ٤٣٥
الغيبة ٤٣٦

حدود الرخصة في الغيبة ٤٣٨
النميمة ٤٤٠
الحسد وأضراره ٤٤١
الفصل السادس : مسائل متفرقة ٤٤٥
المرتدون ٤٤٧
ماذا يفعل المرتد؟ ٤٤٧
موجات الردة ٤٤٨
من أين جاءت معاول الهدم والردّة؟ ٤٥٠
الخلاصة ٤٥١
التحذير من استقدام الأجانب ٤٥٣
أحوال اليهود بين الكتاب والسُّنة ٤٥٥
المنافقون ٤٦٢
أهم علامات المنافقين ٤٦٤
الملحدون ٤٦٧
الملحد يطرح العقل ويستسلم للأهواء ٤٦٨
تعطيل مهمة العلماء ٤٧١
الهجوم على علوم القرآن وبلاغته ٤٧٤
استعمال اللهجات والمصطلحات الأجنبية ٤٨١

دعاة العامية يحاربون الفصحى ٤٨٤
القضاء على القرآن الكريم ٤٩٥
تعطيل الجهاد المقدس ٤٩٨
فضل الجهاد والمجاهدين ٤٩٩
المؤامرة على الجهاد والمجاهدين ٥٠٢
الجهاد طريق تحرير الأوطان والمقدسات ٥٠٣
فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين .. ٥٠٤
القوانين الوضعية ٥١٠
دور السلطة السياسية في حماية الدين من التحريف ٥١٨
التحذير من تغيير التاريخ الهجري إلى التاريخ الميلادي ٥٢٠
عطلة يومي السبت والأحد ٥٢٢
التسمّي بالأسماء الأجنبية ٥٢٣
التحذير من الاغترار بالدنيا ٥٢٤
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٢٧
فضل الأمة الإسلامية ٥٢٨
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة شرعية ٥٣٠
ما يترتب على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٣٣
أمور لا بد منها للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ٥٣٦

كيف نغيّر المنكر؟ ٥٣٧
أمثلة من الانحراف والتحريف المعاصرين ٥٤٠
غربة الإسلام ٥٤٤
لم تقولون ما لا تفعلون؟ ٥٥١
قرناء السوء ٥٥٣
العابد الجاهل ٥٥٦
أسباب تخلف المسلمين وضعفهم ٥٦٠
كيف نفهم ديننا فهماً صحيحاً ٥٦٣
مؤشرات انتصار الإسلام ٥٦٦
وصيتي ٥٧٣
مسك الختام في الصلاة على خير الأنام ٥٧٧
الخاتمة ٥٨٣
المؤلف في سطور ٥٨٥
من آثار المؤلف ٥٨٧
المصادر والمراجع ٥٨٩
الفهرس ٦٠٣